تاريخ الأقباط

المعروف

بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي

لتقي الدين المقريزي
(ت ٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م)

دراسة .. وتحقيق
الدكتور/ عبد المجيد دياب

دار الفضيلة

إهداء

إلى الباحثين .. عن آثار الأقباط فى مصر .

والدّارسين .. لتاريخ الأقباط .

إلى هؤلاء .. وهؤلاء .

أقدم دراستى .. وتحقيقى .

لما يقوله « المقريزى » عمدة المؤرخين .

راجياً أن ينال رضا الجميع .

فإن أصبْتُ فمن الله .

وإن أخطأتُ .. فما أردتُ إلا الخير .

الدكتور/عبد المجيد دياب

تقديم

مصر .. وطنى الحبيب . غُذيتُ بلبانها . ودرجتُ على أرضها . ونشأت فى ربوعها . وأظلَّتنى سماؤها . ونهَلْتُ من حياض علمائها .. فتربع حُبُّها فى قلبى . لكل ما فيها ومن فيها .. حبًّا ملأ شغاف قلبى . كما ملأ شغاف قلب كل مصرىّ وطنىّ .. وشرفت بالكتابة عن بعض من فيها . فأشار علىّ الصديق الفاضل صاحب دار الفضيلة أن أقوم بدراسة وتحقيق ما قاله عمدة مؤرخيها المذكور فى « القول الإبريزى ، للعلامة المقريزى » عن الأقباط فى مصر الذى طبع سنة ١٨٩٨م على نفقة « جمعية التوفيق » القبطية المركزية بالقاهرة .. فقرأت الكتاب على مَهَلٍ أستشفّ ما فيه ؛ لأستبين طريقى . فرأيت أن الأستاذ مينا إسكندر المحامى عمد إلى صفحاتٍ متوالياتٍ من الجزء الثانى . صفحة (٤٨٠) إلى صفحة (٥١٩) من كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المشهور بـ « خطط المقريزى » وقدمه إلى جمعية التوفيق القبطية فطبعته فى مطابعها آنذاك .. وسماه : « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » وليس فى مؤلفات المقريزى – على كثرتها – كتاب مسمّى بهذا الاسم . ولكن هذا الاسم من وضع الأستاذ مينا إسكندر . وكان معتمده على طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م ، وقد أجمع المؤرخون ، والجغرافيون ، وسائر العلماء فى كل فن على عموم نفع خطط المقريزى . هذا .. ولو استقصى مينا إسكندر فجمع ما قاله المقريزى عن القبط خاصة فى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » لأفاد الباحث والدارس كثيراً .

فقد تكلم المقريزى عن الأقباط فى مواضع عديدة من هذا الكتاب .. فتكلم عن تاريخ القبط [١]، ودقلطيانوس الذى يعرف به تاريخ القبط [٢]،

(١) الخطط ١/٢٦١ .

(٢) الخطط ١/٢٦٢ – ٢٦٩ .

وأعياد القبط ومواسمهم[1] . وعيد الشهيد[2] فقمت بجمع هذه الأمور وجعلتها لَحَقاً (ذيلا) فى آخر هذا الكتاب « القول الإبريزى » .

وليسمح لِيَ القارئ إن تجاوزت حدود « فن التحقيق » إلى الشرح ، والتحليل ، والتعليل ، والتهميش ، والتقميش ؛ فما أردت إلا الخير ، وهو استكمال واستقصاء للتحقيق لا يخلو من فائدة تعود على القارئ .

* * *

قال الأستاذ مينا إسكندر عند تقديمه لما أسماه : القول الإبريزى :

لما رأيت أبناء الأقباط قد هبُّوا من غفوتهم . والتفتوا إلى ماضى أمتهم . دفعتنى الغيرة لتنبيه الكثير منهم إلى مطالعة ما كتبه المقريزى فى كتابه الخطط عن الأقباط ، وبطاركتهم ، وكنائسهم ، ودياراتهم .. مما يلذ معرفته ، ويتعذَّر وجوده فى مؤلفات أخرى .. ولما كانت نسَخُ هذا الكتاب [أى خطط المقريزى] قليلة ، محصورة ، نادرة الوجود .. استعنت الله فى طبع ما يختص بالأقباط من هذا الكتاب فى كراسة مخصوصة ، سميتها : « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » عن الأقباط . وتم لِيَ المرغوب بمساعدة رجال التوفيق مادياً ، وأدبياً .

وأطلب من كل من طالع كراستى هذه ، أن يوسع لى عذراً .. إذ رآنى لم أقم بالتنبيه والإشارة إلى الصحيح والفاسد من أقوال المؤلف . إذ أنى لم أقصد من نشر عبارته انتقادها .. بل إيرادها فقط .

ثم يقول صفحة ٩ عندما ذكر شذرة من ترجمة المؤلف [المقريزى] : « وتكلم [المقريزى] فيه عن الأقباط .. بما نصه بالحرف » ثم ينقل بعض ما قاله المقريزى فى خططه .

وصار لما أسماه بـ « القول الإبريزى » هذا شهرة عظيمة فى أنحاء

---

(١) الخطط ١/٢٦٤ .
(٢) الخطط ١/٦٨ - ٧٠ .

العالم آنذاك . فاعتمد عليه الأوربيون والمستشرقون والعرب عندما كتبوا عن الأقباط ، وكنائسهم ، ودياراتهم .. دون الاعتماد على خطط المقريزى .. وترجم إلى عدة لغات أوربية .

ولعلّى بسبَبٍ من شهرة هذا الكتاب « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » لم أحاول تغيير هذا الاسم فنشرته تحت هذا الاسم أيضاً ، واضِعاً أرقام صفحاته فى طبعة ١٨٩٨م - وهى الطبعة الأولى - فى هوامش الكتاب الذى بين يديك نظراً لأنها مرجع الباحثين فى الشرق والغرب . فإذا أشرت إلى أرقام صفحات فإنما أعنى بها صفحات الطبعة الأولى لكتاب « القول الإبريزى » .

لكن لما كانت طبعة بولاق التى نقل منها واعتمد عليها فيها الكثير من البياض ، والتصحيف والتحريف . أشار إلى بعضه مصححه فى مطبعة بولاق . المرحوم الشيخ قطه العدوى .. وبالتالى أشار إليها الأستاذ مينا إسكندر إذ كان أمينا فى نقل النص كما هو فى الخطط ؛ مما اضطرنى إلى الرجوع إلى مخطوطة أخرى ؛ لأعارض عليها ، هى المخطوطة (رقم ٤٧٩ جغرافيا طلعت) بدار الكتب المصرية . وهى من أقدم مخطوطات خطط المقريزى إذ يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٩٨٣هـ .

ورغم حرص مينا إسكندر على نقل ما قاله المقريزى بالحرف كما يقول .. إلا أنه قد يغيب عنه جودة قراءة النص فى بعض الأحيان . فيضعه كما هو مرسوماً بين قوسين ، إشارة إلى أنه غاب عنه مراد المؤلف ، كما جاء فى صفحة ١٠ (والدوو الدهنا) وهى : « والدَّوّ ، والدَّهْناء » صحراوتان . أشرنا إليهما وإلى أماكنهما فى تحقيقنا للنص .

وقد يضع فى الفراغ الأبيض الذى أشار إليه الشيخ قطه العدوى أسماء أو حوادث أو أعداداً يظنها سليمة حسب معرفته واعتقاده .. دون أن يشير إلى ذلك ! أو يذكر لنا مصدراً رجع إليه . وقد لا يتفق ما صنعه وما جاء فى كتب التاريخ خاصة ما ذكره ساويرس بن المقفع « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » وذلك كما جاء فى صفحة ٥٠ عندما وضع « قسماً » وقد ترك الشيخ قطه العدوى مكانه بياضا وأشار إليه الشيخ قطه . وقد جاء فى تاريخ البطاركة وغيره

أنه ليس «قسماً» ولكنه «مقارة» التاسع والخمسون من البطاركة.

وفى صفحة ٤٢ بياض أشار إليه مصحح الخطط فى طبعتها، وبالتالى أشار إليه مينا إسكندر كما هو فى الخطط.. وعند الرجوع إلى المخطوطات المعارضه نجد أن الكلام متصل، وليس ثمة بياض.

وكذلك فى صفحة ٦٦ عبارة: «النطق: هو العلم، والحكمة، والكلمة. والعلم والحكمة والكلمة، عبارة عن الابن» هكذا فى طبعة بولاق. وهكذا أيضاً فى القول الإبريزى.

وصوابها كما جاء فى مخطوطة طلعت: «والنطق: هو العلم، والكلمة والحكمة.. والنطق، والعلم، والحكمة، عبارة عن الابن».

إلى غير ذلك من العبارات التى يعانى فيها محقق النص؛ ليصل إلى حقيقة ما قاله مؤلفه.

وقد قمت بوضع علامات الترقيم، حيث إنه كان لا ترقيم فيها، فكانت كخطط المقريزى تماماً.. والعصر الذى طبعت فيه خطط المقريزى، لم يتضح فيه الترقيم كما هو معروف ومدروس اليوم.

فوضعت الآباء البطاركة بين معقوفتين.. كما وضعت للحوادث والمهمات عناوين بالبنط الأسود بين معقوفتين.. فكل ما هو موضوع بين معقوفتين فمن صنعى، لا من صنع المؤلف. وهذه سنة معروفة ومتفق عليها بين محققى النصوص، وذلك لتنسيق النص وتوضيحه.

ووضعت فى آخر الدراسة التى قدمت بها لهذا الكتاب ثبتا ببطاركة الكنيسة المصرية فيه الرقم المسلسل للبطرك، واسمه، وتاريخ التقدمة، ومدة الإقامة على الكرسى، والملوك أو الرؤساء المعاصرون له.. منذ «مرقص الرسول» رقم (١) حتى يومنا هذا. الأنبا شنودة الثالث رقم (١١٧) البطرك الحالى. وذلك لأن المقريزى وقف بنا عند البطرك (٧٦).

ورأيت – إتماماً للفائدة – أن ألحق بهذا النص ما ذكره المقريزى عن الأقباط فى موضوعات متكاملة.. كتأريخ القبط. ودقلطيانوس الذى يعرف به

تاريخ القبط ، وأعياد القبط عامة ، وعيد الشهيد خاصة ... إلخ .

وهذا غير الأخبار المتناثرة عن القبط فى خطط المقريزى ، وما أكثرها فإنى لم أذكرها .

وألحقت به ثبتا ببعض الكتب التى ورد بها شيء عن الأقباط فى العربية والأوربية .

وقدمت لهذا الكتاب بمقدمة أدع الحكم عليها للقارئ .. رجعت فيها إلى مختلف المصادر التى أشرت إليها فى هوامش الدراسة والنص .

وبعد : لا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى ووافر امتنانى إلى الحاج طـه عاشور . صاحب دار الفضيلة على ما قام به من جهد مشكور فى سبيل إخراج هذا الكتاب ، والدكتور أيمن فؤاد سيد . مدير عام دار الكتب المصرية . والدكتور يواقيم رزق . مدير عام مركز وثائق وتاريخ مصر فى دار الكتب المصرية . والأستاذ رشدى أمين الطوخى . نائب رئيس مجلس إدارة « جمعية التوفيق القبطية المركزية بالقاهرة » . والمهندس حمدى شندى مدير دار النصر للطباعة الإسلامية بمصر . وكل من تعاون معى فى هذا الكتاب ، فإن أصبت فيما أقدمه ، فمِنَ الله .. وإن أخطأت فالخير أردت .. وعلى الله قصد السبيل .

القاهرة منيل الروضة ١٠ / ٢ / ١٤١٦هـ

٨ / ٧ / ١٩٩٥م

الدكتور/ عبد المجيد دياب

مصـــر والقبط [1]

يذكر قدماء المؤرخين العرب : أن « مصر » سميت باسم « مصرايم بن حام بن نوح » فهو الذى ينسب إليه اسم « مصر » مما يلى الأسرة السادسة . فى أواخر القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد . وذلك أنه لم يكن لها اسم يخصها من قبل .. منسوب إلى أحد الأعلام من الملوك . بل إنما تعرف بأسماء مقاطعاتها التى تنقسم إليها .

ومن أولاد « مصرايم » « كفتوريم » وهو جد القفطيّين الذين صعدوا إلى مصر العليا وأنشأوا مدينة « قفط » القديمة . المسماة باللغة المصرية « جبتو » . ومنه اشتق اسم مصر فى اللغة اليونانية Egyptious وأيضاً فى اللغات اللاتينية Egypt .

ولفظ « القبط » فى اللغة العربية يشير أصلًا إلى المصريين القفطيين الذين اعتنقوا الدين المسيحى فى بداية البشارة به .

فالقبطى : هو المصرى القفطى المسيحى Coptos .

وهنا يجب أن ننوه إلى أن بعض علماء الآثار يظنون أن لفظ « مصر والمصريين » فى اللغة اليونانية أو اللاتينية . إنما هو مشتق من اللفظ المصرى القديم « هيكوبتاح » بمعنى : « معبد الإله بتاح » ولكنه فى الحقيقة بعيد عما هو اسم عَلَم . أو اسم مدينة .. ولكن لما تصادف وجود المقطع الأوسط فيه ، مشابها لذلك فى اللغة اللاتينية "Kopt" ألصقوه به فى الاشتقاق ، رغم اختلاف المعنى فى كليهما [2] .

ويروى ابن عبد الحكم أنها سميت باسم « مصر بن بيصر بن حام بن

---

(١) راجع ما ذكره المقريزى صفحة ١٧ - ١٨ من (نصّ) هذا الكتاب .

(٢) راجع فى ذلك كتاب (رحلة بنى إسرائيل) لغطاس عبد الملك خشبة .

نوح[1] » فإنهم ذكروا أن « مصر » هذا نزل بهذه الأرض فأنسل فيها وعمرها ، فسميت باسمه . وهو أبو القبط .

ويذكر المؤرخون الأوربيون أن مصر عرفت منذ العصر اليونانى باسم « إيجبتوس » Egeaptus فذكرت فى أشعار « هيموروس » واستعملها الإغريق والرومان قبل مولد المسيح بعدة قرون . ومن هذه الكلمة اشتقت اللغات الأوربية الكلمات التي تستخدمها إشارة إلى مصر مثل : Gupt أو Egypt أو Egypto . أو Agpten المشتقة من « إيجبتوس » اليونانية Egeatus المأخوذة من Ha - ku - ph وهو أحد أسماء « منف » العاصمة القديمة وأول مدينة عمرت بعد الطوفان . وذلك كناية عن مصر كلها[2] وتشير إلى « القبط » وهم سكان مصر الأصليون .

وسموا بـ « القبط أو الأقباط » تمييزاً لهم عن العناصر الغريبة والتى استوطنت البلاد ، واستعملت اللغة اليونانية .

وجاء فى لسان العرب ، القِبْط : جيلٌ من أهل مصر الأصليِّين . واحدهم « قِبْطيّ » ويجمع على « أقباط » و « قِبْط » .

وكان سكان مصر قبل الفتح العربى أهل كتاب ، أى مسيحيون ويهود ، والكثرة الكاثرة كانت من المسيحيين ، وعرف المصريون باسم القبط أو الأقباط . والمعروف أن كلمة « قبط » أو « أقباط » كانت لا تعنى وقت الفتح العربى مذهباً دينياً ، ولا ترادف كلمة « مسيحى مصرى » وإنما كانت تعنى أهل مصر جميعاً مسلمين ومسيحيين – على الأقل – حتى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)[3] .

---

(١) راجع فى ذلك (خطط المقريزى ١/١٨ – ٢٣) ، وفتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ٧ – ١٠) .

(٢) راجع (تطور علم التاريخ الإسلامى . للدكتور أحمد رمضان أحمد ص ٤٢ ، والمراجع المبينة به ، و(مصر الإسلامية وأهل الذمة للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ٢٨) .

(٣) راجع مصر الإسلامية وأهل الذمة ٨٣ .

تعاليم الإسلام عند الفتوحات

تقضى تعاليم الإسلام بأنّه إذا أراد المسلمون غزْوَ بلدٍ وجب عليهم - أوّلًا - أن يدعو أهله إلى الدخول فى الإسلام ، فإن أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء . جاء فى الحديث : « أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاسَ حتّى يقولُوا : لا إلهَ إلّا الله . فإذَا قالُوها ، عصمُوا منِّى دماءَهم وأموالَهم إلا بحقّها ، وحسابهم على الله » وإن لم يُسْلِموا . دعوهم إلى أن يُسَلِّموا بلادَهم للمسلمينَ يحْكمونها ، ويبقوا على دينهم إنْ شاءوا ، ويدفعوا الجِزْية ، فإن قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، وكانوا فى ذِمَّةِ المسلمين ، يحمونهم ويدافعون عنهم ، ومن أجل هذا يسمون « أهل الذمّة » - وإن لم يقبلوا الإسلام ، ولا الدّخولَ تحت حُكْمِه ، ولا دفع الجزية ، أُعْلِنَت عليهم الحرب ، وقُوتلوا ، وفى أثناء القتال يَحِلّ للمسلمين أن يقتُلوا المحاربين ، أو مَن يُعِين على الحرب ، فأما المرأة ، والطّفل ، والشيخ الفانى ، والأعمى ، والمُقْعد ، ونحْوِهم فلا يجوز قَتْلهم ، ما لم يكن أحدهم ذا رأى فى الحرب ، يؤلِّب على المسلمين ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدُرَيْد بن الصِّمَّة . فقد قتله يوم حُنَيْن وهو شيخ كبير ضرير ؛ لأنه كان يدبِّر لقومه ، ويؤلِّبهم على المسلمين - وإن طلب المحاربون صلحاً أثناء الحرب أجيبوا إليه ، متى رأى الإمام ذلك ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْم فَاجْنَحْ لَهَا** ...﴾ ووجب إذ ذاك تنفيذ الشروط حسب ما تعاقدوا ، وإن لم يكن صلح وانتصر المسلمون وفُتِح البلد ، فهناك أسرى حرب ، وهناك أهل البلد المفتوح الذين لم يكونوا فى الجيش المحارب ، فأما الأسرى فإنا نجد أنه ورد فيهم فى القرآن : ﴿ **حَتَّى إذَا أثْخَنْتُموهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِدَاءً** ﴾ وهى تدل على أن ليس للإمام فى الأسرى إلا أن يمنَّ عليهم ويطلقهم ، أو يأخذ منهم مالًا فدية لهم ، أو يفتدى الرجل المحارب بالرجل المسلم .

ولكنّا نجد من ناحية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يفعل هذين الأمرين أحياناً. وكان يقتل الأسير أحياناً، ويسترقّ أحياناً، ففي يوم بدر قتل عُقْبَة بن أبي مُعَيْط وقد أُتِيَ به أسيرًا، وقتل بني قُرَيْظَة وقد نزلوا على حكم سعد، وفادى بجماعة من المسلمين أسارى المشركين الذين أُسِروا ببَدْر، ومَنّ على ثمامة بن أثال الحنفي وهو أسير في يده. واسترق ذراري بني قريظة، واسترق نساء هوازن وذراريهم.

كل هذا جعل أئمة الفقهاء يختلفون في حكم الأسرى. والذي يظهر أن هذه الأمور الأربعة متروكة للإمام يتصرف في كل حالةٍ حسب ما يحيط بها من ظروف مشدَّدة أو مخفّفَة.

روى رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز قال: ما رأيت عمرَ رحمه الله قتل أسيراً إلا واحداً من الترك، كان جيء بأسارى من الترك فأمر بهم أن يسترقّوا، فقال رجل ممن جاء بهم: يا أمير المؤمنين، لو كنتَ رأيتَ هذا - يشير إلى أحدهم - وهو يقتل المسلمين لكثر بكاؤك عليهم! فقال عمر: فدونك فاقتله، فقام إليه فقتله [1].

وأما أهل البلد المفتوح غير المحاربين، فالإمام مخيّر بين استرقاقهم، وتركهم أحراراً يدفعون الجزية، ولكن عمر - وإليه المرجع في كثير من هذه المسائل - ترك أهل سواد العراق أحراراً، وفرض على كل شخص من المُوسرين في العام ثمانية وأربعين درهماً، وعلى غير الموسرين أربعة وعشرين [2].

والذميون منذ بداية الدعوة إلى الإسلام على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شبه الجزيرة العربية كانوا كثيرين من المسيحيين واليهود، ينتمون إلى أصول عربية.. ذلك أن المسيحية واليهودية انتشرتا في اليمن

---

(١) تفسير الطبري ٢٧/٢٦.

(٢) راجع في هذا: المبسوط. والأم. وتاريخ الطبري.

وفى بعض المواضع فى الحجاز وشمال شبه الجزيرة قبل الإسلام، ومنذ صدر الإسلام، وفى حياة محمد صلى الله عليه وسلم كان هناك «أهل ذمة» من عرب شبه الجزيرة مثل أهل «نجران» ومثل قبائل بكر وتغلب، وأهل «دَوْمة الجنْدل» وأهل «أيْلَة» العقبة حالياً. والغساسِنة الذين كانوا يقيمون على حدود الشام، والمناذِرة أو عرب «الحيرة» الذين كانوا يقيمون على حدود العراق. وكان هؤلاء العرب الذمّيون، أو المعاهدون يتمتعون بقسط وافر من التسامح الدينى، كما تشهد بذلك المصادر التاريخية المختلفة، وكما تشهد بذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يخضعون فى أحوالهم الشخصية لرؤسائهم الدينيِّين، وكانوا يمارسون طقوسهم الدينية بحرية واطمئنان، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته، فأنا حجيجه»[1].

ومن أمثلة العهود المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء فى عهده لنصارى نجران: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وأرضهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبِيَعهم، وكل ما تحت أيديهم، من قليل أو كثير[2] ...» والمعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم تفرغ بعد صلح الحديبية فى السنة السادسة للهجرة (٦٢٧م) لدعوة ملوك عصره، وأمرائه، وقبائل العرب المسيحية واليهودية إلى الإسلام؛ لأنه بُعِث رحمة للناس كافة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3] فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية

---

(١) ذكره أبو يوسف صاحب أبى حنيفة فى كتابه (الخراج ١٤٩ ط السلفية سنة ١٣٤٦هـ).

(٢) أبو يوسف (كتاب الخراج ٨٦، ومجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله الحيدر أبادى - ٨ - وقال يحيى بن آدم: ولا أدرى ماذا أقول فيه!!

وقد روى هذا العهد ابن سعد فى كتب النبى ووفوده، وروى البلاذرى فى فتوح البلدان نسخة ثالثة من هذا العهد. وقول يحيى بن آدم: «ولا أدرى ماذا أقول فيه» يشعر بأن عهد نجران هذا دخل فيه التدليس والله أعلم. راجع (المشرق ح ١٢ سنة ١٩١٩ ص٦٠٩ - ٦١٨).

(٣) سورة سبأ آية: ٢٨.

فصنع له خاتم من فضة نقش عليه « محمد رسول الله » وذلك حتى يختم به رسائله[1] وكان ممن أرسل لهم النبى عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى الإسلام أهل « أيلة » فى السنة السابعة للهجرة (٦٢٨م) وكانوا من النصارى .. كذلك نعرف من كتب السيرة النبوية ، ومن كتب التاريخ أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على رأس حملة إلى تبوك[2] من السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) وقد طلب أهلُ تبوك الصّلحَ مع الرسول عليه الصلاة والسلام بعد وصوله إليها .. وفى تبوك جاءه صاحب أيلة فأقسم للرسول يمين الطاعة . ومنح الرسول نصارى تلك المنطقة حرية العبادة مقابل تعهدهم بآداء الجزية سنوياً ، كذلك صالح الرسول « أهلَ دوْمَة الجندل » وكانوا من النصارى أيضاً على أداء الجزية .

وفى كافة العهود : نرى الرسول عليه الصلاة والسلام منح الأمان والحرية الدينية لأهل الذمة عامة ، والرهبان والقسيسين خاصة .

* * *

(١) راجع (الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥م صفحة ٢/٢٣ ط القاهرة سنة ١٣٥٨هـ) .

(٢) **تبوك** : واحة شمال الحجاز ، قرب الحدود البيزنطية فى الشام .

العهد النبوى .. بدير سانت كترين

يحتفظ رهبان « دير سانت كترين » فى شبه جزيرة سيناء بصورة عهد ينسبونه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ويعرف باسم العهد النبوى ذكر نصه فى أول كتاب « القول الإبريزى » ويذهب رهبان دير سانت كترين إلى القول بأن السلطان سليم الأول العثمانى ، عندما فتح مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م أخذه منهم ، وحمله إلى الآستانة (استنبول) وترك لهم صورة منه مع ترجمتها تركية .. وفى المخطوطات الموجودة فى المركز الرئيسى لإدارة أملاك الدير فى القاهرة[٢] عدة صور لهذا العهد النبوى الشريف باللغتين العربية والتركية[٣] وأقدم هذه النسخ هى النسخة المؤرخة فى الثالث من المحرم فى ثانى سنى الهجرة . وقد ورد هذا العهد فى أول كتاب (القول الإبريزى) ولكن غير مؤرخ وفيه الكثير من الركاكة التى لا تقبلها العربية ولا يقول مثلها رسول الله صاحب جوامع الكلم .

ونحن هنا ننكر لفظ هذا العهد وإن كان مضمونه يتفق ومبادئ الإسلام الحنيف ، وروحه ، وما جاء فى القرآن الكريم ، وما جاء فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أثر عن السنّة الشريفة .

هذا ولن أجد فى الرد على ذلك خيراً مما قاله أحد أبناء جلدتهم وهو الأب لويس شيخو اليسوعى المعروف بكتبه العديدة ونقده النزيه ، كتب

---

(١) توجد إدارة أملاك دير سانت كترين . أمام جامع الظاهر بيبرس ، فى حىّ الظاهر بالقاهرة .

(٢) بعضها منسوخ على ورق ، والبعض منها على رق .. وهناك بعض الخلافات اللفظية بين هذه النسخ كما أن بعضها باللغة العربية ، والبعض الآخر باللغة التركية .

وقد ذكر نص هذا العهد فى مجلة (روضة المعارف البيروتية العدد ١٣ السنة الأولى ٢٨٩ - ٢٩٥ وهذا العهد الذى بين أيدينا يتفق مع نص روضة المعارف فى أشياء ويختلف فى أشياء ، فيظهر أن النساخ تصرفوا فى الكتابة كيف شاءوا ، حتى لا تكاد تجد سطرين بمنطوق واحد ، وكذلك أسماء الكاتبين ، وفيها التقديم والتأخير ، والحذف والإضافة ، والتصحيف والتحريف .

بحثا طيبا نزيها عن العهود المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسأستعير قلمه فى الرد على ما نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم من عهود ، ففيها ما ينطبق تماماً على العهد الذى بين أيدينا ونقله صاحب كتاب (القول الإبريزى) . حيث يقول :

« إن هذا العهد من الآثار المصنوعة التى لا يمكن إثباتها إلى نبىّ الإسلام ... أما الأسباب التى تحدو بنا إلى جحود هذا الأثر فهى الآتية :

أولاً : راجعنا كتاب ابن سعد فى كتب النبى ووفادته ، وهو أقدم ما ورد فى هذا المعنى ... فلم يَرْوِ أنّ محمداً كتب عهداً للملة النصرانية إجمالاً ، أو لإحدى طوائفها المعروفة فى عهْدِه كالملكية ، أو النسطورية ، أو اليعقوبية . فكفى سكوته دليلاً على أن هذا الأثر كان مجهولاً فى وقته لا يعرفه المسلمون .

ثانياً : كذلك لا ذكر لهذه العهدة فى السيرة المحمدية وأخبار الرسول التى كتبها المسلمون كابن هشام وغيره ، ولو كانت هذه العهدة صحيحة شائعة الذكر لعرفها أصحاب محمد وأنصاره ، ووقعوا عليها أسماءهم - كما يقال - لما فاتَ أمرُها أولئك الكتبة .

ثالثاً : ومثلهم المؤرخون الأقدمون كالطبرى ، وكتبة الفتوحات والمغازى كالأزدى ، والبلاذرى . وكلهم يظهرون التدقيق فيما يروون ، ويثبتون أقوالهم بالأسانيد المتواترة . فلا أحد ينوّه بميثاق أعطاه رسول الإسلام للملة النصرانية جمعاء .

رابعاً : لا ينطبق هذا العهد مع أحوال نبى الإسلام ، فإنه لما توفى ، فى السنة العاشرة للهجرة ، لم تكد العرب تخرج من حدود جزيرتهم ، فإن الفتوحات الكبيرة كالشام ، ومصر ، والعراق ، والعجم ، إنما جرت فى زمن خلفائه ، فلا يقبل العقل السليم ، والانتقاد الصادق أن محمداً يكون كتب من ذلك الحين سجل دين النصرانية « فى مشرق الأرض ، ومغربها ، وفصيحها

وأعجمها ، وقريبها وبعيدها ، ومعروفها ومجهولها » كتاباً جعله عهداً مرعياً ، وسجلاً منشوراً لكل بلاد النصرانية ، وكثير منها لم يدخلها العرب !!

خامساً : وزد عليه أن الكتب المروية عن نبى الإسلام كلها موجزة قليلة الألفاظ ، بخلاف هذا العهد الذى اتسع فيه الكاتب وفصّل تفصيلاً زادنا رَيْباً فى صحته .

سادساً : ولنا دليل آخر على عدم صحة هذا الأثر . أننا لا نجد فى معاهدات الخلفاء مع النصارى ، ولا فى براءات السلاطين إليهم ما يدل على معرفتهم بهذا الأثر الجليل ، ولو عرفوه لأشاروا إليه لا محالة ، وبنوا عليه معاهداتهم ، وما خالفوه فى مضامينه فى معاملاتهم للنصارى ، وكل ذلك ينقضه التاريخ .

سابعاً : ومن الأدلة المثبتة لقولنا . أن نسخ هذا العهد التى اطلعنا عليها مع كثرتها ، حديثة ، لا يتجاوز عهد كتابتها ثلاثمائة أو أربعمائة سنة ، ولو كان أصلها يرتقى إلى أوائل الإسلام لحفظت كأثر نبوى ، وذخيرة ثمينة فى خزائن السلاطين ، فوصفها الأثريون وصفاً مدقَّقاً .

ثامناً : ويظهر من المقابلة بين النسخ الباقية إلى يومنا بأن هذا العهد مصنوع . ولبيان هذا الأمر قطعياً كان ينبغى أن نثبت هنا تلك الصّوَر المتعددة التى حصلنا عليها ، فيرى القارئ ما فيها من الاختلاف ، إلا أن هذا يطول بنا ، ويقتضى صفحات عديدة من المجلة ، فنكتفى بإيراد مقاطيع من بعضها ، دلالة على قولنا . فمن هذه العهود عهد وجدناه فى بعض مخطوطات مكتبتنا ، قيل فى آخره إنه خط عن إحدى النسخ الثلاث « التى كتبها علىّ بن أبى طالب بإملاء محمد الرسول سنة اثنتين للهجرة » وإحدى النسخ فى خزائن السلطان والثانية بدير الطور (دير سانت كترين ، وهو العهد الذى بين يديك) والثالثة فى أيدى رهبان جبل الزيتون فهذا أوله . ثم يذكر نص العهد وهو يختلف .

ثم يقول لويس شيخوا : ومن المحتمل أن رهبان طور سيناء كانوا أول من أخذ عهداً من نبى الإسلام؛ لما أدّوه لقومه من الخدم فى بعض غزواتهم . ومما يُخْبَر أن السلطان سليمان بعد فتح مصر وجزيرة العرب وقف على عهد بالكوفية ، زعم الرهبان أنه من محمد ، فاستوهبه منهم ، ووضعه فى خزانة السلاطين العظام ، لا يعرف من أمره شيئاً . وفى مكتبة الأقباط فى مصر نسخة من هذا الأثر تقرب من العهود التى وصفناها لكنها أقصر منها [١] . وفى آخرها يقال أنها « كتبت بيد علىّ بن أبى طالب فى ٣ محرم السنة الثانية للهجرة . الموافقة لأول آب سنة ٦٢٢» وكفى بذلك دليلاً على اصطناعها [٢] .

ونحن نقول : صنع خاتم للنبى صلى الله عليه وسلم منذ السنة الثانية للهجرة كما ذكر ابن سعد ، فكانت تختم به مكاتباته .. فما له يبصم فى هذا العهد (!!) .

والبصمة لم تعرف ولم يتعامل بها فى مثل هذا التاريخ ، وأول تصنيفات عملية لبصمات الأصابع قام بها سيرفرنسيس جالتن ، وجوان فوتشتسن سنة ١٨٩١م [٣] .

ولو ذكر جامع « القول الإبريزى » بعض الأحاديث التى رواها ابن عبدالحكم فى كتابه « فتوح مصر » بسندها ، لكان أولى له من عهد يحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد روى ابن عبدالحكم بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا فتحتم مصر ، فاستوْصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحما » إذ

(١) وثائق بطركية الأقباط الأرثوذكس المحفوظة بالبطريركية القديمة (الكنيسة المرقسية) بشارع كلوت بك . رقم ٦١ تاريخ .

(٢) راجع (المشرق ح ١٢ سنة ١٩٠٩ ص ٦٠٩ - ٦١٨ و ٦٧٤ - ٦٨٢) وروضة المعارف البيروتية العدد ١٣ السنة الأولى ص ٢٨٩ - ٢٩٥) .

(٣) (الموسوعة العربية الميسرة) .

كانت هاجر زوج سيدنا إبراهيم وأم ولده إسماعيل مصرية ، كما كانت مارية القبطية زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وأم ولده إبراهيم منهم أيضاً .

وروى عن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « استوصوا بالقبط خيراً ، فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم » .

لو روى مثل هذه الأحاديث بسندها كما فعل ابن عبد الحكم لكان أولى له من عهد هو نفسه يشك فى صحته فيقول : « نشر العهد الشريف المنسوب إلى النبى » وليس لهذا العهد أثر عند ابن عبد الحكم ولا عند غيره من المؤرخين القدماء .

* * *

عهد الإمام الخليفة عُمَر بن الخطّاب

هذا العهد ذُكِر نصّه فى أول كتاب « القول الإبريزى » الذى نقدم له مَعْزُوًّا إلى عمر بن الخطاب ونسب ذِكْرَه إلى « المقريزى » .

ولكنْ لم يذكر المقريزى نصَّ العهد العمرى هذا .. وإنما قال فى كتابه (الخطط ٤٩٢/٢ ما نصه :

« ويذكر علماءُ الأخبار من النصارى . أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، لمـا فتح مدينة القدس كتب للنصارى أماناً على أنفسهم ، وأولادهم ، ونسائهم ، وأموالهم ، وجميع كنائسهم ، لا تهدم ، ولا تسكن ...» .

ولم نجد لهذا العهد نصًّا مذكورًا عند قدماء المؤرخين العرب ، أو غير العرب . ويذكر سعيد بن البطريق (٨٧٧ - ٩٤١م) أقدم مؤرخ للأقباط بعد الفتح الإسلامى . وهو بطريرك الملكية فى مصر . يقول فى كتابه : « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . تأليف البطرك : أفتيشيوس . المكنى بسعيد بن البطريق[(١)] » .

يذكر : « لمـا فتح العرب الشام واتصل بالمسلمين قدوم عمر بن الخطاب تلقّاه قادةُ العرَب فى الشّام وكانوا إذْ ذَاكَ : أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعَمْرو بن العاص .. ثم ساروا جميعاً إلى بيت المقدس ، فحاصروها ، فخرج « صفرونيوس » بطرك بيت المقدس إلى عُمَر بن الخطاب ، فأعطاه عُمَر بن الخطاب أماناً وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

---

(١) طبع فى بيروت . بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥.
وانظر ما كتبه الأستاذ حبيب الزيات - من طائفة الروم الكاثوليك - فى مجلة المشرق ٤٣ ص ١٦١ - ٢٥٢ سنة ١٩٤٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب لأهل مدينة « إيليّا » :

« إنهم آمنون على دمائهم ، وأولادهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، ألا تسكن ولا تهدم » وأشهد شهوداً ، وفتح له باب المدينة ، فدخل المدينة هو وأصحابه ...»[1] .

فأنت ترى أن هذا هو ما ذكره المقريزى فى الخطط .. أما النص الذى ذكره صاحب « القول الإبريزى » فكما تناقل النصارى عهوداً زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أَمّنَ بها من استَأْمنه منهم ، كذلك أشاعوا عهوداً للخلفاء الراشدين كتبوها على زعمهم للنّصارى ، وليست أثبت من العهود التى زعموا أنها لرسول الله صِحّةً .. ولم يذكر الطبرى ، ولا ابن عبد الحكم ، ولا غيرهما من قدماء المؤرخين معاهدة زعموا أن الخليفة عمر أعطاها لـ « صفرونيوس » بطريرك بيت المقدس .

ومن هذا العهد عدة نسخ مخطوطة . أقدمها نسخة الآستانة التى قابلنا عليها النص الذى بين يديك مع ما نقله الأب لويس شيخو[2] .

وكل من له إلمام بتاريخ الخلفاء ، وأدْنَى معرفة بعاداتهم وكتاباتهم الرسمية ، ينكر لا محالة صحة هذا النص ، ولو تتبعناه سطراً سطراً وعبارة عبارة لأمكن بيان تزوير صاحبه .

وأقل ما يجوز اليوم أن يقال فى العهود المحمولة على عمر بن الخطاب ودس فيها الزور والباطل ، أنها وضعت بعد الصدر الأول من الإسلام ونسبت مغالطة لثانى الخلفاء الراشدين ؛ ليكون لها بفضل التلقب باسمه

---

(١) تاريخ ابن البطريق ١٧/٢ .

(٢) المشرق ح ١٢ سنة ١٩٠٩ ص ٦٧٩ .

أصل راسخ فى السنة ، وتكتسب مزية الانتماء إلى سلطة لا تعادلها سلطة أخرى بعد الشارع الأول .

ومن تدبر هذه الشروط بعين الناقد البصير ، وتذكر موقف الإمام الذى قاد أول خطى الإسلام ، وشهد أعظم الفتوح التى غيرت وجه البسيطة ، ونهضت بالعرب من الثرى إلى الثريا ، يدرك لأول وهلة استحالة نسبة هذا العهد إلى ابن الخطاب .

والعهد العمرى الذى وضعه مينا إسكندر فى أول « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » موضوع برمته لا يصدق على عمر .

* * *

وإذا قلبنا النظر فى آيات القرآن الكريم ، وفى الأحاديث النبوية ، والسنة الشريفة بخصوص موقف الإسلام من أهل الذمة لخرجنا بأن الإسلام ينص صراحة على معاملة أهل الذمة معاملة حسنة طيبة ، عادلة ، وعلى عدم التضييق عليهم فى عقائدهم ، وعدم اضطهادهم ، أو إرغامهم على ترك دينهم . وقد بينا شيئاً من ذلك فى صدر هذه الدراسة .

* * *

فتـــح مصــر

ارتبط ظهور الإسلام بنشْأةِ الدولة العربية الإسلامية ، التى وضع الرسولُ صلى الله عليه وسلم نواتها فى المدينة المنورة ، والتى أشرفت على توحيد شبه الجزيرة العربية ، بعد أن كانت قبائل ودوَيْلات متفرقة ، وحين وصلت الجيوش العربية الإسلامية إلى شمال شبه الجزيرة العربية اصطدمت بقوات الفرس ، والروم ، اللّذَيْن كانا يسيطران على العرب فى تلك النواحى . ولم يتخاذل الخلفاء ، ولم تتراجع الجيوشُ الإسلامية ، بل خاضوا حرباً ضروساً ضد الدَّولتين العظيمتين حينذاك : دولة الأكاسرة (الفرس) ودولة القياصرة (الروم البيزنطيين) وأصر الفرس والروم على القتال ، حتى يقضوا على الدولة العربية الإسلامية الناشئة ، لكن العرب حاربوا بحماس شديد ، حتى اتسعت رقعة القتال وسيطروا على الأكاسرة ، وانتزعوا الشام من القياصرة .. ثم فكّر العرب فى فتح مصر لتأمين فتح الشّام ، ولمقاومة الروم الذين كانوا يحتلونها .

وكانت مصر قبيل قدوم العرب إليها ، ولاية بيزنطية . ونعرف أن الأباطرة البيزنطيين لم يدّخروا وُسْعاً فى الحصول على أكثر ما يمكن من الضرائب التى كان يقع عبؤها على المصريين دون غيرهم ممن كانوا يقيمون فى مصر ، وكان يعامَل الشعب المصرى بوجه عام معاملة المغلوب على أمره ، فلم يكن له حق الاشتراك فى حكم بلاده أو فى جيش بلاده ، ولم تكن اللغة المصرية هى اللغة الرسمية ، وإنما كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية للحكومة منذ عهد البطالسة حتى الفتح العربى .

وكانت المسائل الدينية قبيل الفتح العربى هى مشكلة المشاكل آنذاك ، والمعروف أن مصر كانت فى طليعة البلاد التى تسربت إليها المسيحية فى القرن الأول الميلادى . وأخذت فى الانتشار تدريجياً فى جميع أنحاء مصر

منذ القرن الثانى الميلادى. إلا أن الأباطرة الوثنيين ناصبوا المسيحيين العداء، وظلت المسيحية فى مصر تلقى اضطهاداً كبيراً وتسامحاً قليلاً.. إلى أن ولىَ عرش الإمبراطورية الإمبراطور «دقلديانوس Dioclettanus (٢٨٤ - ٣٠٥م) فبلغ فى عهده اضطهاد المسيحيين أقصاه. وقد قابل المصريون ذلك الاضطهاد من جانبهم بقوة وإصرار. وبدأت الكنيسة المصرية تقويمها الذى سمته «تقويم الشهداء» بالسنة الأولى من حكم دقلديانوس (٢٨٤م) نتيجة لما ترك هذا الاضطهاد من أثر عظيم فى نفوس الأقباط.

وحينما اعترف الأباطرة بالدين المسيحى منذ بداية القرن الرابع الميلادى، لم تخِفّ المشكلة الدينية، بل زادت تعقيداً. إذ تدخّل الأباطرة فى المنازعات التى قامت بين المسيحيين حول طبيعة المسيح وصِفَتِه، وعقدوا من أجل ذلك المجامع الدينية، وبلغ ذلك النزاع الدينى بين كنيستى الإسكندرية والقسطنطينية أو (بيزنطة) مداه، منذ حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى، عندما عقد الإمبراطور البيزنطى من أجل ذلك مجمعاً دينياً فى «خلقدونية» بآسيا الصغرى سنة ٤٥١م وقد أقر هذا المجمع ما ذهبت إليه كنيسة القسطنطينية. وقرر أن مذهب الكنيسة المصرية كفر وخروج على الدين الصحيح! وسترى ذلك بشىء من التفصيل خلال قراءتك لنص هذا الكتاب ولم يقبل بطرك الإسكندرية، ولا مسيحيو مصر ما أقره مجمع «خلقدونية» وأطلقوا على أنفسهم «الأرثوذكس» وهى كلمة يونانية معناها: أتباع الديانة الصحيحة. ولا زال سواد القبط فى مصر يعرفون بهذا الاسم إلى يومنا هذا. أما أتباع الكنيسة البيزنطية فقد عرفوا بعد الفتح العربى باسم «الملكانيين» وذلك لاتباعهم مذهب الملك أو الإمبراطور، وقد أطلق مسيحيو الشرق على الأقباط الأرثوذكس أيضاً اسم «اليعاقبة» كما أطلقوا على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية اسم «الكنيسة اليعقوبية» وذلك نسبة إلى يعقوب البرادعى أسقف مدينة الرها (أورفا الحالية فى تركيا) الذى زار مصر ضمن بلاد الشرق التى زارها لتنظيم الكنائس

المنوفيزتية - أى القائلة بمذهب الطبيعة الواحدة . ولكن يظهر من الحوليات المصرية أن الأقباط لم يطلقوا على أنفسهم اسم « يعاقبة » .

وقد قابل المصريون الاضطهاد البيزنطى بالمقاومة الإيجابية أحياناً . ولكن الغالبية من الشعب لجأت إلى المقاومة السلبية ، وذلك بالفرار إلى الأديرة والمعابد . وأسند هرقل الرئاسة الدينية والسياسية لـ « قيروس » المعروف عند مؤرخى العرب باسم « المقوقس » وقبل أن يصل المقوقس إلى الإسكندرية سنة ٦٣١م هرب بطرك الأقباط « بنيامين » توقعاً لما سيحل به وبطائفته من الشدائد من جراء فرض المذهب الجديد . وكان اضطهاد المقوقس (قيروس) للمصريين عظيماً فاق كل اضطهاد . وبذلك تمهد السبيل لفتح مصر على يد ناشئة قوية . تلك هى دولة العرب المسلمين الذين لم ير بعض الأقباط فيهم - إذ ذاك - إلا مذهباً جديداً واضحاً من مذاهب المسيحية ، وليس خروجاً من دين إلى دين ، وأخذ المصريون لهذا الحدث الكبير ، وهو الانتقال من أيدى البيزنطيين . إلى أيدى العرب . والثابت فى المصادر القديمة أن فريقاً من الأقباط ساعدوا الجيش العربى فى العمليات الحربية ضد البيزنطيين ووقف فريق آخر موقف الحياد .

وكانت مصر مهد المدنية القديمة ، والوارثة لحضارة قدماء المصريين ، واليونانيين ، والرومانيين .. وفيها الإسكندرية مجمع المذاهب الفلسفية ، وملتقى الآراء الشرقية والغربية ، كان يسكنها المصريون ، ومزيج من أمم أخرى كاليونان والرومان .

وحين فتح العرب مصر كان شعبها توّاقاً للتخلص من نير الروم ومن الظلم المالى والاجتماعى والدينى الذى كان يعانيه تحت حكم الروم ، وفتحت مصر على يد عَمْرو بن العاص ، الذى سار إليها من الشام سنة ١٨هـ / ٦٣٩م فى خلافة عُمَر بن الخطاب ، واستطاع عمْرو أن يستخلصها من الروم سنة ٢١هـ / ٦٤٢م ثم سار غرباً إلى برقة وطرابلس ، فانتزعهما من الروم ؛ ليؤمِّن حدودَ مصر الغربية ، واستمر نضال

المسلمين ضدَّ الروم برًّا ، وبحراً ، طوال العصر الإسلامى كله .

وكانت مصر ضمن البلاد التى سيطر المسلمون عليها ، والتى امتدت فى زمن بنى أمية إلى الهند والصين شرقاً ، وإلى المحيط الأطلسى غرباً ، وإلى البحر الأبيض ، والبحر الأسود ، وجبال البرانس شمالاً .. وإلى بحر العرب ، والمحيط الهندى وصحارى السودان جنوباً .. ولم يرتبط اتساع الدولة العربية الإسلامية بسفك الدماء ، والعنف ، والوحشية ، أو التخريب ، وامتصاص أموال البلاد ، وإهمال مرافقها . بل عرف العرب بالتسامح ، والعدل ، والإصلاح .

وحين خرج العرب من جزيرتهم، وجدوا حضارات عريقة ، ووجدوا نُظُماً امتدت جذورها منذ أزمنة سحيقة .. وهذا لا ينكره عالم .

وقد سبّبت الفتوحات العربية عملية مزج قوية بين الفاتحين وأهل البلاد ، وقد حمل العرب معهم دينَهم ، ولغتَهم ، وسُمُوَّهم الرّوحى والخلقىّ ، وحملوا معهم ثقافة عربية ، هى مزيجٌ من جهود أسلافهم القدامى فى اليمن ، وفى أطراف شبه جزيرتهم العربية ، ومن أسفارهم التجارية ، ومن خبراتهم فى ميادين الاقتصاد والسياسة ، ومن إنتاجهم الأدبى الرائع فى الشعر ، والخطابة ، والحِكَم والأمثال .. ولغة فياضة مرنة تجلّى غِنَاؤهَا وبلاغتها فى القرآن الكريم .

وتجلّت أصالةُ الإسلام فى استيعاب الحضارات القديمة ، وتكييفها ، ثم فى خلقها خلقاً جديداً . وأصبحت الحضارة الإسلامية هى حضارة الشرق الأدنى والأوسط [(١)] .. بل إنّ نفسَ وجود العالم الإسلامى كان له أثر كبير فى صوغ التاريخ الأوربى والحضارة الأوربية . وجاء نزول القرآن الكريم باللغة العربية إعلاء لشأنها ، وتثبيتاً لأركانها ، وأظهرت المدنية والحضارة الإسلامية مرونة اللغة العربية ، وقدرتها على التعبير العلمى ، فاشتقت ألفاظاً

(١) راجع (الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى « لآدم متز » نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة وطبع فى مصر سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م الطبعة الثانية) .

من اللغات الأخرى وعَرَّبتْها ، وأكسبت بعض ألفاظها معانى جديدة ، وجعلت من نفسها لغة حيَّةً عالمية .

ولا ننكر أنه كان للفتوحات العربية أثر ملحوظ فى سرعة انتشار الدين الإسلامى فى كافة الأقاليم التى فتحها العرب خارج شبه الجزيرة العربية ، فدخل الدين الإسلامى فى هذه البلاد بدخول العرب فيها .

وما لبث أن تغلّب على الأديان الأخرى التى وُجِدَتْ قبله ، وأصبح المسلمون أغلبية فيها . ففى مصر - مثلًا - أصبح المسلمون أغلبية ، منذ أوائل القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) أى بعد أقل من قرنين من الزمان ، بعد فتحها على يد عَمْرو بن العاص[1] .

وأدّى انتشار الإسلام انتشاراً واسعا وسريعاً ، خاصة فى بلاد ترتبط بأصول المسيحية ونشأتها مثل : الشام ، ومصر ، والعراق ، إلى أن يدَّعى بعضُ المتعصِّبين ، أن الإسلام لم ينتشر فى هذه البلاد إلا بحدِّ السيف !! لكن الأصول والمصادر الموثوق بها تثبت أن العرب تسامحوا مع أهالى البلاد المفتوحة ، ولم يفرضوا عليهم ديانة معيّنة ، وإنما فرضوا فقط سيطرتهم السياسية ، ومن الثابت أن الدولة التى قامت على أساس من الدين الإسلامى ، والتى كان شعارها حماية ذلك الدين . لم تضطهد أحداً من أهل الذمة ، أو ترغمه على ترك دينه .

فبعد أن تم استيلاء عمرو بن العاص على الإسكندرية ، ودخول الجيش العربى فيها نقل عميد الأقباط حينئذ ، واسمه « سانوتيوس »[2] إلى عَمْرو ابن العاص قصّةَ بطرك القبط « بنيامين » الذى اختفى خوفاً من اضطهاد

(١) راجع خطط المقريزى ١/٧٩ - ٨٠ .

(٢) يقول ساويرس بن المقفع فى تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ٢٣١ - ٢٣٢ عن سانوتيوس : « سانوتيوس التكس المؤمن » والتكس : يعنى به الدوق . الذى تولى إدارة شئون الأقباط منذ اختفاء البطرك « بنيامين » وأحسن إدارتها ، وجمع كلمة الأمة بعد أن كانت حوادث الروم قد جعلتها أشتاتاً .

الروم ، ولما كان الموضع الذى اختفى فيه الأب « بنيامين » غير معروف بالضبط ، فقد كتب عمرو بن العاص إلى جميع أقاليم مصر كتاباً يقول فيه : « الموضع الذى فيه بطرك النّصارى القبط . له العَهْدُ والأمان والسلامة من الله ، فليحضر آمنا ، ويُدَبّر حالَ بيعته ، وسياسة طائفته »[1] .

وكانت هذه هى الوسيلة الإعلامية فى ذلك العهد ؛ لكى تصل الدعوة إلى الأب « بنيامين » .

وعندما علم الأب « بنيامين » بدعْوَة عمْرو بن العاص ، والأمان الذى بذله له ، عادَ إلى الإسكندرية مسروراً بعد غيبة دامت ثلاث عشر عاماً . أمضى منها عشر سنين أثناء حكم « هرقل » وثلاث سنين أثناء الفتح العربى إلى أن فتح العرب الإسكندرية .

وقد طرب أهل مصر جميعاً لعودة راعيهم .. ولما أبلغ « سانوتيوس » عمرو بن العاص بمقدم بنيامين ، أمر عمرو بإحضاره إليه معززاً مكرماً ، فلما مثل بين يدى عمرو ، أكرمه وبالغ فى الحفاوة به ، وأعطاه الحريّة ليشرف على الكنائس ، ويرعى أحوال الأقباط .

وكان من نتائج عودة بنيامين إلى كرسى البطركية أن رجع كثير من الأقباط إلى المذهب « الأرثوذكسى » بعد أن كانوا قد نبذوه نتيجة لاضطهاد هرقل ، كما عاد الذين قد اختفوا خوفاً من هذه الاضطهادات .

وبعد أن تم للأب بنيامين جمع قومه من القبط ، ولم شعثهم اتجه إلى بناء ما كان هرقل قد هدمه من الكنائس والأديرة .

ولا عجب أن عم السرور والفرح أهل مصر جميعاً . ولا شك أن الأقباط قد وقفوا خلف راعيهم يشدون أزر العرب ضد الروم حين فتح الإسكندرية سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م .

---

(١) راجع (تاريخ البطاركة ٢٣١ - ٢٣٢) .

وعلى أية حال فقد أعاد عمرو بن العاص البطرك بنيامين إلى كرسى البطركية فى مصر .. وكفل العرب للأقباط الحرية التامة فى إقامة شعائر دينهم ، وفى إصلاح ما تهدم من كنائسهم ، وكذلك ترك العرب مقاليد الأمور فى يد أهل مصر من الأقباط محتفظين لأنفسهم بالسياسة العليا وتنفيذ أحكام الدين .

ولا يمكننا أن نفسر سياسة عمرو بن العاص وسائر العرب مع الأقباط بأنها مسألة من دروب السياسة . لكن تسامح المسلمين ، وإقامة العدل بين الأقباط ، وإطلاق حريتهم الدينية والمدنية فى بلدهم ، كان نابعاً من الدين الإسلامى نفسه ومن تسامح الإسلام .

ولما فتح العرب مصر وضح التسامح الدينى نحو المصريين بحكم التشريع الإسلامى وروح الإسلام ، كذلك كان للعوامل السياسية أكبر الأثر فى حمل العرب على ترك مقاليد الأمور فى يد أهل مصر من القبط ، محتفظين لأنفسهم بالسيادة العليا ، وتنفيذ أحكام الدين . أى أن الأقباط أصبحوا يتمتعون بحرية تامة فى الدين ، كما أصبح لهم نصيب كبير فى إدارة بلادهم ، لم يصلوا إليه تحت حكم الرومان قبل الفتح العربى .. ولا شك أن القبط حلُّوا محلَّ الرُّوم الذين غادروا مصر ، والذين كانوا يشغلون كثيراً من المناصب السياسية فيها .. أما سائر الوظائف والأعمال الزراعية أيضاً فكانت بيد القبط [1] .

وقد حَرّمَ عمَرُ بن الخطاب على العرب الاشتغال بالزراعة ، أو امتلاك الأرض ، فلم يكونوا يعنون بغير السياسة ، والحكم ، والحرب .

هذه هى سياسة العرب منذ دخولهم مصر فى عهد عمر بن الخطاب ،

---

(١) راجع بحث الدكتوراه المقدم من الدكتور محمد عفيفى إلى قسم التاريخ فى كلية الآداب جامعة القاهرة وقد طبع فى سلسلة تاريخ المصريين ٥٤ سنة ١٩٩٢ بعنوان (الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى) .

متسامحين إلى أبلغ حَدّ ، مخلصين فى تنفيذ تعاليم الإسلام السمحة ، كذلك أثبت العرب حنكة سياسية بالغة فى إبقائهم على النُّظُم المختلفة فى مصر ، والتى قامت فيها منذ القدم ، ونمت وتطوّرت خلال العصور المتوالية . واكتفى العرب بشغل المناصب الرئيسية وهى : الإمارة على مصر . ورئاسة المالية ، والحرب ، والشرطة ، والقضاء .. وشهد للعرب الأعداء قبل الأصدقاء ، والذمّيون قبل المسلمين ، ولم ينكر أحد زمن الفتوحات الإسلامية ، تسامح العرب الدينى وحسن معاملتهم لأهل الذمة عامة .

ولا نرى فى روايات المؤرخين الأوائل مثل : الطبرى ، والبلاذرى ، وابن عبد الحكم . ولا فى حوليات الكنيسة المصرية التى جمعها ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين ، ولا فى تاريخ ابن البطريق ما ينفى هذه الحقيقة .

لكننا نقرأ فى بعض كتب الفقهاء[١] عن أمور اشترطها عمر بن الخطاب على أهل الذمة بخصوص ملابسهم ، والدواب التى يركبونها ؛ مما يميز بينهم وبين المسلمين من الناحية الاجتماعية والأدبية .

وكذلك . يذكرون أن عمر بن الخطاب اشترط على أهل الذمة عدم بناء كنائس بعد الإسلام إلا ما قد صُولِحوا عليه[٢] .

ونجد رِوايةً لأقدم مؤرخ مصرى مسلم . هو عبد الرحمن بن عبد الحكم يقول فيها : إن عمر بن الخطاب أمر عمرو بن العاص بألّا يدع أهلَ الذمّة يتشبهون بالمسلمين فى لباسهم[٣] .

أى أنه بعد وفاة عمر بن الخطاب بأكثر من قرن ونصف من الزمان بدأ يظهر فى كتب الفقهاء بعض الشروط والأحكام الخاصة بأهل الذمة من حيث لباسهم والدواب التى يركبونها ، وبناء الكنائس والمعابد الدينية ، ثم

---

(١) راجع كتاب الأم . للشافعى الجزء الرابع . والمبسوط للسرخسى .
(٢) كتاب الخراج . لأبى يوسف ٧٢ - ٧٣ والأحكام السلطانية . للماوردى ١٣٨ - ١٣٩ .
(٣) راجع فتوح مصر وأخبارها . لابن عبد الحكم ١٥١ .

أصابت هذه الشروط والأحكام الزيادات الكثيرة ، والتأويلات ، وسوء التفسير والتحريف ، منذ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حتى استقرت بوضعها النهائى فى المدارس الفقهية ، وأصبحت تعرف باسم « الشروط العمرية » أو « عهد عمر » وناقش هذا العهد الكثير من الكتاب ومن المستشرقين مما حدى بالدكتور ترتون Tritton الأستاذ بجامعة لندن أن يضع كتاباً عن أهل الذمة فى الإسلام [1] وجعل بعض الفقهاء والمؤرخين « عهد عمر » خاصاً بنصارى الشام ومصر [2] . ورأى بعض الفقهاء منذ القرن الخامس الهجرى أن عهد عمر هو القانون الذى يحدد العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة [3] .

وابن الخطاب أجل من أن يكون اقترف شيئاً من آثام هذه العهود ، والشروط التى حملت عليه ، وقد سكت عنها أو جهلها كل الرواة الأقدمين ، وأغفل ذكرها كل المؤرخين فى القرنين الثالث والرابع ، ولم يشر إليها البلاذرى صاحب « فتوح البلدان » بحرف واحد فى كتابه « فتوح البلدان » وهو مظنة وجودها . ويظهر أن أول من رواها بنصها المشهور هو ابن عساكر ، ولم يذكر عن أى مؤلف قبله نقلها ؛ لنعلم من كان الواضع لهذه الأحاديث الملفقة ، والأرجح أن أول نواة نجمت منها فى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز .

ولا يمكن أن يقال إلا أن عمر بن الخطاب افترى عليه بعد عدة قرون من الفتوحات العربية مرتان : مرة فى حريق مكتبة الإسكندرية ، ومرة فى العهد المزعوم سواء كان العهد المذكور فى تاريخ دمشق أو العهد الذى

---

(١) طبع فى أكسفورد عام ١٩٣٠ وقد ترجمه وعلق عليه الأستاذ الدكتور حسن حبشى تلميذ الدكتور ترتون وطبع فى مصر مترجماً مرات ثلاث آخرها طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤ من (سلسلة تاريخ المصريين ٧٠) .

(٢) راجع تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧٨/١ و ١٤٩/١ والأبشيهى ١٢٤/١ ونهاية الأرب ج ٢٩.

(٣) فى كتاب « أهل الذمة فى الإسلام » السابق الذكر توضيح واف لذلك . وللمستزيد أن يرجع إليه .

زعموا أنه أعطاه لـ «صفرونيوس» وسجل فى أول كتاب «القول الإبريزى» !! .

وأغلب الظن أنّ الشروط العُمَرِيّة[1] ظهرت بأشكالها المتكاملة المختلفة منذ مجيء الصليبيين إلى الشرق فى أواخر القرن الخامس الهجرى (أواخر الحادى عشر الميلادى) وحين أخذ بعضُ المسيحيين فى الشام يساعدون الصليبيين بشهادة مورِّخى الصليبيين أنفسهم .

كذلك برزت الشروط العمرية فى مصر حين تسلّط أهلُ الذمة على المسلمين فى النواحى الإدارية والمالية ، وحين أظهروا التعالى عليهم ، وحين قام بعضُ الذميِّين بحركاتٍ تخريبية ضدّ منشآت المسلمين .

وربما كانت هذه الأسباب هى التى حدت ببعض الفقهاء إلى إظهار القول بالشروط العمرية ، والدّفاع عنها ؛ كى يقْتنع أولو الأمر بأخذ أهل الذمة بالشدة .

والمعروف أن الإسلام اهتم فى المعاملات بالمبادئ والأسس العامة ، أما المسائل التفصيلية فقد تتغير حسب الظروف والحاجة ، وحسب تطوّر العصور .

ومن خلال هذا المنفذ وجد الفقهاء فى العصور الإسلامية المتأخرة سبيلهم إلى الكتابة فى الشروط العمرية ، والدفاع عن وجهة نظرهم ، وناشدوا أولى الأمر اتباعها . ولكى يزداد أولو الأمر اقتناعاً نسبها الفقهاء إلى عمر بن الخطاب مؤسس التنظيمات الإدارية الإسلامية .

ولكننا نجد أهل الذمة فى مصر يجدون من يدافع عنهم ويقف فى صفهم من القضاة والعلماء والفقهاء ، ومن لا يوافق على الشروط العمرية

---

(١) التى جاءت فى العهد المنسوب إلى عمر لآل دمشق والمذكور فى تاريخ ابن عساكر ، وليس العهد المنسوب فى هذا النص لصفرونيوس بطريرك بيت المقدس .

المزعومة حتى فى أصعب الظروف وفى أوقات اشتعال الفتن والاضطرابات . فقد وقف مثلاً الشيخ والفقيه « ابن دقيق العيد » ، و « ابن لهيعة » قاضى مصر ، و « الليث بن سعد » وغيرهم موقفاً حازماً تجاه مسألة هدم الكنائس التى أفتى بعض الفقهاء فى مصر بوجوب هدمها[1] .

والحق أن علاقة المسلمين بأهل الذمة (وفيهم الأقباط) كانت تفتر وتتراخى أحياناً فى ظروف معينة فى ديار الإسلام ؛ لأسباب سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية .. وليس لأسباب دينية ، فكان الحكام يلجأون فى فترات محدودة إلى التضييق على أهل الذمة فى مظهرهم الخارجى ، وفى بناء كنائسهم وبيعهم ، وطالما مزج الدين بالسياسة منذ العصور القديمة حتى أوائل العصور الحديثة ؛ لإلهاب حماس الجماهير ، أو لإقناع أولى الأمر باتباع سياسة معينة .. وتاريخ العالم كله ملىء بأمثلة كثيرة من هذا النوع . وفى التاريخ الإسلامى قَلَّ أن تجد حركةً سياسيّةً لا تتمسح بلباس الدين .

يروى المقريزى فيما عنونت له بـ « أسباب انتفاضة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٠م » أنه لما مات السلطان المنصور وخلفه خليل على العرش ، أصبح كثيرٌ من الكتاب النصارى ممن فى خِدْمة الأمراء .. شديدى التكبر على المسلمين ، وارتدوا الملابس الفخمة ، وعاشوا فى بلهنية من الحياة ، وكان أحدهم فى خدمة أحد أمراء الخاصكيّة اسمه « عين الغزال » وحدث أن صادف فى أحد الأيام سمسارَ شونة مخدومه ، فترجَّلَ السِّمْسارُ وقَبَّلَ قدمَ الكاتب الذى أخذ يسبّه ويتوعّده ؛ لتباطئه فى دفع أثمان بعض الغَلّةِ . فراح السّمسارُ يعتذر ويترفّق له ، فلم يزدَدْ الكاتبُ إلا غلظة ، وأمر خادمه أن يترجل ويقيّد السّمسارَ ، ويسحبه ويمضى به ، فاجتمع الجمهورُ حتى بلغوا صليبية مسجد ابن طولون .. وتوسّل كثيرٌ من الناس إلى الكاتب أن يفكَّ السمسارَ ، فأبى !! فتكاثر الناس عليه وألقوه عن حماره ، وأطلقوا سراح

---

(١) ابن النقاش : المذمة فى استعمال أهل الذمة ص ٩٩ (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٥٢ تاريخ) .

السّمْسار ، وكان الكاتب قريباً من بيت مخدومه فبعث « عينُ الغزال » إليه بجنديّ وثلّة من غلمانه وأوجاقيته ؛ لإنقاذه ، فخلّصوه من أيدى العامة .. وقبضوا على البعض لإدانتهم ، فأدى الأمرُ إلى اضطرابٍ وهياج ، وأسرع الناسُ إلى القلعة طالبين المعونة من السّلطان الذى أرسل مَنْ يستكشف له الأمر ، فأخبره بما فعله الكاتب النصرانى بحق السمسار .. فبعث فى طلب « عين الغزال » وأمر الجمهورَ بإحضار المسيحيين إليه ، كما أرسل فى طلب « بدر الدين بيدرا » [النائب] وسنجر الشجاعى .. وأمرهم بإحضار جميع النصارى ، وكان ما تقرؤه فى هذا الكتاب صفحة (١٢٤ - ١٣٢) من النص .

* * *

الأديرة، والكنائس

أما عن الرهبان والأديرة فقد ذكر المقريزى [1] أنه كان بوادى هبيب [وهو وادى النطرون الحالى ويقع بين بحيرة مريوط والفيوم] مائة دير للنصارى، وأنه خرج منه سبعون ألف راهب [2]، فلقوا عمرو بالطرانة [3] بالقرب من الإسكندرية، وسألوه الأمان لأنفسهم وديارهم، فكتب لهم بذلك أماناً بقى عندهم.

والمعروف أن الرهبنة، والأديرة كانت منتشرة فى أنحاء مصر وفى صحرائها الشرقية والغربية، وفى شبه جزيرة سيناء (دير سانت كترين).

وترجع كثرة الأديرة إلى كثرة عدد الرهبان الذين لجأوا إليها بسبب اضطهاد أباطرة الرومان الوثنيين للمسيحيين، ثم اضطهاد الأباطرة المسيحيين لمسيحيى مصر المخالفين لهم فى المذهب الدينى. فهؤلاء يعاقبة، وأولئك ملكيين! والرهبنة نتيجة طبيعية للتعاليم المسيحية الأولى.

والحقيقة التى لا يمارى فيها أحد، أن الأقباط فى مصر، والرهبان منهم لم يجدوا فى العرب عدوا لهم، ولا لمذهبهم الدينى كما كان الرومان.

---

(١) الخطط ١/١٨٦.

(٢) يقول الأمير عمر طوسون الذى زار هذا الوادى، وكتب عنه يقول: وعدد السبعين ألف راهب الذى ذكره المقريزى فى عبارته الآنفة، لا شك أن فيه مبالغة كبيرة فقد روى المعاصرون أنه لم يكن يوجد فى هذه المنطقة أكثر من ٣٥٠٠ راهب فى أواسط القرن السادس الميلادى. وأنه لما كان «دميانوس» بطركا أغار البربر على وادى النطرون ففر منه رهبانه. وأنه زاره بعد ذلك البطريرك «بنيامين» حوالى سنة ٦٣٠م أى قبل الفتح بعشرة أعوام فوجد به عدداً قليلًا من الرهبان بسبب العوائق التى كانوا يلاقونها من البربر فى سبيل تجمعهم من جديد (وادى النطرون لعمر طوسون ٤٠).

(٣) **الطرانة. أو طرنوط**: مدينة على شاطئ بحر رشيد الغربى فى مصر. كان فيها كثير من الكنائس، وكانت محطة الوصول إلى وادى النطرون.

وتحدِّثنا كتب الرحالة، والجغرافيين، والمؤرخين عن كثرة الأراضى الزراعية والبساتين التى حول الأديرة، وكذلك تلك التى فى حوزة الكنائس، فأشاروا إلى كثرة المزارع والبساتين التى حول طور سيناء (دير سانت كاترين) وعن كثرة الأملاك الموقوفة على دير أنبا أندونة بشرقى طفيح، وكذلك كان لدير سمالوط بالأشمونين وقف من الخلفاء مساحته عشرون فداناً بالإضافة إلى بستان كبير، مملوء بأشجار الفاكهة، وأنواع الأشجار الأخرى.. أما الدير المعروف بـ «شهران» فكان له بستان مساحته ستة أفدنة، وأراضٍ زراعية ويذكر أبو صالح الأرمنى أن الحاكم بأمر الله كان كثير التردد عليه والنزهة فيه [1] .

وحقيقة الأمر أنه كان هناك الكثير من الأراضى الزراعية والبساتين الموقوفة على الأديرة - والثابتة فى حساب الدواوين - للصرف منها على الرهبان ومتطلبات هذه الأديرة [2] لدرجة أن أحد تجار الأقباط «بقفط» أوقف على أحد الأديرة بها أربعين زوجاً من البقر؛ لتدور فى السواقى الملحقة بأراضى الدير، لريِّها [3] .

وكان عندما يتعرض الرهبان فى دير سانت كترين لاعتداءات العربان تصدر المراسيم لحث الموظفين، والنواب، ورؤساء القبائل العرب على منع اعتداءات العربان، وإحضار المعتدين إلى القاهرة؛ لمعاقبتهم [4] .. واضطرت الدولة - أحياناً - أن تأخذ على الأعراب «قسائم شريفة» بعدم الاعتداء [5] .

(١) راجع كتاب (كنائس وأديرة مصر) المعروف بـ «تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمنى» المتوفى سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٨م نشر Evetts طبعة أكسفورد سنة ١٨٩٤م .

(٢) ابن فضل الله العمرى (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ٣٨٤/١) .

(٣) أبو صالح الأرمنى ١٣٠ - ١٣١ .

(٤) فى مجموعة الوثائق العربية بدير سانت كترين مرسوم للأشرف طومان باى.. تنص هذه الوثيقة على أن «من المشمول بنظرنا السعيد جماعة الرهبان والرهبانات الملكيين واليعاقبة» (مرسوم الأشراف طومان باى رقم ١٠١) .

(٥) (مرسوم الناصر محمد بن قلاون رقم ٣٥، ومراسيم الناصر حسن رقم ٣٦، ٣٧، ٣٨ ووثيقة مؤرخة فى سنة ٨٦٦هـ) .

وقد تمتع دير سانت كترين بمكانة عظيمة لدى الحكومات فى مصر الإسلامية ، وصدرت المراسيم المختلفة من حكام مصر الإسلامية إلى كبار موظفى الدولة فى بندر الطور وغيره من المدن والثغور فى مصر وفى الشام بتقديم كل التسهيلات اللازمة للرهبان ، وتأمينهم فى سفرهم بين أجزاء البلاد ، وفى خارجها ، وإعفاء الدير وسكانه من كافة أنواع الضرائب ، اعتماداً على ما بيدهم من المراسيم الشريفة ، والعهد المنسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم [(1)] .

كذلك أكرمتهم الدولة بحكم أنهم منقطعون فى منطقة شرَّفها الله تعالى ، وأنهم كانوا يقدمون الخدمات للمسافرين من الحجاج ، ولعابرى السبيل من المسلمين والمسيحيين على السواء ، ويقومون بالدعاء للدولة فى هذه المنطقة .

وكانت الأديرة - على وجه العموم - موضع اهتمام بطاركة الكنيسة المصرية طوال تاريخ مصر الإسلامية ، فكانوا يضعون لها القوانين - كما فعل البطريرك بنيامين - ويعنون بتعميرها ، وبتنظيمها ، وتحقيق الأمن والسلام لرهبانها .

كذلك اهتم كثير من أمراء ، وخلفاء ، وسلاطين مصر الإسلامية بعمارة الأديرة وتزويدها بالبساتين ، وكان بعضهم يقضى الكثير من أوقاته فى هذه الأديرة ، وأصبح كثير منها متنزَّها للمسلمين وأهل الذمة ، ومكاناً لإشباع هواية صيد الطيور والأسماك ، كما كان بعضها مكاناً لأهل اللّهْو والخلاعة ، حيث يكثر بها الشراب . وتغنى بعض الشعراء المصريين بجمال هذه الأديرة [(2)] وما يدور بداخلها .

وأحصى المقريزى ستّة وثمانين ديراً كان معظمها لليعاقبة . وخُصِّصَت

---

(١) انظر مثلًا مراسيم : قطز رقم ١٧، وخليل بن قلاون رقم ٢٤، وبرقوق رقم ٢٩، وجقمق رقم ٥٠، وخشقدم رقم ٥٩، وقايتباى رقم ٧٩.

(٢) راجع ما قيل فى دير القصير وغيره من هذا الكتاب .

بعضُ الأديرة للنساء ، ومن الأديرة التي ورد ذكرها كثيراً : دير القصير على جبل المقطم ، كان يتردد عليه أحمد بن طولون ، وابنه خمارويه ، فضلاً عن الخلفاء الفاطميين [١] .

* * *

هذا عن الأديرة أما الكنائس فيرى السير توماس أرنولد فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام » فى معرض حديثه عن سياسة التسامح الدينى التى نعم بها أهل الذمة فى مصر فى عصر الفاطميين أن السلطة المدنية أباحت للقبط أن يبنوا كنائس فى القاهرة - العاصمة الجديدة - كما سمح للمسيحيين أن يؤسسوا فى بعض المدن الأخرى كنائس وأديرة جديدة [٢] .

هذا فضلاً عن السماح لهم بتجديد عمارة الكنائس القديمة .. وتحت مظلة التسامح الدينى انتهز البطريرك إبراهام السوريانى - البطريرك الثانى والستون للكنيسة القبطية - صداقته الوطيدة بالخليفة « المعز لدين الله » والتمس منه تجديد عمارة كنيسة القديس مرقوريوس المعروف بأبى سيفين بالفسطاط وكذلك الكنيسة المعلقة بقصر الشمع ، فأذن له المعز ببناء الكنيستين ، كما قام البطريرك المذكور ببناء وترميم كثير من الكنائس بالإسكندرية وسائر أنحاء مصر .

ويذكر المقريزى أن كنيسة « مارى مرقص » التى بالإسكندرية بنيت ما بين عامى ٣٩هـ و ٥٦هـ زمن البطريرك « أغاتو » البطريرك التاسع والثلاثون فى خلافة معاوية بن أبن سفيان . ولقد بنيت أوّل كنيسة بالفسطاط فى حارة الروم زمن ولاية مسلمة بن مخلد على مصر ما بين عامى ٤٧ و

(١) فيما يختص بالأديرة ، راجع الشابشتى فى الديارات ١٨٤ وما يليها . وساويرس فى (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية) ٣٦/٢ - ٣٨، ١٦٠ و٣ - ١٤/١ و٣ - ٧٩/٢. وعمر طوسون فى كتاب وادى النطرون وأديرته ورهبانه .

(٢) **أرنولد** : الدعوة إلى الإسلام ٨٤ ترجمة حسن إبراهيم ، وعبد المجيد عابدين الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٥٧م .

٦٨هـ . ولما أنشأ عبد العزيز بن مروان حلوان أذن لخادمين ملكيين من خدمه ببناء كنيسة هناك عرفت « بكنيسة الفراشين » كما قام البطريرك « ليوناس » بتشييد أخرى ، بل إن عبد العزيز رسم لبعض الأساقفة ببناء دير هناك ، كما سمح لكاتبه « أثناسيوس » ببناء كنيسة فى قصر الشمع ، فلم يكتف بواحدة ، بل شيد اثنتين هما : « كنيسة مارى جرجس » و « كنيسة أبى قير » داخل قصر الشمع[1] . كما أذن الوليد بن رفاعة - والى مصر - للنصارى بإعادة بناء « كنيسة أبى مينا » بخط الحمراء ظاهر مدينة مصر . ولما جاء موسى بن عيسى - زمن الرشيد - سمح للنصارى بتجديد الكنائس التى هدمها علىّ بن سليمان ، وقد تم هذا استجابة لنصيحة الليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، قاضى مصر آنذاك ، وهما اللّذان قالا : « إن بناء هذه الكنائس من عمارة البلاد » وأكدا أن البِيَع التى فى مصر إنما بنيت فى الإسلام ، فى زمن الصحابة والتابعين .

ويتجلى لنا مما سبق ومما ذكره المؤرخون أن الكنائس فى مصر كانت تبنى بحرية ، وكانت تشيّد بموافقة السلطة وأصحاب الأمر والنهى .. بل أحياناً بمساعدتهم كما رأينا .

ونعرف من المصادر التاريخية المختلفة أن كنائس بنيت فى مصر الإسلامية ، كما جددت كنائس أخرى وذلك بعد الفتح العربى لمصر ، وبعد أن أصبح الإسلام دين الغالبية العظمى فى مصر . ومر بنا أنه منذ عودة البطريرك « بنيامين » إلى البطركية فى الإسكندرية قام ببناء وتجديد كنائس كثيرة ، ويخبرنا أبو صالح الأرمنى عن بناء كنائس عدة فى مصر فى الخلافة الأموية بوجه عام ، كما نعرف أنه فى خلافة المأمون العباسى ، وحين قدومه إلى مصر استأذن خدم الخليفة وكانوا من المسيحيين الملكانيين فى تجديد كنيسة السيدة مريم على جبل المقطم بالقرب من قبة الهواء (القلعة) وعرفت أيضاً باسم كنيسة الفراشين ، كما عرفت باسم كنيسة الروم .

---

(١) راجع أهل الذمة فى الإسلام . ترجمة وتعليق الدكتور حسن حبشى ٤١ - ٤٢ ، ٤٨ ، ٥١ .

ونحن لا نقوم الآن بعمل حصر للكنائس والأديرة التى بنيت فى مصر الإسلامية ، منذ خلافة عمر بن الخطاب إلى العصر الحديث .

لكن الذى نريد أن نقرره من واقع المصادر ومن واقع حوليات الكنيسة القبطية ، ومن الوثائق المختلفة .. أن الغالبية العظمى من الكنائس ، وبيوت العبادة لأهل الذمة فى مصر بنيت فى العصر الإسلامى ، ومنذ خلافة عمر ابن الخطاب وفى ظل تسامح المسلمين ، ولعل أبلغ دليل على التسامح فى مصر ، وعلى المساواة الاجتماعية بين المسلمين والأقباط ما كتبه الرحالة « لوسى دون جوردون Lucy Don Gordon » فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، عن إحدى قرى الصعيد هى قرية (ببا) فى محافظة بنى سويف الآن . يقول : « إن أهالى (ببا) ومعظمهم من المسلمين ، انتخبوا (جرجس القبطى) عمدة لهذه البلد ... ... ومما أثار إعجابى روح التسامح التى أجدها فى كل مكان . ويظهر أن المسلمين والأقباط على وئام تام ، ويوجد فى (ببا) ثلاث عشرة أسرة قبطية ، مقابل عدد كبير جداً من المسلمين ، ومع ذلك انتخب الأهالى « جرجس » عمدة لهم ، وكانوا يقبلون يده طائعين ، بينما كنا نمر فى طرقات القرية » انتهى كلام الرحالة [١] .

والحق أن التشريعات والأحكام والعهود التى افتريت على عمر بن الخطاب كما وضحنا من قبل والتى عرفت باسم « عهد عمر » أو « الشروط العمرية » لم نقابلها فى مصر إلا فى عصر « المتوكل » الخليفة العباسى فى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وكانت هذه الأحكام أوامر وقتية نسيت بعد فترة وجيزة فى عهد الخليفة المتوكل نفسه . وذلك بشهادة ساويرس .

والمعروف أن أهل الذمة ظلوا يعيشون عيشة هادئة طوال عصور مصر الإسلامية ، فكانوا ينعمون بحرياتهم الدينية ويتمتعون بكل حقوق إخوانهم

---

(١) راجع سيدة كاشف . ومصدرها فى (مصر الإسلامية وأهل الذمة ١٨) .

المسلمين . باستثناء فترات طارئة كان يسودها العنف من جانبهم أو من جانب المسلمين ، أو من الحكام .. وكان ما يحدث فى فترات العنف ليس أحكاماً دينية إسلامية ، وإنما نزوات وخلافات تحدث بين أفراد الأسرة الواحدة . وسرعان ما تنقشع وتعود الحياة إلى مجاريها ، وكان يتخذ منهم الكتاب ، والوزراء ، وعمال الدواوين .

ومن ناحية أخرى نرى أن الكنائس كانت على الدوام منذ زمن بعيد عرضة للهدم لظروف اجتماعية ، ولا مشاحة فى أن يكون الخطر عليها أشد فى أوقات الاضطرابات السياسية .

ومنذ القرن الثانى تبلورت الفكرة القائلة بأن جميع أماكن العبادة قد بنيت زمن الإسلام ، ثم ما لبثت هذه الفكرة أن أصبحت عامة فيما بعد .

وكان مسلك الحكومة يختلف باختلاف الأزمنة .. وكانت السلطات المسئولة تبدى فى بعض الأحيان شيئاً من الالتفات إلى المظاهر الشرعية ، فقد ذكر الكندى نقلاً عن ابن زولاق شاهداً على صحة هذا الالتفات : فذكر أنه اتفق أن انهدم جانب من كنيسة أبى شنودة ، وبذل النصارى مالًا كثيراً لتطلق لهم عمارتها ، فاستفتوا الفقهاء ، فأفتى ابن الحداد بهدم عمارتها ، ووافقه أتباع مالك ، وأفتى محمد بن على العسكرى بأن لهم أن يرمّوها ويعمّروها .. فثارت العامة ، وهموا بإحراق داره ، فاستتر ، وأحاطوا بالكنيسة ، فبلغ ذلك الأميرَ فاغتاظ ، وأرسل وجوه غلمانه فى جمع كثير ، فاجتمع عليهم العامة ، ورموهم بالحجارة ، فراسلوه ، فأرسل إلى ابن الحداد وقال له : اركب إلى الكنيسة ، فإن كانت قائمة فاتركها على حالها ، وإن كانت دائرة (أى العمل قائم فيها) فاهدمها ، فتوجه ابن الحداد وبصحبته المهندس على بن عبد الله بن النواس .. وكثر الزحام ، فلم يزل يرقّق لهم القول ، ويرقق لهم اللفظ ، ويفهمهم أنه معهم ، حتى فتحوا الدروب ودخل الكنيسة ، وأخرج جميع من فيها من النصارى ، وأغلق الباب ، ودفع

للمهندس شمعة ودخل المدبح وكشف وقال: يبقى خمسة عشرة سنة ثم يسقط منها موضع. ثم تبقى إلى أربعين سنة وتسقط جميعها، فأعاد الجواب، فتركها ولم يعمرها.

فلما كانت سنة ستة وستين وثلاث مائة عمرت كلها[1].

وأصدر الخليفة العزيز أمره بإرجاع كنيسة مرقص أبى مرقورة إلى البطرك الذى تعرضت العامة له، وحالت بينه وبين ترميمها، فلم يكن من العزيز إلا أن قدم المال من جيبه للبدء فى العمل، فلم يقبل أحد ما القيام بالعمل، فاستجلب العمال وعهد إلى الجند بحراستهم[2].

لكن تسلُّط أهلُ الذمة على المسلمين أصبح ظاهرة من ظواهر الخلافة الفاطمية فى مصر حيث كان منهم الكتاب والوزراء، وعمال الدواوين.

وكتب المؤرخون القدامى مسلمون ومسيحيون ويهود عن تسلط الذميين واتساع سلطانهم إلى حدٍّ يستلفت النظر. وأشار المؤرخون المحدثون إلى ذلك صراحة.

وبرغم أن العصر الفاطمى كان العصر الذهبى لأهل الذمة فى مصر، إلا أنهم عانوا من تصرفات الخليفة «الحاكم بأمر الله» (٣٨٦- ٤١١هـ / ٩٩٦- ١٠٢١م) وتقلبه فى الرأى مثلما عانى منه بقية المصريين رجالًا ونساء.

وبالرغم من اعتماد الحاكم بأمر الله على كثير من أهل الذمة فى الحكم، وصداقته لهم، إلا أنهم لقوا منه ومن أحكامِهِ كثيراً من الشدائد، مدة لا تقل عن تسع سنوات.

---

(١) الكندى. الولاة والقضاة ٥٥٤.

(٢) راجع الدكتور ترتون نقلاً عن أبى صالح الأرمنى (أهل الذمة فى الإسلام ٥٦ ترجمة الدكتور حسن حبشى).

ويعلِّلُ المقريزى شدّتَه على أهل الذمة ، بأن « كثيراً منهم كان قد تمكن فى أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء ، وتعاظموا ؛ لا تساع أحوالهم ، وكثرة أموالهم ، فاشتد بأسهم ، وتزايد ضررهم ، ومكايدتهم للمسلمين ، فأغضب الحاكمَ بأمر الله ذلك . وكان لا يملك نفسه إذا غضب »[1] .

وقد فصل الحاكم كثيراً من أهل الذمة من الموظفين . وفى سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤ - ١٠٠٥م أمر الحاكم النصارى واليهود بشد الزنّار ولبس الغيار .. وتجددت أوامر الحاكم الخاصة بأهل الذمة فمنع أثرياءهم من امتلاك العبيد ، واستخدام المسلمين .. كما أمر بهدم كنائس القاهرة ، وأمر بهدم كنيسة القيامة فى القدس .. وفى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م أمر بإلغاء أعياد أهل الذمة ، وصودرت أوقاف الكنائس والأديرة لحساب بيت المال . وكان مثل هذه الأوامر فى سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م وسنة ٤٠٣هـ / ١٠١٣م. وبالغ الحاكم فخيَّرَ أهلَ الذمة بين الإسلام أو القتل ، فأسلم البعض وهاجر البعض خارج الديار إلى بلاد الروم ، وإلى بلاد النوبة ، والحبشة ، وكتم البعض إيمانه[2] .

والحقيقة أن الشعب المصرى كله ابتلى بتصرفات الحاكم بأمر الله ، والعبث بأقداره ، فلم تكن وطْأة الحاكم على أهل الذمة بأكثر من وطأته على المسلمين من أهل السنة .. وكانت تصرفات الحاكم متناقضة ، فيأمر بالشىء ثم ينقضه .. وكانت سياسته مع رعاياه على اختلاف أديانهم ومذاهبهم تتميز بالعنف ، كما تتميز بالشىء الكثير من التذبذب والاضطراب !!

وفى سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م أصدر الحاكم سجلاً سمح فيه لأهل الذمة بعمارة الكنائس ، وأعفاهم من لبس الغيار ، كما أذن للذين أُجْبِرُوا على اعتناق

---

(١) الخطط ٤٩٥/٢ .

(٢) تاريخ ابن البطريق ١٩٥ ، والمقريزى : الخطط ٢٨٥/٢ و ٢٨٨ و ٤٩٦ ، والنجوم الزاهرة ١٧٧/٤.

الإسلام بالعودة إلى دينهم [١] وكذلك أمر بإعادة الكنائس التي كان قد هدمها وأعاد إليها أملاكها .. كذلك عاد إلى مصر كثير ممن كانوا قد هاجروا منها [٢].

وفى سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م توجه إلى الحاكم الأبُ « سلمون » رئيس دير طور سيناء (سانت كترين) وبسط له حالة الرهبان فى الدير والتمس منه إعادة الأوقاف التى صادرها .. فلبى الحاكم طلب رئيس الدير ، وفى نفس الوقت استأذن الأب سلمون فى عمارة دير القصير على جبل المقطم ، وإعادة الرهبان إليه ، فوافق الحاكم ، وصدر سجل بذلك فى ربيع الآخر سنة ٤١١هـ .. وفى جمادى الآخر من نفس السنة صدر سجل بإعادة كنيسة القيامة فى القدس . وأنس الحاكم بالأب سلمون وأصبح لا يؤخِّر له طلباً بشأن إصلاح الكنائس وأهل الذمة [٣] .

وهكذا نرى أن أحكام الخليفة الحاكم بأمر الله كانت أحكاماً غريبة شاذة ومتناقضة ، شأنها شأن أحكامه على المسلمين من أهل السنة ، وعلى النساء ، وعلى وزرائه والمقربين إليه !!

ومما يضاف إلى غرابة هذه الأحكام : الإجبار على اعتناق الإسلام أو الهجرة من الوطن ، ثم السماح بالرِّدَّة [٤] والعودة ، وإعادة فرض الجزية .

وبالرغم من اضطهاد الحاكم لأهل الذمة فى فترات معينة خلال حكمه ، فإن أهل الذمة كانوا يلعبون دوراً هاماً فى إدارة مصر وسياستها ، فكان منهم وزراء الحاكم بأمر الله ، وكتابه ، وأطباؤه ، وكان منهم عمال الخراج ، وكتاب الدواوين .

---

(١) ساويرس (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . المجلد الثانى - الجزء الأول ١٣٥ و١٣٧، وتاريخ ابن البطريق ٢٣١ و٢٣٨) .

(٢) تاريخ ابن البطريق ٢٣١ - ٢٣٢ وابن إياس . بدائع الزهور ٥١/١ ط بولاق ، وحسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣) تاريخ ابن البطريق ٢٢٨ - ٢٣٢ .

(٤) **الردة** :الرجوع إلى ما كان عليه من دين وعقيدة قبل إسلامه .

وليس من شك فى أن مغالاة الفاطميين فى الاعتماد على أهل الذمة فى شئون دولتهم ؛ أدّى إلى تسلّط أهل الذمة على المسلمين . ووجَدَ استياءُ العامة متنفّساً له فى تصرفات الحاكم الغريبة المتناقضة .

ولكن لم تلبث أن طويت هذه الصفحة العجيبة فى تاريخ مصر فى أواخر أيام الحاكم ، وفى خلافة ابنه الظاهر (٤١١ - ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ - ١٠٣٦م) وعادت الطمأنينة إلى نفوس أهل الذمة والمسلمين .

ويظهر مما كتبه ساويرس بن المقفع أن التمييز بين المسلمين وأهل الذمة فى الزى لم يكن المقصود منه دائماً الحطّ من شأنهم ، أو تحقيرهم .. وكان ذلك بناء على مشورة مستخرج الجوالى (الجزية) [1] فهذا التمييز فى اللباس كان لتيسير مهمة جمع الجزية .

وعاد الهدوء إلى أهل الذمة ، وظلوا آمنين طوال العصر الفاطمى والأيوبى ، وبلغوا مبلغاً كبيراً من الثروة ، والنفوذ والسلطان فى عصور المماليك ، وصارت دورهم تعلو على دور المسلمين ومساجدهم ، وكان عمل الأقباط فى الإدارة المالية يمكّنهم من النفوذ والمال ، والظاهر أن الدواوين كانت غاصة بالموظفين القبط فى عصر المماليك ، مما كان سبباً فى قيام سلسلة من المشاغبات والفتن بين المسلمين والأقباط فى القرنين : الثامن ، والتاسع الهجريين (الرابع عشر ، والخامس عشر الميلاديين) أشار إليها المقريزى [2] وهو ما عنونت له فى نص المقريزى بـ (أسباب انتفاضة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٠م) وكان المسلمون يهدفون بها إلى إخراجهم من الدواوين .

ويشير المؤرخون إلى حوادث فردية استفزازية من جانب أهل الذمة ضد المسلمين كما يشيرون إلى عدة حرائق أشعلها أهل الذمة فى القاهرة

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ٢ - ٢١٨/٣ .
(٢) الخطط ٤٩٧/٢ - ٥٠٠ و٥١٢ - ٥١٧ .

والفسطاط[1] في سنة ٦٢٣هـ / ١٢٦٤م و ٧٢١هـ / ١٣٢١م، وهذا الحريق كان رد فعل (انتفاضة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م) وكانت الدولة تلجأ إلى رؤساء أهل الذمة في مثل تلك الظروف ليقوموا بردع رعاياهم . ففي هذه الفتنة سنة ٧٢١هـ استُدْعِيَ بطريرك الأقباط للتحقيق فقال : « هؤلاءِ سُفَهاء النّصارى . قصَدُوا مقابَلَةَ سُفهاءِ المسْلِمين علَى تخْرِيبِهِم الكنَائس[2]» .

وكان يستتبع حركات العنف من جانب أهل الذمة أحياناً . إلزام الذميين بالقيود في الملابس، وطردهم من وظائفهم في دواوين السلطان ودواوين الأمراء وإغلاق الكنائس كما حدث في سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م[3] وقد تعددت الأوامر والقيود إلى أهل الذمة في فترات متباينة، ولكنها لم تكن تراعى إلا فترات قصيرة جداً ثم يهمل شأنها .

ويظهر أن أقباط مصر لم يضيّق عليهم في الزّى، والركوب، وبناء الكنائس، وغير ذلك مما ينسب بدؤه إلى عمر بن الخطاب إلا في النادر، فلم يكن يراعى هذا التضييق عليهم إلا في فترات قصيرة جداً، ثم يهمل شأنه .

وقد كان لوالى مصر حق الإشراف على انتخاب البطاركة بوصفه رئيس الحكومة وممثل الخليفة في مصر . ويظهر من النصوص أن الأساقفة كانوا يستشيرون الوالى قبل انتخاب البطرك . كما أن البطرك والأساقفة كانوا يذهبون من الإسكندرية مقر البطاركة إلى العاصمة لمقابلة والى مصر بعد الانتخاب للبطركية . ويظهر أن هذه كانت مجرد مسائل شكلية، إذ لم يعرف عن الولاة أنهم عارضوا في انتخاب أحد البطاركة ما دام الأساقفة يتبعون القوانين الكنسية .

---

(١) راجع عقد الجمان للعينى حوادث سنة ٦٩٢، وخطط المقريزى ٣٠/٢ - ٣٢، والسلوك للمقريزى ج ٢ قسم ٢٢٠/١.

(٢) خطط المقريزى ٥١١/٢ .

(٣) السلوك للمقريزى ج ٢ قسم ٢٢٢/١ - ٢٢٧ .

وهكذا نرى أن العرب تركوا القبط أحراراً فى دينهم، وفى ثقافتهم، وجعلوا لهم نصيباً وافراً فى إدارة بلادهم.

وانتصر المسلمون للأقباط الأرثوذكس على أعدائهم فى المذهب الدينى وهم الملكانيون، فاستردّ الأرثوذكس عدداً من كنائسهم وأديرتهم التى كانت فى يد أعدائهم الملكانيين، كما انتهزوا فرصة حسن علاقتهم بالمسلمين لكى يجذبوا إلى مذهبهم كثيراً من الملكانيين. وكما بنيت عدة كنائس فى ظل الحكم العربى، وجدِّدَتْ كنائس أخرى. كذلك ظل الأقباط يحتفلون بأعيادهم الدينية التى يعدِّدُها لنا المقريزى فى خططه ١/ ٢٦٤- ٢٦٩ ولم نعرف أن العرب فعلوا شيئاً يحدُّ من حرية الأقباط فى احتفالاتهم الدينية بتلك الأعياد.. ولم يجد إخوانهم المسلمون غضاضة فى مشاركتهم فى الاحتفالات بهذه الأعياد.

* * *

الأقباط واللغة العربية

اللغة القبطية : هي اللغة المصرية القديمة المستعملة فى عهد الفراعنة ، وكانت فرعاً من اللغات الحامية .. حلت محلها اللغة اليونانية بعد الفتح الإسكندرى فى الاستعمال الرسمى ، وتداولها أهل المدن .. إلا أن العامة وأهل الريف احتفظوا بها ، فتفرعت إلى لهجات أهمها : الصعيدية ، والبحيرية ، والفيومية .. وتولدت منها اللغة (القبطية الغنية بالمفردات اليونانية ، وأبجديتها الأبجدية اليونانية ، وآدابها وافرة لا سيما فى الوثائق التاريخية الهامة عن أوائل النصرانية ، وقد بطل استعمال القبطية كلغة تداول يومى) .

وكان الفتح العربى لمصر عاملاً مساعداً على إحياء اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية التى كانت منتشرة فى مصر فى ذلك الوقت . فأصبحت الدروس تقرأ فى الكنيسة باللغة القبطية بعد أن كانت تقرأ باليونانية وتشرح بالقبطية ، وبعد أقل من نصف قرن من الفتح تقريباً بدأ العرب يتجهون إلى تعريب البلاد وإلى جعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية وذلك لعدم معرفتهم باللغة القبطية ، وقد بدئ فى تعريب الدواوين فى مصر سنة ٨٨ هـ / ٧٠٦ م فى ولاية عبد الله بن عبد الملك ، مما اضطر المصريين العاملين فى دواوين الحكومة إلى تعلم اللغة العربية حفاظاً على الوظائف التى كانت بأيديهم [١] . وفى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى بدأت اللغة القبطية فى الاضمحلال والتلاشى أمام اللغة العربية نتيجة لما حدث من إتمام حركة التعريب فى مصر [٢] .

وعلى الرغم من أن اللغة العربية أخذت فى الانتشار ، وأن المصريين

---

(١) **سيدة كاشف** : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٧٩ .

(٢) **زكى شنودة** : موسوعة تاريخ الأقباط ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ص ١٠ .

أقبلوا على تعليمها ، إلا أن عامة أهل مصر - على حد تعبير المقدسى - كانت لغتهم عربية ركيكة .. وذمتهم يتحدثون القبطية »[1] .

وكان القبط يتكلمون القبطية بلهجات متعددة ، فاللهجة البحرية كانت تستعمل فى الإسكندرية وما جاورها والدلتا ووادى النطرون ، ثم أصبحت هى اللهجة الرسمية للكنيسة القبطية منذ أن نقل البابا خريستودولوس البطريركية إلى القاهرة فى أوائل القرن الحادى عشر الميلادى / الخامس الهجرى[2] .

ويذكر المقريزى أن نصارى قرى الصعيد الأعلى كانوا يتكلمون « القبطى الصعيدى » - اللهجة الصعيدية - وأن نساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا القبطية الصعيدية ، وأن لهم أيضاً معرفة باللغة الرومية « اليونانية »[3] .

وكان من عادة نصارى « مدينة إسنا » أنهم كانوا يحضرون أفراح المسلمين ويطوفون فى أسواق المدينة وشوارعها أمام العرائس وهم يهللون ويغنون بعبارات قبطية صعيدية[4] .

وفى الصعيد كانت هناك أيضاً لهجات قبطية فرعية مثل اللهجة الإخميمية التى كانت تستعمل فى « إخميم » ، واللهجة الأسيوطية التى كانت تستعمل فى أسيوط ، واللهجة الفيومية التى كانت تستعمل فى الفيوم . وأما فى شرق الدلتا فقد كان القبط يتحدثون باللهجة البشمورية[5] .

وفى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى أخذ بعض علماء الأقباط يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية . فقد كتب البطريك الملكانى سعيد بن بطريق

---

(١) **المقدسى** : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .
(٢) **زكى شنودة** : المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٣) **المقريزى** : الخطط ، ج٢ ، ص ٥٠٥ - ٥٥٦ .
(٤) **جاك تاجر** : المرجع السابق، ص ٣٠٥ .
(٥) **زكى شنودة** : المرجع السابق، ج ١ ، ص ١١ .

(ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م) كتابه فى التاريخ باللغة العربية ، كما أن ساويرس ابن المقفع (ت أواخر القرن الرابع الهجرى / أواخر القرن العاشر الميلادى) أسقف الأشمونيين كتب مؤلفه «سير الآباء البطاركة» باللغة العربية أيضاً ، هذا بجانب القيام بجمع الوثائق اليونانية والقبطية وترجمتها إلى العربية [١] .

* * *

وأصبح للأقباط فى ظل العرب نصيب كبير فى إدارة بلادهم ، لم يصلوا إليه قبل الفتح العربى . وقد كان فى الحكومة المركزية فى الفسطاط ، أو حلوان التى اتخذها عبد العزيز بن مروان حاضرة له - كاتبان قبطيان لإدارة مصر العليا (الوجه القبلى) ومصر السفلى (الوجه البحرى) وكان هؤلاء الكتاب أو الرؤساء المسيحيين تابعين للوالى بطبيعة الحال . وكان رؤساء المالية أقباطاً طوال العصر الأموى وكذلك كثير من حكام الكُوَر [٢] والمدن كانوا أقباطاً . ووَجَدَ قسم كبيرٌ من الأقباط أنّ من مصلحتهم الدخول فى الدين الإسلامى والتعرّب ، إمّا رغبةً فى الإبقاء على مناصبهم ، أو فِرَاراً من الضرائب المتزايدة عليهم ، أو هرباً من المضايقات الاجتماعية والأدبية .

كذلك نشأ عن سياسة بعض الخلفاء وولاتهم فى مصر أن زادت حركة التَّعْريب والدخول فى الإسلام .. فتمصَّرَ العربُ فى مصر ، وتعرَّبَ الأقباط بحيث تكوّن الشعبُ المصرى الإسلامى .

والمعروف أن العرب بعد فتوحاتهم العظيمة ، وتفوُّقهم على شعوب لها حضارات عريقة ، وبعد استقرار أقدامهم فى البلاد المفتوحة ، بدأوا يشعرون بتفوُّق شعبهم على سائر الشعوب ، وبتفوق لغتهم ودينهم على سائر اللغات

---

(١) **سيدة كاشف** : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٨٠ .

(٢) **الكورة** : تقرب من المحافظة اليوم .

والأديان . ولم تكن هذه النزعة قويّةً فى السنوات الأولى للفتوحات العربية فى مصر وفى غيرها من البلدان المفتوحة ، فكان يغلب على العرب روحُ البساطة والتواضع ، ولكنها سرعان ما ازدادت وضوحاً ، وكان مثْلُهم فى ذلك مثْل اليونان ، والرومان ، من قبل .

وقد بدأ العربُ بعد فتح مصر بأقلَّ من نصْف قرن يتّجهون إلى تعريب البلاد ، وإلى جعل اللغة العربية لغة رسمية ، وذلك لعدم معرفتهم لِلُّغة القبطية . فحاول الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) إحلال المسلمين محلَّ المسيحيين ، حتى فى الوظائف الصَّغيرة . وأرسل كتاباً يأمر فيه الأقباط بالتخلِّى عن أعمالهم فى الدولة ما داموا على دينهم . أما مَنْ يريد منهم الاحتفاظ بعمله فليكن على دين محمد [١] . كذلك استبعد عمَرُ بن عبد العزيز رؤساءَ الكُوَر الأقباط ، وأحلَّ محلهم المسلمين . وربّما أدّى قرار عُمَر بن عبد العزيز إلى إسلام كثيرين إذْ ذاك ؛ كى لا يتركوا مناصبهم .

مع أن القرار ذاته لا يمكن أن يكون قد استمر كثيراً بعد وفاته ؛ لأن الأقباط ظلوا يشغلون كثيراً من مناصب الدولة ، وظلّ بعضُ رؤساء الكُوَر ، والقرى يُخْتارون من القبط .

بل إننا نرى « الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان » الذى كان يلى كثيراً من أمور مصر فى ولاية أبيه (٦٥ - ٨٦هـ) يأمر بترجمة الإنجيل ، وعدّةَ كتب دينية مسيحية أخرى إلى اللغة العربية ، وذلك ليعرف المسلمون إذا كان فى هذه الكتب ما يمسُّ الإسلام بسوء . وقد حدث فعلاً أن عُرِّبت دواوينُ الدّولة الإسلامية فى ذلك الحين . إذ كانت الدواوين فى البلاد المفتوحة حتى مجىء عبد الملك بن مروان تكتب بلغات البلاد المحلية ، وكل عارف بأخبار أيام عمر ومعاوية يعلم أن الدواوين وقتئذ كانت بالشام كلها بالرومية وأن كتّاب الخراج ، والجباية ، والجند ، وسائر الأعمال السلطانية لم

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ٧١/١ - ٧٢ .

تكن تدوّن إلا بالقلم الرومى ، وكذلك كانت النقود رومية حتى زمن عبد الملك بن مروان ، أى بعد ست وسبعين سنة من الهجرة ، فكانت تتداول وعليها الصليب ، وصورة المسيح وأمه ، فلم يكن بد للعرب من كتّاب يجيدون فهم اليونانية المتداولة فى مصر والقبطية وتعريبها .

وكان ذلك طبيعياً لقلة خبرة العرب بأمور الإدارة ، ولأن الكتابة فنٌّ خاص . ولكن توسّع خبرة العرب ، واستقرار الدولة ، واتّجاهها نحو الوحدة المركزية أدَّى إلى وجوب التعديل . فضلاً عن السياسة العربية التى سار عليها بنو أمية .

ومع ذلك ، فإن المؤرخين المسلمين يوردون أسباباً تافهة لتعريب الدواوين ، مثل تثاقُل كاتب ، أو خصام بين كاتبين إلى غير ذلك .

وقد شرع فى هذا التعريب أيام عبد الملك بن مروان ، وبدئ بتعريب دواوين الشام والعراق ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفى صاحب اليد الطولى فى الأخذ بهذا التعريب ، فى العراق وما يتْبَعُها شرقاً .

أما فى مصر . فقد بُدئ تعريبُ دواوينها فى خلافة « الوليد بن عبد الملك » وذلك فى سنة ٨٧هـ / ٧٠٦م فى ولاية « عبد الله بن عبد الملك » .

ولم تتم عمليّةُ التعّريب فى أنحاء الدّوْلة الإسلامية إلا بعد أن عُرِّبت دواوين خراسان فى أواخر الدولة الأموية ، وفى ولاية « نصر بن سيار » حوالى سنة ١٢٤هـ .

والواقع أن هذا التعريب كان عملية ترجمة منظمة وجبّارة !! وقد أدّى إلى نقل كثير من المصطلحات الفارسية ، واليونانية ، والقبطية ، إلى العربية ، وأصبحت الدولة من الناحية السياسية عربيّة بمعنىً أكْمَل ، وقد ساعد التعريب على شيوع اللغة العربية وانتشارها بين الموالى والأقباط ، فأصبحت اللغة العربية لغة التدوين . كما بدأت تظهر طبقة الكتّاب ، وأصبحت اللغة العربية لغة

الإدارة ، فضلاً عن أنها لغة الثقافة ، بالإضافة إلى أنها لغة السياسة والدِّين .

ولعل كثيراً من أهل مصر اضطروا إلى التخلى عن مناصبهم للعرب ، أو إلى المصريين الذين تعلّموا اللغة العربية ، وربّما دعاهم التغْرِيب إلى تعلُّم اللغة العربية ؛ كى يعودوا ثانية إلى المناصب التى فقدوها .

على كلٍّ .. كان للأقباط منذ الفتح ولع شديد بتقليد المسلمين فى كل شيء ، ولا سيما اللغة والأسماء والأزياء ، كما يستدل من شهادة أحد متقدميهم ، وهو صموئيل ، رئيس دير القلمون (ولد قبل الهجرة وأدرك أوائل فتح مصر) قال بلفظه مشيراً إلى تلك الأيام فى إحدى عظاته :

« ماذا أقول فى تلك الأزمنة ، وعِظَم الكسل الذى يلحق بالنصارى ، فإنهم فى ذلك الزمان يميلون كثيراً عن الاستقامة ، ويتشبّهون بالهجَرَة (الهاجريين) فى أعمالهم ، ويسموا أولادهم بأسمائهم ، ويتركوا أسماء الملائكة والأنبياء والرسل والشهداء ..

تجد النصارى يتركون لغتهم الحلوة ، ويفتخرون باللغة العربية وبأساميهم .

أقول لكم يا أولادى : الحقيقة أن الذين يتركون أسماء القديسين ، ويسمون أولادهم بالأسماء الغريبة الذى يفعل هذا ، يكون بعيداً من بركة القديسين[1] » .

والمعروف أن استيلاء العرب على مصر كان فاتحةً لهجراتٍ عربية متوالية ، دامت زمناً طويلاً ، وكانت أضعف الهجرات ، هجرة العرب أو الجند الذين أتوا

(١) حبيب الزيات . الأسماء والكنى والألقاب النصرانية (المشرق ٤٢/ ١ - ٢١ سنة ١٩٤٨).

مع عمرو بن العاص عند فتح البلاد ، وكان معظمهم من اليمنيين .

وأغلب الولاة الذين حكموا مصر بعد ذلك كانوا يصحبون معهم جيوشاً عربية ، حتى نهاية العصر الأموى ، أو عربية ومن شعوب أخرى غير العرب كالخرسانيين ، والأتراك فى العصر العباسى . والمعروف أن الجنود كان يصحبون معهم أسرهم .

وفى خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) حدث تطوُّرٌ فى تاريخ القبائل العربية فى مصر . ذلك أن عبيد الله بن الحبحاب ، عامل خراج مصر . وفد على الخليفة فى سنة ١٠٩هـ وسأله أن ينقل إلى مصر بيوتاً من قيْس ، أو عرب الشمال ، وكانوا أقلّية بها ، فأذن له الخليفة بذلك ، وجاء ابن الحبحاب بعدد كبير منهم بلغ حوالى ثلاثة آلاف عربى ، أنزلهم ابن الحبحاب بالحوف الشرقى فى شرقى الدلتا ناحية بلبيس ، وبسطة ، والعباسة ، وأمرهم بالاشتغال بالزراعة .

أى أن العرب فى زمن هشام بن عبد الملك أخذوا يتخلّون عن السياسة التى اتبعوها منذ الفتح ، وهى سياسة الترفّع عن الاختلاط بالأهالى ، وعن الاشتغال بالزراعة .

وقد ساعد وجودُ العرب فى القرى ، واشتغالهم بالزراعة على الاختلاط بالأهالى ، وكان لهذا الاختلاط أثره فى انتشار الإسلام ، واللغة العربية ، والتعريب ، نتيجة للتّزَاوُج بينهم ، وبين أهالى هذه البلاد .

وقد أخذَت القبائلُ العربية بعد ذلك تفد إلى مصر ، وتستقرّ فى القرى المصرية . على أن ازدياد القبائل العربية فى مصر ساعد على نشر الإسلام فى هذه القرى وتعريب المصريين أنفسهم .

ثم جاء قرار المعتصم العباسى الخليفة فى بداية القرن الثالث الهجرى ٢١٨هـ بإسقاط من فى الديوان من العرب وقطع أعطياتهم ، فاضْطَرُّوا إلى الانتشار فى الرِّيف ، والاختلاط بالمصريين ، والتزوج من بناتهم ، والاشتغال

بالزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وغير ذلك من الأعمال التى كانوا يترفّعون من قبل عن الاشتغال بها .

فكان هذا القرار الذى اتخذه المعتصم ضدَّ العرب ، مِمّا أفاد الإسلام فى مصر ، وساعد على نشر اللغة العربية بها ، وقضائها على اللغة القبطية . وتمّت عمليةُ الاندماج بين العرب والمصريين ، فأسلم الكثير من المصريين . وتبع انتشار الإسلام فيها انتشار اللغة العربية ، فأصبحت لغة التخاطب ولغة الكتابة .. على أن انتشار اللغة العربية بمصر كان أبطأ من انتشار الدين الإسلامى فيها . وبالرغم من أن الدواوين عُرِّبَت رسميًا فى سنة ٨٧هـ / ٧٠٥ - ٧٠٦م إلا أن وثائق البردى تدل على أن الحكومة كانت تستخدم اللغة العربية ، واليونانية ، إلى القرن الثانى الهجرى ، بينما كانت السلطات المحلّية فى الريف تكتب كثيراً بالقبطية ، بل إنّه وجد إيصال بدفع الضرائب تاريخه سنة ٢٤٦هـ عليه كتابة قبطية .

وحين قدوم الخليفة المأمون إلى مصر ، وحين أصبح للدين الإسلامى الغلبة فى مصر .. كانت اللغة القبطية لا تزال لغة التخاطب بين المصريين ، فقد ذكر المقريزى[1] عند كلامه عن المأمون حين قدم إلى مصر « كان لا يمشى أبدًا إلا والتراجمة بين يديه من كل جنس » .

ولم يبدأ القبط فى ترك لغتهم القبطية إلا فى أواخر القرن الرابع الهجرى[2]، والعاشر الميلادى فنرى سعيد بن البطريق - كما ذكرنا - البطرك الملكانى يكتب كتابه « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » باللغة العربية فى القرن الرابع الهجرى ، ومثله ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين يؤرخ للبطاركة فى أواخر القرن الرابع الهجرى أيضاً فى كتابه « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » باللغة العربية ، بل ويقوم بجمع الوثائق اليونانية ، والقبطية ، ويترجِمُها إلى العربية .. مما يدلّنا على أن اللغة العربية

(١) الخطط ٨١/١ .
(٢) الخطط ٥١٨/٢ .

أصبحت هى لغة الكلام، والتخاطب بين المصريين عامة أقباطا ومسلمين.

وقد بقيت اللغة القبطية محصورة بعد ذلك فى نطاق ضيق، يذكر المقريزى أن: «دُرُنكة كان أهلها من النصارى. يعرفون اللغة القبطية فيتحدث صغيرهم، وكبيرهم بها، ويفسرونها بالعربية[1]» وما زالت القبطية تدرَّس إلى اليوم كلغة من اللغات القديمة. وهناك بعض الألفاظ العاميّة التى نستعملها الآن ترجع إلى اللغة القبطية.

* * *

ولا ريب فى أن انتشار اللغة العربية فى مصر مِيزَةٌ للعرب على غيرهم من الفاتحين، فإن الشعوب المختلفة التى توالت على مصر قبل العرب لم تستطع القضاء على لغة المصريين. وهذه ظاهرة تستحق إمْعَانَ النظر، لأنّ تنازل شعبٍ عريقٍ فى المدنيّة كالشعب المصرى عن لغته، واتخاذه لغة شَعْب لا يوَازِيه فى الحضارة، أمر غير عادى.

وقد نقول: إن الذين اعتنقوا الدين الإسلامى تعلموا اللغة العربية لغة القرآن.

وقد نذكر: إن المصريين اضطروا إلى تعلم اللغة العربية لأنها أصبحت اللغة الرسمية للدواوين منذ سنة ٨٧هـ / ٧٠٥ - ٧٠٦م.

وقد نقول: إن اتصال العرب فى الفسطاط، والجيزة، والإسكندرية، بالأهلين، واتصال كبار الموظفين العرب وأعوانهم فى الريف بأهل القرى والنجوع كان له أثر فى التعريب.

لكن أهم عوامل تعريب مصر، كان نزول القبائل العربية فى الريف المصرى، واستقرارها على جانبى الشريط الخصب بوادى النيل، وفى

---

(١) راجع . متز . الحضارة الإسلامية ١/ ٨٩، وما أشار إليه من المراجع القديمة.

الدلتا .. مما أدى إلى اختلاطهم بالقبط اختلاطاً كبيراً ، ومن ثم إلى انتشار العربية فى مصر . وإلى تعريب البلاد .

فقد كانت اللغة اليونانية قبل الفتح العربى ، واللغة التركية فى العهد العثمانى ، لغة البلاد الرسمية ، ولكن هذا لم يجعلها لغة الشعب المصرى ، فكان اليونانيون ينزلون المدن ويصبغونها بحضارتهم ، ولكنّ نفوذَهم الثقافى لم يذهب للريف إلا قليلًا ، فلم تنتشر اللغة اليونانية إلا فى بيئات خاصة .. وعاش اليونانيون فى مصر كأنهم فى جُزُرٍ يونانية ، فى وسط المحيط المصرى الواسع . وكذلك عاش الأتراك فى بيئات خاصة فى مصر ، ولم يستطيعوا جعل لغتهم لغة البلاد الأصلية . بالرغم من أن الحكم التركى دام عدّةَ قرون .

لكن حدث فى عهْد العرب تَفَاعُلٌ واخْتلاطٌ ، وتزاوُج بينهم وبين المصريين .. وبدون هذا التّفاعل ، والاختلاط ، والتزاوج ، والإنجاب .. لا يمكننا أن نفسِّرَ كيف ترك الفلاحُ المصرى القديم لغَتَه ، رغم تمسّكهِ بالقديم وحِرْصهِ عليْه .

ولم يقف الأمر عند انتشار اللغة العربية .. بل إننا نجد مصر تشارك فى الحياة الأدبية العربية مشاركة تبدو واضحة منذ أواخر القرن الثانى الهجرى . وكان جامع عمرو بن العاص هو قلب هذه الحركة النابض ، كما هى الحال بالنسبة للأزهر الشريف الآن .

وقد أنجبت مصر منذ أواخر القرن الثانى وأوئل القرن الثالث الهجرى رجالَ أدب ، ودين ، ومؤرخين . أنتجوا بالعربية كما لو كانوا أبناءها . ومن علماء مصر المشهورين : « ورش » المقرئ الذى تحدَّر من أصل قبطى (ت ١٩٧هـ) وعبد الرحمن بن الحكم المؤرخ (ت ٢٥٧هـ) ، والربيع بن سليمان الجيزى تلميذ الشافعى (ت ٢٥٦هـ) ، و« سرج الغول » تلميذ الشافعى أيضاً ، وأبو عبد الله التجيبى النحوى وكان من أعلم أهل زمانه بالشعر والأدب والتاريخ وعلوم الدين . وكان علماء مصر أساتذة لعلماء أفريقية ، والأندلس بوجه خاص .

وقد تسمى النصارى أيضاً باسم : أحمد . ومحمود ! ومنهم ماجد بن أحمد فخر الدين القبطى المعروف بابن زنبور صاحب الجيوش المنصورة . المتوفى سنة ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م قال بعض المؤرخين : « والعجب من قبطىّ يسمى بأحمد ، وهكذا ابن زنبور يذكر أن اسم والده أحمد .. وكذلك كان يقال إن اسم والد أبى شاكر أحمد [١] » .

ومما قلد فيه الأقباطُ المسلمين كتابة البسملة القرآنية فى مفتتح كتبهم الدينية .

وعلى العموم : كانت مصر إحدى الأمم القليلة التى تخلّت نهائياً عن لغتها القومية ، ورمت بنفسها فى أحضان الإسلام والعربية ، والمدنية الإسلامية .

وهى بذلك تخالف إيران ، والهند اللّتَيْن لم يقْضِ فتحُ العرب على لغَتِهما القومية . كذلك لم يمنع اعتناق الأتراك للدّين الإسلامى من الاحتفاظ بلغتهم القومية ، بل نرى الأندلس التى كانت تتمتع بحضارة إسلامية مزدَهِرة فى العصور الوسطى بعد فتح العرب لها .. تُغْلَب على أمرها فى أواخر العصور الوسطى وتعود ثانية دولة مسيحية الدين أجنبية اللغة . وبينما نرى الشاعر الوطنى « الفردوسى » فى إيران ينظم « الشهنامة » بالإيرانية المحْدَثَة فى القرن الرابع الهجرى .. نجد رجال الدين الأقباط فى مصر يكتبون فى القرن الرابع الهجرى باللغة العربية ، ويخاطبون أبناء دينهم بالعربية ، بعد أن أصبحت لغة التخاطب بينهم .

لكن اللغة القبطية ، وإن قل استعمالها إلا أنها تركت بعض الألفاظ التى اعتبرت بالنسبة للغة العربية ، أجنبية ، أو دخيلة . ثم إن بعض كلمات مصرية قديمة ، وسريانية ، وعبرية ، كانت موجودة من قبل ، فقد كان يقيم فى مصر قبل الفتح العربى وبعده جاليات متعددة بجوار القبط كالسريان ، واليونان ،

---

(١) حبيب الزيات . الأسماء والكنى والألقاب النصرانية (مجلة المشرق ١/٤٢ - ٢١ سنة ١٩٤٨) .

واليهود ، والإيرانيين ، ولكلٍّ من هؤلاء لغته الخاصة ، التى بقى منها ألفاظ بجانب الألفاظ القبطية الباقية ، مما أدى إلى وجود ألفاظ من هذه اللغات التى اعتبرت دخيلة على اللغة العربية وما يزال عامة الناس فى مصر يستعملونها إلى اليوم . وأصبح لدينا فى مصر لغة عربية فصحى ولغة عامية دخيلة ، مما أدى ببعض العلماء أن يضعوا معاجم للمعرب والدخيل على العربية ، لعل من أشهرهم الجواليقى المتوفى سنة ٥٠٤هـ أثبت فى كتابه « المعرّب من الكلام الأعجمى » الألفاظ الدخيلة من فارسية وآرامية والتى سميت بالأنباطية .

ويلاحظ أن الفتح العربى ساعد – أولاً – على إحياء اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية التى كانت هى اللغة الرسمية لمصر منْذُ عهد البطالسة .. فأصبحت الدروس الدينية فى الكنيسة تقرأ باللغة القبطية بعد أن كانت تقرأ باليونانية ، وتشرح بالقبطية أيضاً . وكذلك نجد أن البلاد والأقاليم التى سميت بأسماء يونانية أيام اليونان والرومان ، أصبحت تعرف بأسمائها القبطية التى ترجع إلى الأسماء المصرية القديمة . فمثلاً نجد اسم « إخميم » بدلاً من « بانوبوليس Panopolis» و« أهناسيا » بدلا من (Rlèraclèopolis) و« الأشمونيين » بدلًا من « Hermoplis» .

على أن هذا كله كان بعثاً لقديم لم يندثر تماماً ؛ فإن اللغة القبطية ، أو الأسماء المصرية كانت قد غُلِبت على أمرها حيناً من الدهر ، ثم استعادت مكانتها بعد الفتح العربى .

والمعروف أن الأسماء العربية لكثير من بلدان القطر المصرى الآن مأخوذة من الأسماء المصرية القديمة .

كما أننا لا نزال نستعمل فى وقتنا الحالى ألفاظاً عامية ترجع إلى اللغة المصرية القديمة ، وإلى اللغة القبطية التى اشتقت منها .. فمثلاً « دمنهور » و« بلبيس » و« رمسيس » أسماء مصرية . و« أبرشيّة » يونانية : وهى ولاية الأسقف . أى المنطقة التى يشرف عليها القسيس ، دخلت القبطية ثم العربية . « أبشواى » مصرية قديمة . ومعناها : مرتفع . وهى اسم مدينة

بمحافظة الفيوم . « أبو تيج » مصرية قديمة . بمعنى : مخزن . وصارت اسم مدينة فى الوجه القبلى . « أبو صير » مصرية قديمة أصلها « برصير » أى معبد الإله إزريس ، و « بر » : بمعنى معبد أو بيت أو ابن . « إدِّينى » قبطية بمعنى : أعطنى . أصلها : تى + نى = تى + بمعنى أعط . ونى : بمعنى أنا . « إخميم » مصرية قديمة بمعنى وجه الإله مين . « أرمنت » مصرية قديمة بمعنى : بنت الإله « منت » إله الحرب . « أسقف » يونانية بمعنى المشرف أو الملاحظ ، ودخلت القبطية بمعنى رئيس الكنيسة « أسيوط » مصرية قديمة . أصلها « سيو ط » بمعنى الحارس . « أسوان » مصرية قديمة . بمعن سوق . « أشمونين » مصرية قديمة . أصلها مركز الثمانية آلهة . وباللغة القبطية « شمين » ثمانية . « إنْبُو » مصرية قديمة . بمعنى يشرب . « إنجيل » يونانية . بمعنى البشارة وهو الكتاب المقدّس عند المسيحيين . « أيقونة » قبطية . بمعنى صورة . « بامْيَة » قبطية . نوع من الخضروات « ويكا » . « بانوب » مصرية قديمة . ومعناها : الذهب . « بتّاو » مصرية قديمة . بمعنى خبز . « بح » مصرية قديمة بمعنى انتهى . « بحر » قبطية . « بخّ » قبطية بمعنى عفريت . « بشبش » مصرية . قبطية . بمعنى مبلول بالماء . وما زال الفلاح يقول : بشبش العيش أى طرية بالماء . « بصارة » مصرية قديمة . طعام من الفول المدشوش . « بعبع » قبطية . بمعنى عفريت أو شيء مخيف . « بقوطى » قبطية . بمعنى سَلّة . « بكّاش » مصرية قديمة . أى كثير الكلام . « كنيسة » قيل إنها سامية بمعنى المجتمع . موضع صلاة اليهود والنصارى .

ومثل هذا الكلمات التى تقرب من خمسة آلاف كلمة [١] نستعملها فى المنزل وفى الزراعة وفى أسماء الشهور القبطية .

وهذه كلها يعدّها علماء اللغة العربية من الألفاظ العامية . وبقاء كلمات من اللغة القبطية يعتبر بقاءً للغةٍ عاميّة بجوار اللغة العربية الفصحى .

---

(١) راجع السيد محمد عاشور (اللهجة العامية فى مصر) .

أسماء[1] بطاركة الكنيسة المصرية منذ تأسيسها إلى اليوم، وأسماء الملوك والسلاطين المعاصرين لهم

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسي شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
١	مرقس الرسول	٦١	٨	٧	نيرون ، وفسباسيانوس .
٢	أنيانوس	٦٤	٧	٢٢	فسباسيانوس ، وطيطس ، ودومتيانوس .
٣	ميليوس (أبيليوس)	٨٦	٩	١٢	دومتيانوس ، ونرفا ، وتراجان
٤	كردونوس	٩٩	٩	١٠	تراجان ، وأدريانوس .
٥	بريموس	١١٢	١	١٢	أدريانوس .
٦	يسطس	١٢٤	١٠	١٠	أدريانوس ، وأنطونيوس .
٧	أومانيوس	١٣٥	٣	١١	أنطونيوس .
٨	مريانوس	١٤٩	٢	٩	أنطونيوس ، ومرقس أوريليوس .
٩	كلاديانوس	١٥٥	٦	١٤	مرقس أوريليوس .
١٠	أغريبنوس	١٦٩	٧	١١	مرقس أوريليوس ، وكمودوس .
١١	يوليانوس	١٨١	١	١٠	كمودوس ، وبرتيناكس ، ويوليانوس ، وساويرس .
١٢	ديمتريوس	١٩١	٧	٣٢	ساويرس ، وكركلا ، وماكرينوس ،

(١) قد ترك القس أبو البركان بن كبر ضمن مؤلفاته بياناً بتاريخ ارتقاء البطاركة . كما وضع جودشمث وغيره من المؤرخين بيانات أخرى قارنها جميعها « شين » فى كتابه :

(M. Chaine) La Chronologie des Temps Chètiens de l'Egypte et de l'Ethiopie. Paris 1925.

وقد ظهرت فروق فى سنى حكم بعض البطاركة عند المقريزى فى الكتاب الذى بين يديك ، وعند غيره . ولكنا فضلنا نشر البيان الوارد بكتاب تاريخ بطاركة الإسكندرية لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين لأنه هو المعتمد فى الكنيسة القبطية .

وكان مرجعى فى ذكر الآباء البطاركة ما سجله الأستاذ مرقس سميكة باشا . مؤسس المتحف القبطى وأمينه فى كتابه « دليل المتحف القبطى » وما ذكره الأمير عمر طوسون فى كتابه : « وادى النطرون ورهبانه وأديرته . ومختصر تاريخ البطاركة » وما ذكره على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية . وتاريخ الكنيسة القبطية ، للقس . نسى يوحنا . ط : مكتبة المحبة سنة ١٩٨٣م .

وليلاحظ القارئ والباحث أن منطوق الأسماء عند المقريزى قد يتباين ويختلف فى بعض الحروف عما هو مذكور هنا .

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسى شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
					وهليوجبالوس ، وساويرس إسكندر .
١٣	ياركلاس	٢٢٤	١	١٦	ساويرس إسكندر ، ومكسيميانوس ، وبوبيانوس ، وجورديانوس ، وفيلبس .
١٤	ديونيسيوس	٢٤١	٩	١٩	ديسا ، وجالوس ، وڤاليريانوس ، وجاليانوس ، وكالوديوس .
١٥	مكسيموس	٢٦٢	٧	١٢	كلوديوس ، وأوريليانوس ، وتاسيتوس ، وفلوريانوس ، وپروبوس .
١٦	تاونا	٢٧٤	٩	٩	كاروس ، ونيومريانوس ، ودقلديانوس .
١٧	بطرس خاتم الشهداء	٢٨٥	١١	١٠	دقلديانوس .
١٨	أرشلاوس	٢٩٥	٦	–	دقلديانوس .
١٩	ألكسندروس	٢٩٥	١٠	٢٢	دقلديانوس ، وكونستانس ، وجاليريوس ، وقسطنطين الأول .
٢٠	أثناسيوس الرسولى	٣١٨	–	٤٦	قسطنطين الأول ، وليسينيوس ، وقسطنطين الثانى ، وكونستانتوس ، وكونستانس الثانى ، ويوليانوس ، وجوڤيانوس ، وڤالنس .
٢١	بطرس الثانى	٣٦٤	٩	٥	ڤالنس .
٢٢	تيموثاوس	٣٧٠	٥	٦	غراديانوس ڤالانتيانوس .
٢٣	تاوفيلس	٣٧٦	٢	٢٧	ڤالانتيانوس ، وتاودوسيوس ، وأرقاديوس ، وتاودسيوس الثانى .
٢٤	كيرلس الكبير	٤٠٤	٨	٣١	تاودوسيوس الثانى .
٢٥	ديسقورس	٤٣٥	٢	١٤	تاودوسيوس الثانى ، ومرسيانوس .
٢٦	تيموثاوس الثانى ..	٤٥٠	١١	٢٢	لاون الأول ، ولاون الصغير ، وزينون .

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسى شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
٢٧	بطرس الثالث	٤٧٢	٣	٨	زينون .
٢٨	أثناسيوس الثانى ...	٤٨١	١٠	٦	زينون ، وأنسطاسيوس .
٢٩	يوحنا الراهب	٤٨٨	٧	٨	أنسطاسيوس .
٣٠	يوحنا الثانى	٤٩٧	–	١١	أنسطاسيوس .
٣١	ديسقورس الثانى ..	٥٠٨	٤	٢	أنسطاسيوس ، ويوسطانيوس .
٣٢	تيموثاوس الثالث ..	٥١١	٤	١٧	يوسطانيوس ، ويوسطنيانوس .
٣٣	تاودوسيوس	٥٢٨	٤	٣١	يوسطنيانوس ، ويوسطانيوس الثانى .
٣٤	بطرس الرابع	٥٥٩	–	٢	يوسطانيوس الثانى .
٣٥	داميانوس	٥٦٣	١١	٣٥	يوسطانيوس الثانى ، وطيباريوس ، وموريس ، وفوقا .
٣٦	أنسطاسيوس	٥٩٨	٦	١٢	فوقا ، وهرقل .
٣٧	أندرونيقوس	٦١١	–	٦	هرقل .
٣٨	بنيامين	٦١٧	–	٣٩	هرقل ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والحسن بن على ، ومعاوية بن أبى سفيان .
٣٩	أغاثو	٦٥٦	٩	١٦	معاوية بن أبى سفيان .
٤٠	يوحنا الثالث	٦٧٣	١	٨	يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان .
٤١	إسحاق	٦٨١	١١	٢	عبد الملك بن مروان .
٤٢	سيماون – السورى – الأول	٦٨٤	٨	٧	عبد الملك بن مروان .
٤٣	الإسكندروس الثانى	٦٩٥	٩	٢٤	عبد الملك بن مروان ، والوليد ابن عبد الملك ، وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد وهشام .
٤٤	قسما الأول	٧٢٠	٤	١	هشام .
٤٥	تاودوروس	٧٢١	٧	١١	هشام .
٤٦	خائيل الأول	٧٣٥	٦	٢٣	هشام بن عبد الملك ، والوليد ابن يزيد بن الوليد ،

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسي شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
					وإبراهيم، ومروان، وعبد الله أبو العباس السفاح، وعبد الله أبو جعفر المنصور.
٤٧	مينا	٧٥٨	١٠	٨	عبد الله أبو جعفر المنصور، ومحمد بن منصور المهدى.
٤٨	يوحنا الرابع	٧٦٨	–	٢٢	محمد بن منصور المهدى، وموسى بن مهدى، الهادى، وهارون الرشيد.
٤٩	مرقس الثاني	٧٩٠	٣	٢٠	هارون الرشيد، والأمين، والمـأمون.
٥٠	يعقوب	٨١٠	٩	١٠	المـأمون.
٥١	سيماون الثانى	٨٢١	٧	–	المـأمون.
٥٢	يوسف (يوساب)	٨٢٣	١١	١٧	المـأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل.
٥٣	خائيل الثانى	٨٤١	٤	١	المتوكل.
٥٤	قسما الثانى	٨٤٢	٧	٧	المتوكل.
٥٥	سانوتيوس الأول «شنودة»	٨٥٠	٣	١١	المتوكل، والمستنصر، والمستعين.
٥٦	خائيل الثالث	٨٦١	١	٢٥	المهتدى، والمعتمد، وأحمد ابن طولون، وخمرويه، وهارون بن أبى موسى، وشعبان بن أحمد، والمكتفى.
٥٧	غبريال الأول	٩٠٠	–	١١	جعفر بن المقتدر.
٥٨	قسما الثالث	٩١١	–	١٢	جعفر بن المقتدر.
٥٩	مقاره الأول	٩٢٣	–	٢٠	محمد الراضى، ومحمد الإخشيدى، وأبو القاسم الإخشيدى.
٦٠	تاوفيانوس	٩٤٣	٨	٤	أبو القاسم الإخشيدى.
٦١	مينا الثانى	٩٤٨	١١	١٧	أبو القاسم الإخشيدى، وأبو الحسن على الإخشيدى، وكافور أبو المسك، وأبو الفوارس، والمعز.
٦٢	أبرام (إبراهيم)	٩٦٨	٦	٣	المعز، والعزيز.

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسى شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
	السورى)				
٦٣	فيلوتاوس	٩٧١	٧	٢٤	العزيز، والحاكم بأمر الله.
٦٤	زخارياس «زكريا»	٩٩٦	١١	٢٧	الحاكم بأمر الله، والظاهر.
٦٥	سانوتيوس الثانى «شنودة»	١٠٢٤	٧	١٤	الظاهر، والمستنصر.
٦٦	خرستودولوس	١٠٣٩	٨	٢٩	المستنصر.
٦٧	كيرلس الثانى	١٠٧٠	٦	١٤	المستنصر.
٦٨	خائيل الرابع	١٠٨٤	٧	٢٩	المستنصر، والمستعلى.
٦٩	مقاره الثانى	١٠٩٤	١	٢٧	الآمر.
٧٠	غبريال الثانى	١١٢٢	٣	١٤	الحافظ.
٧١	ميخائيل الخامس ...	١١٣٦	٩	—	الحافظ، والظافر.
٧٢	يوحنا الخامس	١١٣٨	١٠	١٨	الظافر، والفائز.
٧٣	مرقس الثالث	١١٥٧	٦	٢٢	العادل، وصلاح الدين.
٧٤	يوحنا السادس	١١٨٠	١١	٢٦	صلاح الدين، والعزيز، والمنصور العادل.
٧٥	كيرلس الثالث	١٢٢٦	٩	٧	الكامل، والعادل، والصالح، والمعظم.
٧٦	أثناسيوس الثالث ...	١٢٤٢	١	١١	شجرة الدر، وموسى الأشرف، والمعتز، والمظفر قطز، وركن الدين بيبرس.
٧٧	غبريال الثالث	١٢٦١	٢	٢	ركن الدين الظاهر بيبرس.
٧٨	يوحنا السابع	١٢٦٣	—	٢٩	السعيد ناصر الدين، والعادل، وقلاوون، والأشرف، ومحمد بن قلاوون الناصر.
٧٩	تاودوسيوس الثانى .	١٢٨٦	٧	٦	العادل، والمنصور، ومحمد ابن قلاوون.
٨٠	يوحنا الثامن	١٢٩٢	٣	٢٠	محمد بن قلاوون، والمظفر، ومحمد بن قلاوون.
٨١	يوحنا التاسع	١٣١٢	٥	٦	محمد بن قلاوون.
٨٢	بنيامين الثانى	١٣١٩	٨	١١	محمد بن قلاوون.
٨٣	بطرس الخامس	١٣٣٢	٦	٨	أبو بكر المنصور، وعلاء الدين الأشرف، وأحمد الناصر، وإسماعيل الصالح، وشعبان

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسى شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
					الكامل ، وابن ناصر المظفر ، وحسن بن ناصر الناصر .
٨٤	مرقس الرابع	١٣٤٢	٥	١٤	صالح بن ناصر الصالح ، وحسن بن ناصر الناصر ، ومحمد بن المنصور .
٨٥	يوحنا العاشر	١٣٥٦	٢	٦	شعبان بن حسن الأشرف .
٨٦	غبريال الرابع	١٣٦٢	٣	٨	شعبان بن حسن الأشرف ، وعلى بن شعبان المنصور .
٨٧	متاوس الأول	١٣٧٠	٥	٣٠	على بن شعبان المنصور ، وابن شعبان الصالح ، وبرقوق ، وفرج بن برقوق الناصر ، وعبد العزيز برقوق .
٨٨	غبريال الخامس	١٤٠١	٨	١٩	فرج بن برقوق الناصر ، والمستعين ، والمؤيد ، والمظفر ، وتترسيف الدين الظاهر ، ونصر الدين الصالح ، وأبو النصر الأشرف .
٨٩	يوحنا الحادى عشر	١٤٢٠	١١	٢٤	أبو النصر الأشرف ، ويوسف جمال الدين العزيز ، وأبو سعيد الظاهر ، وعثمان فخر الدين المنصور .
٩٠	متاوس الثانى	١٤٤٥	–	١٣	إينال أبو النصر الأشرف ، وأحمد بن إينال المؤيد ، وخشقادم سيف الدين الظاهر .
٩١	غبريال السادس ...	١٤٥٨	١٠	٨	ابن سعيد الظاهر ، وأبو سعيد الظاهر ، وقايدباى أبو النصر الأشرف .
٩٢	ميخائيل السادس ..	١٤٦٩	–	١	قايدباى .
٩٣	يوحنا الثانى عشر	١٤٧٢	٤	٣	قايدباى .
٩٤	يوحنا الثالث عشر	١٤٧٥	١٠	٤٠	قايدباى ، ومحمد الناصر ، وقانصوة الأشرف ، وقانصوة الظاهر ، وطومان باى

عدد	البطريرك	تاريخ التقدمة	مدة الإقامة على الكرسى شهرا	سنة	الملوك المعاصرون له
					العادل، وقانصوة الغورى، وطومان الأشرف.
٩٥	غبريال السابع	١٥١٨	–	٤٣	قانصوة الأشرف.
٩٦	يوحنا الرابع عشر	١٥٦٥	٤	١٥	سليم الثاني.
٩٧	غبريال الثامن	١٥٨٢	–	١١	سليم الثاني، ومحمد الثالث.
٩٨	مرقس الخامس	١٦٠٢	–	١١	أحمد الأول، ومصطفى الأول، وعثمان.
٩٩	يوحنا الخامس عشر	١٦١٣	–	١٠	مصطفى الأول، ومراد الرابع.
١٠٠	متاوس الثالث	١٦٢٣	–	١٠	مراد الرابع، وإبراهيم.
١٠١	مرقس السادس ...	١٦٤٢	–	١٠	محمد الرابع.
١٠٢	متاوس الرابع	١٦٥٢	٨	١٤	محمد الرابع.
١٠٣	يوحنا السادس عشر	١٦٦٨	٣	٤٢	محمد الرابع، وسليمان الثانى، وأحمد الثانى، ومصطفى الثانى، وأحمد الثالث.
١٠٤	بطرس السادس ...	١٧١٠	٦	٧	أحمد الثالث.
١٠٥	يوحنا السابع عشر	١٧١٩	٣	١٨	أحمد الثالث، ومحمود.
١٠٦	مرقس السابع	١٧٣٧	–	٢٤	محمود، وعثمان الثالث، ومصطفى الثالث.
١٠٧	يوحنا الثامن عشر	١٧٦٢	٧	٢٦	على بك الكبير.
١٠٨	مرقس الثامن	١٧٨٩	٢	١٣	على بك الكبير.
١٠٩	بطرس السابع	١٨٠٢	٣	٤٢	محمد على، وإبراهيم باشا.
١١٠	كيرلس الرابع	١٨٤٧	٨	٥	عباس باشا، وسعيد باشا.
١١١	ديمتريوس الثاني	١٨٥٤	٧	٧	إسماعيل باشا.
١١٢	كيرلس الخامس	١٨٦٧	٩	٥٣	إسماعيل باشا، وتوفيق باشا، وعباس باشا، والسلطان حسين، والملك فؤاد الأول.
١١٣	يؤانس (يوحنا) ...	١٩٢١	٦	٤	الملك فؤاد الأول.
١١٤	مكاريوس الثالث ...	١٩٤٤	٦	١	الملك فؤاد، والملك فاروق.
١١٥	يوساب الثاني	١٩٤٦	٤	١٠	الرئيسين: محمد نجيب، وجمال عبد الناصر.
١١٦	كيرلس السادس ...	١٩٥٩	١٠	١١	الرئيس جمال عبد الناصر.
١١٧	شنودة الثالث	١٩٧١	البطريرك الحالى		الرئيسين: أنور السادات، وحسنى مبارك.

الصفحة رقم ٣٥٠ من المخطوطة (رقم ٤٧٩ جغرافيا طلعت)

الصفحة رقم ٣٥١ من المخطوطة (رقم ٤٧٩ جغرافيا طلعت)

النَّصُّ

مقدمة

[مينا أفندى إسكندر - المحامى]

قد أظْهر الغربُ والشّرقُ فى هذه الأيام الأخيرة ، اهتماماً غريباً بعلم التّاريخ ، بعد أن رُمِيتْ سوقُه بالكسادِ مدَّة من الزّمان ، وأول من قام بعد الرقاد الطويل ، وتناول هذا العلم الشريف هم الغربيّون ، واشْتغلوا بِهِ صباحاً مساءً ، حتى أوصلوه إلى مقامِه المعلوم ، ثمّ تنبّهت أفكار أبناء الشرْق ، فحذُوا حذْوَهم في هذا المِضْمار ، فِللَّهِ دَرّ منْ قالَ : إنّ للعلومِ كما للأجْسامِ صحّةً واعْتِلالاً ، وقوّةً وضعْفاً ، وشيْبةً ، وهِرَماً ، وعافيةً وسِقماً . وما أجدرَ هذا العصْر أن يسمَّى : عصْر بعثَةِ العلوم .. عصْر الارتقاء العام .

ولما رأيتُ أن أبناءَ الأقباط قد هبُّوا مِن كرى الخمول ، ونفضوا نُعاسَ الكسل عَنْ أعْينهم ، واقْتدُوا بغيْرهم ، والتفتُوا إلى دَرْسِ ماضِى أُمّتهم ، دفعتْنى الغيرةُ المِلِّيّةُ لِتنْبيه الكثيرِ منْهم إلى مطالَعة ما كتبَه العلَّامة الإمامُ الشّيخ تقيّ الدّين أحمد بن عليّ بن عبد القادِر بن محمد . المعروفُ بالمقْريزِى فى كتابِه« الخِطط والآثار فى مصر ، والقاهرة ، والنيل ، وما يتعلّق بها مِن الأخبار » عنِ الأقباط : بطارِكتِهم ، وكنائِسهم ، ودياراتِهم . ممَّا يلذّ معرفَتُه ، ويتعذَّر وجودُه فى مؤلّفاتٍ أخرى ، فلبى طلبى الجمُّ الغفِير ، ولكن لما كانت نسَخُ هذَا الكتاب [1] قليلةً محصُورةً نادِرةَ الوجود ، لا يكادُ يَعثر بها الإنسان ، وإذا وجدَ نسخَة منها لا يتسنّى له الاسْتِحصالَ عليْها إلا بثَمنٍ أقلّه - ثلاثةُ جنيْهات - طلبَ مِنّى الكلُّ إيجاد طريقةٍ تضْمنُ لكلّ مُريدٍ مطالعةَ هذا الكتاب النفيس ، فإجابةً لما طلبوه ، ولإنالتهم ما رغبوه ، قد

---

(١) يريد كتاب المقريزى « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » المعروف بـ « الخطط المقريزية » .

استعنتُ بالله فى طبْعِ / ما يختصّ بالأقباطِ من هذَا الكتاب ، فى كرّاسة (٤) مخْصوصةٍ سميتُها : « القول الإبريزى للعلامة المقريزى عن الأقباط » تعميماً للفائدة ، وخدمةً للعموم ، وقد أَتاح لى المولَى عزَّ وجلّ إتمام المرْغوب بمساعدةِ رجالِ التّوفيق [1] لى مادّياً وأدبياً ، ولما كنت لا أبغى كسباً مالياً من هذا العمل ، قد جعلتُ الثّمنَ واهياً جدًّا ، البعضُ منه يقوم بنفقاتِ الطّبْع ، والبعضُ الآخر يوزَّع على الجمعيات القبطية الخيرية مساعدة لها .

وأطلُب من كلّ مَن طالع كرّاستى هذه ، أن يُوسع لى عذراً إذا رآنى لم أقم بالتنْبيه والإشارة إلى الصّحيحِ والفاسدِ مِنْ أقوالِ المؤَلف ؛ إذ أنى لم أقصد من نشر عباراتِه انتقادَها ، بل إيرادها فقط ، وأتركُ لسعةِ كلّ مطَّلع إظهارَ ما يَشْتم منه مخالفةَ الحقائِق ، ونسأل الله التوفيق والإرشاد إلى أقوم طريق .

مينا إسكندر

تحريراً بمصر : فى أول أغسطس سنة ١٨٩٨م .

* * *

(١) هم جماعة من أفاضل القبط العلمانيين أسَّسُوا جمعية التوفيق القبطية سنة ١٨٩١م وأنشأوا مطبعة التوفيق سنة ١٨٩٥م وهى المطبعة الثالثة فى مصر بعد المطبعة الأميرية . وكانت تطبع بها عدة مجلات وجريدة يومية ، إلى جانب عدد كبير من الكتب الكنسية وتاريخ الكنيسة ومشاهير الأقباط . وقدمت خدمات جليلة فى فن الطباعة ، والصحافة ، والأعمال الخيرية . راجع (مصر والأقباط فى مائة عام) .

فكان الكتاب الذى نقدمه لك « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » عن الأقباط . أحد الكتب التى طبعتها سنة ١٨٩٨م واستمرت مطبعتها تؤدى رسالتها حتى عام ١٩٣٩م حيث بيعت هذه المطبعة لملجأ الأيتام القبطى بمبلغ رمزى .

وكان من واجبى أن أذهب إلى هذه الجمعية سنة ١٩٩٤م فذهبت إليها متفسراً عن جامع هذا الكتاب « مينا أفندى إسكندر . المحامى » فقابلت أفاضل العلماء بها ، وكان منهم من قدم لى يد العون خاصة الأستاذ رشدى أمين الطوخى نائب رئيس مجلس إدارة جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة وبحث معى كثيراً للوقوف على ترجمة لـ « مينا أفندى إسكندر – المحامى » الذى تعاونت معه الجمعية على طبع هذا الكتاب لكن للأسف لم نقف على ذكر له .

(٥) / أتى المؤَلفُ[1] رحمه الله فى سياق كلامه عن الأقباط على ذِكر **العهْد العمرى**[2] ، **فلمعرفةُ ما اشتملَ عليهِ العهدُ المذكور آثرنا إيراده هنا بالنص .**

ثم لـمّا كان هذَا العهد ، بنى علَى أن النبىّ أمر بالنّظر إلى النصارى ، والأمان عليهم ، فقدْ أتيْنا هُنا أيضاً بنشْرِ العهْد الشّرِيف المنسوبُ إلى النّبِىّ .

---

(١) يريد به : المقريزى » .

(٢) لم يذكر المقريزى نصَّ العهد العمرى هذا كما يدّعى مينا أفندى إسكندر هنا .. وإنما قال فى كتابه « الخطط » ٤٩٢/٢ ما نصه : « ويذكر علماء الأخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أماناً على أنفسهم ، وأولادهم ، ونسائهم ، وأموالهم ، وجميع كنائسهم ، لا تُهدم ولا تُسكن ...» فى (الخطط ٢/ ٤٩٢) ط . بولاق .

أما ابن البطريق أقدم مؤرخ للأقباط بعد الفتح الإسلامى (٨٧٧ - ٩٤١م) يقول : « ثم اتصل بالمسلمين قدوم عمر بن الخطاب .. ولقوا (أى قادة العرب) عمر بن الخطاب ثم ساروا جميعاً إلى بيت المقدس ، فخاصروها ، فخرج « صفرونيوس » بطرك بيت المقدس إلى عمر بن الخطاب ، فأعطاه عمر بن الخطاب أماناً وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب لأهل مدينة إيلياء (القدس) إنهم آمنون على دمائهم ، وأولادهم ، وكنائسهم ، ألا تهدم ولا تسكن .

وأشهد شهوداً ، وفتح له باب المدينة فدخل عمر المدينة وأصحابه ...» .

انظر (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق تأليف البطريرك أفتشيوس المكنى بسعيد بن البطريق) ١٧/٢ ط بيروت سنة ١٩٠٩م .

العهدُ الشّريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذا كتابٌ ، كتبهُ محمّد بن عبد الله ، إلى كافّة النّاس أجمعين ، رسوله مبشّراً ونذيراً ، ومؤْتمناً على وديعة الله فى خَلْقه ؛ لئلّا يكونَ لِلنّاس حجّة بعدَ الرُّسل ، وكانَ الله عزيزاً حكيماً .

كتبهُ لأهْل ملّة النّصارَى ، ولمن تنحّل دينَ النّصرانية ، من مشارِق الأرض ومغاربها ، قريبِها وبعيدِها ، فصيحها وعجَمِها ، معْرُوفِها ومجهولها ، جعلَ لهم عهْداً ، فمنْ نكثَ العهدَ الّذى فيهِ ، وخالَفه إلى غيْره ، وتعدَّى ما أمَرهُ ، كانَ لِعَهد الله ناكِثاً ، ولميثاقِهِ ناقضاً ، وبدينهِ مستَهْزئاً ، ولِلَعْنتهِ مستَوْجباً ، سلطاناً كانَ أم غيْره مِنَ المسلمين .

وإنْ احتمى راهبٌ ، أو سائحٌ فى جبل ، أو وادٍ ، أو مغارةٍ ، أوْ عُمرانٍ ، أو سَهلٍ ، أو رمْلٍ ، أو بيْعَةٍ ، فأَنا أكون من ورائِهم ، أذُبُّ عنْهم مِن كلِّ غيرةٍ لهم ، بنفْسِى ، وأعْوانى ، وأهْلِى ، وملّتِى ، وأتْباعِى ؛ لأنّهم رعيَّتى ، وأهْلَ ذِمّتى ، وأنا أعزِلُ عنْهم الأذَى فى المؤَن الّتى / يَحْمِل أهلُ العهْدِ مِنَ القِيام بالخراج ، إلّا ما طابَتْ لهُ نفوسُهم ، وليْسَ عليهم جبْرٌ ولا إكْراهٌ علَى شئٍ منْ ذلِك ، ولا يُغيَّر أسْقفٌ مِنْ أسْقُفيّته ، ولا راهبٌ مِن رهبانيّته ، ولا حبِيسٌ مِنْ صوْمعَتِه ، ولا سائِحٌ مِن سياحَتِه ، ولا يُهْدم بيتٌ من بيوتِ كنائِسِهم وبِيَعهم ، ولا يُدْخلُ شئٌ من مالِ كنائِسهم فى بناء مساجد المسْلمين ، ولا فى بناءِ منازِلهم ، فمنْ فَعَل شيئاً من ذلِكَ ، فقدْ نكثَ عهْد الله ، وعهْدَ رسولِه ، ولا يحمّل علَى الرُّهبانِ ، والأساقِفة ، ولا مَن يتعبّدُ

(٦)

جِزْيةً ولا غَرامةً ، وأنا أَحْفَظ ذِمّتهم أيْنما كانوا ، فى بَرٍّ أو بحْر ، فى المشْرِق أو المغرب ، والجَنوبِ والشّمال ، وهم فى ذِمّتى وميثاقى وأمانى ، منَ كلِّ مكْرُوه ، وكذلكَ مَنْ يتفرَّدُ بالعبادةِ فى الجِبالِ ، والمواضِع المبارَكة ، لا يلْزَمهم ممّا يَزْرعونَه ، لا خراجَ ولا عُشْر ، ولا يُشاطَرون ؛ لكوْنِه برسْم أفواهِهم ، ولا يعاونُونَ عِنْد إدْراكِ الغَلّة ، ولا يُلْزمونَ الخروجَ فى حرْبٍ وقيام الجبْرية ، ولا مِنْ أصْحابِ الخراجِ وذوِى الأموال والعقارات والتجاراتِ ، ممّا هو أكثر من اثْنَى عَشَر دَرْهماً ، بالجمْلةِ فى كلِّ عامٍ ، ولا يُكلّفُ أحدٌ مِنْهم شطَطاً ، ولا يجادَلُون إلّا بالّتى هِىَ أحْسَن ، ويحْفظونَهم تحْتَ جناحِ الرّحْمة ، يُكَفّ عنْهم أذِيّةَ المكْروهِ حيثُما كانُوا وحيثُما حلُّوا .

وإنْ صارَتْ النّصرانيّة عِنْدَ المسْلمين ، فعلَيْها بِرضاها ، ويمكنها الصلاةَ فى بِيَعها ، ولا يُحال بيْنَها وبيْنَ هَوى دِينها .

ومَنْ خانَ عهدَ الله واعْتمدَ بالضدِّ مِن ذَلك ، فقدْ عصَى ميثاقَه ورسولَه ، ويعاوَنُوا على حُرْمة بِيَعهم ومواضعهم ، وتكونُ تِلْك مقبولة لهم على دينهم وفِعالهم بالعهْد ، ولا يُلْزم أحد منْهم بنقْلِ سلاحِ المسْلمين ، بلْ المسلمون يدمّون عنْهم ، ولا يُخالَفُ هذا العهد أبداً ، حين تقومُ السَّاعة وتنْقَضِى الدنْيا [1] (!!) .

---

(١) هذا العهد وإن كان مضمونه قد يتمشى مع المبادئ الإسلامية السمحة إلا أن نص هذا العهد المذكور هنا لا يتفق وأسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب ، وصاحب جوامع الكلم . وكل من له إلمام بالعربية ، أو معرفة بالتاريخ ينكر لا محالة صحة هذا الأثر ولو تتبعناه سطراً سطراً ، وعبارة عبارة لأمكن بيان تزوير صانعه ، ونحن عن ذلك فى غنى .

راجع بحث الأب لويس شيخو اليسوعى « عهود نبى الإسلام والخلفاء الراشدين للنصارى » (المشرق ج ١٢ سنة ١٩٠٩ ص ٦٠٩ - ٦١٨ و ٦٧٤ - ٦٨٢) .

ولو ذكر مينا إسكندر جامع هذا الكتاب مثل هذه الأحاديث التى جاءت فى « فتوح مصر لابن عبد الحكم صفحة ٢ - ٤) لكان أولى من عهد يُحْمَلُ على رسول الله . =

(ذُكِر أنها تحرَّرت بخطّ الإمام عليّ وخِتمَت بأصبُع[1] النبيّ) .

* * *

= حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن عبد الحكم بسنده :
« إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ؛ فإن لهم ذمة ورحما » .

وعن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « استوصوا بالقبط خيراً ، فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوّكم » .

لو روى هذه الأحاديث بسندها كما فعل ابن عبد الحكم لكان أولى من عهد هو نفسه يشك فيه فيقول : « نشر العهد الشريف المنسوب إلى النبى » .

وللأسف لا أثر لهذا العهد عند ابن عبد الحكم ولا عند غيره من المؤرخين القدماء .

(١) لم تعرف بصمة الأصبع إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى (راجع الدراسة التى ذكرناها حول هذا العهد سابقاً) .

/ عهد الإمام الخليفة عمر بن الخطاب[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمْدُ لله الّذِى أَعزَّنا بالإسْلام ، وأكْرمنا بالإيمان ، ورَحمنا بنبيّه محمدٍ صلّى الله عليْه وسلّم ، وهَدانَا مِن الضّلالَة ، وجَمعنا بِهِ بعْد الشّتاتِ ، وألّف قلوبَنا ، ونصَرنا علَى الأعْداءِ ، ومَكّن لنَا البِلادَ[٢] ، وجعَلَنا إخواناً متحابّين ،واحْمدوا الله[٣] عبادَ اللهِ على هذِه النِّعْمة .

هذا كتابُ عمر بنِ الخطّاب ، لعهْدٍ وميثاق أُعْطِيَ إلى البطريرك المبَّجل المكرَّم ، وهو « صوفرونيوس » بطريرك الملة الملكية[٤] فى طور الزّيتون[٥] بمقامِ القدسِ الشّريف ، فى الاشْتمالِ علَى الرّعايَا والقسُوسِ والرّهْبانِ والرّاهبات ، حيْثُ كانُوا ، وأيْن وُجِدُوا ، وأن يكونَ عليْهم الأمان ، وأنّ الّذمى إذا حفِظَ أحكامَ الذّمة وجبَ عليه الأمان والصّوْن[٦] منّا نحنُ

(١) لم يذكر البلاذرى ولا الطبرى ولا غيرهما من قدماء المؤرخين مسلمين أو نصارى نص هذا العهد الذى زعم الزاعمون أن عمر بن الخطاب أعطاه القديس « صفرونيوس » بطريرك أورشليم . ومن هذا العهد عدّة نسخ مخطوطة أقدمها نسخة وقف عليها فى الآستانة سيادة المطران « باسليوس حجار» رئيس أساقفة صيدا ، فقابلنا عليه وهى فى (المشرق ح ١٢ سنة ١٩٠٩م صفحة ٦٧٩ و ٦٨٠) وقد آثرت أن أذكر النص الذى معنا ، مع المقابلة عليها ، ولو كانت أكثر صواباً .

(٢) **الآستانة** : « ومكن لنا من البلاد » . (٣) **الآستانة** : « فاحمدوا الله » .

(٤) **صفرونيوس** : كان راهباً من رهبان الإسكندرية . أنكر ما يقوله البطريرك المارونى « كورس » وكان بطريرك الإسكندرية فناظره « صفرونيوس » وقال بما يقول به اليعاقبة .. ولم يكن فى بيت المقدس بطريرك فصيروا « صفرونيوس » بطريركاً على بيت المقدس لحسن أمانته ، فكتب كتاباً فى الإيمان وبعثه إلى جميع الآفاق . وذلك فى السنة الثانية من خلافة عمر بن الخطاب (ابن البطريق ٢/١٢ و١٣ و ٢٩) .

(٥) هو جبل الزيتون الذى يشرف على أورشليم من ناحيتها الشرقية ، ويفصله عنها وادى قدرون كانت تكسوه أشجار الزيتون .

(٦) **الآستانة** : « وأن الذى إذا حفظ الذمة وجب له الأمان والصون » .

المؤمنين، عنْ مَنْ يتولَّى بعْدنا، وليقْطَع عنْهم أسبابَ جوانِحهم، كحسَبِ ما قدْ جَرى مِنْهم مِنْ الطّاعة، والخُضُوع، وليَكنْ الأمانُ عليْهم، وعلَى كنائِسِهم، وكافّة زياراتِهم الّتى بيدهم، داخلاً وخارِجاً وهى: القمامة، وبيْت لَحْم مولد عيسى عليه السّلام، وكنيسةُ الكبراءِ[1]، والمغارة ذات الثلاثة أبواب: قبْلى، وشمالى، وغَرْبى[2]، وبقيّة أجْناس النّصارَى الموْجودين هناكَ، وهم الكرْج والحبَش، والّذينَ يأْتون للزّيارة من القبْط والإفرنج[3]، والسُّريان، والأرْمن، والنّساطرة، واليعاقبة، والموَارنة. تابعين البطْريرك[4] المذكور.. ويكون متقدِّماً عليْهم[5]؛ لأنهم أعْطوا مِنْ حضْرَة النّبىّ الكرِيم، والحبيبِ المرْسَل منَ الله، وشرَّفوا الختْمَ بيدِه الكرِيمة، وأمرَ بالنّظر إليهم، والأمان عليهم[6]، كذلك نحن[7] المؤْمِنين نُحْسِن[8] / (٨) إليهم، إكراماً لمنْ أحْسَن إليْهم، ويكونُون معافِينَ مِنَ الجزْية، والخفَارة[9]، والمُوَاجب، ومسلَّمين من كافّةِ البلايا فى البرّ والبُحور، وفى دخولهم إلى القِمامة[10]، وبقيّة زِيارَاتِهم، لا يُؤْخذ منْهم شىءٌ، وأمّا الّذين يُقْبِلون إلَى الزّيارة القمامة، يؤدى[11] النصرانىُّ إلَى البطْريرك درْهما وثُلثاً من الفِضّة، وكلُّ مؤْمنٍ ومؤْمِنة يَحْفظُ ما أمرْنا بهِ، سلطان أو حاكم، أو والٍ[12]،

(١) **الآستانة**: «أى الكنيسة الكبرى».

(٢) **الآستانة**: «قبلى والشمال والغربى».

(٣) **الآستانة**: «الإفرنج والقبط».

(٤) **الآستانة**: «والتابعين للبطريرك المذكور».

(٥) **الآستانة**: «عليهم» ساقطة.

(٦) **الآستانة**: «وعلينا كذلك». (٧) **الآستانة**: «أن نحسن».

(٨) **الآستانة**: «ويكونوا». (٩) **الآستانة**: «والغَفَر».

(١٠) **كنيسة القيامة**: كنيسة بناها قسطنطين حوالى سنة ٣٢٦م على قبر المسيح، تذكرها التواريخ العربية القديمة بهذا الاسم «القمامة» لا تحريفاً لها ولا تصحيفا ولا تحقيراً، ولكن لأن القمامة كانت تحوطها. راجع (ابن البطريق ٢/ ١٨).

(١١) **الآستانة**: «إلى الزيارة وإلى القمامة، فيؤدى».

(١٢) **الآستانة**: «سلطاناً كان، أم حاكماً، أو والياً».

يجرى حُكْمه فى الأرْضِ ، غِنىّ أم فَقِير[1] من المسْلمين . والمؤْمِنين والمؤْمِنات .

وقد أُعْطِىَ لهمْ مرسومُنا هذا ، بحضورِ جمٌّ الصّحابة الكِرام : عبد الله . وعثمان بن عفّان . وسعد بن زيد . وعبد الرَّحمن بن عوف . وبقية الإخوة الصّحابةِ الكِرام[2] فيُعْتمد علَى ما شرَحْنا فى كتابِنا هَذَا ، ويُعْمل بِهِ ، ويبْقَى فى يدِهم .

وصلّى الله تعالَى علَى سيّدنَا محمّدٍ وآلهِ وأصحابه والحمد لله ربِّ العالمين ، حسْبُنا اللهُ ونعْم الوكيل .

فى عشرين من شهْر ربيع أوّل سنة ١٥ للهجرة النبوية[3] . وكلُّ مَنْ قرأَ مرسومَنا هَذا مِنَ المؤْمنينَ وخالَفه من الآن إلى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثاً[4] ، ولرسولِه الحبيبِ مُبْغِضاً[5] .

* * *

(١) الآستانة : « غنياً أم فقيراً » .

(٢) **الآستانة** : « عبد الله ، وعثمان بن عفان ، وسعد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وبقية الإخوة الصحابة الكرام » هؤلاء الشهود لم يذكروا فى هذه المخطوطة .

(٣) **الآستانة** : « من شهر ربيع الأوّل ، سنة خمس عشرة للهجرة النبوية » .

(٤) **الآستانة** : « من الآن وإلى يوم الدين ، فيكون لعهد الله ناكثا » .

(٥) **الآستانة** : « باغضا » .

ثم يعقب الأب لويس شيخو اليسوعى على هذا العهد قائلاً : « إن كل من له إلمام بتاريخ الخلفاء ، وأدنى معرفة بعاداتهم ، وكتاباتهم الرسمية ، ينكر ولا محالة صحة هذا الأثر ، ولو تتبعنا الكتاب سطراً سطراً وعبارة عبارة ، لأمكن بيان تزوير صاحبه » (المشرق ح ١٢ سنة ١٩٠٩ ص ٦٧٩ - ٦٨٠) .

وانظر ما قاله الأستاذ حبيب الزيات فى (المشرق ج ٤٣ ص ١٦١ - ٢٥٢ سنة ١٩٤٩م) .

/ شَذْرة مِن ترجَمة المؤَلف. ويَلِيها قوْلُه عن الأقباط (٩)

المؤَلف رَحِمه الله هو : الإمامُ أبى العبّاس الشّيخُ تقىّ الدِّين. أحمد بن علىّ بن عبدالقادِر. المعروف « بالمقريزى »[١] ولُد فى مصْرَ القاهِرة فى سنة ٧٦١هجرية فى عهد الملِك النّاصر حَسن، وشَغَل وظائفَ عديدَة فى مصر، ودمشْق الشام، وتوفّى فى سنة ٨٤٦ هجرية. وله مؤَلّفات عدِيدَة، نُقِلَ أكثرُها للّغات الأوروبّية، ومن ضِمْنها كتاب « الخِطَط والآثار، فى مصر القاهرة، والنيل، وما يتعلق بها مِنَ الأخبار » وتكلّم فيهِ عَنِ الأقباط بما نصّه بالحرف[٢].

* * *

(١) انظر ترجمته فى كتاب المنهل الصافى (رقم ٢٢١) ١/٤١٥ - ٤٢٠ لابن تغرى بردى تلميذ المؤلف وهو خير من ترجم له واستقصى ذكر مؤلفاته العديدة. وفيه يقول: إنه عمدة المؤرخين، وعين المحدّثين، ولد بعد سنة ستين وسبعمائة بسنيات، ويذكر المقريزى عن نفسه فى خططه ١/ ٤: « ولدت بالقاهرة المعزية من ديار مصر بعد سنة ستين وسبعمائة » ويقول صاحب المنهل الصافى: ونشأ بالقاهرة. وولى حسبة القاهرة غير مرة. وولى عدة وظائف دينية. وعرض عليه قضاء دمشق فأبى.. كتب الكثير بخطه. واشتهر ذكره فى حياته وبعد موته. فى التاريخ وغيره، حتى صار يضرب به المثل. وقرأتُ عليه كثيراً من مصنفاته، وكان كثير الكتابة والتصنيف، وصنف كتباً كثيرة.. ولم يزل ضابطاً حافظاً إلى أن توفى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان، سنة خمس وأربعين وثمانمائة، ودفن من الغد فى مقبرة الصوفية خارج باب النصر من القاهرة - رحمه الله تعالى -.

وذكر صاحب الضوء اللامع أنه ولد سنة ٧٦٦هـ.

ترجمته فى غير ما ذكر:

خطط المقريزى ١/ ٤، الدليل الشافى ٦٣/١ (رقم ٢١٧)، حوادث الدهور ١/ ٣٩، النجوم الزاهرة ١٥/ ٤٩٠، عقد الجمان وفيات سنة ٨٤٥هـ، التبر المسبوك ٢١، الضوء اللامع ٢١/٢ (رقم ٦٦)، شذرات الذهب ٧/ ٢٥٤، حسن المحاضرة ١/ ٥٥٧، البدر الطالع ٧٩/١ (رقم ٤٦).

(٢) ترددت الأخبار كثيراً عن الأقباط فى « خطط المقريزى » ولكن الأستاذ مينا إسكندر المحامى جامع كتاب « القول الإبريزى للعلّامة المقريزى » عمد إلى آخر الجزء الثانى من خطط المقريزى ونقله لنا بالنص من الخطط من ٤٨٠/٢ - ٥١٩ وسماه: « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » فى القبط.. ولو نقل لنا كلَّ ما قاله المقريزى عن القبط خاصة فى كتاب الخطط، لأفاد الباحثَ كثيراً.. هذا فضلاً عما ذكره المقريزى فى كتابه « السلوك فى معرفة دول الملوك » وغير ذلك من كتبه التاريخيه العديدة.

ذكر قِبْط مِصْر ، وديانَتهم القديمة

وكيف تنصَّروا ، ثمّ صاروا ذمّةً للمسلمين، وما كان لهم فى ذلك من القِصَص والأنباء ، وذكْر الخبَرِ عن كنائسهم ودِياراتهم ، وكيفَ كان ابتداؤُها ومصيرُ أمرها

اعلم أن جميعَ أهْل الشرائع ، أتباع الأنبياء عليْهم السّلام : من المسلمين ، واليهود ، والنّصارى ، قد أجمعوا على أنّ نوحاً عليْه السّلام ، هو الأبُ الثانى للبشر ، وأنّ العقبَ من آدم عليْه السلام ، انحصر فيه ، ومنه ذرأ الله تعالى جميعَ أولاد آدم ، فليس أحدٌ من بنى آدم إلّا وهو من أولاد نوح .

وخالفت القِبْط [1] ، والمجوس ، وأهْل الهِنْد ، والصين ذلك ، فأنكروا الطّوفان ، وزعَم بعضُهم أن الطّوفان إنّما حدث فى إقليم « بابل » [2] وما وراءَه من البلاد الغربيّة فقط ، وأن أولاد « كيومرت » الذى هو عِنْدهم الإنسان الأوّل ، كانوا بالبلاد الشرقية من بابل ، فلمْ يصل الطّوفانُ إليهم ، ولا إلى الهند والصين .

(١٠) والحقّ ما عليْه أهلُ / الشّرائع ، وأنّ نوحاً عليْه السّلام لما أنجاه اللهُ ومَنْ معه بالسّفينة ، نزل بهم وهم ثمانون رجلاً سوى أولاده ، فماتوا بعد ذلك

---

(١) **القبْط** : جيل من أهل مصر الأولين . واحدهم : قِبْطى . والمعروف أن كلمة « قبط » أو « أقباط » كانت لا تعنى وقت الفتح العربى مذهباً دينياً ، ولا ترادف كلمة « مسيحيّى مصر » وإنما كانت تعنى « أهل مصر » .

ويظهر من النصوص المختلفة أن كلمة « قبط » كانت تعنى « المصريين » مسلمين كانوا أو مسيحيين .. على الأقل حتى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وإن كانت بمرور الزمن ، وحتى الآن تعنى « المصريين المسيحيين » انظر الدكتورة سيدة كاشف (مصر الإسلامية وأهل الذمة ص ٨٣ طبعة الهيئة العامة للكتاب . سلسلة تاريخ المصريين) .

(٢) **بابل** : مدينة قديمة .. أنقاضها واقعة على نهر الفرات ، قرب الحِلّة ، على مسافة ١٦٠ كيلو ، جنوبى شرق بغداد . سادس ملوكها « حمورابى » فى القرن ١٨ق. م . جعلها الإسكندر عاصمة المشرق .

وبرج بابل : جاء فى التوراة أنه برج بناه أبناء نوح ؛ ليعلوا به إلى السماء ، فتبلْبَلَت ألسنتُهم وتفرقوا ، وخرِّب البرج . راجع (قاموس الكتاب المقدس ١٥٢ - ١٥٧) .

ولم يعقبوا ، وصار العقبُ من نوح فى أولاده الثّلاثة . ويؤيِّد هذا قول الله تعالى عن نوح : ﴿وجعلْنَـا ذرّيّته هُم الباقِين﴾ [1] وكان من خبَر ذلك أنّ أولاد نوح الثّلاثة : هم : سام ، وحام ، ويافث ، اقتسموا الأرضَ .

فصار لبنى سامٍ بْن نوح : أرضَ العراق وفارس إلى الهند ، ثم إلى حضرموت ، وعُمَان ، والبحْرين ، وعالج ، ويبرين ، ووبار [2] ، والدوّ [3] ، والدّهْناء [4] ، وجميع أرض اليَمن ، وأرض الحجاز .

وصار لبنى حامٍ بن نوح : جنوب الأرض مما يلى أرض مصر مغرِّباً إلى بلاد المغرب الأقصى .

وصار لبنى يافث بن نوح : بحر الخزَر مشرّقاً إلى الصين .

فكان من ذرّية سام بن نوح : القضاعيّون ، والفرس ، والسّريانيّون ، والعِبرانيون ، والعرب المستعْربة ، والنّبَط ، وعاد ، وثمود ، والأمورانيون [5] ، والعماليق [6] ، وأُمم الهند ، وأهْل السند ، وعدة أُمم قد بادت .

وكانت ذرية حام بن نوح من أربعةٍ ، أولاده الذين هم : كوش ، ومصرايم ، وقفط ، وكنعان .

---

(١) سورة الصافات آية ٧٧.

(٢) **وبار** : اسم البلاد والقبائل التى ذكرها العرب بين الشعوب الأقدمين الذين سكنوا الجزيرة العربية وباد أكثرهم كعاد وثمود كانوا من العرب العاربة ، وفى أخبارهم ضروب من الأساطير .

(٣) **الدّو** : الفلاة الواسعة (المعجم الوسيط) .

(٤) **الدهناء** : صحراء جزيرة العرب الجنوبية ، المعروفة بالربع الخالى ، تمتد من مقاطعة الحريق إلى حدود اليمن وحضرموت جنوباً ، ومن واد الدواسر إلى عُمَان شرقاً.

وقد غابت قراءة [الدو والدهنا] عن الأستاذ مينا إسكندر فوضعها بين قوسين هكذا (...) .

(٥) **الأمورانيون** : شعب . سليل : أمور بن كنعان . أقاموا فى بلاد شرق الأردن ، وكانوا أشداء ، ثاروا على المصريين ، وحاربوا الإسرائيليين .

(٦) **العماليق** : شعب . قطن جنوبى فلسطين ، وحارب العبرانيين .

فمن كوش : الحبشة ، والزنج .

ومن مصرايم : قِبْط مصر ، والنوبة .

ومن قفط : الأفارقة . أهل إفريقية ، ومن جاورهم إلى المغرب الأقصى .

ومن كنعان : أُمَمٌ كانت بالشام ، حاربهم موسى بن عمران عليْه السّلام وقومُه من بنى إسرائيل ، ومنهم أجناسٌ عديدة من البربر دَرَجُوا [1] .

وكانت مساكن بنى حام ، من صيْدَا إلى أرض مصر ، ثم إلى آخر إفريقية نحو البحر المحيط ، وانتشروا فيما بين ذلك إلى الجنوب ، وهم ثلاثون جنساً .

وكان من ذرية يافث بن نوح : الصّقلْب [2] ، والفرنجة ، والغالِلْيون ، من قبائل الرُّوم ، والغوط ، وأهل الصين ، وقوم عرفوا بالمادنيين [3] ، واليونانيون ، والرُّوم الفريقيون ، وقبائِل الأتراك ، ويأْجوج ومأْجوج ، وأهْل قبْرس وردس .

(١١) وعدَّة بنى يافث خمسة عشر / جنساً ، سكنوا القطرَ الشماليّ إلى البحر المحيط ، فضاقت بهم بلادُهم ولم تسعهم لكثرتهم ، فخرجوا منها ، وتغلّبوا على كثيرٍ من بلاد بنى سام بن نوح .

[أصل المصريين]

وذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه [4] الكاتب : أنَ القِبْط تنسب

---

(١) **درجوا** : أى ماتوا وهلكوا (المعجم الوسيط) .

(٢) **الصقلب** : هم الشعوب القاطنة بين جبال أورال ، والبحر الأدرياتيكى ، فى أوربا الشرقية ، والوسطى . يقسمون قسمين : صقالبة الشمال (الروس ، والروس البيض ، والبولونيون) وصقالبة الجنوب أو اليوغسلافيون (الصرب ، والكرواتيون ، والسلوفاكيون ، والبلغاريون) جاء ذكرهم عند جغرافيى العرب .

(٣) **المادانيين** . منسوبين إلى « ماداى » "Mèdie" إمبراطورية قديمة كانت تشمل البلاد التى بين الجزيرة غرباً ، وفارس شرقاً ، وبحر قزوين شمالاً . اجتاحها قورش (حوالى سنة ٥٥٦ ق. م) وضمها إلى بلاد فارس .

(٤) **إبراهيم بن وصيف شاه** : كاتب مؤرخ ، توفى سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م وكتابه : « جواهر البحور ووقائع الدهور فى أخبار الديار المصرية » .

إلى قِبْطيم بن مصرايم، بن مصر، بن حام، بن نوح. وأنّ قبطيم أوّل من عمل العجائب بمصر، وأثار بها المعادن، وشقّ الأنهار لما وُلِىَ أرضَ مصر بعدَ أبيه مصرايم، وأنه لحق بلْبَلَة الأَلسُن وخرجَ منها. وهو يعرف اللّغةَ القِبْطية، وأنه ملك مدَّة ثمانين سنة ومات، فاغتمَّ لموتهِ بنوه وأهلُه ودفنوه فى الجانِب الشرقىّ من النيل، بسربٍ تحتَ الجبل الكبير، فقام مِنْ بعده فى مُلْك مصر ابنه قفْطِيم بن قبْطِيم.

وزعم بعض النسّابة أن مصرَ بن حام بن نوح، ويقال له: مصرايم. ويقال: بل مصريم بن هرْمُس بن هردوس جدّ الإسكندر. وقيل: بل قِفْط ابن حام بن نوح، نكحَ بخْت بنت يتاويل بن ترسل بن يافث بن نوح فولدت له: بوقير. وقبط. أبا قبط مصر.

قال ابنُ إسحاق: ومن هاهنا قالوا: إن مصر ابن حام بن نوح. وإنما هو: مصر بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومى بن ليطى بن يونان. وبه سُمّيت مصر، فهى مقدونية.

وقيل: القبْط من ولد قِبْط بن مصر، بن قِفط بن حام بن نوح. وبمصر هذا سميت مصر.

* * *

ذكر دِيانة القِبْط قبْل تَنَصُّرهم

اعلم أن قِبْط مصر كانُوا فى غابر الدّهر أهْل شِرْكٍ باللهِ ، يعبدون الكواكب ، ويقرّبون لها قرابينَهم ، ويقيمون على أسمائها التماثيل ، كما هى أفعال الصابئة[1] .

وذكر ابنُ وصيف شاه : أن عِبادَة الأصنام أوّل ما عُرِفت بمصر أيّام قفْطريم ، بن قبطيم ، بن مصرايم ، بن بيْصر ، بن حام ، بن نوح . وذلك أن / (١٢) إبليس أثار الأصنام الّتى غرّقها الطوفان ، وزيّنَ للقِبْط عبادتها ، وأن البودشير ابن قِبْطيم . أوّل من تكهن وعمل بالسِّحْر ، وأنّ مناوش بن منقاوش . أوّل من عبدَ البقَر من أهْلِ مصر .

وذكر الموفـق أحمـد بن أبى القاسـم بن خليفـة المعـروف بـ « ابن أبى أصيبعة[2] » أنه كان للقِبْط مذهبٌ مشهور من مذاهب الصّابئة ، ولهم هياكل على أسماء الكواكب ، يحجُّ إليها النّاس من أقطار الأرض ، وكانت الحكماءُ والفلاسفة مِمّنْ سواهم تتهافت عليهم ، وتريد التقرّب إليهم ؛ لما كان عنْدهم من علوم السِّحر ، والطلْسمات ، والهندسة ، والنّجوم ، والطبّ ، والحساب ، والكيمياء ، ولهم فى ذلك أخبار كثيرة ، وكانت لهم

(١) **الصابئة** : جماعة عاشوا زمناً فى كنف الإسلام . لهم عقائدهم وعلماؤهم ، ورد ذكرهم فى القرآن ثلاث مرات بجانب اليهود والنصارى ، مما يؤذن بأنهم من أهل الكتاب .. عنى بهم المؤرخون المسلمون وخاصة « الشهرستانى » فى كتابه « الملل والنحل » ولهم طقوس ثابتة ، ومنهم من كان يعبد الكواكب .. عاشوا متفرقين فى شرق العراق . مركزهم الرئيسى « حرّان » ولغتهم « السريانية » خرج منهم علماء وفلاسفة ، ومنجمون ، وأطباء . من مثل : إبراهيم بن هلال الصابى ، وثابت بن قرة ، وغيرهم الكثير .

(٢) **ابن أبى أصيبعة** : هو موفق الدين ، أبو العباس . أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس . المعروف بـ « ابن أبى أصيبعة » من علماء القرن الثامن الهجرى الثالث عشر الميلادى ، توفى سنة ٦٦٨هـ . من مؤلفاته كتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » ألفه فى دمشق سنة ٦٤٣هـ .

لغة يختصّون بها[1] وكانت خطوطهم ثلاثة أصناف : خط العامة ، وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر ، وخط الملوك .

وقال ابن وصيف شاه : كانت كهنة مصر أعظم الكهّان قدراً ، وأجلها علماً بالكهانة ، وكانت حكماءُ اليونانيين تصِفُهم بذلك ، وتشْهد لهم به ، فيقولون : اخْتبرَنَا حكماءُ مصر بكذا وكذا .. وكانوا ينْحون بكهانتهم نحو الكواكب ، ويزْعمُون أنها هى الّتى تفيض عليهم العلوم ، وتُخْبرهم بالغيُوب ، وهى الّتى تعلِّمهم أسرار الطّوالع ، وصفة الطّلاسم ، وتدلّهم علَى العلوم المكتومة ، والأسماء الجليلة المخزونة . فعملوا الطّلْسمات المشهورة ، والنواميس الجليلة ، وولّدوا الأشكال الناطِقة ، وصوَّروا الصورَ المتحرّكة . وبنوا العالى من البنْيان ، وزبروا[2] علومهم فى الحجارة ، وعملوا من الطّلسمات ما دفعوا به الأعداء عن بلادهم ، فحِكمُهم باهرَةٌ ، وعجائِبُهم ظاهرَة .

وكانت أرض مصر خمساً وثمانين كورة[3] . منها أسفل الأرض خمسٌ وأربعون كورة . ومنها بالصعيد أربعون كورة . وكان فى كلّ كورَة رئيسٌ من الكَهنة ، وهم السّحرة ، وكان الّذى يتعَبّد منهم للكواكب السبْعَة السيّارة سبع سنين يسمونه « باهر » والّذى / يتعبد منْهم لها تسعاً وأربعين سنة ، لكلِّ كوكب سبع سنين يسمونه « قاطر » وهذا يقوم له المَلِك إجلالاً ، ويجلسه معه إلى جانبه ولا يتصرَّف إلا برأْيه ، وتدخلُ الكهنةُ ومعهم أصْحاب الصنائِع ، فيقفون حذاءَ « القاطر » وكان كل كاهن منهم ينْفرِدُ بخدْمة كوكبٍ من الكواكب السبعة السيّارة ، لا يتعدّاه إلى سواه ، ويدْعَى بِعبدِ ذَلِكَ الكوْكب فيقال : « عبد القمر » « عبد عطارد » « عبد الزهرة » « عبد الشمس » « عبد المرّيخ » « عبد المشترى » « عبد زحل » فإذا وقفوا (١٣)

(١) هى : السريانية .
(٢) **زبروا** : كتبوا .
(٣) **الكورة** : ما يعدل اليوم محافظة .

جميعاً قال : « القاطر » لأحدهم : أينَ صاحبُك اليوم؟ فيقول : فى برج كذا ، ودرجة كذا ، ودقيقة كذا . ثم يقول للآخر كذلك فيجيبه ، حتّى يأتى على جميعهم ، ويعْرف أماكن الكواكب من فَلَك البرُوج ، ثم يقول للمَلِك : ينبغى أن تعمل اليوم كذا . أو تأْكل كذا . أو تركب وقت كذا . إلى آخر ما يحتاج إليه . والكاتب قائمٌ بيْنَ يدْيه يكتُب ما يقول . ثم يلتفت « القاطر » إلى أهل الصّناعات ويخْرِجُهم إلى دار الحِكْمة ، فيضعون أيديهم فى الأعمال الّتى يصلح عملُها فى ذَلِكَ اليوْم ، ثم يؤَرخ ما جرى فى ذلك اليوم فى صحيفةٍ ، وتُخزن فى خزائن المَلِك .

وكان المَلِك إذا همَّه أمرٌ جمعَ الكهانَ خارج مدينة « منف » ، وقد اصطف النّاسُ لهم بشارع المدينة ، ثم يدخل الكهان رُكْباناً على قدر مراتبهم ، والطّبل بين أيديهم ، وما مِنْهم إلّا مَن أظهر أُعجوبةً قدْ عملها . فمنهم من يعلو وجْهَه نورٌ كهيئَة نور الشّمس ، لا يقْدِر أحدٌ على النظر إليْه ، ومنهم مَنْ علَى بدنه جواهِر مخْتلِفة الألْوان ، قد نُسِجت على ثوب ، ومنهم من يتوشَّحُ بحيَّاتٍ عظِيمة ، ومنهم مَنْ يُعْقَد فوْقَه قبّة من نور ، إلى غير ذلك من بديع أعمالهم ، ويصيرون كذلك إلى حضرة الملك ، فيُخْبرهم بما نزل به ، فيجيلون رأْيهم فيهِ حتى يتّفِقوا على ما يصْرِفونه به .

(١٤) وهذا - أعزَّك الله - / من خبرهم لَمّا كان المُلْك فيهم ، فلمّا استولت العماليقُ[1] على مُلْك مصر ، وملكتها الفراعنة ، ثم تداولتها من بعدهم أجناس أُخَر ؛ تناقصت علوم القِبْط شيئاً بعد شيءٍ إلى أن تنصَّروا ، فغادَرُوا عوائدَ أهلِ الشِّرْك ، واتّبعوا ما أُمِروا به من دين النصرانية .. كما ستقف عليه تلو هذا إن شاءَ الله تعالى .

---

(١) **العماليق** : شعب قطن جنوبى فلسطين ، وحارب العبرانيين ، فأبادهم شاؤل وداود .

ذكر دخول قِبْط مصر
فى دين النَّصْرانية

اعلم أن النّصارى : أتباع عيسى نبيّ الله ابن مريم عليه السّلام ، سُمّوا نصارى لأنهم ينتسبون إلى قرية « الناصرة » [1] من جبَل الجليل – بالجيم [2] – ويعرف هذا الجبل « بجبل كنعان » وهو الآن فى زَمَنِنا من جمْلَة معاملة صَفَد [3] .

والأصل فى تسميتهم « نصارى » أن عيسى ابن مريم عليه السّلام ، لما ولدته أُمّهُ مريمُ ابنةُ عمران ، ببيت لحم [4] ، خارج مدينة « بيْت المقْدِس » [5] ثم سارت به إلى أرض مِصْر ، وسكنتها زماناً ، ثم عادت به إلى أرض بنى إسرائيل قومُها ، نزلت قرية « النّاصرة » ، فنشأ عيسى بها . وقيل له « يسوع الناصرى » فلما بعثه الله تعالى رسولاً إلى بنى إسرائيل ، وكان من شأْنه ما ستَرَاه ، إلى أن رفعه الله إليْه ، تفرّق الحواريّون ، وهم الّذين آمنوا به فى أقطار

(١) **الناصرة** : مدينة فى فلسطين فى الجليل . أى فى الجزء الشمالى من فلسطين ، وتبعد ١٤ ميل من بحيرة طبرية ، و١٩ ميلاً من عكا ، و٨٦ ميلاً إلى الشمال من القدس . كانت مسقط رأس مريم ويوسف النجار ، وفيها ظهر الملاك لمريم مبشراً لها بأنها ستكون أم المسيح ، وإليها عادت مريم مع خطيبها من مصر ، وفيها نشأ المسيح وترعرع ، وصرف القسم الأكبر من الثلاثين سنة الأولى من حياته ، ولذلك لقب « اليسوع الناصرى » نسبة إليها .. ولقب تلاميذه بـ« الناصريين » (قاموس الكتاب المقدس ٩٤٦) .

(٢) كلمة : « بالجيم » أسقطها جامع « القول الإبريزى » .

(٣) **صفد** : مدينة فى الجليل الأعلى (فى فلسطين) كانت قاعدة نيابة على أيام المماليك .. وينسب إليها الصفدى المشهور فى التاريخ ورئيس ديوان الإنشاء : خليل بن أيبك الصفدى .

(٤) **بيت لحم** : اسم عبرى . معناه « بيت الخبز » وهى قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال من القدس ولد فيها المسيح عليه السلام ، وفيها كنيسة المغارة التى يقال إن هيلانة بنتها فوق المغارة التى يظن أن المسيح ولد فيها ، وهى أقدم كنيسة مسيحية فى العالم . (راجع قاموس الكتاب المقدس ٢٠٦) .

(٥) **بيت المقدس . أو القدس الشريف** : عاصمة فلسطين . دمرها الرومان ثم أعادوا بناءها فى القرن الثانى .. وفى القرن الرابع – على عهد قسطنطين – شيد فيها المسيحيون الكنائس العديدة على آثار المسيح ، فتحها العرب سنة ٦٣٨م يقدسها المسيحيون ، والمسلمون ، واليهود .. فيحجون إليها من جميع أقطار الأرض . ومن أعظم ما للمسيحيين فيها « كنيسة القيامة » وللمسلمين « المسجد الأقصى » ، و« قبة الصخرة » ولليهود « حائط المبكى » .

الأرض، يدعونَ النّاس إلى دينِه، فَنُسِبوا إلى ما نُسِب إليه نبيّهم عيسى ابنُ مريم، وقيل لهم «الناصرية» ثم تلاعب العرب بهذه الكلمة وقالوا «نصارى».

قال ابن سِيدَه[1]: ونصْرىّ، وناصِرَة، ونَصُوريّة: قرية بالشام. والنّصارى: منسوبون إليها.

هذا قول أهل اللغة، وهو ضعيف، إلا أن نادِرَ النّسب يسيغه.

وأما سيبويه[2] فقال: أمّا النّصارى فذهب الخليل إلى أنه جمع نَصْرِىٍّ، ونصْران. كما قالوا: نَدْمان، وندامَى، ولكنّهم حذفوا إحدى اليائيْن، كما حذفوا من أثْفية، وأَبدلوا مكانها أَلفاً.

(١٥) قال[3]: وأما الذى/ نوجِّهه نحنُ عليْه، فإنّه جاءَ على نصْران؛ لأنه قد تكلّم به، فكأنّكَ جمعْتَ وقلتَ: نصارَى. كما قلتَ: ندامَى، فهذا أقْيَس، والأوَّل مذْهب، وإنما كان أقيَس؛ لأنّا لم نسمَعْهم قالوا: نصْرِىّ[4].

والتنصّر: الدخول فى دين النصرانيّة. ونصَرَهُ: جعله كذلك. والأنْصَر: الأقلف[5]: وهو من ذلك؛ لأن النّصارى قُلْف[6].

(١) **ابن سِيدَة**: على بن إسماعيل أبو الحسن اللغوى النحوى المعروف بـ«ابن سِيدة» الضرير الأندلسى. إمام فى اللغة والعربية، جمع فى اللغة كتاب «المحكم» يقارب عشرين مجلداً، لم ير مثله فى فنه، ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه.. يجرى طبع هذا الكتاب على نفقة الجامعة العربية.. توفى ابن سيدة قريباً من سنة ٤٦٠هـ (إنباه الرواة ٢/ ٢٢٥).

(٢) **سيبويه**: عمرو بن عثمان بن قَنبر. المعروف بـ«سيبويه» إمام النحاة. أخذ النحو عن الخليل بن أحمد. وهو صاحب «الكتاب» المشهور فى النحو العربى. توفى سنة ١٨٠هـ (إنباه الرواة ٢/ ٣٤٦).

(٣) القائل هو ابن سيدة.

(٤) فى كل ما تقدم راجع (لسان العرب «نصر»).

(٥) **الأقلف**: الذى لم يختتن. والقُلفة: الجلدة التى يقطعها الخاتن، من ذكر الصبى، وجمعها: قلْف.

(٦) مما قلّدَ فيه الأقباطُ المسلمين: الاختتان. أحيانا، وكتابة البسملة القرآنية فى مفتتح كتبهم الدينية (حبيب الزيات. الصليب فى الإسلام ٥ - ٧).

وفى شرح الإنجيل : إن معنى قرية ناصرة : الجديدة . والنّصرانية : التجدّد . والنّصرانيّ : المجدِّد .

وقيل : نُسِبوا إلى نَصْران ، وهو من أبنية المبالغة . ومعناه : إن هذا الدِّين فى غيْرِ عصابةِ صاحبِهِ ، فهو دينُ مَنْ ينْصُره من أتباعه .

وإذا تقرَّر هذا فاعلم أن المسيح روحُ الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، هو « عيسى » .

وأصل اسمه بالعبرانية التى هى لغة أُمّه وآبائها إنما هو « ياشوع »[١] وسمته النّصارى « يسوع »[٢] وسماه الله تعالى وهو أصدق القائلين : « عيسى » .

ومعنى « يسوع » فى اللغة السريانية : المخلِّصُ .

قاله فى شرح الإنجيل ، ونعته بالمسيح وهو الصدِّيق .

وقيل : لأنه كان لا يَمْسَح بيده صاحبَ عاهةٍ إلا برئَ .

وقيل : لأنه كان يمْسح رءوس اليتَامى .

وقيل : لأنه خرجَ من بطن أُمّه ممْسوحاً بالدّهن .

وقيل : لأن جبريل عليه السلام مسحَه بجناحِه عنْد ولادته ؛ صوناً له من مسِّ الشيطان .

وقيل : المسيح . اسم مشتقّ من المسْح ، أى الدُّهْن ؛ لأنّ روحَ القدُسِ قامَ بِجَسد عيسَى مقامَ الدّهن الّذى كان عِنْد بنى إسرائيل يمْسح به الملكُ ، ويمْسَح به الكهنوت[٣] .

---

(١) **يشوع** : اسم عبرى ، معناه « يهود خلاص » (قاموس الكتاب المقدس ١٠٦٨) .

(٢) **يسوع** : هو اسمه الشخصى . أما « المسيح » فهو لقبه (قاموس الكتاب المقدس ١٠٦٦) .

(٣) يقول محمد عزة دروزه فى كتابه تاريخ بنى إسرائيل نقلا عن يوسيفوس : « كلمة المسيح وصف كان يطلق على ملوك بنى إسرائيل الذين كانوا يمسحهم الأنبياء بالدهن بأمر الله ليتولوا ملك بنى إسرائيل » وفى هامشه يقول : « وكان أول من مسح شارول ثم داود . ثم استمرت العادة على ما شرحنا قبل » (تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ٣٥٧) .

وقيل : لأنه مُسِح بالبركة .

وقيل : لأنه أمسح الرِّجْلَيْن . ليس لرجْلَيه أخمص .

وقيل : لأنه يمسح الأرضَ بسياحته ، لا يستوْطن مكاناً .

وقيل : هى كلمة عبرانيّة . أصلها « ماسيح » فتلاعبت بها العرب وقالت : « مسيح » .

[مولد المسيح عليه السلام]

وكان من خبره عليه السّلام : أن مريَم ابنةَ عمْران [١] ، بينما هى فى محْرابِها إذْ بشَّرها الله تعالى بعيسى [٢] ، فخرجَتْ من بيْتِ المقْدس وقد اغْتسلتْ من المحيضِ ، فتمثّل لها المَلَكُ بشراً فى صورةِ / يوسُف بن يعْقوب النّجار [٣] . أحد خُدَّام القدْس ، فنفخَ فى جَيْبِها [٤] ، فسرَتْ النفخةُ إلى (١٦)

(١) **مريم ابنة عمران** : كان أبوها عمران رجلاً عظيماً بين العلماء فى بنى إسرائيل . وقد حملت زوجته فنذرت أن تجعل ما فى بطنها من الحمل محرَّراً لخدمة الهيكل . فلما وضعت تبينت أن الجنين الذى انفصل منها أنثى وكانت ترجو أن يكون ذكراً ليخدم فى بيت الله ، فتوجهت إلى الله تعالى كالمعتذرة أو الآسفة قائلة ﴿ **ربِّ إنّى وضَعْتُها أُنْثَى وَالله أعْلمَ بِما وضَعتْ وَلَيْسَ الذّكرُ كالأُنْثى ، وإنّى سَمَّيْتُها مرْيَم وإنّى أُعيذها بِكَ وذرِّيّتها مِنَ الشّيْطانِ الرّجِيم** ﴾ ولكن الله تقبل تلك المولودة (مريم) بقبول حسن ، وأنبتها نباتاً حسناً .

(٢) وكان فيما أخبرها الملك به أن ابنها يسمى المسيح عيسى بن مريم ، وأنه يكون وجيهاً فى الدنيا والآخرة ، وأنه يكون من المقربين ، وأنه يكلم الناسَ فى المهد ، وكهلا ، وأن الله سيعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ، ويعطيه الإنجيل . أى البشارة ، وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله تعالى ورحمة منه لعباده إذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه .

(٣) إن النصارى إذا ذكروا نسب المسيح فإنما يذكرون نسب يوسف النجار .. بناء على أن المسيح كان يدعى : يسوع بن يوسف النجار .

ويوسف النجار : خطيب مريم العذراء ، والدة المسيح عليه السلام ، نجار من أسرة داود الملك ، ومن أهل الناصرة ، أوحى إليه حلما أن مريم حملت من الروح القدس ، وأنها لا تزال عذراء ، فآمن ولم يشك - جاء ذلك فى الأناجيل الأربعة - له مقام عظيم عند الأرثوذكس ، والكاثوليك ، ويقام له عيد فى ١٩ مارس من كل عام .

(٤) **الجيب** : للقميص ونحوه ، وهو ما يُدْخَل منه الرأس عند لُبْسه . وفى القرآن : ﴿ **وليَضْرِبْنَ بخُمرهنّ على جُيُوبهَن** ﴾ .

جوْفِها ، فحملَت بعيسى كمَا تحْمِل النِّساءُ ، بغير ذِكَرٍ ، بلْ حَلّت نفخةُ المَلَك منها محلّ اللِّقاحِ ، ثم وضعَتْ بعدَ تسْعة أشهر .

وقيل : بل وضعت في يوم حمْلِها ، بقرْية بيْت لحم ، من عمَل مدينةِ القدْس ، في يوم الأربعاء ، خامس عشرى كانون الأوَّل . وتاسع عشرى كيهك . سنة تسعِ عشْرة وثلاثمائة للإسكندر [1] فقدِمَت رُسُلُ ملك فارس في طلَبه[2] ، ومعهم هديّة لها ، فيها ذهبٌ ، ومرٌّ ، ولُبان [3] ، فطلبه « هيرودس » ملك اليهود بالقدس ليقْتُله ، وقد أُنْذِر به .

[رحلته عليه السلام]

فسارت أُمّه [4] مريمُ به وعمْره سنتان علَى حمارٍ ، ومعها يوسُف النّجار ، حتّى قدِمُوا إلى أرْض مصر ، فسكنوها مدّة أرْبع سنين ، ثم عادوا ، وعُمْر عيسى ستّ سنين .

[عودته عليه السلام إلى الناصرة ونبوّته]

فنزلتْ بِهِ مريمُ قرية النّاصِرة [5] من جَبل الجليل ، فاستوْطَنتْها ، فنشأَ بها

---

(١) إعلان ولادة المسيح سنة ٥ ق. م (قاموس الكتاب المقدس ٨٧٠) .

(٢) انفرد بهذه الحكاية إنجيل مَتّى من بين الأناجيل الأربعة . وذكرها برنابا في إنجيله وهي تتلخصُ في أن ثلاثة من المشرق المجوس كانوا يرقبون نجوم السماء ، فبدا لهم نجم شديد التألق فجاءوا إلى اليهود يهديهم هذا النجم ، ولما وصلوا إلى أورشليم سألوا : أين ولد ملك اليهود ؟ وسمع هيرودوس ذلك فارتاع وجمع الكهنة والكتبة وسألهم : أين يولد المسيح ؟ فقالوا : في بيت لحم . وأحضر هيرودوس المجوس وسألهم عن مجيئهم فقالوا : إنهم رأوا نجماً في المشرق هداهم إلى بيت لحم ، فجاءوا بهدايا أحبوا أن يقدموها لملك اليهود الذى ولد فأمرهم أن يذهبوا إلى بيت لحم ويبحثوا عن الطفل ويعلموه به ، فذهبوا إلى بيت لحم وسجدوا للطفل ، وقدموا الهدايا ، وخافوا على الطفل من هيرودوس فلم يرجعوا إليه وذهبوا إلى بلادهم .. فأمر بقتل كل طفل ولد في بيت لحم !!

(٣) راجع ابن البطريق ١/ ٩٠ .

(٤) وفي المنام قيل ليوسف خطيب مريم أن يأخذ الصبي وأمه ويهرب بهما إلى مصر (ابن البطريق ١/ ٩٠) .

(٥) فلما سمع يوسف أن هيرودوس الملك قد مات ، عاد مع سيدنا المسيح وأمه فخاف أن يسكن في بيت لحم من أجل « أرشيلاوس » بن « هيرودوس » فسكن بالناصرة ؛ فلذلك سمي « الناصري » .

عيسى ، حتّى بلغ ثلاثين سنة ، فسار هوَ وابنُ خالته « يحيى بن زكريا » [١] عليهما السّلام إلى نهر الأردن ، فاغتسل عيسى فيهِ ، فحلّت عليه النبوّة ، فمضى إلى البرّية [٢] ، وأقام بها أربعين يوماً ، لا يتناول طعاماً ولا شراباً ، فأوحى الله إليه بأنْ يدعو بنى إسرائيل إلى عبادةِ الله تعالى ، فطافَ القُرى ودعا الناسَ إلى الله تعالى ، وأبرأَ الأكْمه ، والأبْرص ، وأحيى الموتى بإذن الله ، وبَكَّتَ اليهودَ وأمرَهم بالزّهْد فى الدنيا ، والتوبة من المعاصى [٣] .

[الحواريون]

فآمن بهِ الحواريّون وكانوا قوماً صيّادين ، وقيل : قصّارين [٤] . وقيل :

---

(١) يحيى (يوحنا المعمدان) بن زكريا واليصابات .

وكان يوحنا المعمدان هذا من أنسباء يسوع المسيح ، عاش متقشفاً فى برية اليهودية ، وفى الثلاثين من عمره ظهر على شاطئ الأردن يعمّد اليهود فى الأردن بالماء ؛ للتوبة غفراناً لخطاياهم ، داعياً إلى الرجوع عن الخطيئة ، ومبشراً بمجئ المسيح القريب ، ولذلك سمى « السابق » .

قطع رأسه هيرودوس الملك على طلب سلومة . راجع (ابن البطريق ١ / ٩١) .

(٢) **البرية** : الصحراء . وأشهرها برية سيناء (قاموس الكتاب المقدس ١٦٩) .

(٣) ذلك أن بنى إسرائيل قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وحرفوا شريعة الله التى جاءهم بها موسى عليه السلام وما أقامهم عليه الأنبياء ، من السبيل السوى فكانوا مثلاً يتحرجون عن عمل الخير فى السبت باعتباره يوم عطلة لا يجوز العمل فيه . والله إنما يريد الكف عن الأعمال الدنيوية ، وأما فعل الخير فإنه لا حرج فيه وليس من الأفعال المنهى عنها . لذلك جاء المسيح ليرد اليهود عن ذلك التنطع المفضى إلى تعطيل الخير فى ذلك اليوم ، وقال : أورشليم يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين إليها ، كم من مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة أفراخها ، تحت جناحها ، فلم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك خراباً (متى . الإصحاح ٢٣) وازدادت تنديداته ، وردوده ، ومواقفه ، وعظاته ، وذيوع صيته ، وافتتان الناس به ، حقدهم عليه وخشيتهم من عواقب حركته ، فاشتدوا فى مطاردته ، والتصميم على إهلاكه ، وطلبوا من الوالى ذلك ! فسألهم : أى شىء صنع ؟! فازدادوا صياحاً وقالوا : يصلب . فلما رأى الكلام غير مفيد ، وأن البلبال متزايد ، أخذ ماء غسل به يديه قدام الجميع قائلاً : إنى برئ من دم هذا الصديق . فأجابه الشعب : دمه علينا وعلى أبنائنا .. فجلد يسوع وأسلمه للصليب فصلبوه فى مكان يسمى « الجلجلة » وجعلوا فوق رأسه علقة مكتوبة : « هذا يسوع ملك اليهود » على سبيل السخرية . وغير ذلك من الأمور الكثيرة . راجع (الإصحاح الثانى عشر والثالث والعشرين من إنجيل متى) .

(٤) **قصارين** : جمع قصّار . المبيض للثياب ، وكان يهيّأ النسيج بعد نسجه ، ببلّة ودقه بالقَصَرَة وهى قطعة من الخشب (المعجم الوسيط) . =

ملاحين . وعددهم اثنا عشر رجلاً[1]، وصدَّقوا بالإنجيل الذى أَنزلهُ الله تعالى عليه ، وكذّبه عامةُ اليهود وضلَّلُوه ، واتَّهموه بما هو برىء منه[2] .

* * *

[التّآمر على قتله عليه السلام]

فكانت له ولهم عدّةُ مناظراتٍ آلت بِهم إلى أن اتّفق أحبارُهم علَى قتْله[3]، وطرقوه ليلة الجمعة .

= وبالبحث وسؤال أهل الملّة لم يثبت أن أحداً من الحواريين كانت له هذه الحرفة .

(١) **الحواريون** : هم أصحاب المسيح وخاصته الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه وبادروا إلى الإيمان به ، وكانوا اثنى عشر رجلاً كما جاء فى إنجيل متى فى الإصحاح العاشر. وهم :

١- سمعان : الذى يقال له (بطرس) . ٢- أندراوس : أخو سمعان (بطرس) .

٣- يعقوب بن زيدى . ٤- يوحنا : أخو يعقوب .

٥- فيلبس . ٦- برثو لماوس .

٧- توما . ٨- متى العشار .

٩- يعقوب بن حلفى . ١٠- لباوس : الملقب (تداوس) .

١١- سمعان القانوى . ١٢- يهوذا الأسخريوطى .

(٢) وذلك ، لأن المسيح قد أحرج الكهنة والفريسيين اليهود بتعاليمه وتجريحه إياهم فى طريقتهم ، وفضح رياءهم وخبثهم ، فأحرجهم ذلك إلى الكيد له ، والتدبير لقتله . فلما اختمر هذا الأمر فى أنفسهم ، شكوا أمره إلى الوالى طبعاً ، وزينوا شكواهم بما يستدعى اهتمام الوالى .. بأن ادَّعوا عليه أنه يقول : إنه مَلِك اليهود . وأنهم لا يُقرّون بِملِكٍ سوى قيصر رومية ، وقالوا : إنه يفسد الأمة ، ويمنع الجزية لقيصر ، فأرسل الوالى جنده للقبض على المسيح .

ويذكر الدكتور إسرائيل ولفنسون : أن المسيح كان من حزب مضاد للسيطرة الرومانية على فلسطين .. فأغرى الحكام الرومانيون اليهود ليشتكوا عليه ، ففعلوا . وأمر الحاكم الرومانى بقتله . هكذا يقول اليهود . راجع (عبد الوهاب النجار . قصص الأنبياء ٥١٣) .

ولعله بسبب من هذا يزعمون اليوم أنهم برءاء من دم المسيح ! ودفعوا بزعمهم هذا إلى بابا الفاتيكان ، فقال لهم : لقد نزل المسيح وآمنا به . أما أنتم فما زلتم تنتظرونه !! وما زالت المشاورات تجرى فى هذا الأمر حتى الساعة .

(٣) كان بنو إسرائيل ينتظرون مسيحاً مخلِّصاً ، وقد أشارت إليه تنبؤات بعض أنبيائهم فى بعض الأسفار ، ولكن لما كانوا ينتظرون مخلِّصاً لهم خاصّة ، يعودون بزعامته إلى سيرتهم الأولى ، القائمة على الأثرة والاستعلاء ، وفكرة الاختصاص . فلما رأوه من جهة يعمم رسالته ودعوته ، حتى =

فقيل : إنه رُفعَ عنْد ذلك .

وقيل : بل أخذوه وأَتوا به إلى بلاطس البنطيّ [١] شحنة القدْسِ [٢] من قِبَلِ الملك طيباريوس قيصر / [٣] . وراودُوه على قتله وهو يدفعهم [٤] عنْه ، حتّى غلَبوه على رأْيه [٥] بأنّ دينَهم اقتضى قتْلهُ [٦] ، فأمكنهم منه [٧] ، وعندما أدْنُوه من الخشَبة ليصلبوه ، رفعهُ اللهُ إليه ، وذلك في الساعة

١٧

= تشمل جميع الأمم .. ويهاجم من جهة أخرى رؤساءهم ، ويندد بهم ، ويتساهل في بعض التقاليد الموسوية على ما جاء في إصحاحات عديدة في هذا الإنجيل - والأناجيل الأخرى - تنكروا له ، وتألبوا عليه ، وأخذوا يناوئونه !!

(١) كان بلاطس البنطي من جزيرة في البحر ، قرب رومية تسمى « بنطة » ولذلك يسمى بيلاطس البنطي . وكان صديقاً للملك طيباريوس . انظر (تاريخ ابن البطريق ٩١/١) .

(٢) **الشحنة** : الجماعة . يقيمها السلطان في بلدٍ مّا لضبطه ، إذن فهو أحد الرجال الذين أقامهم الملك طيباريوس على القدس .

(٣) طيباريوس الإمبراطور الروماني الثاني ، وخلف أوغسطس سنة ٤٢ ق. م .

(٤) وذلك لأن بيلاطس الوالي ، لم ير فيه شرًّا ، ولا أمراً موجباً للقتل ، كما في متى ص ٢٧ فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً . بل بالحريّ يحدث شغب ، أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع ، قائلاً : إني بريئ من دم هذا البار ، أبصروا أنتم .

(٥) قال اليهود لبيلاطس : اصلبه ، فإنه قد أفسد ديننا ، وحلّ ناموسنا ، ويدعى أنه ابن الله ، فجزع بيلاطس من هذا الطلب ، وغسل يديه بالماء ، وتبرأ من دمه . فصاح اليهود : دمه عليهم وعلى أولادهم . وأراد أن يؤمن بالمسيح ويظهر دين النصرانية ، فلم يتابعه أصحابه على ذلك . راجع (ابن البطريق ٩٢/١ و ٩٣) .

(٦) سيق المسيح إلى « قيافا » رئيس الكهنة الذى جمع مجمعاً من الشيوخ والكتبة . وهو ما يعرف اليوم باسم « السنهدرين » لمحاكمته مبيتين النية على الحكم عليه بالموت على ما ذكره الإصحاح السادس والعشرون .. وأخذ المجمع يبحث عمن يشهد عليه بشهادة تساعد على قتله ، وأنه تقدم شهود قالوا : إنه قال : إنى أقدر أن أنقض هيكل الله ، وأبنيه ، فى ثلاثة أيام ، فسأله رئيس الكهنة عما يقوله في الشهادة فلم يجب .. فأقسم عليه أن يقول : هل هو المسيح ابن الله ؟ فقال له : أنت قلت : ثم قال : إنكم من الآن ترون ابن البشر جالساً على يمين القدرة ، وآتيا على سحاب السماء . فلم يكد الرئيس يسمع هذا الكلام حتى شق ثيابه وقال : لقد جدّف ، فما حاجتنا إلى شهود .. وسأل المجمعَ رأيه . فقالوا إنه استوجب الموت .

(٧) قال متى ص ٢٨: أخذ عسكر الوالي يسوع إلى عسكر الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة ، وعرّوه ، وألبسوه ثياباً قرمزياً ، وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ، وقصبة فى يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود : وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه ، وبعدما استهزءوا به ، نزعوا عنه الرداء ، وألبسوه ثيابه ، ومضوا به للصلب .

السادسة من يوم الجمعة خامس عشر نيسان ، وتاسع عشرى شهر برمهات ، وخامس عشر شهر أزار ، وسابع عشر شهر ذى القعدة . وله من العمر ثلاث وثلاثون سنَة ، وثلاث أشهر ، فصلبُوا الّذى شُبِّه لهم [1] ، وصلبوا معهُ لصَّيْن ، وسمّروهم بمساميرَ الحديد ، واقتسم الجنْدُ ثيابَ المصلوب ، فغشيت الأرضَ ظلمةٌ دامت ثلاث ساعاتٍ ، حتى صار النّهار شبْه اللّيل ورُئِيتْ النجومُ ، وكانَ مع ذلك هِزَّة وزَلْزلة ، ثم أنزل المصلوبُ عن الخشَبة بُكْرَة يوم السّبت ، ودفِنَ تحت صخْرةٍ فى قبْرٍ جديد ، ووكلٌ بالقبْر مَن يحْرسُه ؛ لئلا يأْخذ المقبورَ أصحابهُ ، فزعمَ النّصارى أن المقبورَ قامَ مِن قَبْره ليلةَ الأحدِ سَحَراً [2] ، ودخَل

---

(١) وذلك حيث يقول الله تعالى فى سورة النساء :

﴿ وَقولِهِمْ إنّا قَتَلْنا المَسِيحَ عيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله ومَا قتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوه وَلكِنْ شُبِّه لَهُمْ وإنَّ الّذينَ اخْتلفُوا فيهِ لَفى شَكٍّ مِنهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْم إلّا اتّباع الظنّ وما قَتلُوهُ يَقيناً (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ الله إلَيْهِ وكَانَ الله عَزيزاً حَكِيماً (١٥٨)﴾ .

فأنقذه الله من أيديهم وطَهّره منهم ، وألقى شبهه على شخص آخر ، علم فيما بعد أنه تلميذه الخائن . وعرّفته الأناجيل بأنه « يهوذا الإسخربوطى » كما هو مشهور ، وصار بحيث أن كل من رآه لا يشك فى أنه يسوع . فأخذ وصلب وقتل ، ونجا المسيح من شرهم .

وشاع فى الناس أن يسوع الناصرى قتل بعد أن صلب . وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شبه لهم . وتواتر خبر صلبه وشيوعه ، لا يتنافى مع النص القرآنى ، كما هو المتبادر .

(٢) قال متى ص ٢٨:

١ - « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع ، جاءت مريم المجدلية ، ومريم الأخرى ، لتنظر القبر .

٢- وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب جاء من السماء ، وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه .

٣- وكان منظره كالبرق ، ولباسه أبيض كالثلج .

٤- فمن خوفه ارتعد الحرسُ ، وصاروا كأموات .

٥- فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما . فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب .

٦- ليس هو هاهنا . لأنه قام كما قال . هلمّا انظرا القبر الذى كان الرب مضجعاً فيه .

٧- واذهبا سريعاً وقولا لتلاميذه إنه قام من الأموات . هاهو يسبقكم إلى الجبل هناك ترونه . ها أنا قد قلت لكم ... ...

١١- وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة ، وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان .

١٢- فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا ، وأعطوا العسكر فضة كثيرة .

١٣- قائلين : قولوا : إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام » .

عشيّة ذلك اليوْم علَى الحواريِّين، وحادثَهم ووصّاهم [1]، ثمّ بعدَ الأرْبعين يوماً من قِيامه صعدَ إلى السّماء، والحواريّون يشاهدونَه، فاجتمعوا بعد رفْعِهِ بعشْرة أيام فى «عَليّة صِيون» الّتى يُقال لها اليوْم «صهيون» [2] خارج القدْس، وظهرتْ لهم خوارقُ، فتكلّموا بجميع الألسن، فآمَن بِهم - فيما يذكر - زيادةٌ علَى ثلاثة آلاف إنسان.

[رحلة الحواريــين لدعوة الناس لدينهم]

فأخذهم اليهودُ وحبَسوهم، فظهرتْ كرامتُهم، وفتح اللهُ لهم بابَ السِّجن ليْلاً، فخرجوا إلى الهيكل، وطفقوا يدعون النّاسَ، فهمَّ اليهودُ بقتْلِهم، وقد آمن بهم نحو الخمْسةِ آلاف إنسان، فلم يتمكّنوُا مِنْ قَتْلِهم، فتفرّق الحواريّون فى أقطار الأرض، يدعون إلى دين المسيح.

فسار بطرُس رأسُ الحواريين، ومعه شمْعون الصّفا إلى أنطاكية، وروميّة، فاستجابَ لهمْ بشَرٌ كثير، وقُتل فى خامس أبيب، وهو «عيد القصرية» [3].

وسار أندراوس أخوه إلى نيقيّة [4] وما حوْلها، فآمَن به كثير، ومات فى بزنْطِية [5] فى رابع كهيك.

---

(١) ١٩- قائلاً: اذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس.
٢٠- وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم إلى انقضاء الدهر آمين (متى ٢٨).

(٢) **صهيون**: جبل خارج القدس. عليه بنى الهيكل. وفيه المسجد الأقصى، وقبة الصخرة.

(٣) **عيد القصرية**: هو يوم عيد «بطرس، وبولس» وهو يوم استشهادهما ويعرف «بعيد الشهداء». راجع (دير بطرس وبولس. من هذا الكتاب).

(٤) **نيقية. أو نيقيا**: مدينة فى الأناضول، عقد فيها مجمعان مسكونيان، تسمّى اليوم «أزنيق».

(٥) **بيزنطة**: هى إسطنبول. مدينة فى تركيا على ضفّتى البسفور، أسسها الإغريق الأقدمون فى القرن السابع قبل الميلاد، وجعلها قسطنطين عاصمة الإمبراطورية الرومانية بعد أن سماها باسمه «قسطنطينية» سنة ٣٣٠م ثم أصبحت قاعدة الإمبراطورية البيزنطية، إلى أن فتحها الأتراك العثمانيون سنة ١٤٥٣م وفيها استقر السلاطين.. خلفتها «أنقرة» عاصمة الجمهورية التركية، بأمر مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٣م.

(١٨) وسارَ / يعقوب بن زبدى. أخو يوحنّا الإنجيليّ إلى أبدينيّة [١]، فتبعه جماعةٌ، وقُتِل فى سابع عشر برمودة.

وسار يوحنّا الإنجيليّ إلى آسيا [٢] وأفْسُس [٣]. وكتب إنجيلَه باليونانى، بعد ما كتَب متّى، ومرقُص، ولوقا، أناجيلهم [٤]. فوجدَهم قد قَصّروا فى

---

(١) **أبدينية**: مدينة فى الأناضول.

(٢) **آسيا**: أكبر القارات الخمس. حدودها: البحر المتجمد الشمالى، وأوربا، والبحران: الأبيض والأحمر. والمحيطان: الباسفيكى، والهندى.

(٣) **أفسس**: عاصمة المقاطعة الرومانية على شاطئ آسيا الصغرى الغربى، خضعت لروما سنة ١٣٣ق. م وكانت تحتل الصدارة بين مدن آسيا، وكانت ميناء بحريًّا مهماً فى العصور القديمة، ثم أصبحت عاصمة أيونيا بعد أن احتلها الإغريق الأيونيون. وفيها قضى يوحنا السنوات الأخيرة من حياته وخدمته فى أفسس. وقد أصبحت المدينة فيما بعد مركزاً مهماً للمسيحية وقد التأم هناك المجمع الثالث المسكونى فى سنة ٤٣١م وبعد أخذ الأتراك المدينة ١٣٠٨م فليس فيها اليوم إلا الأنقاض التى يسميها الأتراك «أفيس» (قاموس الكتاب المقدس ٩٢).

(٤) **الإنجيل**: كلمة يونانية معناه البشارة، أو الكرازة، أو الدعوة. ويطلق اسم الإنجيل عرفا على تلك الكتب التى وجدت بعد زمان المسيح. تقص أحواله، وأعماله، وأقواله التى وعظ بها، ومعجزاته، وخوارق العادات التى أجراها الله على يده.

والأناجيل عديدة، وأشهرها والمعترف بها، أربعة، وهى: أناجيل متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا، بالتوالى حسب ترتيبها فى المجموعة التى عرفت بـ «العهد الجديد».

قد تسأل: أين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذى ذكره القرآن مرات عديدة ؟!

إن الإنجيل الذى أتى به المسيح وسلمه إلى حوارييه وتلاميذه وأمرهم أن يبشروا به لا يوجد الآن !! وإنما يوجد تعاليم وقصص ألفها التلاميذ وتلاميذ التلاميذ. وقد كثرت الأناجيل كثرة كثيرة حتى أربت على المائة.. ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها. وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من انقطاع السند، وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم.

والأناجيل ترجمة لحياة المسيح كتبها كتابها بعده، ومنهم من استقى ما كتبه من شهود عيان على ما يفيده بعضها، ويرجح كثير من الباحثين أنها كتبت خلال القرن الميلادى الأول.

وهناك إنجيل متداول ومشهور، لكنه غير معترف به فى الكنيسة، وهو إنجيل «برنابا» الذى فيه مطابقة لما جاء فى القرآن الكريم عن شخصية السيد المسيح، وولادته ورسالته، وسيرته.

و «برنابا» هو اسم أحد الرسل المبشرين عقب وفاة السيد المسيح، وأصل اسمه «يوسف» و «برنابا» لقب بمعنى: ابن العزاء.

وفى الإصحاح الثالث عشر من سفر أعمال الرسل من ملحقات «العهد الجديد» ذكر أن «برنابا» و «شاوول» الذى سمى أيضاً باسم «بولص» خرجا للتبشير بأمر روح القدس. انظر أيضاً (الإصحاحات ٤ وما بعدها، من هذا السفر).

أمورٍ فتكلّم عليها ، وكانَ ذلك بعد رفْع المسيح بثلاثين سنَة ، وكتب ثلاثة رسائل ، وماتَ وقدْ أناف على مائة سنة .

وسارَ فيلبس إلى قيْساريّة [1] ، وما حولها ، وقتل بها فى ثامن هاتور ، وقد اتّبَعه جماعاتٌ من الناسَ .

وسارَ برتولوماوس إلى أرمينية [2]، وبلاد البربر ، وواحات مصر ، فآمن به كثير ، وقتل .

وسار توما إلى الهنْد فقتل هناك .

وصار متّى العشّار إلى فلسطين ، وصُور ، وصيْدا ومدينة بُصْرى [3] ، وكتب إنجيله بالعبرانى ، بعد رفْع المسيح بتسع سنين ، ونقله يوحنّا إلى اللغة الرومية ، وقُتِل مَتّى بقرطاجنّة [4] ، فى ثامن عشر بابه بعد ما استجاب له بشرٌ كثير .

وسار يعقوب بن حلفى إلى بلاد الهند ، ورجع ، إلى القدس ، وقتل فى عاشر أمشير .

وسار يهوذا بن يعقوب من أنطاكية [5] إلى الجزيرة [6] ، فآمن به كثيرٌ من الناس ، ومات فى ثانى أبيب .

---

(١) **قيسارية** : ولاية فى وسط تركيا . عاصمتها « قيسارية » من أهم المدن التاريخية بتركيا . تزخر بالعمائر والمساجد السلجوقية والأضرحة ، وبها متحف يضم آثاراً من عصر الحيثيين .

(٢) **أرمينية** : أنجاد وجبال فى آسيا الصغرى ، جنوب القفقاز بين أنجاد إيران شرقاً ، والأناضول غرباً ، وبين بحر قزوين ومسيل الفرات الأعلى .

(٣) **بُصْرَى** : بلدة فى حوران ، تدل آثارها الرائعة على ما كان لها من مجد فى قديم الزمان ، وكانت أول مدينة فتحها العرب فى الشام إذ سقطت فى يد خالد بن الوليد سنة ٦٣٤م .

(٤) **قرطاجنّة** : مدينة جنوب شرق إسبانيا ، وميناء على البحر الأبيض .

(٥) **أنطاكية** : مدينة فى تركيا ، ثالثة مدن الإمبراطورية الرومانية ، بعد روما ، والإسكندرية . فيها أقام القديس بطرس ، ومن بعده القديس الشهيد « أغناطيوس الأنطاكى » وهى مركز بطريركية . دمّرها الفرس سنة ٥٤٠م وأجهزت عليها الزلازل فى القرن السادس . دخلها السلطان بيبرس سنة ١٢٦٨م وفيها ألقى مواعظه القديس يوحنا فم الذهب . وفتحها العرب سنة ٦٣٨م .

(٦) **الجزيرة** : بلاد بين دجلة والفرات ، وتعرف بـ « بلاد ما بين النهرين » الجزء الشمالى الغربى منها يسمى « الجزيرة » والجنوب الشرقى « العراق » .

وسار شمعون إلى سميساط [1]، وحلب، ومنْبج، وبزنطية، وقتل فى سابع أبيب.

وسار متياس إلى بلاد الشرق، وقتل فى ثامن عشر برمهات.

وسار بولص الطرسوسى إلى دمشق، وبلاد الروم، وروميه، فقتل فى خامس أبيب.

وتفرّق أيضاً سبعون رسولاً [2] أُخَر فى البلاد، فآمن بهم الخلائق، ومن هؤُلاء السبعين.

(١) [3]

[مرقس الرسول

سنة ٦١م [*]]

وكان اسمه أولًا يوحنا، فعرَفَ ثلاثةَ ألْسُن: الفرنْجى، والعبرانى، واليونانى. ومضى إلى بطرس بروميه، وصحبه وكتب الإنجيل عنده بالفرنجيّة بعد رفْع المسيح باثنتى عشرة سنة، ودعا النّاس بروميه، ومصر، والحبشة، والنوبة، وأقام حنانيا أسقفاً على الإسكندرية، وخرج إلى برْقة [4]

---

(١) سميساط: مدينة فى الأناضول. فتحها صلاح الدين الأيوبى عند مخاضه الفرات.

(٢) وقف منهم اليهود موقف المنقبض المتجهم، وقاد رؤساء اليهود حركة مقاومة، ومناوأة، ومطاردة قوية ضد الرسل، فكانوا يؤذونهم بمختلف الوسائل والأشكال ويهيّجون عليهم الناس، ويستعدون عليه السلطات، ويصفونهم بالمفسدين المثيرين للفتن، والمخلّين بناموس الشريعة. ويتمكنون أحياناً من اعتقال بعضهم.. فكان يؤدى هذا إلى تشاد وحركة مستمرة سلبية وإيجابية بين بنى إسرائيل والجماعات المسيحية، كثيراً ما نتج عنه نزاع وقتال.

(٣) كل من وضعنا فوقه مثل هذا الرقم مسلسلاً، فهو أحد بطاركة الكنيسة المصرية أو «الأرسوذكس».

(*) مرقص الإنجيلى أو مرقص الرسول أول بطاركة كنيسة الإسكندرية فى تسع سنين من ملك قاديوس قيصر. أقام: ٨ أشهر وسبع سنين (ابن البطريق ١/ ٩٥) و (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، لساويرس بن المقفع. أسقف الأشمونيين ١٩ - ٢٢، وادى النطرون للأمير عمر طوسون ١٠٠).

(٤) برقة: منطقة تمتد من غرب الإسكندرية حتى شرقى ليبيا اليوم ومن مدنها بنى غازى ومدينة برقة الحالية فى شرقى ليبيا كانت عاصمتها. فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤١م.

فكثرت النصارى / فى أيامه، وقتل فى ثانى عيد الفصح[1] (١٩) بالإسكندرية.

[لوقا الإنجيلى]

ومن السبعين أيضاً «لوقا» الإنجيلىّ الطبيب، تلميذ بولص، كتب الإنجيل باليونانية عن بولص بالإسكندرية، بعد رفْع المسيح بعشرين سنَة، وقيل باثنتين وعشرين سنة.

ولما فَرّ بطرُس رأْس الحواريين من حبْس رومية، ونزل بأنطاكية أقام بها داريوس[2] بطركاً.

وأنطاكية أحد الكراسي الأربعة التى للنصارى. وهى: رومية، والإسكندرية، والقدس، وأنطاكية.

* * *

[داريوس بطرك أنطاكية]

فأقام «داريوس» بطرك أنطاكية سبعاً وعشرين سنة، وهو أوَّل بطاركتها، وتوارث من بعده البطاركةُ بها البطركيةَ، واحداً بعد واحد.

---

(١) **عيد الفصح**: كانت فيه قيامة المسيح من الأموات حسب زعمهم وهو أعظم أعياد المسيحيين. يقع فى «يوم الأحد» الذى بعد البدر الأول من الربيع. يحيون فيه ذكرى قيامة يسوع من القبر فى اليوم الثالث بعد الصلبوت والموت فى الجمعة العظيمة.

والفصح: محور الأعياد والطقوس المسيحية، يتقدمه أحد الشعانين. ويليه خميس الصعود، بعد ٤٠ يوماً. وأحد العنصرة، بعد ٥٠ يوماً.

(٢) وهو ما يعرف بـ «أركاديوس» وهذا أول بطريرك صير فى مدينة «أنطاكية» أقام سبعاً وعشرين سنة. راجع (ابن البطريق ١/ ٩٤).

ودعا شمعون الصفا[1] برومية خمساً وعشرين سنة فآمنت به « بطركية »[2] وسارت إلى القدس، وكشفت عن خشبات الصليب، وسلمتها إلى يعقوب بن يوسف الأسقف، وبنت هناكَ كنيسةً، وعادت إلى رومية، وقد اشتدَّت على دين النصرانية، فآمن معها عِدَّة من أهلها. واجتمع الرسُلُ بمدينة رومية، ووضعوا القوانين، وأرسلوها على يد « قليموس » تلميذ بطرس.

فكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها من العَتِيقة والجديدة.

[الكتب التي يجب قبولها من العتيقة والجديدة]

فأما العتيقة: فالتّوراة، وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة، وكتاب راعوث[3]، وكتاب يهوديت، وسِيَر الملوك، وسِفْر بنيامين، وكتب المقابيين، وكتاب عزرة، وكتاب أستير، وقصة هامان، وكتاب أيّوب، وكتاب مزامير داود، وكتُب سليمان بن داود، وكتب الأنبياء، وهي ستة عشر كتاباً، وكتاب يوشع بن شيراخ.

وأما الكتب الحديثة: فالأناجيل الأربعة، وكتاب القاثوليقون[4]، وكتاب بولص، وكتاب الأبركسيس، وهو قصص الحواريين، وكتاب قليموس، وفيه ما أمَرَ به الحواريون وما نَهوا عنه.

---

(١) أفادني الزميل الدكتور يواقيم رزق من العلمانيين الأقباط - أن: شمعون الصفا: هو بطرس رأس الحواريين. ويدعى: شيمون، أو سيمون، وشمعون، وسمعان، والصفا.

وبطرس: اسم يوناني - معناه « الصخرة أو الحجر ». ويقابلها في العربية « صفا » (قاموس الكتاب المقدس).

(٢) **بطركية**: هنا.. هي الجماعة من المؤمنين برسالتهم.

(٣) في الخطط: « راعون » بدل « راعوث ».

(٤) في الخطط: « القليتليقون » بدل « القاثوليقون ».

[أريوس بطرك رومية]

ولما قتل الملِكُ نيرون قيصر بطرسَ رأسَ الحواريين برومية ، أُقيم من بعده « أريوس » بطرك رومية / وهو أوَّل بطرك صار على رومية ، فأقام في البطركية اثنتى عشرة سنة ، وقام من بعده البطاركةُ بها واحِداً بعدَ واحد ، إلى يومنا هذا الذى نحن فيه . (٢٠)

* * *

[يعقوب أسقف القدس]

ولما قُتِل يعقوبُ أسقف القدس على يد اليهود هدَمُوا بعدَه البِيْعةَ ، وأخذوا خشبَةَ الصّليب ، والخشبتين معها ، ودفنوها ، وألقوا على موضعها تراباً كثيراً ، فصار كوْماً عظيماً ، حتى أخرجتها « هيلانة » أُم قسطنطين كما ستراه قريباً إن شاء الله تعالى .

[سـمعان]

وأقيم بعد قتل يعقوب « سمْعان » ابن عمه . أسقف القدس فمكث اثنتين وأربعين سنة أسقفاً ومات ، فتداول الأساقفة بعده الأسقفية بالقدس ، واحداً بعد آخر .

* * *

[بطاركة الكنيسة المصرية [1]]

(٢)

[حنانيا بطرك الإسكندرية
سنة ٦٤م (*)]

ولما أقام مرقص [2] « حنانيا » ويقال « أنانيو » بطرك الإسكندرية جعل معه اثنى عشر قساً ، وأَمرهم إذا مات البطرك أن يجعلوا عِوضَهُ واحداً

---

(١) يلاحظ أنه قد يختلف بعض منطوق ومكتوب أسماء البطاركة والملوك وغيرهم عند المقريزى عن منطوق ومكتوب ما فى سائر المصادر كابن البطريق وساويرس بن المقفع فى كتابيهما « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . لأفتشيوس المكنى بسعيد بن البطريق ، وتاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس بن المقفع » وقد أثبت فى كتابنا هذا « القول الإبريزى للعلامة المقريزى » نص ما قاله المقريزى فى خططه ، وعلىّ كمحقق أن أثبت نص ما قاله المؤلف . وأشير فى الهامش إلى ما يمكننى أن أثبته من سلامة المنطوق والمكتوب .

كما يلاحظ أن ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين قصر كتابه « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . المعروف « بسير البيعة المقدسة » على بطاركة اليعاقبة . وأسقط البطاركة الملكانيين وغيرهم من البطاركة الذين أقامهم القياصرة على الكنيسة المصرية . وقد أثبت المقريزى فى كتابنا هذا الكثير منهم .

(*) هو البطريرك « أنيانوس » ثانى بطاركة الإسكندرية . أقامه بطرس الرسول ٧ أشهر و ٢٢سنة راجع (ابن البطريق ١/ ٩٥، وادى النطرون وأديرته ورهبانه ، ومختصر تاريخ البطاركة للأمير عمر طوسون ١٠١) .

(٢) **مرقص الإنجيلى أو مرقص الرسول** (رقم ١) : أقام بمدينة الإسكندرية يدعو الناس إلى الإيمان بالسيد المسيح فبينما مرقص يمشى فى مدينة الإسكندر إذا انقطع شسع نعله ، فجلس عند رجل إسكاف يقال له « حنانيا » ليصلح نعله ، وأخذ حنانيا الأشفا ليثقب النعل ، فثقب به إصبع نفسه ، فسال منه دم كثيراً وأوجعه وجعاً شديداً . فتبرم بمرقص الرسول ! فقال له مرقص : إن أنت آمنت بيسوع المسيح ابن الله فإن إصبعك تبرأ ، فبرئت إصبعه للوقت وانقطع الدم ، فآمن حنانيا من ساعته بالمسيح وعده مرقص وصيّره بطريركاً على الإسكندرية . راجع فى بطرس الرسول (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ١/١٩ وما بعدها) وابن البطريق ١/ ٩٠٥، وادى النطرون ورهبانه وأديرته ، ومختصر تاريخ البطاركة لعمر طوسون ١٠٠) .

منهم ، ويقيموا بدلَ ذلك القسّ واحداً من النصارى ، حتى لا يزالوا أبداً اثنى عشر قساً ، فلم تزل البطاركة تُعْمَل من القسوس إلى أن اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر كما ستراه إن شاء الله تعالى .

[أول من لقب بـ « البابا » ونصَّبَ الأساقفة]

وكان بطرك الإسكندرية يقال له « البابا » من عهد « حنانيا » هذا أوَّل بطاركة الإسكندرية ، إلى أن أُقيم .

ديمتريوس [1] . وهو الحادى عشر من بطاركة الإسكندرية ، ولم يكن بأرض مصر أساقفة ، فنصّب الأساقفةَ بها وكثروا [2] ، فغزاها فى بطركيته « هرقل » وصار الأساقفة يسمون البطرك « الأب » والقسوس وسائر النصارى يسمون الأسقف « الأب » ويجعلون لفظة « البابا » تختص ببطرك الإسكندرية ، ومعناها : أبو الآباء . ثم انتقل هذا الاسم عن كرسى الإسكندرية إلى كرسى روميّة من أجْل أنه كرسى بطْرس ، رأس الحواريين ، فصار بطرك « رومية » يقال له « البابا » واستمرَّ على ذلك إلى زمننا الذى نحن فيه وأقام « أنانيو » وهو « حنانيا » فى بطركية الإسكندرية اثنتين وعشرين سنة / ومات فى عشرى هاتور سنة سبع وثمانين لظهور المسيح . (٢١)

(١) يقول ساويريس بن المقفع ٢٦/١ ديمتريوس هو من العدد الثانى عشر وهو الثانى عشر فى جميع مصادرنا : وهو فلاح متزوج لا يقرأ ولا يكتب وكان قد خرج يُقَلِّم كرمه فوجد فيه عنقود عنب فى غير أوان العنب فجاء به إلى البطرك فقال يوليانوس البطرك للشعب الذى كان حاضراً عنده : هذا بطرككم كما قال لى ملاك الرب البارحة ، وكان الشعب يحب هذا البطريرك ويقولون : إنه الثانى عشر من مرقص .

هذا هو قول ساوريس بن المقفع ومعنى هذا أنهم يعدون بطرس الرسول أول البطاركة ، وعلى هذا الأساس اعتبر الأستاذ مرقص سميكه باشا « ديمتريوس » البطرك الثانى عشر . أقام ٧ أشهر و٣٢ سنة (دليل المتحف القبطى ٢/ ١٦٢) .

(٢) (تاريخ ابن البطريق ١/ ٩٦، وتاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع ١/ ٢٦) .

(٣)

[مينيو

سنة ٨٦م[*]]

فأُقيم بعده « مينيو » فأقام ثِنْتَيْ عشرة سنة وتسع أشهر ومات . وفى أثناء ذلك ثار اليهود على النصارى ، وأخرجوهم من القدْس ، فعبروا الأردن ، وسكنوا تلك الأماكن ، فكانَ بعد هذا بقليل خرابُ القدس ، وجلايَةُ اليهود ، وقتلهم على يد « طيطش »[١] « ويقال طيطوس » بعد رفع المسيح بنحو أربع وأربعين سنة[٢] ، فكثرت النصارى فى أيام بطركية « مينيو » وعاد كثير منهم إلى مدينة القدس بعد تخريب « طيطش » لها ، وبنوا بها كنيسةً وأقاموا عليها « سمْعان » أسقفاً .

(٤)

[كرتيانون

سنة ٩٩ م[**]]

ثم أقيم بعد « مينيو » فى الإسكندرية فى البطركية « كرتيانو » وفى أيام

(*) هو البطرك الثالث من بطاركة كنيسة الإسكندرية . أقام ٩ أشهر و١٢ سنة (دليل المتحف القبطى ٢/ ١٦١، أديرة وادى النطرون ورهبانه ، ومختصر تاريخ البطاركة ١٠١) .

(١) « تيطس » فى تاريخ ابن البطريق وهو ابن نادون قيصر . راجع فيما فعله طيطس هذا (تاريخ ابن البطريق ٩٨/١ وما بعدها) .

(٢) يقول ابن البطريق ١/ ٩٨: « فمن ميلاد سيدنا المسيح إلى أن خرب تيطس بيت المقدس سبعون سنة » .

(**) هو « كردونوس » البطرك الرابع من بطاركة الإسكندرية أقام ٤ أشهر و١٠ سنة . أقامه على الإسكندرية « دوماطيانوس » الذى ملك بعد أخيه « طيطس » (دليل المتحف القبطى ٢/ ١٦١، أديرة وادى النطرون ١٠١) .

الملك «أنديانوس» قيصر، أصاب النّصارى منه بلاءٌ كثير، وقتل منهم جماعةً كثيرةً، واستبعد باقيهم، فنزل بهم بلاءٌ لا يوصف فى العبودية، حتى رَحِمَهم الوزراءُ وأكابر الرُّوم، وشفَعُوا فيهم، فَمنَّ عليهم قيصر وأَعتقهم، ومات «كرتيانو» بطرك الإسكندرية فى حادى عشر برمودة، بعد ما دبّر الكرسى إحدى عشرة سنة، وكان حميد السيرة.

(٥)

[إيريمو
سنة ١١٢م (*)]

فقدم بعده «إيريمو» فأقام اثنتى عشرة سنة ومات فى ثالث مسرى.

واشتدّ الأمرُ على النّصارى فى أيام الملك «أريدويانوس» وقَتَل منهم خلائقَ لا يُحْصى عددُهم، وقدِم مصرَ فأفنى من بها من النّصارى، وخرَّب ما بُنى فى مدينة القدس من كنيسة النّصارى، ومنعهم من التردّد إليها، وأنزل عوضَهم بالقدس اليونانيين، وسمى القدسَ «إيليّا» فلم يتجاسر نصرانى أن يدنو من القدس.

(٦)

[يسطس
سنة ١٢٤ م (**)]

وأُقيم بعد موت «إيريمو» بطرك الإسكندرية «يسطس» فأَقام إحدى عشرة سنة ومات فى ثانى عشر بئونة.

(*) هو «بريموس» البطرك الخامس من بطاركة كنيسة الإسكندرية. أقام ١ شهراً و١٢ سنة (دليل المتحف القبطى، أديرة وادى النطرون ورهبانه، ومختصر تاريخ البطاركة ١٠٢).

(**) هو: البطرك السادس من بطاركة كنيسة الإسكندرية. أقام ١٠ أشهر و١٠ سنين (المصدر السابق، وأديرة وادى النطرون ورهبانه، ومختصر تاريخ البطاركة ١٠٢).

والمذكور فى الخطط والقول الإبريزى: «بسطس» بالباء الموحدة والمذكور هنا عن دليل المتحف القبطى.

(٧)

[أرمانيون
سنة ١٣٥م(*)]

فخلف بعدهُ « أرمانيون » ، فأقام عشر سنين وأربعة أشهر ومات فى عاشر بابة .

(٨)

[موقيانو
سنة ١٤٩م(**)]

فأُقيم بعدهُ « موقيانو » بطرك الإسكندرية تسع سنين وستة أشهر ومات فى سادس طوبة / . (٢٢)

(٩)

[كلوتيانو
سنة ١٥٥م(***)]

فقدم بعده على الإسكندرية « كلوتيانو » ، فأَقام أربع عشرة سنة ، ومات فى تاسع أَبيب .

(*) هو « ميانوس » البطرك السابع من بطاركة كنيسة الإسكندرية . أقام ٣ أشهر و١١ سنة (دليل المتحف القبطى ،وانظر ابن البطريق ١/١٠٢ ، أديرة وادى النطرون ورهبانه ومختصر تاريخ البطاركة) .

(**) هو : « مريانوس » البطريرك الثامن .. أقام ٢ شهراً و٩ سنة (ابن البطريق ١/١٠٢، ودليل المتحف القبطى ، أديرة وادى النطرون ورهبانه ، ومختصر تاريخ البطاركة للأمير عمر طوسون ١٠٢) .

يلاحظ أننى سأشير إلى المرجع السابق بـ « مختصر تاريخ البطاركة » فقط .

(***) هو : « كلاديانوس » البطرك التاسع من بطاركة الكنيسة المصرية . أقام ٦ أشهر و١٤ سنة راجع (بطاركة الكنيسة المصرية ١/ ٢٥، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٣) .

وفى أيامه اشتدَّ الملك «أوليانوس» قيصر على النصارى وقتل منهم خلقاً كثيراً .

(١٠)

[غرنبو

سنة ١٦٩م (*)]

وقدم على كرسى الإسكندرية بعد « كلوتيانو » ، « غرنبو » بطركاً ، فأَقام اثنتى عشرة سنة ، ومات فى خامس أمشير .

[حساب الفصح ، والصوم]

وفى أيام بطركيته اتفق رأْى البطاركة بجميع الأمصار على حساب فصْح النّصارى ، وصومهم ، ورتّبوا كيفَ يُستَخرج ، ووضعوا حساب الأبقطى ، وبه يستخرجون معرفة وقت صومهم وفصْحِهم ، واستمرَّ الأمر على ما رتّبوه فيما بعد ، وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغِطاس أربعين يوماً كما صام المسيح عليه السلام ، ويفْطُرون .

وفى عيد الفصح يعملون الفصح [١] مع اليهود ، فنقل هؤُلاءِ البطاركة الصوم وأوصلوه بعيد الفصح ؛ لأن عيد الفصح كانت فيه قيامةُ المسيح من الأموات بزعمهم ، وكان الحواريّون قد أَمروا أَلَّا يغيّر عن وقته ، وأن يعملوه كل سنة فى ذلك الوقت [٢] .

(*) هو : « أغرينيوس » البطرك العاشر من بطاركة كنيسة الإسكندرية . أقام ٧ أشهر و١١ سنة راجع (البطاركة ١/ ٢٥، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٣) .

(١) خطط المقريزى « الفسح » بدل « الفصح » والمذكور عن « القول الإبريزى » .

(٢) راجع فى ذلك ما يقوله ابن البطريق فى كتابه (١٩٢/٢ - ١٩٣) .

(١١)

[يوليانوس
سنة ١٨١ م(*)]

ثم أُقيم بكرسى الإسكندرية بعد « غرنبو » فى البطركية « يوليانوس » فأَقام عشْرَ سنين ، ومات فى ثامن برمهات .

(١٢)

[ديمتريوس
سنة ١٩١م(**)]

فاستخلف بعده « ديمتريوس » فأَقام بعده فى البطركية ثلاثاً وثلاثين سنة ومات ، وكان فلاحاً أميّاً ، وله زوجة ، ذُكِر عنه أنه لم يجامعها قط .

[محنة سريانوس]

وفى أيامه أثار الملك « سوريانوس قيصرٌ » على النّصارى بلاءً كبيراً فى جميع مملكته ، وقتـل منهم خلقاً كثيراً ، وقَـدِم مصرَ ، وقتلَ جميـعَ مَنْ فيها من النّصارى ، وهدَم كنائسهم ، وبنى بالإسكندرية هيـكلاً لأصنامه .

* * *

(*) هو : « يوليانوس » البطرك الحادى عشر من بطاركة كنيسة الإسكندرية . أقام : ١شهراً و١٠ سنين (البطاركة ١/ ٢٥، ومختصر تاريخ البطاركة ١٠٣) .

(**) هو : « ديمتريوس » البطرك الثانى عشر من بطاركة كنيسة الإسكندرية . أقام : ٧ أشهر و٣٢ سنة (البطاركة ١/ ٢٦، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٤) . وانظر الترجمة (رقم ٢) .

(١٣)

[باركالا
سنة ٢٢٤م (*)]

ثم أُقيم بعدَه فى بطركية الإسكندرية « باركلا » فأَقام ست عشرة سنة ومات فى ثامن كيهك، فلقى النصارى من الملك « مكسيموس » قيصر شدَّة عظيمة، وقتل منهم خلْقاً كثيراً.

فلما مَلك « فيلبس قيصر » أكرم النّصارى .

(١٤)

[ديوسيوس
سنة ٢٤١م (**)]

(٢٣) وقدم علَى بطركية الإسكندرية « ديوسيوس » فأَقام / تسع عشرة سنة ومات فى ثالث توت .

وفى أَيامه كان الراهب « أنطونيوس المصرى » وهو أَوَّل من ابتدأَ بلبس الصوف، وابتدأَ بعمارة الدِّيارات فى البرارى، وأنزل بها الرهبان .

ولِقَى النّصارى من الملك « داقيوس قيصر » شدّةً، فإنه أمرهم أن يسجدوا لأصنامه، فأَبوا من السّجود لها، فقتلهم أبرح قتْلة، وفرَّ منه الفتْيَة

(*) « باركلا البطرك » وهو العدد الثالث عشر عند ساويريس بن المقفع، أقام : ١ شهراً و١٦ سنة . راجع (بطاركة الكنيسة المصرية ١/ ٣٦) وهو البطرك الثالث عشر « باركلاس » مختصر تاريخ البطاركة ١٠٤ .

(**) « ديونوسيوس البطرك » وهو العدد الرابع عشر . أقام : ٩ أشهر و١٩ سنة . راجع (بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع ١/ ٣٨، ومختصر تاريخ البطاركة ١٠٥) .

أصحابُ الكهْفِ من مدينة أفسس واخْتفوا فى مغارةٍ فى جبل شرقىّ المدينة ، وناموا ، فضربَ الله على آذانهم ، فلم يزالوا نائمين ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً[1] .

(١٥)

[مكسيموس
سنة ٢٦٢م(*)]

فقام مِن بعده بالإسكندرية « مكسيموس » وأَقام بطركاً اثنتى عشرة سنة ، ومات فى رابع عشر برموده .

(١٦)

[تئوبا
سنة ٢٧٤م(**)]

فأُقيم بعده « تئوبا » بطركاً مدَّة سبع سنين وتسعة أشهر ومات ، وكانت النّصارى قبله تصلى بالإسكندرية خفْيَةً من الروم ، خوفاً من القتل ، فلاطف « تئوبا » الروم وأهدى إليهم تحفاً جليلة ، حتى بنى كنيسةَ مريم بالإسكندرية ، فصلى بها النصارى جهراً .

واشتدَّ الأمر على النصارى فى أيام الملك « طيباريوس قيصر » وقتل منهم خلقاً كثيراً .

---

(١) راجع أصحاب الكهف عند ابن البطريق ١/١١٢ و١٥٠ و١٥١ .

(*) هو البطرك الخامس عشر من بطاركة الكنيسة المصرية .. أقام : ٧ شهراً و١٢ سنة (البطاركة ١/ ٤٥، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٥) .

(**) هو : « تاوتا » البطرك السادس عشر من بطاركة الكنيسة المصرية .. أقام ٩ شهراً و٩ سنة (البطاركة ١/ ٥١، ومختصر تاريخ البطاركة ١٠٦) .

فلما كانت أيام «دقلطيانوس قيصر»[1] خالف عليه أهل مصر والإسكندرية، فقتل منهم خلقاً كثيراً، وكتب بغلْق كنائس النّصارى، وأمر بعبادة الأصنام، وقتل من امْتنع منها، فارتدَّ خلائقُ كثيرة جدًّا.

(١٧)

[بطرس خاتم الشهداء
سنة ٢٨٥م (*)]

وأقام فى البطركية بعد «تئوبا» «بطرس» فأَقام إحدى عشرة سنة، وقُتِل فى الإسكندرية بالسيف، وقُتل معه امرأَته وابْنتاه؛ لامْتناعهم من السّجود للأصنام.

(١٨)

[أرشلاوس
سنة ٢٩٥م (**)]

فقام بعده تلميذه «أرشلاوس» فأقام ستة أشهر، ومات.

---

(١) **دقلطيانوس**: أحد قياصرة الروم، ملك فى منتصف سنة ٥٩٥ من سنى الإسكندر، فلما كان فى السنة التاسعة عشر من ملكه، وقيل: الثانية عشر خالف عليه أهل مصر والإسكندرية فبعث إليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنائسهم، ومنع من دين النصرانية، وحمل الناس على عبادة الأصنام (!!) وبالغ فى الإسراف فى قتل النصارى. وأقام ملكاً إحدى وعشرين سنة، وهلك بعد علل صعبة دوّد منها بدنه، وسقطت أسنانه، وهو آخر من عبد الأصنام من ملوك الروم، ومن ملك بعده فإنما كان علي دين النصرانية.. وكانت واقعته بالنصارى هى الشدّة العاشرة، وهى أشنع شدائدهم وأطولها؛ لأنها دامت عليهم عشر سنين، لا يفتر يوما واحد يحرق فيها كنائسهم، ويعذب رجالهم، ويطلب من استتر منهم أو هرب ليقتل. يريد بذلك قطع أثر النصارى، وإبطال دين النصرانية من الأرض.

فلهذا اتخذوا ابتداء ملك «دقلطيانوس» تاريخاً وأسماء شهور القبط: توت. بابه. هاتور. كيهك. طوبة. أمشير. برمهات. برموده. بشنس. بئونه. أبيب. مسرى. فهذه اثنا عشر شهراً كل شهر منها ثلاثون يوماً (خطط المقريزى ١/ ٢٦٢).

(*) أقام ١١ شهراً، و١٠ سنة. راجع (بطاركة الكنيسة المصرية العدد (١٧) ١/١٥- ٦٢، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٦).

(**) «أرشلا»: أقام ٦ شهور فقط راجع (بطاركة الكنيسة المصرية العدد (١٨) ١/ ٦٣، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٦). =

وبـ « دقلطيانوس » هذا ، وقتْلِه لنصارى مصر يؤَرخ قبط مصر إلى يومنا هذا ، كما قد ذكرناه فى تاريخ القبط عند ذكر التواريخ من هذا الكتاب فراجعْه [1] .

ثم قام مِنْ بعده « مكسيمانوس قيصر » فاشتدَّ علَى النّصارى وقتلَ منهم خلْقاَ كثيراً ، حتّى/ كانت القتْلَى منهم تُحمَل على العَجَل وتُرْمى فى البحر . (٢٤)

(١٩)

[إسكندروس
سنة ٢٩٥م (*)]

ثم قام بعد « أرشلاوش » فى بطركية الإسكندرية « إسكندروس » تلميذ بطرس الشهيد ، فأَقام ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات فى ثانى عشر برموده .

وفى بطركيته كان مجْمَع النصارى بمدينة « نيقية » [2] وفى أيامه كتب النّصارى وغيرهم من أهل رومية إلى قسطنطين . وكان على مدينة « بِزنْطية » يحثّونه على أن يُنقِذَهم من جَوْرِ « مكسيمانوس » [3] وشكوا إليه عتوَّه ، فأَجمع على المسيرِ لذلك ، وكانت أُمُّه « هيلانى » [4] من أهلِ قرى مدينة

= يقول ابن البطريق (١٢٨/١) إن الإسكندروس البطرك الذى يأتى بعد هذا وكان زميلاً له فى التلمذة على « بطرس » .

« إن الإسكندروس أسقط شيلا ، رفيقه الذى كان قبله بطريك على الإسكندرية من رتبة البطريركية من أجل أنه قبل « أريوس » وخالف ما أمر به معلمه « بطرس » بطريرك إسكندرية الشهيد .

(١) أى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ١/ ٢٦٢.

(*) « الإسكندروس » وهو من العدد التاسع عشر .. أقام ١٠ شهراً ، و٢٢ سنة (بطاركة الكنيسة المصرية ٦٣، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٦) .

(٢) **نيقية** : مدينة قديمة بآسيا الصغرى ، كانت مركزاً تجارياً مزدهراً ، فى ظل الحكم الرومانى ، ومقراً لمجمعين كنسيَّيْن سنتى ٣٢٥م و٧٨٧م .

(٣) **مكسيمانوس** : المسمى غلاريوس : إمبرطور رومانى محبٌّ للنساء ، وكان النصارى معه هو وأصحابه فى شدة شديدة . راجع (تاريخ ابن البطريق ١/ ١١٨) .

(٤) **هيلانى** : هى « هيلانة » وانظر الحديث عنها فى ذيل هذا الكتاب .

« الرُّها »[1] قد تنصَّرت على يد أسقف « الرها » وتعلّمت الكتبَ فلما مرَّ بقريتها « قسطس » صاحب شرطة « دقلطيانوس » رآها فأَعجبته فتزوجّها ، وحملها إلى « بزنطية » مدينته ، فولدت له « قسطنطين » وكان جميلاً ، فأَنذر « دقلطيانوس » منجموه بأَنّ هذا الغلام « قسطنطين » سيملك الرُّوم ويبدّلَ دينَهم ، فأراد قتله ، ففرَّ منه إلى « الرُّها » وتعلّم بها الحِكْمةَ اليونانية حتّى مات « دقلطيانوس » فعاد إلى « بزنطية » فسلمها له أبوه « قسطس » ومات .

فقام بأَمْرِها بعد أبيه إلى أن استدعاه أهل « رومية » فأَخذ يدبّر في مسيره .

[أول من رفع الصليب]

فرأَى في منامه كواكبَ في السماء على هيئة الصّليب ، وصوتٌ من السماء يقول له : احْمِلِ هذه العلامة ، تنْتصِرْ على عدوّك . فقصَّ رؤْياه علَى أعوانِه ، وعمِلَ شكلَ الصّليب على أعلامِهِ وبنوده ، وسار لحرب « مكسيمانوس » برومية ، فبَرزَ إليه وحاربه ، فانتصر « قسطنطين » عليه وملك رومية ، وتحوَّل منها فجعل دار ملْكِه « قسطنْطينية » فكان هذا ابتداءُ رفع الصّليب وظهوره في الناس ، فاتخذه النّصارى من حينئذٍ ، وعظّموه حتى عَبدوه ، وأكرم « قسطنطين » النصارى ودخل في دينهم بمدينة « نيقومديا »[2] في السنة الثانية عشرة من ملكه على الرُّوم ، وأمر ببناء الكنائس في جميع ممالكه ، وكسَّرَ الأَصنام ، وهدم بيوتها .

* * *

---

(١) **الرُّها** : مدينة قديمة من مدن ما بين النهرين . قيل : كان اسمها بالرومية « أذاسا » وكانت مركزاً للنصرانية في القرن الثالث الميلادى ، وتأسس فيها في القرنين : الرابع والخامس أديرة كثيرة ، فتحها العرب سنة ٦٣٩م وبقيت مدينة مسيحية في ظل الأتراك .

(٢) **نيقوميديا** : مدينة قديمة شمال غرب آسيا الصغرى على موقعها اليوم مدينة « أزميت » التركية . احتلت القسطنطينية مكانها .

[المجمع الأول
مجمع نييقية الأول[1] سنة ٣٢٥م]

(٢٥) وعمل المجْمَع بمدينة « نيقية » وسببه : أن / « الإسكندروس » بطرك الإسكندرية منع « أريوس » من دخول الكنيسة ، وحرَمَه لمقاتلته .. ونقل عن « بطرس الشهيد » بطرك إسكندرية أنه قال عن « أريوس » : إن إيمانه فاسِدٌ . وكتب بذلك إلى جميع البطاركة ، فمضى « أريوس » إلى الملك « قسطنطين » ومعه أسقفان ، فاستغاثوا به ، وشكوا « الإسكندروس » فأمر بإحضاره من الإسكندرية ، فحضر هوَ « وأريوس » وجمع له الأعيان من النّصارى ليناظروه .

فقال « أريوس » : كان الأب ، إذْ لم يكن الابْن ، ثم أحدثَ الابن ، فصار كلمة له ، فهو مُحْدَثٌ مخلوق ، فوَّضَ إليه الأبُ كلّ شيء ، فخلَق الابنُ المسمّى « بالكلمة » كلَّ شيءٍ من السماوات والأرض وما فيهما ، فكان هو الخالقُ بما أعطاه الأبُ ، ثم إن تلك « الكلمة » تجسّدت من مريم وروح القدس ، فصار ذلك « مسيحاً » ، فإذاً « المسيحُ » معنيان : « كلمة » و « جسد » وهما جميعاً مخلوقان .

فقال « الإسكندروس » أيما أوجب : عبادةُ مَن خلقَنا ، أو عبادة منْ لم يخْلُقْنا؟ فقال « أريوس » : بل عبادة من خلقنا أوجب . فقال

(١) يلاحظ أن نييقيّة .. عقد فيها المجمع الكنسِيِ مرتَيْن : الأول هو المشار إليه هنا سنة ٣٢٥م . والثاني سنة ٧٨٧م .

والمجمع : هو عند المسيحيين ، مؤتمر الأساقفة تحت رئاسة الحبر الأعظم ، للبتّ في شئون الكنيسة .. ويكون المجمع مسكونيا إذا حضره أساقفة العالم (المسكونة) أو إقليميا ، أو طائفيا ، ويعترف المسيحيون على مختلف طوائفهم ونزعاتهم بالمجامع المسكونية السبعة الأولى : نييقية الأول سنة ٣٢٥م ضد آريوس . القسطنطيني . الأفسسي ٤٣١ ضد نسطورس الخلقدوني سنة ٤٥١م ضد المنوفيزية القسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣م . القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠م ضد المنوثولية . النيقدوني الثاني سنة ٧٨٧م في شأن الأيقونات .. القسطنطيني الرابع سنة ٨٩٦م ... ... الفاتيكان الأول سنة ١٨٧٠م .. الفاتيكان الثاني سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٦م .

« الإسكندروس » : فإنْ كان الابْن خَلقَنا كما وصفْتَ وهو مخْلوق فعبادتُه أوجبُ من عبادَةِ الأب الّذى ليْسَ بمخْلوق ، بل تكون عبادةُ الخالِق كفراً ، وعبادة المخلوق إيماناً . وهذا أقبح القبح .

فاستحسن الملك « قسطنطين » كلام « إسكندروس » وأمره أن يحْرِم « أريوس » فحرَمَه .

وسأَل « إسكندروسُ » الملكَ أن يُحضر الأساقفةَ ، فأمر بهم فأتوْه من جميع ممالكه ، واجتمعوا بعد ستة أشهر بمدينة « نيقية » وعدَّتهم ألفان وثلاثمائة وأربعون أسقفاً مختلفون في المسيح ، فمنهم من يقول : الابن من الأب بمنزلة شُعْلة نارٍ تعلّقت من شعْلةٍ أخرى ، فلم تنْقُص الأولى بانفصال الثانية عنها .

وهذه مقالة « سيليوس » الصعيدى ومن تبعه .

ومنهم من قال : إن مريم لم تحمل بالمسيح تسعة أشهر ، بل مرَّ بأحشائها كمرور الماء بالميزاب [1] .

وهذا قول / « إليان » ومن تبعه . (٢٦)

ومنهم من قال : المسيح بشرٌ مخلوقٌ . وإنّ ابتداء الابن من مريم ، ثم إنه اصْطُفِيَ ، فصحبتْه النِّعمة الإلهية بالمحبّة والمشيئة ؛ ولذلك سمِّيَ : ابنُ الله .

تعالى عن ذلك ، ومع ذلك فالله واحدٌ قيوم .

وأَنكر هؤُلاء : « الكلمة » « والروح » فلم يؤْمنوا بهما .

وهذا قول « بولص السميساطى » بطرك أنطاكية وأصحابه .

ومنهم من قال : الآلهة ثلاثة . صالح ، وطالح ، وعدل بينهما .

وهذا قول « مرقيون » وأتباعه .

ومنهم من قال : المسيح وأمه إلهان من دون الله .

---

(١) الميزاب : قناة . أو أنبوبة ، يصرف منها الماء من موضع عالٍ ، ويجمع على مآزيب .

وهذا قول « المرايمة » من فرق النصارى .

ومنهم من قال : بل الله خلق الابن ، وهو الكلمة فى الأزل ، كما خلق الملائكةَ روحاً ، طاهرة ، مقدَّسة ، بسيطة ، مجرَّدة عن المادَّة ، ثم خلَق المسيحَ فى آخر الزمان من أحشاء مريم البتول الطاهرة ، فاتّحدَ الابنُ المخلوقُ فى الأزل بإنسان المسيح ، فصارا واحداً .

ومنهم من قال : الابن مولودٌ من الأب قبل كل الدّهور ، غير مخلوقٍ ، وهو جوْهرٌ من جوْهره ، ونور من نوره ، وإنّ الابنَ اتّحدَ بالإنسان المأخوذِ من مرْيمَ ، فصارا واحداً ، وهو المسيح .

وهذا قول الثلاثمائة وثمانية عشر [١] .

فتحيَّر « قسطنطين » فى اختلافهم ، وكثُر تعجبه من ذلك ، وأمرَ بهم فأنزلوا فى أماكنَ وأجرى لهم الأرزاق ، وأمرهم أن يتناظروا حتى يتبيَّن له صوابهم من خطئهم ، فثبت الثلاثمائة وثمانية عشر على قولهم المذكور ، واختلفَ باقيهم ، فمال « قسطنطين » إلى قول الأكثر ، وأعْرض عمّا سواه ، وأقبَلَ على الثلاثمائة وثمانية عشر ، وأمر لهم بكراسيّ ، وأجلسَهم عليْها ، ودفَعَ إليهم سيْفَه وخاتَمه ، وبسط أيديهم فى جميع مَمْلكته ، فباركوا عليه ، ووضعوا له « كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة » [٢] وفيه ما يتعلّق بالمحاكمات والمعاملات والمناكحات ، وكتبوا بذلك إلى سائر الممالك .

وكان رئيس هذا المجمع « الإسكندروس » بطرك الإسكندرية و « أسطارس » بطرك أنطاكية ، / و « مقاريوس » أسقف القدس . ووجه (٢٧)

---

(١) راجع فى كل ما ذكر من هذه الآراء (ابن البطريق ١/ ١٢٦) .

(٢) يقول ابن البطريق : وضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع . منها ما يصلح للملك أن يعملها ويعمل بها ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا بما فيها (١/١٢٧) .

« سلطوس » بطرك روميّة بقسّيسَيْن[1] اتّفقا معهم على حِرمان « أريوس » فحرَموه ونفوه ، ووضع الثلاثمائة وثمانية عشر الأمانةَ المشهورة عندهم ، وأوجبوا أن يكونَ الصْومُ متّصِلاً بعيد الفصْح ، على ما رتّبه البطارِكة فى أيام الملك « أوراليانوس قيصر » كما تقدم[2] .

ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة ، وكان الأساقفة قبل ذلك ، إذا كان مع أحدهم زوْجة لا يُمْنع منها إذا عَمِل أسقفاً .

بخلاف البطْرك ، فإنه لا يكون له امرأَة البتة .

وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامةٍ جليلة .

والإسكندروس هذا هو الذى كسر الصّنمَ النّحاس الذى كان فى هيكل زُحَل بالإسكندرية[3] ، وكانوا يعبدونه ، ويجعلون له عيداً فى ثانى عشر هاتور ، ويذبحون له الذبائح الكبيرة ، فأراد « الإسكندروس » كسْر هذا الصّنَم فمنعه أهلُ الإسكندرية ، فاحتال عليهم وتلطّف فى حيلته إلى أن قرُبَ العيدُ فجمع الناسَ ووعظَهم ، وقبّح عندهم عبادة الصّنم ، وحثّهم على تركه ، وأن يعمل هذا العيد لميكائيل رئيس الملائكة الّذى يشْفعُ فيهم عند الإله ؛ فإنّ ذلك خيرٌ من عمَل العيدِ للصّنَم ، فلا يتغيّر عمل العيد الّذى جرتْ عادةُ أهل البلدِ بعملِهِ ، ولا تبطل ذبائحهم فيه . فرضى الناسُ بهذا ووافقوه على كسْر الصّنَم ، فكسره وأحرقَه ، وعمل بيْته كنيسةً على اسم

---

(١) اسم أحدهما « بقطر » والآخر « مكنتيوس » .

(٢) انظر صفحة ٤٨ من هذا الكتاب .. وقد اتفقوا على أن يكون فصح النصارى فى يوم الأحد الذى يكون بعد فصح اليهود (ابن البطريق ١/ ١٢٧) .

(٣) كان فى الإسكندرية هيكل عظيم بنته « كليوباترا » الملكة على اسم « زحل » وكان فيه صنم نحاس عظيم ، يسمونه « ميكائيل » وكان أهل الإسكندرية ومصر يقيمون له عيداً كل سنة فى ١٢ من شهر هاتور وهو تشرين الثانى . ويذبحون له الذبائح الكثيرة .

فكان ما فعله الإسكندروس البطرك ، فكسر الصنم . وفعل منه صليباً ، وسمى الهيكل « كنيسة ميكائيل » وإلى اليوم القبط بمصر والإسكندرية يعيّدون فى هذا اليوم لميكائيل الملاك ويذبحون فيه الذبائح الكثيرة . راجع (ابن البطريق ١/ ١٢٤) .

« ميكائيل » فلم تزل هذه الكنيسة بالإسكندرية إلى أن حرّقها جيوشُ الإمام المعز لدين الله أبى تميم معدّ،[1] لما قدِمُوا فى سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة . واستمر عيدُ « ميكائيل » عند النصارى بديار مصر باقياً يعمل فى كل سنة .

وفى السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه « هيلانى » إلى القدس وبنت به كنائس للنّصارى فدلها « مقاريوس » الأسقف على الصليب ، وعرّفها ما عَمِلته اليهودُ ، فعاقبتْ كهنةَ اليهودِ / حتّى دلُّوها على (٢٨) المَوْضع ، فحفرته فإذا قبرٌ وثلاثُ خشبات ، زعمُوا أنهم لم يعرفوا الصليبَ المطلوبَ من الثلاث خشبات إلا بأن وُضِعت كلٌّ واحدة منها على ميّتٍ قد بُلِيَ فقام حيًّا عندما وُضِعت عليه خشبةٌ منها[2] ، فعملوا لذلك عيداً مدة ثلاثة أيام عرف عندهم « بعيد الصّليب » ، ومن حينئذ عبد النصارى الصليب ، وعملت له « هيلانى » غلافاً من ذهب ، وبنت « كنيسة القِيامة » التى تعرَف اليومَ « بكنِيسة قمامة » ، وأقامت « مقاريوس » الأسقف على بناء بقية الكنائس ، وعادت إلى بلادها .

فكانت مدّة ما بين ولادةِ المسيح وظهور الصّليب ثلاثمائة وثمان وعشرين سنة .

* * *

(١) هو المعز لدين الله الفاطمى (٩٣١ - ٩٧٥م) خليفة فاطمى ، ولد بـ « المهدية » وآل إليه حكم شرق أفريقيا ، فجهز وزيره « جوهر الصقلى » لفتح مصر ، فدخلها سنة ٩٦٩م فاختط « القاهرة » ودخلها المعز سنة ٩٧١م وتوفى بها .

(٢) يقول ابن البطريق ١٢٩/١ إنهم أصابوا ثلاث صلبان ، فقالت هيلانة : كيف نعلم أيها صليب المسيح ؟ وكان بالقرب منهم رجل عليل شديد العلة ، قد أُيس منه . فوضع الصليب الأول عليه والثانى فلم ينجح ، فلما وضع عليه الثالث قام المريض وليس به علة ، واستراح من علته ، فعلمت هيلانة أنه هو صليب سيدنا المسيح .

(٢٠)

[إثناسيوس الرسولى
سنة ٣١٨م (*)]

ثم قام فى بطركية الإسكندرية بعد إسكندروس تلميذه « إيناسْيُوس » الرسولى فأقام ستًّا وأربعين سنة، ومات بعد ما ابتُلِىَ بشدائِدِ، وغاب عن كرسيّه ثلاث مرّاتٍ .

وفى أيامه جرت مناظرات طويلة مع « أوسانيوس » (١) للأسقف، آلت إلى ضرْبه (٢) وفراره، فإنه تعصب « لأريوس » وقال : إنه لم يقل إن المسيحَ خلقَ الأشياء . وإنما قال : به خُلِق كلّ شىءٍ؛ لأنه « كلمة الله » التى بها خلَق السماوات والأرض، وإنما خلَق الله تعالى جميع الأشياء « بكلمته » فالأشياءُ به كُوِّنت، لا أنّه كوّنها . وإنما الثلاثمائة وثمانية عشر تعدُّوا عليْه .

وفى أيامه تنصّر جماعةٌ من اليهود، وطعَن بعضُهم فى التّوراة التى بأيدى اليهود، وأنهم نقصوا منها، وأن الصحيحة هى التى فسّرها السبْعُون . فأمر « قسطنطين » اليهود بإحضارها، وعاقبهم على ذلك حتّى دلّوه علَى موْضِعها بمصر، فكتب بإحضارها، فحملت إليه فإذا بينها وبين توراة اليهود نقْصُ ألف وثلثمائة وتسع وستين سنة، زعموا أنهم نقصوها من مواليد مَنْ ذُكِر فيها لأجل المسيح .

(*) « اثناسيوس » : وهو العشرون .. أقام ٤٦ سنة (ابن البطريق ١/ ١٣٠، وساويرس بن المقفع ١/ ٦٤، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٧) .

(١) وكان فى المجمع رجل يقال له « أومانيوس » وجماعة معه يرون رأى « أريوس » وهو ما ذكره المقريزى باسم « أوسانيوس » . راجع (ابن البطريق ١/ ١٣١) .

(٢) فلما أن دحض إثناسيوس بطرك الإسكندرية حجج المخالفين، وظهر لكل من حضر بطلان قولهم تحيرّوا وخجلوا، ووثبوا على إثناسيوس فضربوه حتى كاد أن يقتل (ابن البطريق ١/ ١٣٢) وانظر فيه ما دار من المناظرات فى هذا الموضوع .

[قسطنطين .. يلزم اليهود بالتنصّر]

وفى أيامه بعثت « هيلانى » بمالٍ عظيم إلى مدينة « الرُّها » فبنى به كنائسها العظيمة وأمر « قسطنطين » بإخراج اليهود من القدس، وألزمهم / (٢٩) بالدخول فى دين النصرانيّة، ومن امْتنعَ منْهم قُتِل. فتنصّر كثير منْهم، وامتَنَع أكثرهم فقُتِلوا، ثم امتُحِن من تنصّر منهم بأنْ جمعَهم يوم الفصْح فى الكنيسةِ وأمرهم بأكْل لحم الخنْزير فأبى أكثرهم أن يأكل منْه، فقَتَل منهم فى ذلك اليوم خلائقَ كثِيرة جدًّا.

ولما قام « قسطنطين » ابن « قسطنطين »[1] فى الملك بعد أبيه غلبت مقالة « أريوس » على القسطنطينية، وأنطاكية، والإسكندرية، وصار أكثر أهل الإسكندرية، وأرض مصر « أريوسيِّين » و « منانيِّين » واستولوا على ما بها من الكنائس، ومال الملك إلى رأْيهم وحمل الناسَ عليْه، ثم رجع عنه.

[عيد العنصرة]

وزعم « أبريس »[2] أسقف القدس، أنه ظهر مِنَ السماء على القبْر الذى بكنيسة القمامة شبْه صليبٍ من نور، فى يوم « عيد العنْصرة » لعشرة أيام من شهر أيار فى الساعة الثالثة من النهار، حتّى غلب نورُه على نور الشمس، ورآه جميع أهل القدس عياناً، فأقامَ فوقَ القبْر عدّة ساعاتٍ والناسُ تشاهدُه، فآمن يومئذٍ من اليهود وغيرهم عدّةُ آلاف كثيرة.

---

(١) قسطنطين هذا خلف ثلاث أولاد. سمى الكبير فيهم « قسطنطين » والثانى سماه باسم أبيه « قسطس » والثالث سماه « قسطنتيوس » فولى « قسطنطين » مدينة القسطنطينية، وولى « قسطس » أنطاكية، والشام ومصر، وولى « قسطنتيوس » مدينة رومية.

وماتت هيلانة أم قسطنطين ولها ثمانون سنة، وبنى قسطنطين الكبير حائطاً على « بيزنطة » وسماها « القسطنطينية » وذلك بعد ثلاثين سنة من ملكه، ومات بعد أن ملك اثنتين وثلاثين سنة (ابن البطريق ١/ ١٣٤).

(٢) كان « كورلّس » أسقف بيت المقدس على ما تذكره المصادر (ابن البطريق ١/ ١٣٥، ساويرس بن المقفع ١/٩ ٧٠).

ثم لما مَلِكَ « مولهيانوس » ابن عمّ « قسطنطين » اشتدت نكايته للنّصارى ، وقَتَل منهم خلقاً كثيراً ، ومنعهم من النّظر فى شىءٍ من الكتُب ، وأخذَ أوانى الكنائس والدّيارات ، ونصب مائدةً كبيرةً ، عليها أطعِمةٌ مما ذَبَحه لأصْنامه ، ونادى : « مَنْ أرادَ المالَ فليضع البُخورَ على النارِ ، وليأْكل من ذبائح الحُنفاءِ ، ويأْخذُ ما يريدُ من المال » فامتنع كثيرٌ من الرُّوم وقالوا : « نحن نصارَى » فقَتَل منهم خلائق ، ومحا الصّليب من أعلامه وبنوده .

وفى أيامه سكن القديسُ « إيارنوس » بريّة الأردن ، وبنى بها الدِّيارات ، وهو أوَّل من سكنَ بريّة الأردن من النصارى .

فلما ملك « يوسيانوس » على الروم وكان متنصّراً ، عاد كلُّ مَن كان فرَّ من الأساقفة إلى كرسيّه ، وكتب إلى « إيناسْيُوس » بطرك الإسكندرية / أن يشرح له « الأمانةَ المستقيمةَ » فجمَع الأساقفةَ ، وكتبوا له أن يلْزمَ أمانةَ الثلاثمائة وثمانية عشر ، فثار أهلُ الإسكندرية على « إيناسيوس » ليقْتلوه ، ففرَّ . (٣٠)

[لوقيوس الأريوسى(*)]

وأقاموا بدَله « لوقيوس » وكان أريوسيا ، فاجتمعَ معَ الأساقِفة بعد خمْسة أشهر وحرموه ونفوه ، وأعادوا « إيناسيوس » إلى كرسيّه ، فأقام بطركاً إلى أن مات .

(٢١)

[بطرس الثانى
سنة ٣٦٤م(**)]

فخلفه « بطرس » ثم وثب الأريوسيون عليه بعد سنَتَيْن ، ففرَّ منهم ،

(*) لم يعده ساويرس بن المقفع فى سير الآباء البطاركة .

(**) **بطرس الثانى البطريك** . الحادى والعشرين .. أقام ٩ شهراً ، و٥ سنة (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ١/ ٧٤، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٨) .

وأعادوا « لوقيوس » فأقام بطركاً ثلاثَ سنين ، ووثبَ عليه أعداؤه ففرَّ منهم ، فردّوا بطرس فى العشرين من أمشير ، فأقام سنةً .

[أريوس . أسقف أنطاكية]

وقدِمَ فى أيام « واليس » ملك الروم . « أريوس » أسقف أنطاكية إلى الإسكندرية ، بإذن المِلك ، وأخرجَ منها جماعةً من الرُّوم ، وحبس « بطرس » بطركها .

[أريوس الشُّميْساطى(*)]

ونصّب بَدله « أريوس السميساطيّ » ففرَّ « بطرس » من الحبْس إلى رومية ، واستجارَ ببطْركها وكان « واليس » أريوسيا ، فسار إلى زيارة كنيسةِ « مار توما » بمدينة الرُّها ، ونفى أسقفهَا وجماعةً معَه إلى « جزيرة رودس » ، ونفى سائرَ الأساقفة لمخالفتهم لرأيه ، ما عدا اثنيْن .

(٢٢)

[طيماتوس
سنة ٣٧٠م(**)]

وأقام فى بطركية الإسكندرية . طيماتوس فأقام سبع سنين ومات .

(*) **شُميْسَاط** : مدينة فى الأناضول ، فتحها صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٨٨م ينسب إليها فيقال : الشُميْساطىّ . وكان أريوس فى الإسكندرية يقول : إن الأب وحده . الله ، والابن . مخلوق مصنوع . وقد كان الأب إذا لم يكن الابن .

فقال بطرس البطريرك : إن السيد المسيح لعن « أريوس » هذا . فاحذروا أن تقبلوه أو تقبلوا قوله . راجع (ابن البطريق ١/١١٦ - ١١٧ و ١٢٤ - ١٢٥ وترجمة إسكندروس (رقم ١٩) المجمع الأول مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م ، وسير البطاركة لساوريس ١/٦٥ وما بعدها) .

(**) **طيماتوس** هو : « تيموثاوس » البطرك الثانى والعشرون من الآباء .. أقام ٥ شهراً ، و٦ سنة (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ١/ ٧٤، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٨) .

[المجمع الثانى
مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م]

وفى أيامه كان المجمع الثانى من مجامع النصارى بقسطنطينية ، فى سنة اثنتى عشرة ومائة « لدقلطيانوس » فاجتمع مائة وخمسون أسقفاً ، وحرَموا « مقدينُون » عدوّ « روح القدس » وكلّ من قال بقوله .

وسبب ذلك أنه قال : إن « روح القدس » مخْلُوق ، وحرَموا معه غير واحد ؛ لعقائد شنيعة ، تظاهروا بها فى المسيح ، وزاد الأساقفة فى الأمانة التى رتّبها الثلاثمائة وثمانية عشر : « ونؤْمن بالروح القدس ، الرب المحيى المنبثق من الأب » .

قلت : تعالى الله عما يقولونَ علوًّا كبيراً .

وحرَّموا أن يُزاد فيها بعْد ذَلك شىءٌ أو يُنقص منها شىءٌ .

وكان هذا المجمع بعْد مجمع « نيقية » بثمان وخمسين سنة .

وفى أيامه بنيت عدة كنائس / بالإسكندرية ، واستُتِيب جماعةٌ كثيرة من مقالة « أريوس »[١] . (٣١)

وفى أيامه أطلق للأساقفة والرّهبان أكلَ اللّحْم يومَ الفِصْح ، ليخالفوا الطائفة « المنانية » فإنهم كانوا يحرّمون أكلَ اللحم مطلقاً ، وردَّ الملك « أغراديانوس » كلَّ مَن نفاه « واليس » من الأساقفة ، وأمرَ أن يَلْزم كلُّ واحدٍ دينَه ، ما خلا « المنانية » .

---

(١) يقول ابن البطريق ١٣٦/١ : « فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم « أريوسيين » و « منانين » فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية فأخذوها ووثبوا على « اثناسيوس » بطرك الإسكندرية ليقتلوه ، فهرب منهم واختفى !! ويقول ١٣٥/١ : « وفى ذلك العصر اجتمع أصحاب أريوس وكل من كان يقول بمقالته إلى الملك « قسطنطين » فحسنوا له دينهم وزينوا له مقالتهم .. وفى ذلك العصر غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية ، وأنطاكية ، وبابل ، والإسكندرية . فسموا التابعين لدين أريوس والقائلين بمقالته « الأريوسيين » .

(٢٣)
[تاوفيلا
سنة ٣٧٦م (*)]

ثم أقيم بكرسى الإسكندرية «تاوفيلا» فأَقام سبعاً وعشرين سنة، ومات فى ثامن عشر بابه.

وفى أيامه ظهر الفتية «أهل الكهف» وكان «تاوداسيوس» إذ ذاك ملكاً على الروم، فبنى عليهم كنيسةً، وجعل لهم عيداً فى كل سنة، واشتد الملك «تاوداسيوس» على «الإريسيِّين» وضيّق عليهم، وأمَرَ فأُخِذَت منهم كنائس النصارى بعدَ مَا حكموها نحو أربعين سنة، وأسقط من جيْشِه مَن كان «أريوسياً» وطردَ من كان فى ديوانِهِ وخدمه منهم، وقتل من «الحنفاء» كثيراً، وهدم بيوتَ الأصنام بكلِّ مؤضع.

وفى أيامه بُنيتْ كنيسةُ مريم بالقدْس. وفى أيام الملك «أرغاديوس» بنى «دير القصير» (١) المعروف الآن بدير «البغل» فى جبل المقطم، شرقىّ «طُرَا»، خارجَ مدينة فسطاط مصر.

(٢٤)
[كرلّص الكبير
سنة ٤٠٤م (**)]

ثم أُقيم فى بطركية الإسكندرية «كرلص» فأقام اثنتين وثلاثين سنة، ومات فى ثالث أبيب.

(*) هو تاوفليس البطرك، وهو من عدد الآباء الثالث والعشرون .. أقام ٢ شهرا، و٢٧ سنة (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ٧٥ - ٧٧، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٨).

(١) فى الخطط، والقول الإبريزى: «القصر» بدل «القصير» وهو تحريف.

(**) **كيرلص الكبير البطرك**. من عدد الآباء الرابع والعشرون .. أقام ٨ شهرا، و٣١ سنة (تاريخ الكنيسة المصرية ٧٧/١ - ٨٣، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٩).

وهو أوَّل من أقام القوْمة فى كنائس الإسكندرية وأرض مصر[1].

[المجمع الثالث[2]
مجمع أفسس سنة ٤٣١م]

وفى أيامه كان المجمع الثالث من مجامع النصارى، بسبب « نسطورس » بطرك قسطنطينية[3]، فإنه منع أن تكون مريم أُمّ عيسى.

وقال: إنّما ولدت مريمُ إنساناً اتّحَدَ بمشيئةِ الإله - يعنى عيسى - فصار الاتحاد بالمشيئةِ خاصّة لا بالذّات، وإنّ إطلاقَ الإله على عيسَى ليس هو بالحقيقةِ، بلْ بالموهَبِة والكرَامة.

وقال: إن المسيح حلَّ فيه الابْن الأزلى، وإنى أعبده؛ لأنّ الإله حلَّ فيه، وإنه جوهران وأقنومان، ومشيئة واحدة.

وقال فى خطبته يوم الميلاد: إن مريم ولدت إنساناً، / وأنا لا أعتَقِد فى ابن شهرْين وثلاثة، الإلهيّة، ولا أسجدُ له سُجودِى للإله. (٣٢)

وكان هذا هو اعتقاد « تادروس » و« ديوادارس » الأسقفين. وكان من

---

(١) فى بطاركة الكنيسة المصرية: « فأقام قومة للبيع التى فى جميع الكراسى لئلاّ يشتغل عن الطعام الروحانى الذى به يتقوى على الأمور المرضية لله وبدا فى الحكمة المحببة ».

(٢) المجمع الثانى كان فى « أفسس » أيضاً لأسباب ذكرها ابن البطريق ١٧٩/١ - ١٨١ وذكرنا شيئاً عنها فى الهامش رقم (١) قبل الحديث عن « المجمع الرابع ».

(٣) « **نسطورس** » بطرك قسطنطينية. كما جاء فى سائر المصادر. وليس بطرك « قسطنطين » كما هو مذكور فى الخطط، والقول الإبريزى. فهذا تحريف. انظر (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ٧٨/١).

وانظر ما دار بين نسطورس وبين كيرلص بطرك الإسكندرية من مكاتبات ومجادلات ٧٨/١ و ٧٩ من بطاركة الكنيسة المصرية و ١٥٦/١ من تاريخ ابن البطريق.

ونسطورس هذا، مؤسس طائفة النساطرة، أو الآشوريين. الذين قطنوا فى كردستان بين الموصل وأرمينيا إلى أن تبدد شملهم بعد حرب سنة ١٩١٤م فتفرقوا فى بلدان شتى، وازدهرت عندهم الحياة الرهبانية، فأوفدوا المبشرين إلى آسيا الشرقية منذ فجر القرن السادس، ومنهم انتشرت النصرانية فى فارس، والهند، والصين.

قولهما : إن المولودَ من مريم هو المسيح . والمولود من الأب هو الابنُ الأزليّ ، وإنّه حلَّ فى المسيح ؛ فسمِّىَ ابنُ الله بالموهبة والكرامة ، وإنّ الاتحاد بالمشيئة والإرادة . وأثبتوا لله - تعالى عن قولهم - ولديْن . أحدهما بالجوهر ، والآخر بالنعمة .

فلما بلغ « كرلّص » بطرك الإسكندرية مقالة « نسطورس » كتب إليه يُرْجعه عنها ، فلم يرْجع ، فكتب إلى « إكليمس » بطرك رومية وإلى « يوحنا » بطرك أنطاكية وإلى « يوناليوس » أسقف القدْس : يعرِّفهم بذلك ، فكتبوا بأجْمعهم إلى « نسطورس » ليرْجع عن مقالَته ، فلمْ يرجع ، فتواعدَ البطاركةُ على الاجتماع بمدينة « أفْسس »[1] فاجتمع بها مائتا أسقف ، ولم يحضر « يوحنا » بطرك أنطاكية وامتنع « نسطورس » من المجىءِ إليهم بعد ما كرَّروا الإرسالَ فى طلَبه غيرَ مرَّة ، فنظرُوا فى مقالتِه وحرموه ، ونفوه .

فحضر بعد ذلك « يوحنا » فعزَّ عليه فصْلُ الأمْر قبْلَ قدُومه ، وانتصر « لنسطورس » وقال : قد حرموه بغير حقّ .

وتفرَّقوا من « أفسس » على شرٍّ ، ثم اصطلحوا ، وكتب المشرقيون صحيفة بأمانتهم ، وبحرمان « نسطورس » وبعثوا بها إلى « كرلص » فقبِلَها ، وكتبَ إليهم بأنَّ أمانتَه على ما كتَبوا .

فكان بين المجمع الثانى وبين هذا المجمع خمسون وقيل خمس وخمسون سنة .

وأما « نسطورس » فإنه نُفِىَ إلى صعيدِ مصر ، فنزل مدينة إخميم ، وأقام بها سبع سنين ومات فدفن[2] بها ، وظهرتْ مقالتُه فقبِلَها « برصوما »

---

(١) أفسس : مدينة إفريقية قديمة ، على شاطئ آسيا الصغرى الغربى ، خضعت للرومان سنة ١٣٣ق م . وكانت تحتل الصدارة بين مدن آسيا ، وأصبحت مركز المسيحية ، وزارها القديس بولس ، وقد ذكرت فى الكتاب المقدس عدة مرات . أشرنا إليها قبل ذلك .

(٢) فى قرية من قرى إخميم يقال لها : « سقلان » (ابن البطريق ١/ ١٥٨) .

أسقف « نَصِيبين »[1] ودان بها نصارى أرض فارس، والعراق، والموصل، والجزيرة إلى الفرات، وعرفوا إلى اليوم « بالنسطورية »[2].

* * *

(٢٥)

[ديسقورس
سنة ٤٣٥م (*)]

ثم قدَّم « تاوداسيوس » ملك الرُّوم فى الثانية من ملْكه « ديسقورس » بطركاً بالإسكندريّة، فظهر فى أيامه مذهب « أوطاخى » أحَدُ/ « القنوميِّين » (٣٣) بالقسطنطينية، وزعم أن جَسد المسيح لطيفٌ، غير مساوٍ لأجسادنا، وأنّ الابن لم يأْخذ من مريم شيئاً، فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفاً وحرموه[3].

[قتال النصارى واليهود فى يوم الفصح]

واجتمع بالإسكندرية كثير من اليهود فى يومِ الفِصْح، وصلبوا صنماً على مثال المسيح، وعبثوا به، فثارَ بينهم وبين النّصارى شَرّ، قتل فيه بين الفريقين خلْق كثير، فبعثَ إليهم ملكُ الرُّوم جيْشاً قتل أكثر يهود الإسكندرية.

---

(١) **نصيبين** : مدينة . فيما بين النهرين على نهر « جعجع » اشتهرت قديماً بمدرستها السريانية .

(٢) راجع ما يقوله ابن البطريق ومن يقول بقوله من الملكيين فى الرد على النساطرة وأتباع أفتشيوس وديسقورس ويعقوب البرادعى وغيرهم من المخالفين له فى كتابه ١/١٥٩ - ١٧٦ .

(*) هو : ديسقورس البطرك . وهو من عدد الآباء الخامس والعشرون .. أقام ٢ شهراً، و١٤ سنة (تاريخ بطاركة الكنيسة ١/٨٣ - ٨٤، مختصر تاريخ البطاركة ١٠٩، ابن البطريق ١/٧٩) .

(٣) وهذا هو مذهب « أفتيشيوس » الطبيب الراهب الذى سأل الملك « تاودوسيوس » أن يجمع البطاركة للنظر فيما قاله، فكتب الملك إلى « ديسقورس » بطريرك الإسكندرية وسائر البطاركة وهذا هو المجمع الثانى فى أفسس.. وكان المقدم فيه « ديسقورس » بطرك الإسكندرية . راجع فى هذا (ابن البطريق ١/١٧٩ - ١٨٠) .

[المجمع الرابع
مجمع خلقدونية[1] سنة ٤٥١م]

وكان المجمع الرابع من مجامع النّصارى بمدينة « خلقدونية » .

وسببه أن « ديسقورس » بطرك الإسكندرية قال : إن المسيح ، جوهر من جوهرَيْن ، وقنومٌ من قنومَيْن ، وطبيعةٌ من طبيعتين ، ومشيئةٌ من مشيئتين .

وكان رأْى « مرقيانوس » ملك الرُّوم أنه جسدٌ ، وأهل مملكته أنه جوْهران ، وطبيعتان ، ومشيئتان ، وقنومٌ واحدٌ .

فلما رأى الأساقفةُ أن هذا رأْى الملك خافوه ، فوافقوه على رأْيه ما خلا « ديسقورس » وستّة أساقفة ، فإنّهم لم يوافقوا الملك . وكتبَ مَن عداهم من الأساقفة خطوطَهم بما اتّفقوا عليه ، فبعث « ديسقورس » يطلبُ منهم الكتابَ ليكتبَ فيه ، فلمّا وصلَ إليه كتابُهم كتبَ فيهِ أمانتَه هو ، وحرمهم ، وكلَّ مَن يخرج عنها ، فغضب الملكُ « مرقيانوس » وهمّ بقتله . فأُشِير عليْه بإحضاره ومناظرته ، فأمر به فحضر ، وحضر ستمائة وأربعة وثلاثون أسقفاً ، فأشار الأساقفة والبطاركة على « ديسقورس » بموافقة رأى الملك ، واستمراره على رئاسته ، فدعا لِلملِك . وقال لهم : الملكُ لا يلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة ، بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكتِه وتدبيرها ، ويدَعُ الكهنةَ يبْحثون عن « الأمانة المستقيمة » فإنهم يعرفون الكتبَ ، ولا يكون لَهُ هوًى مع أحد ويتّبع الحقَّ .

فقالت « بلخارية »[2] زوجة الملك « مرقيانوس » وكانت جالسة بإزائه :

---

(١) خلقدونة [Chalcendoine] مدينة قديمة فى آسيا الصغرى على البسفور - عقد فيها عدة مجامع كنسية . منها المجمع الرابع المشار إليه .

(٢) يذكرها ابن البطريق باسم « أودكية » ١/ ١٨١. وانظر فى هذا المجمع وما دار فيه تاريخ ابن البطريق ١/١٨٠ - ١٨٣.

(٣٤) يا « ديسقورس » قد كان فى زمن أمِّى إنسانٌ قوىّ / الرأس مثْلَك ، وحرموه ونفوه عن كرسيه - تُعنى « يوحنا فم الذهب » بطرك قسطنطينية - فقال لها : قد علمتُ ما جرَى لأمّك ، وكيفَ ابْتليَتْ بالمرَضِ الّذى تعرِفينه إلى أن مضَتْ إلى جسد « يوحنا فم الذهب » واستغفرت فعوفيت . فحنقت من قوْله ولكمتْهُ فانقلَع له ضِرْسان ، وتناولتْه أيدى الرِّجال فنتفوا أكْثرَ لحْيته ، وأمر الملكُ بحرْمانِه ونفْيه عن كرسيّه ، فاجتمعوا عليه وحرموه ونفوه .

[برطاوس الملكانى(*)]

وأُقيم عوضه « برطاوس » .

[افتراق النصارى إلى ملكيين ويعاقبة]

ومن هذا المجمع افترق النصارى وصاروا « ملكية » على مذهب « مرقيانوس » الملك . و « يعقوبية » على رأى « ديسقورس » وذلك فى سنة ثلاث وتسعين ومائة لدقلطيانوس .

فكان بين المجمع الثالث وبين هذا المجمع إحدى وعشرون سنة .

وأما « ديسقورس » فإنه أخذ ضرسيه ، وشعَر لحْيته وأرسلَها إلى الإسكندرية ، وقال : هذه ثمرة تعبى علَى الأمانة . فتبعَه أهلُ إسكندرية ، ومصْر ، وتوجَّه فى نفْيه فعبَر على القدْس وفلسطين ، وعرَّفهم مقالتَه ، فتَبِعوه ، وقالوا بقوله ، وقدَّم عدَّة أساقِفة يعقوبية ، ومات وهو منفىٌّ فى رابع

(*) هو « بروطاوس » كما فى ابن البطريق ١٨٢/١ كان رئيس شمامسة الإسكندرية فى المجمع الرابع بخلقدونية وكان ملكانياً ، وثب عليه أهل الإسكندرية فقتلوه فى كنيسة كورين ، وحملوا جسده على جمل إلى الملعب الكبير الذى كان بناه بطليموس الملقب بـ « الأرنب » وأحرقوه بالنار ، وكان لبروطاوس وقت قتله ست سنين (ابن البطريق ٨٣/١ و ٨٤) هذا ، ولم يذكره ساويرس بن المقفع فى (سير البطاركة) .

توت . فكانت مدَّة بطركيته أربع عشرة سنة ، وبقى كرسىّ المملكة بغير بطْرك مدة مملكة « مرقيانوس » وقيل بل قدَّم « برطاوس » .

وقد اختُلِفَ فى تسمية اليعقوبيّة بهذا .

فقيل : إن « ديسقورس » كان يسمّى قبل بطركيته « يعقوب » وإنه كانَ يكتب وهو منفىّ إلى أصحابه بأن يثْبتوا على أمانة المسكين المنفى « يعقوب » .

وقيل : بل كانَ له تلميذ اسمه « يعقوب » وكان يرسله وهو منفىّ إلى أصحابه ، فنُسِبُوا إليه .

٣٥ / وقيل : بل كان « يعقوب » تلميذ « ساويرس » بطرك أنطاكية ، وكان على رأْى « ديسقورس » فكان « ساويرس » يبعث « يعقوب » إلى النّصارى ويثبّتهم على أمانة « ديسقورس » فنسبوا إليه .

وقيل : بل كان « يعقوب » كثير العبادَة والزّهد ، ويلبس خرق البراذِع ، فسمى « يعقوب البراذعىّ » من أجل ذلك ، وإنه كان يطوف البلاد ، ويردّ الناسَ إلى مقالة « ديسقورس » فنُسِب من اتّبع رأْيَه إليه وسموا « يعقوبية » ويقال ليعقوب أيضاً « يعقوب السروجى » [١] .

[أول راهب سكن صومعة]

وفى أيام « مرقيانوس » كان « سمعان الحبيس » صاحب العمود ، وهو أوَّل راهبٍ سكن صومعةً ، وكان مقامه بمغارة فى جبل أنطاكية .

---

(١) يقول ابن البطريق ١/ ١٩٥: كان لـ « ساويرس » بطريك رومية تلميذ يقال له « يعقوب » وكان لباسه من خرق البراذع التى للدواب يرقع بعضها ببعض ، وكان يسمى « يعقوب البراذعى » فخرج إلى الجزيرة ، والجيزة ، وتكريت ، وحرّان ، وأرمينية بمقالته التى عرفها عن أستاذه « ساويرس » بطرك رومية ، وهى أن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ، وجوهر من جوهرين ، ومشيئة واحدة فسموا التابعين ليعقوب والقائلين بمقالته « يعاقبة . أو يعقوبيين » مشتق من اسم « يعقوب » .

ولما مات « مرقيانوس » وثب أهلُ الإسكندرية على « برطاوس » البطريك، وقتلوه فى الكنيسة، وحملوا جَسده إلى الملْعب الّذى بناه « بطليموس » وأحْرقوه بالنّار من أجل أنه ملكيّ الاعتقاد، فكانت مدّة بطركيته ست سنين .

* * *

(٢٦)

[طيماتاوس الثانى سنة ٤٥٠م (*)]

وأقَاموا عوضه « طيماتاوس » وكان يعقوبياً ، فأقام ثلاث سنين ، وقدِم قائدٌ من قسطنطينية فنفاه .

[ساويرس الملكانى (**)]

وأقام عوضه « ساويرس » وكان ملكياً فأَقام اثنتين وعشرين سنة ، ومات فى سابع مسرى .

فلما ملك « زنبون » بن « لاون » الرُّوم أكرم اليعقوبية ، وأَعزَّهم ؛ لأنه كان يعقوبياً ، وكان يحمل إلى دير « يوقنا » كل سنة ما يحتاج إليه من القمح والزَّيت . وهرب « ساويرس » من كرسى الإسكندرية إلى وادى هبيب ، ورجع « طيماتاوس » من نفْيه ، فأَقام بطركاً سنتين ، ومات .

* * *

(*) **طيماتاوس**. من العدد السادس والعشرين من البطاركة.. أقام ١١ شهراً، و٢٢ سنة (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ١/ ٨٤، مختصر تاريخ البطاركة ١١٠) .

(**) **ساويرس** هذا، لم يذكره ساويرس بن المقفع فى تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لأنه كان ملكانيا .

(٢٧)

[بطرس الثالث
سنة ٤٧٢م (*)]

فأُقيم بعده « بطرس » فأَقام ثمانى سنين وسبعة أشهر وستة أيام ومات فى رابع هاتور.

(٢٨)

[أثناسيوس الثانى
سنة ٤٨١م (**)]

فأُقيم بعده « أثناسيوس » فأَقام سبع سنين ، ومات فى العشرين من توت .

وفى أيامه احترق الملعب الّذى بناه « بطليموس » .

(٢٩)

[يوحنا الراهب
سنة ٤٨٨ م (***)]

وأُقيم « يوحنا » فى بطركية الإسكندرية ، وكان يعقوبياً ، فأَقام تسع سنين ومات فى رابع بشنس ، فخلا الكرسى بعده سنة .

(*) **بطرس الثالث البطرك**. من العدد السابع والعشرون .. أقام ٣ شهراً ، و٨ سنة (سير البطاركة ١/٨٤ - ٨٥، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٠) .

(**) **أثناسيوس الثانى** من العدد الثامن والعشرون .. أقام ١٠ شهراً ، و٦ سنة (سير البطاركة ١/ ٨٥، مختصر تاريخ البطاركة ١١٠) .

(***) **يوحنا الراهب**. من العدد التاسع والعشرون .. أقام ٧ شهراً ، و٨ سنة (سير البطاركة ١/ ٨٦، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٠) .

(٣٠)

[يوحنا - الثانى - الحبيس
سنة ٤٩٧م (*)]

ثم أُقيم « يوحنا الحبيس » فأَقام إحدى وعشرين سنة ، ومات فى سابع عشرى بشنس .

(٣١)

[ديسقورس - الثانى - الجديد
سنة ٥٠٨م (**)]

فأُقيم بعدهُ « ديسقورس الجديد » فأَقام سنتين وخمسة أشهر ومات فى سابع عشر بابه .

وكتب « إيليّا » بطرك القدْس إلى / « نسطاس » ملك الرُّوم بأَنْ يرجع عن مقالِة اليعقوبيّة إلى مقالة الملكية ، وبعث إليه جماعةً من الرّهبان بهديّة سنيّة ، فقبل هديّته ، وأَجازَ الرّهبانَ بجوائز جليلة ، وجهَّز له مالاً جزيلاً ؛ لعمارة الكنائس والدِّيارات ، والصّدَقات ، فتوجّه « ساويرس » [1] إلى « نسطاس » وعرَّفه أنّ الحقّ هو اعتقاد اليعقوبيّة ، فأمر أن يُكْتَب إلى جميع مملكته بقبول قول « ديسقورس » وترْك المجمع الخلقدونى . (٣٦)

(*) **يوحنا الثانى البطرك الحبيس** . من العدد الثلاثون .. أقام ١١ سنة (سير البطاركة ٨٦/١ - ٨٧، ومختصر تاريخ البطاركة ١١١) .

(**) **ديسقورس الجديد (الثانى) البطرك** . من العدد الحادى والثلاثون .. أقام ٤ شهراً ، و٢ سنة (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ١/ ٨٧، ومختصر تاريخ البطاركة ١١١) .

(١) **ساويرس** : صاحب كرسى « أنطاكية » الذى صار قرن خلاص للبيعة الأرثوذكسية . راجع (سير البطاركة ٨٦/١) .

فبعث إليه بطرك أنطاكية : بأن هذا الّذى فعلته غيرُ واجب ، وأن المجمع الخلقدونىّ هو الحقّ . فغضب الملكُ ونفاه ، وأَقام بدله . فأمر « إيليا » بطركَ القْدس بجمْع الرّهبان ، ورؤساء الدِّيارات ، فاجتمع له منهم عشرة آلاف نفس ، وحرموا « نسطاس » الملك ومن يقول بقوله . فأمر « نسطاس » بنفى « إيليا » إلى مدينة « أيْلة »[1] .

فاجتمع بطاركةُ الملكية وأساقفتهم وحرّموا الملكَ « نسطاس » ومن يقول بقوله .

وفى أيام « نسطايوس » الملك ألزم الحنفاءُ أهلَ حرّان ، وهم « الصابئة » بالتنصّر فتنصّر كثيرٌ منهم ، وقُتِل أكثرهم على امتناعهم من دين النصرانية ، وردّ جميعَ من نفاه « نسطاس » من الملكية ، فإنه كان ملكياً .

(٣٢)

[طيماتاوس الثالث
سنة ٥١١م (*)]

وأُقيم « طيماتاوس » فى بطركية الإسكندرية ، وكان يعقوبياً فأَقام ثلاث سنين ونفى .

[أبوليناريوس الملكانى]

وأُقيم بدله « أبوليناريوس » وكان ملكياً ، فجدَّ فى رجوع النّصارى

---

(١) أَيْلَة : ميناء على ساحل البحر الأحمر شمالى العقبة مما يلى الشام . قيل هى آخر الحجاز ، وأول الشام ، وهى مدينة اليهود ، وإليها يجتاز حجاج مصر قديماً إلى الحجاز . وكان موضعها ملتقى القوافل بين مصر وأواسط بلاد العرب ، وبين موانى فينقيا وبلاد العرب . وهى ما تعرف اليوم بـ « إيلات » ..

(*) طيماتاوس : هو « تيموتاوس » الثالث ، البطرك الثانى والثلاثون .. أقام ٤ شهراً ، و١٤ سنة (بطاركة الكنيسة المصرية ١/ ٨٧، مختصر تاريخ البطاركة ١١١) .

بأجمعهم إلى رأى الملكية ، وبذل جهْدَه فى ذلك ، وألزم نصارَى مصْر بقَبُول « الأمانة المحدثة » فوافقوه ، ووافقه رهبان ديارات بومقار ، بوادى هبيب .

هذا .. ويعقوب البراذعى يدور فى كلّ مؤضع ويثبّت أصحابه على الأمانة التى زَعم أنها مستقيمة .

[عِيدَىْ الميلاد والغطاس]

وأمر الملكُ جميعَ الأساقفة بعمل الميلاد فى خامس عشرى كانون [1] الأوَّل ، وبعمل الغطاس ، لستٍّ تخلو من كانون الثانى [2] . وكان كثيرٌ منهم يعمل الميلاد والغطاس فى يومٍ واحدٍ ، وهو سادس كانون الثانى . وعلى هذا / الرأى الأرمن إلى يومنا هذا . (٣٧)

وفى هذه الأيام ظهر « يوحنا النحوى »[3] بالإسكندرية ، وزعَم أن الأب والابن وروح القدس .. ثلاثة آلهة ، وثلاث طبائع ، وجوهرٌ واحد .

وظهر « يوليان »[4] وزعَم أن جسد المسيح نزل من السماء ، وأنه لطيفٌ

---

(١) يعتقد المسيحيون أن « عيد الميلاد » هو اليوم الذى ولد فيه المسيح ببيت لحم ، ويحتفل به قبط مصر فى التاسع والعشرين من شهر كيهك .

(٢) يحتفل به فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة وأصله عند النصارى أن يحيى بن زكريا عليه السلام المعروف عندهم بـ « يوحنا المعمدان » عمَّد المسيح (أى غسله) فى مياه الأردن وعندما خرج من الماء اتصلت به روح القدس .

(٣) هو يحيى النحوى : وكان أسقفاً فى كنيسة الإسكندرية ، ويعتقد مذهب اليعاقبة ، ثم رجع عما يعتقد النصارى فى التثليث لما قرأ كتب الحكمة واستحال عنده جعل الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحداً ، ولما تحققت الأساقفة رجوعه عز عليهم ذلك ، فاجتمعوا إليه وناظروه فغُلب وزُيف طريقه وأسقطوه من المنزلة التى هو فيها ، وعاش إلى فتح عمرو بن العاص مصر والإسكندرية . راجع (إخبار العلماء بأخبار الحكماء رقم طبعة مكتبة ابن قتيبة الكويت) .

(٤) **يوليان** : هو يوليانوس المرتد (٣٣١ - ٣٦٣) ابن أخى قسطنطين الكبير . نودى به إمبراطوراً (٣٦١م) وتنصر ، ثم عاد إلى عبادة الأوثان فلقب بـ « الجاحد » وقتل فى محاربة الفرس . له مؤلفات فلسفية على مذهب الأفلاطونية الجديدة . شغفه حبه للعلوم والآداب القديمة .. وكان قائداً قديراً . راجع (الموسوعة العربية الميسرة) .

روحانىّ ، لا يقبل الآلام إلا عندَ مقارفَةِ الخطيئة ، والمسيح لم يقارف خطيئة ، فلذلك لم يصلب حقيقة ، ولم يتألّم ، ولم يمت ، وإنما ذلك كلهُ خيال .

فأمر الملكُ البطركَ « طيماتاوس » أن يرجع إلى مذهب الملكية ، فلم يفعل ، فأمر بقتله ، ثم شُفِع فيه ، ونفى .

[بولص الملكانى (*)]

وأُقيم بدله « بولص » وكان ملكياً فأَقام سنتين فلم يرضه اليعاقبة ، وقيل : إنهم قتلوه ، وصيّروا عوضه بطركاً .

[ديلوس الملكانى (**)]

« ديلوس » وكان ملكياً ، فأَقام خمسَ سنين فى شدّة من التّعب ، وأرادوا قتله ، فهرب وأقام فى هربه خمس سنين ومات ، فبلغ ملكَ الرُّوم « يوسطيانوس » أن اليعقوبية قد غلبوا على الإسكندرية ، ومصر ، وأنهم لا يقبلون بطاركته .

[أثوليناريوس .. القائد البطريرك (***)]

فبعث « أثوليناريوس » أحدَ قوَّاده - وضم إليه عسكراً كبيراً - إلى الإسكندرية ، فلما قدمها ودخل الكنيسة نزعَ عنه ثيابَ الجنْد ، ولبس ثيابَ البطاركة ، وقدَّس ، فهمَّ ذلك الجمع برجمه ، فانصرف ، وجمعَ عسكرهُ

(*) **بولص** بطرك ملكانى أقام سنتين على كنيسة الإسكندرية فوثب عليه أهل الإسكندرية اليعاقبة فقتلوه (ابن البطريق ١/ ٢٠٠) .

(**) **دايلوس** بطرك ملكانى أقام خمس ستين على كنيسة الإسكندرية ، وهو فى شدة وعذاب من اليعاقبة ، وأرادوا قتله ، فهرب وأقام خمس سنوات هارباً ومات (ابن البطريق ١/ ٢٠٠) .

(***) لم يذكر فى (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية) وذلك أن اليعاقبة قد غلبوا على الإسكندرية ومصر ، وكل بطرك يصير عليها من غير اليعاقبة يقتلونه فقد قتلوا « بولص البطريرك » وكان ملكياً ، أقام سنتين . وصير بدله « داليوس » وكان ملكياً أيضاً ، أقام خمس سنوات فى شدة وعذاب من اليعاقبة ، وأرادوا قتله ، فهرب ، وأقام خمس سنوات هارباً ومات . =

وأظهر أنه قد أتاه كتابُ الملك ليقرأَهُ على الناس ، وضرب الجرسَ فى الإسكندرية يوم الأحد ، فاجتمع الناسُ إلى الكنيسة ، حتّى لم يبقَ أحدٌ ، فطلع المنبَر وقال : يا أهل الإسكندرية ، إنْ تركتم مقالَة اليعقوبية ، وإلّا أخاف أن يرْسِل الملكُ فيقْتلكم ، ويستبيحَ أموالكم ، وحريمَكم .. فهمُّوا برجْمه ، فأَشارَ إلى الجنْد فوضعُوا السيفَ فيهم ، فقتِلَ من النّاس ما لا يُحْصى عددُه ، حتّى خاضَ الجندُ فى الدّماءِ . وقيل : إنّ الذى قُتِل يومئذٍ مائتا ألف إنسان . وفرَّ منهم خلقٌ إلى الدّيارات بوادى هبيب ، وأخذ الملكية كنائس اليعاقبة ، ومن يومئذٍ صار كرسى اليعقوبية فى « دير بومقار » / بوادى هُبَيْب . (٣٨)

وفى أيامه ثارت السامرة[1] على أرض فلسطين ، وهدموا كنائسَ النّصارى ، وأحرقوا ما فيها ، وقتلوا جماعةً من النّصارى ، فبعث الملكُ جيشاً

= فاتصل الخبر بالملك « يوستينياس » أن اليعاقبة قد غلبوا على الإسكندرية ومصر ، وكل بطرك يصير عليهم من غير اليعاقبة ، يقتلونه ، فغضب الملك من هذا ، وأخذ قائداً من قواده فصيره بطركاً على الإسكندرية ، وهو البطرك الذى معنا « أثوليناريوس » فلما وصل إلى الإسكندرية دخل إليها وعليه ثياب الجند على أنه واليها من قبل الملك ، فلما حصل فى الكنيسة نزع ثياب الجندية ، ولبس ثياب البطريركية وتقدم وقدس . فأقبل أهل الإسكندرية من كل ناحية يرمونه بالحجارة والحصباء ، حتى كاد يقتل ، فانصرف عنهم ذلك اليوم .

وبعد ثلاثة أيام أظهر لهم أن كتاباً قد وافاه من الملك ويريد أن يقرأه على الناس . فضرب الجرس ليجتمع الناس فى الكنيسة يوم الأحد ، ليسمعوا كتاب الملك . فاجتمع أهل الإسكندرية كلهم ، وكان قد واطأ أصحابه إذا أشار إليهم بعلامة بينه وبينهم ، أن يضعوا السيف على كل من فى الكنيسة ، وصعد على الأبلن (المنبر) وقال : « يا معشر أهل الإسكندرية إن رجعتم إلى الحق وتركتم مقالة اليعقوبية .. وإلا خفت عليكم أن يوجه الملك إليكم من يستحل سفك دمائكم ، ويستبيح حريمكم ، وييتّم أولادكم » .

فكان يكلمهم هذا الكلام وهم يرجمونه بالحصباء حتى خاف على نفسه أن يقتل ، فأظهر لأصحابه العلامة ، فوضعوا السيف على كل من فى الكنيسة ، فقتل داخل الكنيسة وخارجها من الناس ما لا يحصى كثرتهم !! حتى خاض الجند فى دماء الناس إلى ركبهم فهرب منهم خلق عظيم إلى وادى النطرون إلى « دير أبى مقار » وظهرت حينئذ مقالة الملكية ، وأخذوا الكنائس التى كان اليعاقبة قد أخذوها وغلبوا عليها ، واستقرت المدينة وذلك فى خمس عشرة سنة من ملك « يوستينياس » الملك .

ومن ذلك اليوم صار كرسى اليعاقبة فى « دير أبى مقار » . راجع (ابن البطريق ١/ ٢٠٠) .

(١) المراد بهم « السامريون » سكان السامرة ، أو نابلس . وهم يهود يخالفون سائر اليهود فى نقاط جوهرية . منها أنهم لا يقرون من كتب الوحى (التوراة) إلا الأسفار الخمسة المعروفة بـ « التوراة » وأنهم يقولون بواجب العبادة لا فى أورشليم ولكن على جبل جريزيم ، جبل جنوبى شكيم وهى بلدة بالقرب من نابلس فى فلسطين عندها قبر يوسف بن يعقوب ، وبئر يعقوب .

قتلوا من السّامرة خلقاً كثيراً ، ووضعَ من خراج فلسطين جمْلةً ، وجدّد بناءَ الكنائسِ ، وأنشأ مارستاناً ببيت المقدس للمرضى ، ووسّع فى بناء كنِيسة بيت لحم ، وبنى ديراً بطور سيناءَ ، وعمل عليه حصناً حوله عدة قلالى ، ورتّب فيها حرَساً لحفظ الرهبان .

[المجمع الخامس

مجمع القسطنطينية الثانى سنة ٥٥٣ م]

وفى أيامه كان المجمع الخامس من مجامع النّصارى .

وسببه أن « أريجانس » أسقف مدينة منْبج [١] ، قال بتناسخ الأرواح ، وقال كلٌّ من أسقف أنقره ، وأسقف المصّيصة ، وأسقف الرُّها : إنّ جَسدَ المسيح خيالٌ لا حقِيقىّ .. فحُمِلوا إلى القسطنطينية وجُمع بيْنهم وبين بطْرِكِها « أوطس » وناظرهم وأوقع عليهم الحرْمان .

فأمر الملكُ أن يُجمع لهمْ مجْمع ، وأمرَ بإحضار البطارِكة ، والأساقفة ، فاجتمع مائة وأربعون أسقفاً ، وحرّموا هؤلاء الأساقفة ، ومن يقول بقولهم .

فكانَ بين المجْمع الرابع الخلقدونىّ . وبين هذا المجْمع مائة وثلاث وستّون [٢] سنة .

[يوحنا المنّـانى [*]]

ولما مات القائدُ الّذى عمِل بطرك الإسكندرية بعد سبع عشرة سنة ،

---

(١) منبج : مدينة قديمة فى سوريا . شمال شرقى حلب حكمها الشاعر أبو فراس الحمدانى (٩٤٧م) فى عصر سيف الدولة الحمدانى . وفيها أسره الروم . وذهبوا به إلى القسطنطينية حيث قال الكثير من شعره .

(٢) يقول ابن البطريق ١/ ٢٠٦: « مائة سنة وثلاث سنين . وذلك فى سبع وعشرين سنة من ملك « يوستنياتوس » ملك الروم .

(*) انظر (ابن البطريق ١/ ١٩٩) أقام سنتين ومات .

أُقيم بعده . « يوحنا » وكان منانياً ، فأَقام ثلاث سنين ومات .

(٣٣)

[تاوداسيوس
سنة ٥٢٨ م [*]]

وقدَّم اليعاقبة بطركاً اسمه « تاوداسيوس » أقام مدة اثنتين وثلاثين سنة .

[داقيوس الملكانى [**]]

وقدم الملكية بطركاً اسمه « داقيوس » فكتب الملك إلى متولّى الإسكندرية أن يعْرض على بطرَك اليعاقبة أمانة المجْمع الخلْقدونى ، فإن لم يقبلها أخرجه .. فعرض عليه ذلك ، فلم يقبله فأَخْرجه .

[بولص التنيسى [***]]

وأقامَ بعده « بولص التنيسى » فلم يقبله أهلُ الإسكندرية ومات ، فغُلِّقت كنائسُ القبط اليعاقبة وأصابهم من الملكية شدائد كثيرة .. واستجدَّ اليعاقبةُ بالإسكندرية كنيستين فى سنة ثمان وأربعين ومائتين لدقلطيانوس ، ومات « تاوداسيوس » [1] / ثامن عشرى بئونة . (٣٩)

بعد اثنتين وثلاثين سنة من بطركيته ، منها مدة أربع سنين مدّة نفْيه فى صعيد مصر .

* * *

(*) هو « تاودوسيوس » البطرك . وهو من العدد الثالث والثلاثون .. أقام ٤ شهراً ، و٣١ سنة « تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ١/٨٩ - ٩٥ ، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٢) .

(**) يسميه ابن البطريق ١/ ١٩٩ : « غابيوس » .

(***) أقام سنتين ومات (ابن البطريق ١/ ٢٠٠) .

(١) وهو البطرك الثالث والثلاثون السابق .

(٣٤)

[بطرس الرابع
سنة ٥٩٩ م (*)]

وأُقيم بعده « بطرس » وكان يعقوبياً فى خفية بدير الزّجاج بالإسكندرية قدَّمه ثلاثة أساقفة ، فأَقام سنتين ومات فى خامس عشرى بئونة .

(٣٥)

[داميانو
سنة ٥٦٣ م (**)]

وفى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة أُقيم « داميانو » بطركاً بالإسكندرية وكان يعقوبياً ، فأَقام ستاً وثلاثين سنة ، ومات فى ثامن عشرى بئونة ، وفى أيامه خُرِّبت الديارات .

[أتناس المنانى (***)]

وأقام الملكية لهم بالإسكندرية بطركاً منانياً اسمه « أتناس » فأَقام خمس سنين ومات .

[يوحنا المنانى (****)]

فأُقيم بعده « يوحنا » وكان منانياً ، ولقب « القائم بالحق » ، فأقام خمس

(*) **بطرس الرابع** ، البطرك من العدد الرابع والثلاثون (بطاركة الكنيسة المصرية ١/٩٦ - ٩٧، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٢) .

(**) هو دميانوس البطرك من العدد الخامس والثلاثون .. أقام ١١ شهراً، و٣٥ سنة (بطاركة الكنيسة المصرية ٩٧ - ١٠٠، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٢) .

(***) راجع (ابن البطريق ١/٢٠٩) .

(****) راجع (ابن البطريق ١/٢٠٩) .

أشهر ومات[1] .

[يوحنا الملكانى]

فأُقيم بعده « يوحنا القائم بالأمر » وكان ملكياً فأَقام إحدى عشرة سنة ومات ، وفى أيام الملك « طيباريوس » ملك الرُّوم بنى النّصارى بالمدائن - مدائن كسرى - هيكلاً وبنوا أيضاً بمدينة واسط هيكلاً آخر .

[المـــارونية]

وفى أيام الملك « موريق قيصر » ، زعم راهبٌ اسمه « مارون » أن المسيح عليه السلام طبيعتان ، ومشيئةٌ واحدة ، وأقنوم واحد . فتبعه على رأْيه أهلُ حماه ، وقنسرين ، والعواصم ، وجماعة من الرُّوم ، ودانوا بقوله . فعُرِفوا بين النّصارى « بالمارونية » فلما مات مارون بنوا على اسمه « ديرَ مارون » بحماة .

[تحالف اليهود مع الفرس ، وإيقاعهم بالنصارى ، وهدم كنائسهم][2]

وفى أيام « فوقا » ملك الرُّوم بعث كسرى ملك الفرس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر ، فخرَّبوا كنائسَ القدْس ، وفلسطين ، وعامة بلاد الشام وقتلوا النصارى بأجمعهم ، وأَتوا إلى مصر فى طلبهم ، فقتلوا منهم أُمّةً كبيرة ، وسبُوا منهم سبْياً لا يدخل تحت حصر ، وساعدهم اليهودُ فى محاربة النصارى وتخريب كنائسهم ، وأَقبلوا نحو الفرس من طبريّة ، وجبل الجليل ، وقرية الناصرة ، ومدينة صور ، وبلاد القدس ، فنالوا من النصارى كل منال ، وأَعظموا النكاية فيهم ، وخرَّبوا لهم كنيستين بالقدْس ، وحرَّقوا أماكنهم وأَخذوا/ قطعة من عود الصليب ، وأسروا بطرك القدس وكثيراً من (٤٠)

---

(١) ابن البطريق ٢٠٩/١ يقول : إن يوحنا القائم بالحق هو الذى أقام إحدى عشرة سنة ومات .

(٢) راجع (ابن البطريق ٢٠٩/١) .

أصحابه ، ثم مضى كسرى بنفسه من العراق لغزو قسطنطينية تحت ملك الرُّوم فحاصرها أربع عشرة سنة .

[يوحنا الرَّحوم (*)]

وفى أيام « فوقا » أُقيم « يوحنا الرحوم » بطرك الإسكندرية على الملكية ، فدبّر أرضَ مصر كلّها عشر سنين وماتَ بقبْرص ، وهو فارٌّ من الفرس ، فخلا كرسى إسكندرية من البطركية سبع سنين لخلوّ أرض مصر والشام من الرُّوم ، واختفى من بقى بها من النصارى ؛ خوفاً من الفرس .

(٣٦)

[نسطاسيوس
سنة ٥٩٨ م (**)]

وقدَّم اليعاقبة « نسطاسيوس » بطركاً ، فأَقام ثنتى عشرة سنة ومات فى ثانى عشرى كيهك سنة ثلاثين وثلاثمائة لدقلطيانوس فاستردَّ ما كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس اليعاقبة ، ورمَّ ما شعَّثه الفرس منها ، وكانت إقامتهُ بمدينة الإسكندرية .. فأرسل إليه « أنباسيوس » بطرك أنطاكية هديّة صُحْبَة عدَّة كثيرة من الأساقفة ، ثم قدِمَ عليه زائِراً فتلقّاه وسرَّ بقدومه ، وصارت أرض مصر فى أيامه جميعها يعاقبة لخلوّها من الرُّوم .

[ثورة اليهود على النصارى وإيقاع النصارى بهم]

فثارت اليهود فى أثناء ذلك بمدينة صور(١) ، وراسلوا بقيَّتهم فى

(*) ابن البطريق ٢١٦/١ ولقب بالرحوم لأنه كان يتصدق بكل ما يملك حتى كان ينزع ثيابه ويتصدق بها ، حتى تصدق بثياب القدس التى يقدس فيها من شدة رحمته للمساكين فسمى « يوحنا الرحوم » .

(**) **أنسطاسيوس البطرك** : مدة إقامته ٦ أشهر و١٢ سنة من عدد الآباء السادس والثلاثون (بطاركة الكنيسة المصرية ١٠٠ - ١٠٣، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٣) .

(١) صور : قضاء فى لبنان (محافظة الجنوب) مركزه « صور » ينسب إليها « وليم الصورى » =

بلادهم ، وتواعدُوا على الإيقاع بالنصارى وقتْلهم ، فكانت بينهم حرب اجتمع فيها من اليهود نحو عشرين ألفاً ، وهدّموا كنائس النصارى خارج صور ، فقوِىَ النّصارى عليهم وكاثروهم ، فانْهزَم اليهود هزيمةً قبيحة ، وقتل منهم خلق كثير .

وكان هِرقل قد ملك الرُّوم بقسطنطينية ، وغلب الفرس بحيلةٍ دبرّها على كِسرى ، حتى رحل عنهم ، ثم سار من قسطنطينية ليمهّد ممالكَ الشام ومصر ، ويجدد ما خرَّبهُ الفرس منها ، فخرج إليه اليهود من طَبريّة وغيْرِها ، وقدّموا له الهدايا الجليلة ، وطلبوا منهُ أن يؤَمّنهم ويحلف لهم على ذلك ، فأمّنهم وحلف لهم ، ثم دخل القدْسَ وقد تلقاهُ النّصارى بالأناجيل والصُّلْبان والبخور والشموع المشْعِلة ، فوجد المدينة / وكنائسها وقمامتها [1] (٤١) خراباً ، فساءه ذلك وتوجّع له !! وأعلمه النّصارى بما كان من ثورة اليهود مع الفرس وإيقاعهم بالنّصارى ، وتخريبهم الكنائِس ، وأنهم كانوا أشد نكاية لهم من الفرس ، وقاموا قياماً كبيراً فى قتْلهم عن آخرهم ، وحثّوا هرقل على الوقيعة بهم ، وحسّنوا له ذلك ، فاحتجّ عليهم بما كان من تأْمينه لهم وحلفه .

[جمعة هرقل]

فأَفتاه رهبانهم وبطاركتهم وقسيسوهم بأنّه لا حرجَ عليه فى قتْلهم ؛ فإنهم عملوا عليه حيلةً حتّى أمّنهم من غير أن يعْلَم بما كان منهم ، وأنهم يقومون عنه بكفّارة يمينه ، بأن يلتزموا ويلزموا النّصارى بصوم جمعةٍ فى كلّ

= رئيسى أساقفة صور وصاحب كتاب « الحروب الصليبية » ترجمة الدكتور حسنى حبشى وهى مدينة ساحلية على البحر الأبيض المتوسط .. من عواصم « الفينيقيين » يرقى تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد . استولى عليها الصليبيون سنة ١١٢٤م واستردها العرب سنة ١٢٩١م .

(١) يقصد : وكنيسة قيامتها .

سَنَةٍ عنه ، علَى ممرِّ الزمان والدُّهور ، فمال إلى قوْلهم ، وأوقع باليهود وقيعةً شنعاءَ ، أبادهم جميعَهم فيها ، حتّى لم يبقَ فى ممالك الرُّوم بمصر والشام منْهم إلَّا مَنْ فرَّ واختفى ، فكتب البطارقة والأساقفة إلى جميع البلاد بإلْزام النصارى بصوم أسبوع فى السنة ، فالتزموا صوْمَه إلى اليوم ، وعرفت عندهم « بجُمُعة هرقل » وتقدّم هرقلُ بعمارة الكنائس والدّيارات ، وأَنفق فيها مالاً كبيراً .

(٣٧)
[أدراسلون
سنة ٦١١ م (*)]

وفى أيامه أُقيم « أدراسلون » بطرك اليعاقبة بالإسكندرية ، فأَقام ست سنين ومات فى ثامن طوبة ، فخربت الدّيارات فى مدة بطركيته .

(٣٨)
[بنيامين
سنة ٦٣٧ م (**)]

وأُقيم بعده على اليعاقبة « بنيامين » فعمَّر الديرَ الذى يقال له : « دير أبو بشاى » ، و« دير سيدة أبو بشاى » ، وهما فى وادى هبيب ، فأقام تسعاً وثلاثين سنة ، ملك الفرسُ منها مصر عشرَ سنين ، ثم قدِمَ هرقلُ فقتل الفرسَ بمصْرَ .

(*) هو « أندرونيقوس » البطرك . السابع والثلاثون من العدد . أقام ٦ سنوات (بطاركة الكنيسة المصرية ١/١٠٣ - ١٠٤، ومختصر تاريخ البطاركة) .

(**) **بنيامين البطرك** . الثامن والثلاثون من العـدد . أقام ٣٩ سنة (بطاركة الكنيسة المصرية ١/١٠٤ - ١٢٠، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٤) .

[فيرش المنانى (*)]

وأقام « فيرش » بطرك الإسكندرية وكان منانياً ، وطلب بنيامين ليقْتله ؛ فلم يقدر عليه لفراره منه ، وكان هرقلُ مارونياً ، فظفر « بمينا » أخى بنيامين ، فأَحرقه بالنار عداوة لليعاقبة ، وعاد إلى القسطنطينية [1] .

[فتح العرب مصر]

فأَظهر الله دين الإسلام فى أيامه ، وخرج مُلْكُ مصر والشام من يد النّصارى ، وصار النّصارى ذمّة للمسلمين ، فكانت مدّة النّصارى منذ / رُفِع (٤٢) المسيح إلى أن فتحت مصر ، وصار النّصارى من القبْط ذمّة للمسلمين[2] ... منها مدة كونهم تحت أيدى الرُّوم ، يقتلونهم أبرح قتْل بالصلب والتحريق بالنار ، والرَّجم بالحجارة ، وتقْطيع الأعضاء ... ومنها مدّة استيلائهم بتنصر الملوك .

* * *

(*) يدعوه صاحب بطاركة الإسكندرية ١٠٦/١ « قورس » أرسله هرقل ليكون بطركا للإسكندرية ، وواليا أيضاً ففر « بنيامين » وأساقفته واختفوا فى البرارى والجبال لمدة عشر سنوات وهى المدة التى كان فيها هرقل ، والمقوقس ، مسلّطيْن على ديار مصر ، ولما أنزلوه بالأرثوذكس .

(١) يقول ساويرس بن المقفع : خاف والى الإسكندرية وبطركها من قبل الروم أن يقتله عمْرو فمص خاتماً مسموماً ، فمات لوقته (بطاركة الإسكندرية ١٠٨/١) .

(٢) بعد كلمة « ذمة للمسلمين » بياض بمقدار كلمة فى خطط المقريزى طبعة بولاق ، وبالتالى ترك لها « القول الإبريزى » بياضا أيضاً .

وكذلك بعد كلمة « وتقطيع الأعضاء » تركا لها بياضا وأشارا إليها . وبالرجوع إلى المخطوط (رقم ٤٧٩ جغرافيا طلعت ورقة ٣٦٩) وجدنا الكلام متصلاً ولا بياض .

ذِكْر دخول النّصارى مِنْ قِبْط مِصْر
فى طاعة المسلمين، وأدائهم الجزْية، واتّخاذِهم ذمةً لهم، وما كانَ فى ذلِكَ من الحوادِث والأنباء

اعلم أنّ أرضَ مصر لما دخلها المسلمون كانت بأَجمعها مشحونةً بالنّصارى .. وهم على قسمين متباينين فى أجناسهم وعقائدهم :

أحدهما : أهلُ الدولة وكلّهم رومٌ . من جنْد صاحب القسْطنْطِينيّة مَلِك الرُّوم ، ورأْيُهم ، وديانتهم بأجمعهم ديانةَ الملكية ، وكانت عدّتهم تزيد على ثلاثمائة ألف روميّ .

والقِسْم الآخر : عامّة أهل مصر ، ويقال لهم «القبْط» وأنسابُهم مختلطة ، لا يكاد يتميّز منهم القبْطىّ ، من الحبشىّ ، من النوبىّ ، من الإسرائيلىّ الأَصل ، من غيره ، وكلّهم يعاقبة ، فمنهم : كتّاب المَمْلكة ، ومنهم التّجار والباعة ، ومنهم الأساقِفة والقسوس ونحوهم ، ومنهم أهل الفلاحة والزَّرع ، ومنهم أهل الخِدْمة والمهنة .

وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع مناكَحتَهم ، ويوجب قتْل بعضِهم بعضاً ، ويبلغ عددهم عشَرَاتُ آلاف ، كثيرة جدًّا ، فإنهم فى الحقيقة أهلُ أرض مصر .. أعلاها وأَسفلها .

(٤٣) فلما قدم عمْرو بنُ العاص بجيوش المسلمين معه إلى مصرَ / قاتلهم الرُّوم حمايةً لملكهم ، ودفعاً لهم عن بلادهم ، فقاتَلَهم المسلمون ، وغلبوهم على الحِصْن كما تقدم ذِكْره ، فطلب القبْط من عمرو المصالحةَ على الجِزْية ، فصالحهم عليها [1] ، وأقرّهم على ما بأَيْديهم من الأَراضى وغيْرها ، وصارُوا معَه عوْناً للمسلمين على الرُّوم [2] ، حتّى هزمهم الله تعالى ، وأخرجَهم من أرض مِصْر .

---

(١) صالح عمرو بن العاص جميع من فى مصر من الرجال القبط الذين راهقوا الحُلم إلى ما فوق ذلك .. ليس فيهم امرأة ، ولا شيخ ، ولا صبى .. فأحصوا بذلك على .. دينارين .. دينارين . فبلغت عدتهم : ثمانية ألف ألف .. وشرط المقوقس للروم أن يخيَّروا . فمن أحبَّ منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك . ومن أراد منهم أن يخرج إلى أرض الروم خرج . انظر (ابن عبد الحكم . فتوح مصر وأخبارها ٧٠ - ٧١) .

(٢) وكانت عدة الروم ١٠٠ مائة ألف . معهم العدة والقوة (المرجع السابق) .

وكتب عمْرو «لبنيامين» بطرك اليعاقبة أماناً فى سنة عشرِين من الهجرة ، فسرَّه ذلك ، وقدم على عمْرو ، وجلس على كرسىّ بطركيته بعد ما غاب عنهُ ثلاث عشرة سنة ، منها فى مُلْك فارس لمِصْر عشْرُ سنين ، وباقيها بعد قدوم هِرقْل إلى مصر .

فغلبت اليعاقبة على كنائس مصْرَ ودياراتِها كلّها ، وانفردُوا بها دون الملكية .

ويذكر علماءُ الأخبار من النّصارى : أن أمير المؤْمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لما فتح مدينة القدْس ، كتب للنّصارى أماناً[1] على أنفسهم ، وأولادهم ، ونسائهم ، وأموالهم ، وجميع كنائسهم ، لا تُهْدم ولا تسكن .. وأنه جلس فى وسط صحن كنيسة القمامة ، فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارجَ الكنيسة على الدَّرَجة التى علَى بابها ، بمفْردِه[2] ، ثم جلس وقال للبطرك : لو صليتُ داخلَ الكنيسة لأخذها المسلمون من بعْدِى ، وقالوا : هاهنا صلى عمَر .. وكتب كتاباً يتضمّن أنه لا يصلّى أحدٌ من المسلمين على الدّرجة إلا واحداً ، واحداً ، ولا يجتمع

---

(١) يقول ابن البطريق ٢ / ٧: «ثم اتصل بالمسلمين قدوم عمر بن الخطاب ... ثم صاروا جميعاً إلى بيت المقدس ، فحاصروها ، فخرج إليهم (صفرونيوس) بطرك بيت المقدس إلى عمر بن الخطاب ، فأعطاه عمر بن الخطاب أماناً وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر بن الخطاب لأهل مدينة إيليّــا (أى القدس)

إنهم آمنون على دمائهم ، وأولادهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، ألّا تُهْدَمَ ، ولا تُسْكَن .

«**وأشهد شهوداً ، وفتح له باب المدينة فدخل عمر المدينة وأصحابه ، وجلس فى صحن القيامة**» .

(٢) يقول ابن البطريق : فلما حضرته الصلاة قال لصفرونيوس البَطْرك : أريد أن أصلى . فقال له البطرك : يا أمير المؤمنين صَلِّ موضعك . فقال عمر : ليس أصَلّى هاهنا . فأخرجه البطريرك إلى **كنيسة قسطنطين** ، وطرح له حصيراً فى وسط الكنيسة . فقال له عمر : لا . ولا هاهنا أصلى أيضاً . فخرج عمر إلى الدرجة التى على باب **كنيسة مارقسطنطين** مما يلى الشرق . فصلى وحده على الدرجة ، ثم جلس وقال لصفرونيوس ... إلخ .

المسلمون بها للصلاة فيها، ولا يؤَذِّنون عليها[1] .

وأنه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجداً، وكان فوقها تراب كثير[2] فتناول عمر رضى الله عنه من التراب فى ثوبه، فبادر المسلمون لرفْعه حتى لم يبقَ منه شيءٌ، وعمَّر المسجدَ الأقصى أمام الصخرة[3] ، فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخلَ الصخرة فى حرم الأقصى، وذلك سنة خمس وستين مِن الهجرة، ثم إن عمر رضى الله عنه أتى «بيت لحم» وصلّى فى كنيسته عند الخشبةِ/ التى وُلد فيها المسيح، (٤٤) وكتب سجلاً بأيدى النّصارَى : ألّا يصلى فى هذا الموضع أحدٌ من المسلمين إلّا رجلٌ بعدَ رجُل، ولا يجْتمعون فيه للصلاة، ولا يؤَذِّنون عليه .

ولما مات البطرك بنيامين فى سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالإسكندرية فى إمارة عمرو الثانية قدَّم اليعاقبة بعده .

(٣٩)

[أغاثو
سنة ٦٥٦م (*)]

«أغاثو» فأَقام سبع عشرة سنة ومات سنة ستٍّ وخمسين، وهو الذى

---

(١) تاريخ ابن البطريق ٢/١٧ .

(٢) لما تنصر الروم، وبنت هيلانة أم قسطنطين الكنائس، كان موضع الصخرة وحولها خراب فترك، ورَمُوا على الصخرة التراب حتى صار فوقها مزبلة عظيمة (المرجع السابق ٢/١٨) .

(٣) قال قوم : نبنى المسجد ونصيِّر الصخرة فى القبلة . فقال عمر : لا . بل نبنى المسجد ونصيِّر الصخرة فى آخر المسجد .

وذلك لأن هذه الصخرة كانت مقدسة عند بنى إسرائيل ويسمونها «قدس القدس» لأنها الصخرة التى كلم الله يعقوب عليها وسماها يعقوب «باب السماء» وكانت هيكلاً لبنى إسرائيل، وكانوا يعظمونها ويجعلونها قبلتهم (المرجع السابق ٢/١٨) .

(*) أغاثو البطرك . ولد بنيامين بالروح لا بالجسد . أقام ٩ شهراً و١٦ سنة وهو من العدد التاسع والثلاثون (بطاركة الكنيسة المصرية ١/١٢١ - ١٢٤، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٥) .

بنى كنيسة مرقص بالإسكندرية ، فلمْ تزَلْ إلى أن هُدْمت فى سلطنة الملك العادِل أبى بكر بن أيوب [1] ، وكان فى أيامه الغلاءُ مدّة ثلاث سنين ، وكان يهتم بالضعفاء .

(٤٠)

[يوحنا البطرك
سنة ٦٧٣م [*]]

لما تنيّح « أنبا أغاثو » قدم اليعاقبة « الأنبا يوحنا » لكن تادرس الخلقدونى كان قد وضع يده على الكنائس القبطية .

ومنذ تولى عبد العزيز بن مروان علَى مصر ، اتّخَذ له كاتبان من اليعاقبة « أرسوذِكْسِيّان » هما : « سناديوس » من أهل « الرّها » من أعمال سورية .. و « إسحاق » من أهل « شُبْرا تَنَى » فكتب إليهما البطرك « يوحنا » من الإسكندرية ، يعرّفهما حال الكنائس وكيف هى بين الخلقدونيين الذين أغلقوها بالشمع حتى لا يصَلِّى فيها اليعاقبة « الأرسوذكس » .. واستخدم هذان الكاتبان نفوذهما وأرسلا رسُلاً إلى الإسكندرية لفتح الكنائس وتسليمها جميعاً للبطرك القبطى « يوحنا » فأقام شهراً ، وثمانى سنوات ومات] .

* * *

(١) الملك العادل أبو بكر بن أيوب . ابن الملك الكامل : من أعظم الأمراء الأيوبيين (١٢٢١ - ١٢٤٨م) قاتله أخوه الملك الصالح على الملك ، ومات سجينا فى القاهرة سنة ١٢٤٨م .

(*) لم يذكره المقريزى ولذا فقد وضعناه بين معقوفتين .. من « يوحنا البطرك » حتى « ومات » . وهو البطرك الأربعون . أقام ١ شهرا و٨ سنة . من أهل سمنود التابعة لمركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية . راجع (بطاركة الكنيسة المصرية ١/١٢٤ - ١٣٠، ومختصر البطاركة ، للأمير عمر طوسون ١١٥، وتاريخ الكنيسة القبطية ، للقس نسى يوحنا . ط ٨٣، مكتبة المحبة ، ، ودليل المتحف القبطى . مرقس سميكة باشا ٢/١٩٣) .

(٤١)

[إيساك

سنة ٦٨١م (*)]

فأُقيم بعده « إيساك » وكان يعقوبياً ، فأَقام سنتين وأحد عشر شهراً ومات .

(٤٢)

[سيمون السريانى

سنة ٦٨٤م (**)]

فقدَّم اليعاقبة بعده « سيمُون السريانى » فأقام سبع سنين ونصفاً ومات ؛ وفى أيامه قدِمَ رسول أهل الهند فى طلب أسقف يقيمه لهم ، فامتنع من ذلك حتى يأْذن له السلطان ، وأَقام غيرَه ، وخلا بعد موته كرسى الإسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك .

(٤٣)

[الإسكندروس

سنة ٦٩٥م (***)]

ثم قدَّم اليعاقبة فى سنة إحدى وثمانين « الإسكندروس » فقام أربعاً

(*) هو : « إسحاق البطرك من العدد الحادى والأربعون . أقام ١١ شهراً و٢ سنة (بطاركة ١/١٣٠ - ١٣٢، مختصر تاريخ البطاركة ١١٥) .

(**) سيمُون السريانى الأول، هو سيمَان البطرك ، وهو من العدد الثانى والأربعون . أقام ٨ شهراً و٧ سنوات (بطاركة الكنيسة المصرية ١/١٣٢ - ١٤١، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٦) .

(***) هو : « الإسكندروس » الثانى البطرك منذ سنة ٦٩٥. وهو من العدد الثالث والأربعون . أقام ٩ شهراً و٢٤ سنة (بطاركة الكنيسة المصرية ١/١٤٢ - ١٥٨، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٦) .

وعشرين سنة ونصفاً، وقيل خمساً وعشرين سنة، ومات سنة ست ومائة، ومرّت به شدائد صودر فيها مرّتين، أُخذ منه فيهما ستة آلاف دينار.

[أول جزية أخذت من الرهبان]

وفى أيامه أُمِّر عبد العزيز بن مروان [١] فأمر بإحصاء الرهبان فأُحصوا، وأخِذت منهم الجزية عن كلِّ راهبٍ دينار، وهى أوّل جزيةٍ أُخذت من الرُّهبان.

ولما وَلِىَ مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان [٢]. اشتدَّ على النّصارى، واقتدى به قرّة بن شريك [٣] أيضاً فى ولايته على مصر، وأنزل شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها، وكان عبد الله بن الحبحاب ـــ متولى الخراج - قد زاد على القبط قيراطاً فى كلِّ دينار، فانتقض عليه عامة الحوف الشرقى [٤] من القبط، فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم عدّةً وافرة، فى سنة سبع / ومائة، واشتدّ أيضاً أُسامة بن زيد التنوخى - متولى الخراج - على (٤٥) النصارى، وأوقع بهم وأخذ أموالهم، ووسم أيدى الرُّهبان بحلقة حديد، فيها اسم الراهب، واسم ديره، وتاريخه، فكلّ من وجدَه بغير وسْمٍ قطع يده، وكتبَ إلى الأعمال بأنّ مَن وُجِد من النصارى وليس معه منشور، أن يؤْخذ منه عشرة دنانير، ثم كبس الديارات، وقبض على عدة من الرُّهبان بغير وسْمٍ فضرب أعناق بعْضِهم، وضرب باقيهم حتى ماتوا تحتَ الضّرب، ثم هدِّمت الكنائس، وكسرت الصُّلبان ومُحِيت التماثيل، وكسِرت

---

(١) **عبد العزيز بن مروان**: حكم مصر عشرين سنة. أحسن فيها التدبير والسياسة، والحلم. توفى سنة ٧٠٤م.

(٢) **عبد الله بن عبد الملك بن مروان**: ولد سنة ٦٨٠ أنجَد أباه فى غزواته للبيزنطيين، وأدخل اللغة العربية فى ديوان دمشق.

(٣) حاكم مصر (٧٠٩ - ٧١٤) ورئيس ديوان المالية. عامل الرعية بالرفق لكنه ضرب الجزية على الأقباط الذين اعتنقوا الإسلام لحاجته إلى المال.

(٤) **الحوف الشرقى**: من جهة الشام تجاه بلبيس. والحوف: الناحية، أو الجانب الشرقى.

الأصنام بأجمعها وكانت كثيرة ، فى سنة أربع ومائة .. والخليفة يومئذ : يزيد بن عبد الملك[1] ، فلما قام هشامُ بن عبد الملك[2] فى الخلافة كتب إلى مصر بأنْ يجرى النّصارى على عوائدهم ، وما بأيديهم من العهْدِ ، فقدِمَ حنظلةُ بن صفوان[3] أميراً على مصر فى ولايته الثانية ، فتشدّد على النّصارى وزاد فى الخراج ، وأحصى النّاسَ والبهائم ، وجعلَ على كل نصرانىّ وشماً صورة أسد ، وتتبّعهم ، فمن وجده بغير وشْمٍ قطع يده .

(٤٤)

[قسيما
سنة ٧٢٠م[*]]

ثم أقام اليعاقبة بعد موت الإسكندروس بطركاً اسمه « قسيما » فأَقام خمسة عشر شهراً ومات .

---

(١) **يزيد بن عبد الملك بن مروان** : من الخلفاء الأمويين (٧٢٠ - ٧٢٤م) ناصر اليمنيين ، وكان منهمكاً فى الملذات ، وكانت ولايته أربع سنين وشهر ، وتوفى فى رجب سنة ١٠٥هـ (ابن البطريق ١/٤٥) .

(٢) **هشام بن عبد الملك بن مروان** . من الخلفاء الأمويين (٧٢٤ - ٧٤٣م) سعى فى إخماد الفتن فى العراق وخراسان ومصر . وحارب البيزنطيين براً وبحراً ، ووصلت جنوده إلى بحر قزوين . توفى فى الرصافة .

(٣) **حنظلة بن صفوان الكلبى** : أمير من القادة الشجعان من أهل دمشق ، استخلف على إمارة مصر سنة ١٠٣هـ . حطم الصور والتماثيل بأمر الخليفة يزيد بن عبد الملك وخلف يزيد أخوه هشام ، فعزله سنة ١٠٥هـ ، ثم أعاده إلى مصر سنة ١١٩هـ . فأقام بها إلى سنة ١٢٤هـ ، وتوفى حوالى سنة ١٣٠هـ - ٧٤٨م .

(*) هو « قسما » الأول البطرك . وهو من عدد الآباء . الرابع والأربعون . أقام ٤ شهراً و ١ سنة (البطاركة ١/١٥٨ - ١٥٩، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٦) .

ويذكر ابن البطريق أن النصارى الملكية كانوا يصلون فى كنيسة « مارسابا » لأن اليعاقبة كانوا قد غلبوا على الكنائس كلها بمصر والإسكندرية ، واحتاجت « النوبة » إلى أساقفة فأصلح لهم بطرك اليعاقبة أساقفة ، فصارت « النوبة » منذ ذلك الوقت « يعاقبة » وكان كلما مات أسقف مدينة من مدن مصر صير عليها بطرك اليعقوبية أسقفاً ، فصارت مصر من أعلاها وأسفلها يعاقبة . ما خلا كنيسة « ميكائيل » التى فى « قصر الشمع » فإن الملكية أمسكوها ، وكانوا يصلون فيها (ابن البطريق ٢/ ٤٦) .

(٤٥)

[تادرس

سنة ٧٢١م (*)]

فقدّموا بعده « تادرس » فى سنة تسع ومائة ومات بعد إحدى عشرة سنة . وفى أيامه أحدثت كنيسة « يوقنا » بخط الحمراء ، ظاهر مدينة مصر ، فى سنة سبع عشرة ومائة ، فقام جماعةٌ من المسلمين علَى الوليد بن رفاعة (١) أمير مصر بسبَبها .

(٤٦)

[ميخائيل

سنة ٧٣٥م (**)]

وفى سنة عشرين ومائة قدم اليعاقبة « ميخائيل » بطركاً فأَقام ثلاثاً وعشرين سنة ومات .

وفى أيامه انتقض القبط بالصعيد وحاربوا العمّال فى سنة إحدى وعشرين ، فَحُوربوا ، وقتل كثير منهم ، ثم خرج « بخنس » (٢) بسمنود

(*) هو « تاودورس » البطرك . وهو من العدد الخامس والأربعون . أقام ٤ شهراً و١١ سنة (بطاركة الكنيسة المصرية ١٥٩/١ – ١٦٠، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٧) .

(١) **الوليد بن رفاعة بن خالد الفهرى** : أمير . كان يلى شرطة (الأمن) فى مصر ، ثم نُحّى عنها سنة ٩٧هـ ، ثم قلده هشام بن عبد الملك إمارة مصر سنة ١٠٩هـ ، وفى أيامه أذن فى بناء « كنيسة الحمراء » التى عرفت بعد ذلك بـ « أبو مينا » فثار « وهيب اليحصبى » وقتل ، فخرج القراء بالفسطاط غضباً لمقتله ، فأصلح ابن رفاعة الأمر بالقبض على قتلة وهيب وسكنت الفتنة ، واستمر والياً إلى أن توفى سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م .

(**) جاء فى دليل المتحف القبطى لمرقس سميكة أن اسمه « خائيل » وجاء فى (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ١٦٠/١ – ٢١٧) أن اسمه « خايال » البطرك ، وفى مختصر تاريخ البطاركة ميخائيل الأول (ص ١١٧) ، وهو من العدد السادس والأربعون . أقام ٦ شهراً و٢٣ سنة .

(٢) فى الخطط والقول الإبريزى : « بخنس » بالباء الموحدة . والمذكور فى سائر المصادر القبطية « يحنس » بالياء المثناة .

وحارب وقُتِل في الحرب ، وقُتِل معه قبط كثير ، في سنة اثنتين وثلاثين ومات .

ثم خالفت القبط برشيد فبعث إليهم مروان بن محمد [1] لما قدم مصر وهزمهم ، وقبض / عبدُ الملك بن موسى بن نصير [2] . أميرُ مصر على البطْرك « ميخائيل » فاعتقله وألزمه بمال ، فسار بأساقفته في أعمال مصر ، يسأل أهلها ، فوجدهم شدائد ، فعاد إلى الفسطاط ، ودفع إلى عبد الملك ما حصل له ، فأفرَجَ عنه ، فنزل به بلاءٌ كبير من مرْوان ، وبطش به ، وبالنصارى ، وأحْرق مصر وغلّاتها !! وأسر عدّةً من النساء المترهِّبات ببعض الدِّيارات ، وراود واحدةً منهنَّ عن نفسها ! فاحتالت عليه ودفعته عنها بأن رغّبته في دُهْنٍ معها إذا ادّهن به الإنسان لا يعْمَل فيه السِّلاح ، وأوثقته بأن مكّنته من التجربة في نفْسِها ، فتمت حيلتُها عليْه ، وأخرجتْ زيتاً ادّهَنت به ، ثم مدت عنقها فضربها بسيفه أطار رأْسَها ، فعلم أنها اختارت الموتَ على الزنا ! وما زال البطرك والنصارى في الحديد مع مروان إلى أن قتل « ببوصير » [3] فأُفْرِج عنهم . (٤٦)

[قسيما . بطرك الملكية (*)]

وأما الملكية : فإن ملكَ الرُّوم « لاون » أقام « قسيما » بطرك الملكية بالإسكندرية في سنة سبع ومائة ، فمضى ومعه هدية إلى هشام بن عبد الملك ، فكتب له بردِّ كنائس الملكية إليهم ، فأَخذ من اليعاقبة كنيسةَ البشارة ، وكان الملكيّة أقاموا سبعاً وسبعين سنة بغير بطرك في مصر ، من

---

(١) **مروان بن محمد** : آخر خلفاء بني أمية . قتل في صعيد مصر . وهو ابن ٦٩سنة وصارت الخلافة للعباسيين .

(٢) **عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير اللخمي** : آخر أمير ولي مصر في العصر الأموي ، وكان على خراجها قبل ذلك ، ثم ولي إمارتها سنة ١٣٢هـ لمروان بن محمد (آخر خلفاء بني مروان) توفي بعد سنة ١٣٣هـ / ٧٥١م .

(٣) **بوصير** : اسم لعدة قرى في مصر . و « بوصير قوريدس » .. قرية من الجيزة ، بها قتل مروان ابن محمد .

(*) في ابن البطريق « قزما » وكان بطركاً أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب ، وكانت صناعته عمل « الإبر » فذهب إلى هشام بن عبد الملك في دمشق فدفع من يسلمه الكنائس التي أخذتها اليعاقبة وكتب هشام إلى عامله بمصر بأن يتسلم كنائس الملكية (٤٥/١) .

عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى خلافة هشام بن عبد الملك ، فغلب اليعاقبةُ فى هذه المدة على جميع كنائس مصر ، وأقاموا بها منهم أساقفةً ، وبعث إليهم أهل بلاد « النوبة » فى طلب أساقفة ، فبعثوا إليهم من أساقفة اليعاقبة ، فصارت « النوبة » من ذلك العهد يعاقبة .

(٤٧)

[أنبا مينا
سنة ٧٥٨م (*)]

ثم لما مات « ميخائيل » قدم اليعاقبةُ فى سنة ستٍّ وأربعين ومائة « أنبا مينا » فأقام سبع سنين ومات .

وفى أيامه خرج القبط بناحية « سخا » [١] وأخرجوا العمال فى سنة خمسين ومائة ، وصاروا فى جمْع ، فبعث إليهم يزيد بن حاتم بن قبيصه [٢] أميرُ مصر . عسكراً ، فأتاهم القبط ليلاً ، وقتلوا عدّة من المسلمين ، وهزموا باقيهم ، فاشتدّ البلاءُ / على النّصارى ، واحتاجوا إلى أكْل الجِيف ! وهدِّمت الكنائسُ المحْدثة بمصر ، فهُدِمت كنيسةُ مريم المجاورة لأبى شنودة بمصر ، وهُدِمت كنائس محارس قسطنطين ، فبذل النّصارى لسليمان بن علىّ أمير مصر فى تركها خمسين ألف دينار فأبى ، فلمّا وُلِّىَ بعده موسى بن عيسى أَذِنَ لهم فى بنائها ، فبنيت كلها بمشورة اللّيْث بن سعْد [٣] ، وعبد الله بن (٤٧)

(*) هو « أبو مينا » البطرك . وفى الخطط والقول الإبريزى « أنبا منسنا » وهو السابع والأربعين من العدد . أقام ١٠ شهراً و٨ سنة (البطاركة ٢١٧/١ - ٢٣٧ ، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٧) .

(١) **سخا** : مدينة فى محافظة الغربية من مصر ، كان فيها أسقفية ، منها على السخاوى عالم القراءات ، وشمس الدين السخاوى صاحب الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع . وغيره .

(٢) هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى : من القادة الشجعان ، ولى الديار المصرية سنة ١٤٤هـ فى العصر العباسى للمنصور ، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر ، ثم صرفه المنصور إلى ولاية إفريقيا سنة ١٥٤هـ فاستمر والياً بها خمس عشرة سنة .

(٣) **الليث بن سعد** : (٩٤ - ١٧٥هـ / ٧١٣ - ٧٩١م) إمام أهل مصر فى عصره ..حديثاً .=

لهيعة[1] ، قاضى مصر .. واحتجّا بأن بناءَها من عمارة البلاد ، وبأنّ الكنائسَ الّتى بمصر لم تبن إلّا فى الإسلام فى زمن الصحابة والتابعين .

(٤٨)

[يوحنا

سنة ٧٦٨م (*)]

فلما مات « أنبا مسنا » قدم اليعاقبة بعده « يوحنا » فأَقام ثلاثاً وعشرين سنة ومات .

وفى أيامه خرج القبط « ببلهيت » [2] سنة ست وخمسين فبعث إليهم موسى بن علىّ أميرُ مصر وهزمهم .

(٤٩)

[مرقص الجديد

سنة ٧٩٠م (**)]

وقدم بعده اليعاقبة « مرقص الجديد » فأَقام عشرين سنة وسبعين يوماً ومات .

=وفقهاً . وأصولا . قال الإمام الشافعى : الليث أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به . أخباره كثيرة ، وله عدة مصنفات ، ولابن حجر العسقلانى كتاب « الرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية » فى سيرته .

(١) **عبد الله بن لهيعة** : (٩٧ - ١٧٤هـ / ٧١٥ - ٧٩٠م) قاضى الديار المصرية ، وعالمها ، ومحدّثها فى عصره . قال الإمام ابن حنبل : ما كان محدّث مصر إلا ابن لهيعة .. احترقت داره وكتبه سنة ١٧٠هـ !! فبعث إليه الليث بن سعد بألف دينار . وتوفى بالقاهرة .

ولى قضاء مصر للمنصور العباسى سنة ١٥٤هـ .

(*) **أنبا يوحنا الرابع البطرك** . وهو من العدد الثامن والأربعون . أقام ١ شهراً و٢٢ سنة (البطاركة ٢٢٧/١ - ٢٣٦، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٨) .

(٢) **بُلْهيت** : فى ياقوت « بلهيب » بالباء الموحدة : من قرى مصر .

(**) **مرقص الثانى البطرك** . من عدد الآباء التاسع والأربعون . أقام ٣ شهراً و٢٠ سنة (البطاركة ٢٣٧/١ - ٢٥٤، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٨) .

وفى أيامه كانت الفتنة بين الأمين والمأمون[1] ، فانتُهبت النّصارى بالإسكندرية ، وأحرِقت لهم مواضع عديدة ، وأُحرِقت ديارات وادى هبيب ، ونُهِبت ، فلم يبق بها من رهبانها إلّا نفرٌ قليل .

وفى أيامه مضى بطرك الملكية إلى بغداد ، وعالجَ بعض حظايا أهل الخليفة ؛ فإنه كان حاذقاً بالطب ، فلما عُوفيَتْ كتبَ له بردّ كنائس الملكية الّتى تغلّب عليها اليعاقبة بمصر ، فاستردها منهم ، وأَقام فى بطركية الملكية أربعين سنة ومات .

(٥٠)
[يعقوب
سنة ٨١٠ م [*]]

ثم قدّم اليعاقبةُ بعد « مرقص » « يعقوب » فى سنة إحدى عشرة ومائتين ، فأَقام عشْرَ سنين وثمانية أشهر ومات .

وفى أيامه عُمِّرت الدياراتُ ، وعاد الرُّهبانُ إليها ، وعمِّرت كنيسةٌ بالقدس لمن يرد من نصارى مصر ، وقَدِم عليه « ديونوسيس » بطرك أنطاكية فأَكْرمه حتّى عاد إلى كرسيّه .

وفى أيامه انتقض القبط فى سنة عشرة ومائتين ، فأوقع بهم

(١) ابنا هارون الرشيد . تولى « الأمين » الخلافة بعد أبيه فوجه عليّ بن عيسى بن ماهان لمحاربة « المأمون » ووجه « المأمون » من مرْو طاهر بن الحسين فقتل طاهر على بن عيسى وهزم جيوش « الأمين » وصار إلى بغداد ، وسُلّم على « المأمون » بالخلافة فى خراسان سنة ١٩٦هـ فاتصلت الفتن ببغداد . وقتل « الأمين » سنة ١٩٨هـ وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة ، وكانت خلافته أربع سنين ، وثمانية أشهر ، وستة أيام .

وقدم « المأمون » إلى بغداد فى صفر سنة ٢٠٤هـ وقلد شرطته طاهر بن الحسين وفتحت الأمصار وانقطعت الفتن .

(*) يعقوب البطرك . من عدد الآباء الخمسون . أقام ٩ شهراً و١٠ سنة (البطاركة ٢٥٤/١ - ٢٧٠، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٨) .

« الأفشين »[1] حتّى نزلوا على حُكْم أمير المؤْمنين عبد الله المأْمون ، فحكم فيهم بقتْل الرِّجال / ، وبيْع النساء والذرية .. فبيعوا ، وسُبِى أكْثرهم ، ومن (٤٨) حينئذٍ ذلّت القبط فى جميع أرض مصر ، ولم يقدر أحدٌ منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان ، وغلبهم المسلمون على عامة القرى ، فرجعوا من المحاربة إلى المكايدة ، واستِعمال المكْر والحيلَة ، ومكايدَة المسلمين ، وعملوا كتّاب الخراج ، فكانت لهم وللمسلمين أخبارٌ كثيرة ، يأْتى ذِكْرها إن شاء الله تعالى .

(٥١)
[سيماون
سنة ٨٢١ م [*]]

ثم قدّم اليعاقبة « سيماون » بطركاً فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، فأقام سنة ومات .. وقيل : بل أقام سبعة أشهر وستة عشر يوماً ، فخلا كرسى البطاركة بعده سنة ، وسبعة وعشرين يوماً .

(٥٢)
[يوساب
سنة ٨٢٣ م [**]]

وقدّم اليعاقبة « يوساب » فى دير بو مقار بوادى هبيب فى سنة سبع وعشرين ومائتين فأقام ثمانى عشرة سنة ومات .

(١) **الأفشين**: قائد جيوش المعتصم فى غزوات بلاد الروم فى آسيا الصغرى ، والظافر فى وقعة « عمورية » سنة ٨٣٨م . رمى بالكفر ومات فى السجن جوعاً سنة ٨٤١م .

(*) أنباسيماون الثانى ، البطرك . العدد الحادى والخمسون . أقام ٧ أشهراً و٠٠ سنة (البطاركة ١/ ٢٧٠- ٢٧١) .

(**) أنبايوساب (يوسف) البطرك . العدد الثانى والخمسون . أقام ١٠ شهراً و١٧ سنة (البطاركة ١/٢٧١ - ٣٠٠، ومختصر تاريخ البطاركة ١١٩) .

وفى أيامه قَدِمَ مصرَ يعقوبُ مطران الحبشة ، وقد نفته زوجةُ ملكهم ، وأقامتْ عوضَه أسقفاً ، فبعث ملكُ الحبشة يطلب إعادته من البطرك ، فبعث به إليه ، وبعث أيضاً عدّة أساقفة إلى أفريقية .

وفى أيامه مات بطرك أنطاكية الوارد إلى مصر فى السنة الخامسة عشرة من بطركيته .

[أهل الذمة . فى عصر المتوكل]

وفى أيامه أمر المتوكل على الله [1] فى سنة خمس وثلاثين ومائتين أهلَ الذمّة بلبْس الطيالِسَة العسليَّة ، وشدّ الزنانير ، وركوب السروج بالركُب الخشب ، وعملَ كرتين فى مؤَخّر السرج ، وعملَ رقْعتين على لباس رجالهم [2] تخالفان لون الثوب ، قدْر كلّ واحدةٍ منهما أربع أصابع ، ولون كلِّ واحدةٍ منهما غيرُ لوْن الأخرى ، ومن خرَج من نسائهم تلْبس إزاراً عَسلياً . ومنعهم من لباس المناطق ، وأمر بهدْم بيعهم المحْدثة ، وبأخذ العشْر من منازلهم ، وأن يجعل على أبواب دورهم صورَ شياطِين من خشب ، ونهى أن يستعان بهم فى أعمال السلطان ، ولا يعلّمهم مسلم ، ونهى أن يُظهِروا فى شعانينهم صليباً ، وألّا يشعلوا [3] فى الطريق ناراً ، وأمر بتسوية

---

(١) **المتوكل بن المعتصم** . بنى مدينة « الجعفرية » فنسبت إليه لأن اسمه « جعفر المتوكل » وقتل المتوكل فى المدينة التى أحدثها « الجعفرية » سنة ٢٤٧هـ وهو ابن أربع وأربعين سنة . ودفن فى « الجعفرية » . (ابن البطريق ٢/٦٢ - ٦٤) .

والمتوكل أول من أصدر أمراً قاطعاً تفنن فيه بإذلال النصارى والتضييق عليهم ، ومن جملة نواهيه وأوامره سنة (٢٣٥هـ / ٨٤٩ م) ألا يظهروا فى شعانينهم صليباً ، بعد أن كانت أعياد الشعانين أعياداً شعبية لكل من النصارى والمسلمين تخفق فيها ألوية الصلبان منصوبة فوق الأعواد ، وتدوى فيها أنغام المصلين . وربما حضرها أحياناً بعض الخلفاء كالمأمون فضلا عن رجال الدولة ، وتتقاطر لمشاهدتها الألوف من المتفرجين من الرجال والنساء (حبيب الزيات . المشرق)

(٢) يلاحظ أن الطبرى وابن العبرى يقولان : « وعمل رقعتين على لباس مماليكهم » وهذا ما أيده الدكتور « ترتون » راجع (أهل الذمة فى الإسلام . ترجمة الدكتور حسن حبشى ١٣١) .

(٣) يذكر الأستاذ حبيب الزيات أن هذه الكلمة : « يشمعلوا » وليست « يشعلوا » ويقول : =

قبورِهم مع الأرض / . وكتبَ بِذلك إلى الآفاق ، ثم أمر فى سنة تسع (٤٩) وثلاثين أهلَ الذمّة بلبس درّاعتين عسليتين على الدّراريع والأقبية ، وبالاقتصار فى مراكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين (١) .

فلما مات « يوساب » فى سنة اثنتين وأربعين ومائتين خلا الكرسى بعده ثلاثين يوماً .

(٥٣)
[ميكائيل
سنة ٨٤١ م (*)]

وقدَّم اليعاقبة قسيساً بدير يحَنّس يدعى « بميكائيل » فى البطركية ، فأَقام سنة وخمسة أشهر ومات ، فدفن بدير بو مقار ، وهو أوَّل بطرك دفن فيه ، فخلا الكرسى بعده إحدى وثمانين يوماً .

(٥٤)
[قسيما الثانى
سنة ٨٤٢ م (**)]

ثم قدَّم اليعاقبة فى سنة أربع وأربعين ومائتين شماساً بدير بو مقار اسمه

= ولم يفهم المقريزى معنى هذه اللفظة فقرأها « أن لا يشعلوا فى الطريق نارا » والكلمة سريانية ، ومعناها القراءة (المشرق ج ٤٣ سنة ١٩٤٩ م .

(١) **البراذين** ، جمع برذَوْن ، والبرذون : ضرب من الدواب يخالف الخيل العِراب ، عظيم الخلقة ، عظيم الأعضاء .

(*) أنبا « خايال » هكذا فى (تاريخ البطاركة فى الكنيسة المصرية ٢/١ - ٢) وهو العدد الثالث والخمسون . وفى مختصر تاريخ البطاركة ١١٩ « ميخائيل الثانى » وذكره الأستاذ مرقس سميكة فى دليل المتحف القبطى ١٦٤/٢ باسم « خائيل » . أقام ٤ شهراً و١سنة .

(**) هو « أنبا قزما » أو « قسما » الثانى البطرك . العدد الرابع والخمسون . أقام ٧ شهراً و٧ سنة (البطاركة ٢/٢ - ١٣، ومختصر تاريخ البطاركة ٢٠) .

« قسيما » فأَقام فى البطركية سبع سنين وخمسة أشهر ومات فخلا الكرسى بعده إحدى وخمسين يوماً .

وفى أيامه أمرَ نوفيل[1] بن ميخائيل ملك الرُّوم بمحو الصوَر من الكنائس ، وألّا تبقى صورة فى كنيسة ، وكان سبب ذلك أنه بلغه عن قَيِّم كنيسة أنه عمل فى صورة مريم عليها السلام شِبْه ثدْي يخْرُج منه لبن ينقِّط فى يوم عيدها ، فكشف عن ذلك فإذا هوَ مصنوع ؛ ليأْخذ به القيِّم المالَ ، فضرب عنقه ، وأبطل الصوَر من الكنائس ، فبعث إليه « قسيما » وناظره حتى سمح بإعادة الصّوَر على ما كانت عليه[2] .

[ساتير (*)]

ثم قدَّم اليعاقبة « ساتير » بطركاً فأقام تسع عشرة سنة ومات .

(٥٥)

[يوسانيوس
سنة ٨٥٠ م (**)]

فأُقيم « يوسانيوس » فى أوَّل خلافة المعتز[3] ، فأقام إحدى عشرة سنة ومات .

وعمل فى بطركيته مجارى تحت الأرض بالإسكندرية ، يجرى بها الماءُ من الخليج إلى البيوت .

---

(١) فى ابن البطريق : « ترفيل » (٦٣/٢) .

(٢) راجع ذلك بالتفصيل فى (ابن البطريق ٦٣/٢ - ٦٤) .

(*) **ساتير** : لم تذكره المصادر فى بطاركة الكنيسة المصرية .

(**) هو : « سانوتيوس الأول » البطريرك الخامس والخمسون . أقام ٣ شهراً و ١١ سنة (دليل المتحف القبطى ٢/ ١٦٤ ، تاريخ البطاركة فقد ذكر عرضا (٢ - ٢/ ٧٠ من البطاركة) ولعله هو : « شنودة » .

(٣) **المعتز بالله العباسى** (٨٦٦ - ٨٦٩ م) تسلط عليه القواد الأتراك ، وأخذت الأزمة المالية بخناق الدولة ، فعجز عن حل مشاكلها ، خلع ومات جوعاً فى السجن سنة ٨٦٩ م . راجع (ابن البطريق ٦٦/٢ - ٧٦٨) .

وفى أيامه قدِمَ أحمد بن طولون [1] مصر أميراً عليها .

(٥٦)

[ميخائيل
سنة ٨٦١ م [*]]

ثم قدَّم اليعاقبة « ميخائيل » فأَقام خمساً وعشرين سنة ومات بعد ما ألزمه أحمد بن طولون بحمل عشرين ألف دينار ، باع فيها رِباعَ الكنيسة الموقوفة عليها ، وأرضَ الحبش ظاهر فسطاط مصر ، وباع / الكنيسة بجوار المعلقة من قصر الشمع لليهود ، وقرَّر الدّياريّة على كل نصرانى قيراطاً فى السنة ، فقام بنصف المقرَّر عليه . (٥٠)

وفى أيامه قُتِل الأميرُ أبو الجيش خمارويه [2] بن أحمد بن طولون .

فلما مات شَغَر كرسىُّ الإسكندرية بعده من البطاركة أربع عشرة سنة [3] .

---

(١) ولّى المعتز « باك باك التركى » مصر ، فاستخلف باك باك أحمد بن طولون ، ووجه به إلى مصر ، وكان باك باك قد زوج ابنته لأحمد بن طولون . فدخل أحمد بن طولون مصر فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين (٢٥٤ هـ) فاضطرب أمر المعتز والموالى . راجع (ابن البطريق ٦٧/٢) .

(*) أنبا خائيل الثالث البطرك . العدد السادس والخمسون . أقام ١ شهراً و٢٥ سنة (البطاركة ٧٠/٢/٢ - ٧٨) وعند مرقس سميكة العدد ٥٦ « خائيل » وفى مختصر تاريخ البطاركة ١٢١ « ميخائيل الثالث » .

(٢) مات أحمد بن طولون ليلة الأحد لعشرٍ بقين من ذى الحجة سنة ٢٧٠هـ ودفن فى المقطم .

واجتمع قواده فقتلوا ابنه الأكبر « العباس » وأمّروا عليهم ابنه الأصغر « خمارويه » وهو ابن عشرين سنة فقد ولد سنة ٨٦٤ م وأقامه أبوه نائباً له ثم خليفة له على مصر . انقض عليه ولاة الأقاليم فى الشام فحاربهم . وزوج ابنته « قطر الندى » للخليفة العباسى ، فأسرف فى الأموال . قتل بخيانة أحد خدامه مما أدى إلى سقوط الأسرة الطولونية سنة ٩٠٥. راجع (ابن البطريق ٧٠/٢ - ٧١) .

(٣) أقام سنة ٨٦١م . زائد ٢٥ سنة مدة إقامته = ٨٦١ + ٢٥ + ١٤ سنة خالى = حتى سنة ٩٠٠ .

وفى يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلاثمائة أُحرِقت الكنيسةُ الكبرى المعروفة بالقيامة فى الإسكندرية وهى التى كانت هيكل زُحَل، وكانت من بناء كلابطره .

(٥٧)

[غبريال
سنة ٩٠٠ م (*)]

وفى سنة إحدى وثلاثمائة قدَّم اليعاقبة « غبريال » بطركاً فأَقام إحدى عشرة سنة ومات .

وأخذت فى أيامه الديارِيّة على الرجال والنساء .

(٥٨)

[قسيما
سنة ٩١١ م (**)]

وقدَّم بعده اليعاقبةُ فى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة « قسيما » فأَقام ثنتى عشرة سنة ومات .

وفى يوم السبت النصف من شهر رجب سنة ثِنْتى عشرة وثلاثمائة أحرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق، ونهبوا ما فيها من الآلات والأوانى، وقيمتها كثيرة جدًّا، ونهبوا ديراً للنساء بجوارها، وشعّثوا كنائس النسطوريّة، واليعقوبية [١] .

(*) غبريال الأول البطرك . العدد السابع والخمسون . أقام ١ شهراً و١١ سنة (البطاركة ٢ - ٧٨/٢ - ٨٠) .

(**) قسما البطرك . العدد الثامن والخمسون . أقام ١ شهراً و١٢ سنة (البطاركة ٢ - ٨٠/٢ - ٨٢، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢١) .

(١) راجع (ابن البطريق ٨٣/٢) .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة قَدِمَ الوزير علىّ بن عيسى الجرّاح [(١)] إلى مصر، فكشف البلدَ وألزم الأساقفةَ والرهبانَ وضعفاءَ النصارى بأداء الجزية فأدُّوها، ومضى طائفة منهم إلى بغداد واستغاثوا بالمقتدر بالله، فكتب إلى مصر بأن لا يؤْخذ من الأساقفة والرُّهبان والضعفاء جِزْية، وأن يجروا على العهد الذى بأيديهم.

(٥٩)

[مقارة
سنة ٩١١ م (*)]

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة قدَّم اليعاقبة بطركاً اسمه [مقارة](*) فأَقام عشرين سنة ومات.

وفى أيامه ثار المسلمون بالقدس سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وحرقوا كنيسة القيامة ونهبوها، وخرَّبوا منها ما قدروا عليه.

[سعيد بن بطريق. بطرك الملكية (**)]

وفى يوم الاثنين آخر شهر رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة مات

---

(١) الوزير علىّ بن عيسى الجراح (٢٤٤ - ٣٤٤هـ / ٨٥٩ - ٩٤٦م) وزير المقتدر العباسى، والقاهر.. وهو أحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد، له مؤلفات: ديوان رسائل، وكتاب معانى القرآن، وكتاب جامع الدعاء، وكتاب سيرة الخلفاء. وكتاب الكتّاب.

وللكاتب الإنجليزى هارولد لوين كتاب فى حياة علىّ بن عيسى وعصره بالإنجليزية طبع فى كمبردج سنة ١٩٢٨ م فى ٤٢٠ صفحة (سير النبلاء. الطبقة التاسعة عشر، وتاريخ بغداد ١٢/١٤).

(*) وضع صاحب القول الإبريزى اسم « قسما » بدلا من « مقارة » من عندياته دون أن يشير إلى مصدره ولم يضعه بين معقوفتين تمييزاً له فاختلط الأمر على القارئ وكأنه من عمل المقريزى. رغم أن مكانها بياض فى خطط المقريزى وأشار إليه الشيخ قطه العدوى. وتذكر المصادر أن البطريرك التاسع والخمسين هو « أنبا مقارة الأول » البطرك. أقام ٢٠ سنة. (البطاركة ٢ - ٢/٨٢ - ٨٣، ودليل المتحف القبطى ٢/ ١٦٥، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢١، أما « قسما » التى فى القول الإبريزى فخطأ صريح.

(**) هو أفتيشيوس المكنى بـ« سعيد بن بطريق » (٨٧٧ - ٩٤١) بطرك الملكية فى الإسكندرية. وكان طبيباً ومؤرخا. له مختصر فى التاريخ العام سماه « نظم الجوهر » راجع (يحيى بن سعيد بن البطريق ٢/ ٩٤).

« سعيد بن بطريق » بطرك الإسكندرية / على الملكية بعد ما أقام فى (٥١) البطركية سبع سنين ونصفاً فى شرور متصلة مع طائفته [١] فبعث الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد [٢] أبا الحسين .. من قوّاده فى طائفة من الجند إلى مدينة تِنّيس [٣] حتى ختم على كنائس الملكية ، وأحضر آلاتها إلى الفسطاط ، وكانت كثيرة جدًّا ، فافتكّها الأسقف بخمسة آلاف دينار ، باعوا فيها من وقف الكنائس ، ثم صالح طائفته وكان فاضلاً وله تاريخ [٤] مفيد .

وثار المسلمون أيضاً بمدينة عسقلان [٥] ، وهدموا كنيسة مريم الخضراءَ ، ونهبوا ما فيها ، وأعانهم اليهودُ حتّى أحرقوها ، ففرَّ أسقف عسقلان إلى الرمْلة [٦] وأقام بها حتى مات .

(٦٠)

[تاوفانيوس
سنة ٩٤٣ م [*]]

وقدَّم اليعاقبة فى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة « تاوفانيوس » بطركاً ،

---

(١) راجع فى أسباب هذا ما ذكره يحيى بن سعيد بن البطريق فى تاريخه ٢/٩٤ - ٩٦.

(٢) فى الخطط ، والقول الإبريزى : « محمد بن طفج » تحريف . وهو : محمد بن طغج الإخشيد (٨٢٢ - ٩٤٦ م) مؤسس دولة الأخشيديين . استولى على الشام ، ومصر ، واليمن ، والحرمين ، ونال من الخليفة لقب « الأخشيد » بلغة فرغانة ومعناه « الملك » ومن أشهر أنصاره القائد « كافور الأخشيدى » .

(٣) **تنيس** : وهى التى خرج فيها أهل ملته (الملكانيين) عليه ، وهى جزيرة فى بحر مصر بين الفرما ودمياط . وهى المنزلة اليوم .

(٤) هو « كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » فى مجلدين طبع فى بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥م .

وهذا الكتاب - هو معتمدنا وما نشير إليه بـ « ابن البطريق » وقد كتب الجزء الثامن منه يحيى بن البطريق حتى انتهى إلى خلافة الظاهر لإعزاز دين الله .

(٥) **عسقلان** : مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوباً . اشتهرت فى الحروب الصليبية ، خربها السلطان بيبرس سنة ١٢٤٧م .

(٦) **الرملة** : بلدة فى فلسطين . شمال شرقى القدس . أسسها سليمان بن عبد الملك سنة ٧١٦هـ وغزاها الصليبيون سنة ١٠٩٩م .

(*) « تاوفانيس » البطرك . العدد الستون . أقام ٨ شهراً و٤ سنة (البطاركة ٢ - ٢/٨٣ - ٨٤=

فأَقام أربع سنين وستة أشهر ومات .

(٦١)
[مينا
سنة ٩٤٨ م (*)]

فأُقيم بعده « مينا » فأَقام إحدى عشرة سنة ومات .. فخلا الكرسى بعده سنة .

(٦٢)
[أفراهام بن زرعة
سنة ٩٨٦ م (**)]

ثم قدَّم اليعاقبة «أفراهام بن زرعة » فى سنة ست وستين وثلاثمائة ، فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ومات مسموماً من بعض كتّاب النصارى .. وسببه أنه منعه من التّسرِّى ، فخلا الكرسىُّ بعده ستة أشهر .

(٦٣)
[فيلاياوس
سنة ٩٧١ م (***)]

وأُقيم « فيلاياوس » فى سنة تسع وستين فأَقام أربعاً وعشرين سنة ومات وكان مترفاً .

= ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٢) . وفى دليل المتحف القبطى « تاوفيانوس » رقم ٦٠ .(١٦٤/٢) .

(*) مينا الثانى البطرك الحادى والستون . أقام ١١ شهراً و١٧ سنة (البطاركة ٢ - ٨٤/٢ - ٩٠، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٢) .

(**) أنبا أفراهام السريانى (إبراهيم) البطرك الثانى والستون . أقام ٦ شهراً و٣ سنة (البطاركة ٢ - ٩١/٢ - ١٠٠، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٣) .

(***) هو « فيلاتاوس » البطرك . الثالث والستون . أقام ٧ شهراً و٢٤ سنة (البطاركة ٢ - ٢/ ١٠٠ - ١١٥، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٣) .
=

[أرسانيوس بطرك الملكية (*)]

وفى أيامه أخذت الملكيةُ كنيسة السيدة المعروفة بكنيسة البطرك ، تسلمها منهم بطرك الملكية « أرسانيوس » فى أيام العزيز بالله . نزار بن المعز [1] .

(٦٤)

[زخريس
سنة ٩٩٦ م (**)]

وفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة قدّم اليعاقبة « زخريس » بطركاً فأَقام ثماني وعشرين سنة .

[الحاكم بأمر الله وأهل الذمة]

منها فى البلايا مع الحاكم بأمر الله . أبى على منصور [2] بن العزيز بالله تسع

= وفى دليل المتحف القبطى « فيلوتاوس » العدد ٦٣ (١٦٥/٢) .

(*) فى شهر رمضان سنة ٣٧٥هـ صيّر العزيز بالله « أرسانيوس » مطراناً على القاهرة ومصر. وكان قد جعل أخاه « أرستس » بطريركاً على بيت المقدس وهما خالا ابنة العزيز بالله ، وكان لهما محلا عزيزا عند العزيز وتقدما فى مملكته (ابن البطريق ١٦٤/٢ - ١٦٥) .

(١) **العزيز بالله الفاطمى** . نزار بن المعز : خامس خلفاء مصر الفاطميين (٩٧٥ - ٩٩٦) على أيامه بلغت سلطة الفاطميين أوجها . خفقت رايته على الأقطار الواقعة بين المحيط الأطلسى والبحر الأحمر واليمن ودمشق حتى الموصل .. تزوج بامرأة مسيحية ، أخت بطريركى : إسكندرية ، والقدس الملكيين ، واستوزر عيسى بن نسطورس النصرانى . وبنى الجوامع ، والقصور ، والأقبية .. لكنه اعتمد على العساكر التركية ، فاغتصبوا منه السيادة !! (ابن البطريق ١٤٦/٢ - ١٧٤) .

(**) هو « أنبا زخاريس » (زكريا) البطرك . العدد الرابع والستون . أقام ١١ شهراً و٢٧ سنة (البطاركة ٢ - ١١٦/٢ - ١٥١ ، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٣) .

وفى دليل المتحف القبطى « زخارياس » العدد ٦٤ (١٦١/٢) .

(٢) **الحاكم بأمر الله** (٩٨٥ - ١٠٢١ م) هو أبو على المنصور بن العزيز بالله . سادس الخلفاء الفاطميين فى مصر . جلس سنة ١٠٠٠م = ٣٨٦هـ وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة وكان يميل إلى آراء الإسماعيلية . اضطرب كثيراً فى أحكامه ، واختفى فجأة بعد سنة ١٠١٧/ ٤١١هـ فقيل : إنه قتل . وقيل : إنه عمد إلى الاختفاء .. من أنصاره دَرَزَى ، داعى الباطنية (ابن البطريق ١٨٠/٢ - ٢٣٤) .

سنين . اعتقله فيها ثلاثة أشهر ، وأمر به فألقى للسباع هو « وسوسنة النوبى » فلم تضرَّه فيما زعم النصارى .. ولما ماتَ خلا الكرسيُّ بعده أربعة وسبعين يوماً .

وفى بطركيته نزل بالنصارى شدائد لم يَعْهدوا مثلَها ، وذلك أن كثيراً منهم كان قد تمكّن فى أعمال الدولة ، حتى صاروا / كالوزراء ، وتعاظموا ؛ (٥٢) لاتّساع أحوالهم ، وكثْرة أموالهم ، فاشتدَّ بأْسُهم وتزايدَ ضررُهم ومكايدتُهم للمسلمين ، فأغْضب الحاكمَ بأمر الله ذلك ، وكان لا يملك نفسه إذا غَضِب ، فقبضَ على عيسى بن نسطورس النصرانى [1] ، وهو إذْ ذَاك فى رتْبةٍ تضاهى رتَبَ الوزراء ، وضرب عنقَه ، ثم قبض على فهد بن إبراهيم النصرانى ، كاتبُ الأستاذ برجوان ، وضرب عنقه ، وتشدَّد على النّصارى ، وألزمهم بلبس ثياب الغيار [2] ، وشدّ الزنار [3] فى أوساطهم ، ومنعهم من عمل الشّعانين ، وعيد الصليب [4] ، والتظاهر بما كانت عادتهم فعله فى أعيادهم من الاجتماع واللهو ، وقَبَضَ على جميع ما هو محبّس على الكنائس ، والدّيارات ، وأدخله فى الديوان ، وكتب إلى أعماله كلّها بذلك ، وأحرق عدَّة صُلبان كثيرة ، ومنع النّصارى من شراء العبيدِ والإماء ، وهدَّم الكنائس التى بخط راشدة ، ظاهر مدينة مصر ، وأخرب كنائس المقس [5]

---

(١) وزير أبيه العزيز بالله .

(٢) **الغيار** : مصدر « غاير » أى خالف .. ويطلق فى العرف على العلامات والقيود التى وضعت على أهل الذمة لتمييزهم ، فيتناول كل ما خالف زى المسلمين من أزياء النصارى واليهود : كالزنار ، والعمامة ، ورقع الدراريع ، والخيوط الملونة الموضوعة على الكتف ، وكل ما خيط على الثياب الظاهرة مما يخالف لونه لونها ، وما كان يعلق فى الرقاب عند دخول الحمامات ، وما كان يمتاز به الرجال من النعال والنساء من الأخفاف .. وبالجملة : كل ما خالف العادات والألوان المختصة بالمسلمين وملابسهم .

(٣) **الزنار** : خيط غليظ يشد فى وسط النصارى والمجوس من إبريسم ، أو صوف ، أو شعر ، أو قطن ، أو جلد ، وما أشبهه من منديل ونحوه راجع (حبيب الزيات . المشرق ج ٤٣ سنة ١٩٤٩م) .

(٤) كان إظهار الصليب والإنجيل بالشموع الموقدة والقراءات الملحنة يحتفل به فى مشهد من الخلفاء والملوك فى حضرتهم .

(٥) **المقس** : المراد بها ما تعرف اليوم بالأزبكية .

خارج القاهرة ، وأباح ما فيها للناس .. فانتهبوا منها ما يجلّ وصفهُ ، وهدَم ديرَ القصير ، وأنهب العامّة ما فيه ، ومنع النصارى من عمَل الغِطاس على شاطئ النيل بمصر ، وأبطل ما كان يعمل فيه من الاجتماع لِلّهو ، وألزم رجال النّصارى بتعليق الصُّلبان الخَشَب التى زنة كلّ صليب منها خمسة أرطال فى أعناقهم [1] ، ومنعهم من رُكوب الخيل ، وجعل لهم أن يركبوا البغال والحمير ، بسروجٍ ولجُم غير محلّاة بالذهب والفضّة ، بل تكون من جلودٍ سود ، وضرب بالجرس فى القاهرة ومصر ألّا يُرْكِبَ أحد من المكاريَّة [2] ذميّاً ، ولا يحْمل نوتيٌّ [3] مسلمٌ أحداً من أهل الذمّة ، وأن تكون ثياب النّصارى وعمائمهم شديدة السواد ، ورُكَبُ سروجهم من خشب الجمَّيز ، وأن يعلِّق اليهودُ فى أعناقهم خشباً مدوَّراً ، زنة الخشبة منها خمسة أرطال ، وهى ظاهرةٌ فوقَ ثيابهم ، وأخذ فى هدْم الكنائس كلّها ، وأباح ما فيها / ، وما هو محبَّس عليها (٥٣) للناس نهباً وإقطاعاً فهدِّمت بأَسْرِها ، ونُهِب جميعُ أمتعتها ، وأقطع أحباسها ، وبنى فى مواضِعها المساجدَ ، وأذِّن بالصلاة فى كنيسة شنودة بمصر ، وأُحيط بكنيسة المعلّقة فى قصر الشمع ، وأكْثر الناسُ من رفع القِصَص بطلب كنائس أعمال مصر ودياراتها ، فلم يردَّ قصة منها إلّا وقد وقَّعَ عليها بإجابةِ رافِعها لِمَا سأَل ، فأَخذوا أمتعة الكنائس والديارات ، وباعوا بأسواق مصر ما وجدوا من أوانى الذّهب والفضّة وغير ذلك ، وتصرَّفوا فى أَحباسها ، ووُجد بكنيسة شنودة مالٌ جليل ، ووُجِد فى المعلّقة من المصَاغ ، وثياب الديباج أمرٌ كثيرٌ جدًّا إلى الغاية ، وكتب إلى ولاة الأعمال بتمكين المسلمين من هدْم الكنائِس والدّيارات ، فعمَّ الهدْمُ فيها من سنة ثلاث وأربعمائة .. حتى ذَكَر من يوثق به

(١) لما فتح العرب الشام ومصر من أيدى الروم ، وجدوا عادة تقلد الصلبان فى النحور وعلى الصدور شاملة كل النصارى ، شعاراً لهم ، فلم يتعرضوا لهم وعدوها سمة لهم ، يميزونهم بها .

(٢) **المكارية** ، جمع مكارى : وهو الذى يؤجر الحمير للركوب . وهى من الكلمات العامية التى لم ترد بهذا المعنى فى لسان العرب .

(٣) **النوتية** ، جمع نوتى : وهو الملاح الذى يدير السفينة أو المركب فى البحر .

فى ذلك : أن الذى هُدِّم إلى آخر سنة خمس وأربعمائة بمصر والشام وأعمالها ، من الهياكل التى بناها الرُّوم نَيِّفٌ وثلاثون ألف بِيْعة [١] ، ونُهِب ما فيها من آلات الذهب والفضّة ، وقُبض على أوقافها ، وكانت أوقافاً جليلة ، على مبانٍ عجيبة ، وألزم النصارى أن تكونَ الصّلْبان فى أعناقهم إذا دخَلوا الحمّام ، ثم ألزم اليهودَ أن يكونَ فى أعناقهم الأجراسَ إذا دخَلوا الحمّام ، ثم ألزم اليهودَ والنصارى بخروجهم كلِّهم من أرض مصر إلى بلاد الروم ، فاجتمعوا بأسرهم تحت القصْر من القاهرة ، واستغاثوا ولاذُوا بعفْو أمير المؤْمنين ، حتّى أعفوا من النفى ، وفى هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى [٢] .

* * *

وفى سنة سبع وأربعمائة وثب بعضُ أكابر البلْغَر [٣] على مَلِكهم « قمطورس » [٤] فقتله ، وملك عوضه وكتب إلى « باسيل » ملك قسطنطينية بطاعته فأقرَّه ، ثم قُتِلَ بعد سنة ، فسار الملك « باسيل » إليهم فى شوَّال سنة ثمان وأربعمائة ، واستولى على مملكة البُلغر ، وأقام فى قلاعها عدَّةً من الرُّوم ، وعاد إلى قسطنطينية ، فاختلط الرُّوم بالبلْغَر / ونكَحوا منهم ، وصارُوا يداً واحدةً بعد شدّة العداوة [٥] .

(٥٤)

---

(١) **البِيْعَة** : معبد النصارى ، وجمعها « بِيَع » .

(٢) راجع فيما ذكر ما كتبه يحيى بن سعيد البطريق (ابن البطريق ٢/١٨٠ - ٢٣٤) .

(٣) **البلغر** : شعب كانت له دولة قوية بشرق آسيا الأوربية ، بمحاذاة الفولجا الأوسط (القرن ٨ - ١٣) وعاصمته « بلغارى » بالقرب من « قازان » أخضعه المغول سنة ١٢٣٦م وانتقل فرع منه للغرب اندمج بصقالبة بلغاريا .

(٤) فى ابن البطريق ٢/٢١٦ : وفى سنة سبع وأربعمائة وثب أحد رؤساء البلغر يسمى « هارون » بملكهم « القمطوياس » وهارون هذا ممن كان لأسلافه قدم فى التملك عليهم . ولبث هارون هذا فى الملك سنة واحدة . ثم وثب عليه من قتله من أصحابه .

(٥) صارت مملكة البلغر مضافة إلى مملكة الروم على عهد « باسيل » الملك وذلك فى السنة الرابعة والأربعين من ملكه . فزوّج بنات البلغر أولاد الروم . وزوج بنات الروم أولاد البلغر ، فاختلطت الدماء ، وأزال بعض الضغائن القديمة التى بينهم (ابن البطريق ٢/٢١٧) .

(٦٥)

[سابونين
سنة ١٠٢٤ م (*)]

وقدّم اليعاقبةُ عليهم « سابونين » بطركاً بالإسكندرية فى سنة إحدى وعشْرين وأربعمائة ، فى يوم الأحد ثالث عشْرى برمهات ، فأَقام خمس عشْرة سنة ونصفاً ومات فى طوبه ، وكان محبًّا للمال ، وأخذ الشرطونية (١) ، فخلا الكرسىّ بعده سنة وخمسة أشهر .

(٦٦)

[أخرسطوديس
سنة ١٠٣٩ م (**)]

ثم قدّم اليعاقبة « أخرسطوديس » بطركاً فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، فأَقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر ، وهو الذى جعل كنيسة « بومرقوره » بمصر ، وكنيسة « السيدة » بحارة الرّوم من القاهرة فى

(*) فى البطاركة « سانوتيوس الثانى (شنودة) » وهو العدد الخامس والستون . أقام ٧ شهراً و٢٤سنة (بطاركة الكنيسة المصرية ٢ - ٢/١٥١ - ١٦١، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٤) وكذلك فى دليل المتحف القبطى (١٦٥/٢) .

(١) **الشرطونية** : (السيمونية) وهى أن يحصل البطرك على من يُرْسَم أسقفا أو مطرانا أو أى رسامة كهنوتية مالاً ذهباً أو فضة أو غير ذلك .. ومعلمو البيعة القديسين ، يقولون : « لا يؤخذ عن موهبة الله وهى الكهنوت لا ذهب ولا فضة » أعنى الشرطونية . راجع ساويرس بن المقفع فى (تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ٢ - ٢/ ٧٤) .

وهذا البطرك كان قد أقام أسقفا أخذ منه ستمائة دينار ، وأخذ من الأسقف الذى رسمه لأسيوط مالاً كثيراً فمنعه أهل أسيوط من الدخول إليهم ثلاث سنين قائلين : لا يجوز لمقدم ولا كاهن الذى يؤهل نفسه لله أن يدفع على ذلك مالا . ولا يأخذ ممن يرسمه لخدمة الله شيئاً كقول المسيح : « مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا » البطاركة (٢ - ٢/ ١٥٤) .

(**) « أنبا أخرسطولوس » البطرك وهو العدد السادس والستون . أقام ٨ شهراً و٢٩ سنة (البطاركة ٣ - ١٦٣/٢ - ٢٠٧) وهو كذلك فى دليل المتحف القبطى (٢/ ١٦٥، وفى مختصر تاريخ البطاركة ١٢٤ « خرستوذولوس » .

أيام بطركيته ، فلم يقمْ بعدَه بطركٌ اثنين وسبعين يوماً .

(٦٧)

[كيرلص
سنة ١٠٧٠ م [*]]

ثم أَقام اليعاقبة « كيرلص » فأَقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفاً ، ومات بكنيسة المختار من جزيرة مصر المعروفة بالروضة ، فى سلخ ربيع الآخر ، سنة خمس وثمانين وأربعمائة .

وعمل بدْلةً للبطاركة من ديباج أزرق ، وبلارية ديباج أحمر ، بتصاوير ذهب ، وقطع الشرطونية ، فلم يولّ بعده بطرك مدّة مائة وأربعة وعشرين يوماً .

(٦٨)

[ميخائيل الحبيس
سنة ١٠٨٤ م [**]]

ثم أُقيم « ميخائيل الحبيس » بسنجار [١] فى سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، فأَقام تسعَ سنين وثمانية أشهر ومات فى المعلّقة بمصر .

وكان المستنْصر بالله [٢] لما نقصَ نيلُ مصر بعثه إلى بلاد الحبشة بهديَّةٍ

(*) كيرلص الثانى البطرك . العدد السابع والستون . أقام ٦ شهراً و١٤ سنة (البطاركة ٣ - ٢٠٧/٢ - ٢٣٣، مختصر تاريخ البطاركة ١٢٤) .

(**) أنبا ميخائيل الرابع البطرك . « فى البطاركة ٣ - ٢٣٣/٢ السادس والستون » وصوابه الثامن والستون كما ذكره مرقس سميكة « خائيل » . أقام ٧ شهراً و٩ سنة (دليل المتحف القبطى ٢/ ١٦٥) وذكر أنه العدد ٦٨ ، وفى مختصر تاريخ البطاركة ١٢٤ « ميخائيل الرابع » .

(١) **سنجار** : قرية فى مصر (الشرقية) كانت كرسى أسقفية قبل الإسلام .

(٢) **المستنصر بالله** : الخليفة الفاطمى الثامن (١٠٣٦ - ١٠٩٤ م) ملك ٥٨ سنة على دولة مترامية الأطراف بين إفريقية وصقلية ومصر والحجاز والشام والعراق وخراسان قامت فيها الدعوة للإسماعيلية ركن الفاطميين ، فأسخطت أهل السنة وعمال العباسيين ، فدب الخلاف بينهم فساعد على فوز الصّليبيّن فى حملتهم إلى الشرق .

سنيّة ، فتلقّاه ملكُها وسأَله عن سبب قدومه ، فعرّفه نقْصَ النِّيل وضرَرَ أهل مصر بسبب ذلك ، فأمر بفتْح سَدٍّ يجرى من الماء إلى أرض مصر ، ففُتح وزاد النيل فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع ، واستمرتْ الزيادةُ حتّى رُويت البلادُ وزُرعت ، ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن إليه .

(٦٩)

[أبو مقارة الثانى

سنة ١٠٩٤ م (*)]

وفى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قدم اليعاقبة « مقارى » بطركاً بدير بو مقار ، وكمل بالإسكندرية ، وعاد إلى مصر ، ثم مضى إلى دير بو مقار فقدّس به ، ثم إلى مصر فقدّس بالمعلّقة ، فأَقام ستا وعشرين سنة [و] واحداً وأربعين يوماً ومات ، فخلت مصر / من بطرك اليعاقبة سنتين وشهرَيْن . (٥٥)

وفى أيامه حدثت زلزلة عظيمة[1] بمصر ، هُدِم فيها كنيسة المختار بالروضة ، واتُّهم الأفضل بن أمير الجيوش بهدْمها ؛ فإنها كانت فى بستانه . وفى أيامه أبطل عوائدَ كثيرة للنّصارى فبطُلتْ بعده .

(٧٠)

[غبريال الثانى

سنة ١١٢٢ م (**)]

ثم قدّم اليعاقبة « غبريال » المكنّى بأبى العلاء صاعد بن تربك .. الشماس بكنيسة مرقوريوس فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة بالمعلّقة ،

(*) أبو مقارة الثانى البطرك التاسع والستين . أقام ١ شهراً و٢٧ سنة (البطاركة ١ - ١/٣ - ٢٥) وفى دليل الأديرة « مقارة » العدد ٦٩ (١٦٥/٢) وهو « مقارة الثانى » مختصر تاريخ البطاركة ١٢٥) .

(١) فى السنة الثامنة من بطركيته (البطاركة) .

(**) غبريال الثانى ابن تريك الكاتب البطرك . العدد السبعون . أقام ٣ شهراً و١٤ سنة (البطاركة ١ - ٢٥/٣ - ٣٦، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٦) .

وكمل بالإسكندرية ، وقدّس بالأديرة بوادى هبيب ، وأقام أربع عشرة سنة ومات ، فخلا بعده كرسىّ اليعاقبة ثلاثة أشهر .

(٧١)

[ميخائيل بن التقدوسى سنة ١١٣٦ م (*)]

ثم قدّم اليعاقبةُ « ميخائيل بن التقدوسى » الراهب بقلاية دنشترى [١] بطركاً ، فأَقام مدّة سنة وسبعين [٢] يوماً .

(٧٢)

[يونس أبو الفتح سنة ١١٣٨ م (**)]

ثم أُقيم « يونس أبو الفتح » بطركاً بالمعلّقة ، وكمل بالإسكندرية ، فأَقام تسعَ عشْرة سنة ، ومات فى سابع عشْرى جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، فخلا الكرسىّ بعده ثلاثة وأربعين يوماً .

(٧٣)

[مرقص بن زرعة سنة ١١٥٧ م (***)]

وقُدِّم « مرقص بن زرعة » المكنى بأبى الفرج ، بطرك اليعاقبة بمصر ،

(*) ميخائيل ابن دنشترى البطرك . وهو « ميخائيل الخامس » العدد الحادى والسبعون . أقام ٩ شهراً (البطاركة ١ - ٣٦/٣ - ٤٠ ، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٦) كان راهباً من قلاية تعرف بـ « دنشترى » بدير أبى مقار .

(١) فى الخطط ، والقول الإبريزى : « دمشترى » بدل « دنشترى » والمذكور عن سائر المصادر .

يذكر صاحب تاريخ البطاركة ودليل المتحف القبطى أنه أقام مدة ٩ شهور .

(**) هو يوحنا البطرك . العدد الثانى والسبعون . أقام ١٠ شهراً و١٢ سنة وهو : « يوحنا الخامس » (البطاركة ١ - ٤٠/٣ - ٥٧) .

(***) أنبا مرقص بن زرعة البطرك . العدد الثالث والسبعون . أقام ٦ شهراً و٢٢ سنة (البطاركة =

وكمل بالإسكندرية، فأَقام اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر، وخمسة وعشرين يوماً ومات.

وفى أيامه انتقلَ مرقُص بن قنبْرُ وجماعة من القنابرة إلى رأْى الملكية ثم عادَ إلى اليعقوبية فقُبل ثم عاد إلى الملكية، ورجعَ فلمْ يُقْبل، وكان هذا البطْرك له همَّةٌ ومروءة.

وفى أيامه كان حريق شاوَر الوزير لمصر[1] فى ثامن عشر هاتور، فاحترقت كنيسة بومرقورة، وخلا بعده كرسىّ البطاركة سبعة وعشرين يوماً.

(٧٤)

[يونس بن أبى غالب سنة ١١٨٠ م (*)]

ثم قدّم اليعاقبة « يونس بن أبى غالب » بطركاً فى يوم الأحد عاشر ذى الحجة سنة أربع وثمانين وخمسمائة وكمل بالإسكندرية، فأَقام ستاً وعشرينَ سنة، وأحد عشر شهراً، وثلاثة عشر يوماً، ومات يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثنتى عشرة وستمائة بالمعلّقة بمصر، ودفن بالحبش[2]، وكان فى ابتداء أمره تاجراً يتردد إلى اليمن فى البحر / حتّى (٥٦)

= ٢ - ٥٩/٣ - ٩٨) وهو: « مرقص الثالث » (مختصر تاريخ البطاركة ١٢٧).

(١) **شاور**: وزير العاضد، آخر الفاطميين بمصر. مثل دوراً خطيراً فى الحرب الصليبية وحالف الإفرنج، وكان داهية، خبيراً بفنون الحرب. قتله أسد الدين شيروكوه ذبحاً بالسكين سنة ٥٦٤هـ وذلك بأمر العاضد نفسه (البطاركة ٢ - ٦٢/٣ - ٦٣).

(*) هو أنبا يؤانس البطرك. العدد الرابع والسبعون (البطاركة ٣ - ٩٨/٢ - ١٣٣، وفى دليل المتحف القبطى أنه هو « يوحنا » العدد ٧٤. أقام ١١ شهراً و٢٦ سنة (١٦٦/٢) وهو: « يوحنا السادس » وأيضاً فى البطاركة « أنبا يوحنا » خلال الترجمة له ٢ - ٩٩/٣ ويقول: كان له وكالة بمدينة مصر يتجر فيها ويبيع ويشترى أصناف البضائع، وله سكّرية لعمل السكر، وطواحين، وأملاك، وكان كاملاً فى دينه ودنياه، وما كان يغفل عن صلوات السواعى الليلية والنهارية. (مختصر تاريخ البطاركة ١٢٧).

(٢) ودفن بمصر فى الحبش فى ١٥ رمضان سنة ٦١٢هـ إلى جانب قبر « زخاريوس البطرك » (البطاركة ٢ - ٣/ ١٢٢). =

كثر ماله ، وكانَ معه مالٌ لأولادِ الخباب [1] ، فاتّفق أنه غرقَ فى بحْرِ الملح ، وذهب مالُه ونجا بنفسه إلى القاهرة ، وقد أيس أولادُ الخباب من مالهم ، فلما لقِيَهم أعلمهم أن مالهم قد سَلِم ! فإنه كانَ قد عمِلَه فى نُقُائِرَ خشبٍ مسمّرةٍ فى المرْكب ، فصارَ لهم به عناية ، فلما مات « مرقص بن زرعة » سعى « يونس » هذا للقس « أبى ياسر » فقال له أولادُ الخباب : خذ أنتَ البطركية ، ونحن نزْجيك . فوافقهم ، وأُقيم بطركاً . فشقّ ذلك على « أبى ياسر » وهجره بعد صحْبةٍ طويلة ، وكانَ معه لما استقرّ فى البطركية سبعة عشر ألف دينار مصرية ، أنفقها على الفقراء ، وأبطل الديارية ، ومنع الشرطونية ، ولم يأْكل لأحدٍ من النّصارى خبزاً ! ولا قبل من أحد هدية .

(٧٥)
[داود بن يوحنا بن لقلق الفيومى
سنة ١٢٣٦ م (*)]

فلما ماتَ قام أبو الفتوح نَشْوُ الخليفة بن الميقاط [2]، كاتبُ الجيش ، مع

= والحبش : هى ما تعرف فى مصر بـ « بركة الحبش » خلف القرافة وكانت تشرف على النيل (معجم البلدان / بركة) .

(١) ذكر صاحب البطاركة أن اسمه كان قبل تقدمه : أبو المجد بن أبى غالب بن سورس . فأخذوه وقسموه بطركا .
وكان المساعد لهم فى تقدمته عند السلطان القاضيان : المريضى والرضى أخاه . ابنا الجباب - بالجيم - (البطاركة ٣ - ٢/ ٩٩) .

(*) كان هذا البطريرك خيِّراً ، عالماً ، قرأ العتيقة والحديثة ، وجادل مخالفى دينه ، وظهر عليهم ، وصار « لنشو الخلافة أبو الفتوح بن ميقاط » كالمعلم . وأراد أن يساعد القس داود عند السلطان والشعب فى أن يقسمه بطركاً فوافقه منهم القليل وخالفه الكثير ، ولم يقدر أن يجمع الكل على الرضا به .
وهو البطرك الخامس والسبعون المعروف « كيرلس الثالث » أقام ٩ شهراً و٧ سنة (مختصر تاريخ البطاركة ١٢٧) .

(٢) اسمه : « أبو الفتوح » ونعته « نشو الخلافة » ويعرف بـ « ابن الميقاط » وفى بطاركة الكنيسة المصرية ٤ - ٢/١ : « نش الخلافة » =

السلطان الملك العادل «أبى بكر بن أيوب»[1] في ولاية القسّ «داود بن يوحنا بن لقلق الفيومى»، فإنه كان خصيصاً به، فأجابه وكتبَ توقيعه من غير أن يعْلَم الملكُ الكامل محمّد[2] ابن السلطان، فشقّ ذلك على النّصارى وقام منهم الأسعدُ بن صدقة[3]، كاتبُ دار التفاح بمصر، ومعه جماعة وتوجّهوا سحَراً ومعهم الشّموع إلى تحت قلعة الجبَل، حيث كان سكن الملك الكامل، واستغاثوا به ووقعوا فى القس، وقالوا: لا يصلح. وفى شريعتنا أنه لا يقدَّم البطرك إلّا باتفاق الجمهور عليه. فبعث الملكُ الكامل يطيّب خواطرهم وكان القسّ قد ركبَ بكْرةً ومعه الأساقفة وعالَمٌ كثير من النّصارى ليقدِّموه بالمعلّقة بمصر، وذلك يوم الأحد، فركب الملكُ الكامل بشَجْوٍ[4] كبيرٍ من القلعة إلى أبيه بدار الوزارة من القاهرة حيثُ

= رجلٌ من أولاد القبط استخدمه الملك «العادل» فى ديوان الجيوش فقرّبه منه، وكان يتصدق بكل ما يملكه، ويعمل خيراً مع كل من يقصده من النصارى أو المسلمين وجميع الناس.

فآوى إليه رجلٌ قسٌّ اسمه: «داود» ويعرف بـ «ابن لقلق» من أهل الفيوم، وهو البطرك الذى معنا المسمى «كيرلس الثالث: ابن لقلق» فاجتمعت جماعة كبيرة من النصارى ووقفوا للسلطان الملك الكامل، وتضرروا من تقدمة هذا القس عليهم، وذكروا أنهم لا يرضونه، وأنه مخالف لاعتقادهم ورأيهم.. وذكروا فيه أشياء قبيحة، ونشو الخلافة لا ينزل عن اختياره، والشغب واقع بين الشعب. فقال لهم القاضى: فمن تريدون؟ قالوا: عندنا شيخ جيد.. يعنون الشيخ أبا الكرم، والشيخ ابن السكرى من أكابر أهل الإسكندرية، وذكروا جماعة من الرهبان منهم: «حبيس إبيار» وإبيار: قرية من محافظة الغربية، قريبة من طنطا. راجع (البطاركة ٤ - ٨/١ إلى آخر المجلد الرابع).

(١) **العادل محمد بن أيوب**: (١١٤٥ - ١٢١٨م) أخو السلطان صلاح الدين، ومن سلاطين الدولة الأيوبية، ولاه أخوه مدينة حلب سنة ١١٨٣م ثم انتقل إلى الكرَك، وتنقل فى الولايات إلى أن ملك مصر سنة ١٢٠٠م وضم إليها سورية. ثم ملك أرمينيا واليمن وقسم ملكه بين أولاده. توفى فى دمشق ودفن بالعادلية.

(٢) **الملك الكامل محمد** (١١٨٠ - ١٢٣٨م) هو ابن العادل الأيوبى، من ملوك مصر، استقل الكامل بملك مصر سنة ١٢١٨م فقرب إليه العلماء، وباشر أمور مملكته بنفسه، ووسع ملكه، فاستولى على حرّان، والرها، وآمد، وغيرها. توفى بدمشق، ودفن بقلعتها. من آثاره بمصر «المدرسة الكاملية».

(٣) **الأسعد بن صدقة ضامن دار التفاح بمصر**: رجل نصرانى، يعقوبى، من أهل القاهرة (البطاركة ٣ - ٣/ ١٢٤).

(٤) **الشجو**: الهم والحزن (المعجم الوسيط).

سكَنِه ، وأوقَف ولايةَ القس ، فبعث السلطان فى طلب الأساقفة ليتحقّق الأمرَ منهم ، فوافقهم الرسلُ مع القس فى الطريق ، فأَخذوهم ودخل القسّ إلى كنيسة بوجرج التى بالحمراء وبطلت بطركيته [1] ، وأَقامت / مصر بغير بطْرك تسع عشرة سنة ، ومائة وستين يوماً . (٥٧)

ثم قُدِّم هذا القس [2] بطركاً فى يوم الأحد تاسع عشرى شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فأقام سبع سنين ، وتسع أشهر ، وعشرة أيام ، ومات يوم الثلاثاء سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين وستمائة ، ودفن بدير الشمع بالجيزة .

وكان عالماً بدينه ، محباً للرئاسة ، وأخذ الشرطونية فى بطركيته [3] ،

---

(١) يقول ساويرس : أخذه أبو الفتوح مع الأساقفة وطلع إلى مصر إلى المعلقة يقسمه بطركا ، فاتصل خبره بوالى مصر ، فركب ومعه جماعة من أجناده وأعوانه ، وجاء إلى كنيسة المعلقة ونزل بهم أنجس نزول وأخزق بهم ! وهرب داود كيرلس الثالث ابن لقلق وخرج الأساقفة من الكنيسة هاجين على رءوسهم من مصر إلى كراسيهم، وبطل أمر داود . (البطاركة ٢ - ٣ - ١٢٥) .

(٢) يريد : داود بن يوحنا بن لقلق الفيومى « كيرلس الثالث : ابن لقلق » وبذلك يعتبر البطرك الخامس والسبعون من البطاركة وقد انفرد له ولتاريخه المجلد الرابع بجزأيه من (البطاركة ١ - ٤ و٢/ ٤) وأكثر الثالث ويذكر تحت اسم: « كيرلس الثالث: ابن لقلق » من سنة ١٢١٦ - ١٢٤٣م (مختصر تاريخ البطاركة ١٢٧) .

(٣) لم يتكرز من الأساقفة أحد بغير شرطونية فى عهده سوى مطران دمياط الذى كان قد ترهب وجاء من الشام وسكن مع البطرك المذكور قبل بطركته بدير النسطور فإنه لم يأخذ منه شيئاً .

ونشو الخلافة أبو الفتوح قد تغير قلبه من جهته ، وصار لا يصل إليه ، ولا يسلم عليه بعد أن كان بينهما ما ذكرناه (البطاركة ١ - ٤/ ٦٩) .

وابن لقلق هذا : اختلفت فيه الآراء فبينما قال خصومه : إنه كانت تنقصه كل المقومات المطلوبة فيمن يجلس على كرسى القديس مرقس . يرى أصدقاؤه أن الشرطونية (السيمونية) كانت ذلته الأساسية ، وكذلك مخالفته بعض عادات الكنيسة القبطية ، فمثلاً كان يبيح رسامة الكهانة من أبناء الزواج الثانى أو الثالث .

وكيفما كان الأمر فإن « السيمونية » كانت أحد الآثام الصارخة فى كل كنائس العصور الوسطى . أما بالنسبة لبطاركة الكنيسة القبطية فى هذه الفترة ، فقد كانت لهم بعض الظروف المخففة حينما لجئوا إلى هذه المذمة .. وكان من الضرورى أن ترد المبالغ الطائلة التى كانت تدفع عادة للسلطان للحصول على موافقته لرسامة البطريرك ، كما أنه كان من الضرورى أن يوجد مبلغ كبير مخزون ؛ لسداد المبالغ التى كثيراً ما كانت تطلب من البطريرك ، أو المسيحيين .

وكانت الديارات بأرض مصر قد خلت من الأساقفة ، فقدَّمَ جماعةَ أساقفة كثيرة بمالٍ كثير أخذه منهم ، وقاسى شدائد ، ورافعه الراهب عماد المرشال ووكل عليه وعلى أقاربه وإلزامه ، وساعده الراهب السنيّ بن الثعبان [١] وأشاع مثالبه وقال : لا يصح له كهنوتية لأنه يقدِّم بالرشوة وأخذ الشرطونية [٢] ، وجمعَ عليه طائفة كثيرة وعقدَ مجلساً عند الصّاحب « معين الدين حسن » بن شيخ الشيوخ فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب [٣] ، وأثبت على البطْرك قوادح ، فقام الكتّاب النّصارى فى أمره مع الصاحب بمالٍ يحمله إلى السلطان ، حتى استمرَّ على بطركيته ، وخلا كرسى البطاركة بعده سبع سنين وستة أشهر وعشرين يوماً .

(٧٦)

[أثناسيوس ابن القس أبى المكارم بن كليل سنة ١٢٤٢ م [*]]

ثم قدَّم اليعاقبة « أثناسيوس » [٤] ابن القس أبى المكارم بن كليل بالمعلّقة فى يوم الأحد رابع شهر رجب ، سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وكمل بالإسكندرية

---

(١) انقطع للرهبنة بكنيسة أبو سرجة وترك خدمة السلطان .

(٢) يقول ساويرس بن المقفع ٤ - ١/ ٦٩ : كان له العذر فى أخذ الشرطونية ما قرر السلطان . ثم إن جماعة من الأراخته اجتمعوا ، وقالوا له : إلى متى تأخذ الشرطونية على الكهنوت ؟! وقد جعلتنا بهذا سبة بين الأمم !

(٣) **الملك الصالح نجم الدين أيوب** (١٢٠٧ - ١٢٤٩م) صَدَّ هجمات التتار فيما بين النهرين ، وبسط سلطته على العراق ، واحتل دمشق سنة ١٢٣٨م ، واسترد بيت المقدس وفلسطين من أيدى الصليبيين ، وأقطع المماليك الإقطاعات فى مصر فحالفوه وناصروه سنة ١٢٤٠م .

(*) هو « أثناسيوس » الثالث البطرك السادس والسبعون . أقام ١ شهراً و١١ سنة (دليل الأديرة ٢/ ١٦٦، ومختصر تاريخ البطاركة ١٢٨، وكذلك فى (الخطط التوفيقية ٦/ ٢٣٧) .
وهو آخر البطاركة الذين ذكرهم المقريزى فى كتابه « الخطط » .
وقد قدمنا فى آخر الدراسة لهذا الكتاب ثبتا بالبطاركة منذ مرقس الرسول حتى أنبا شنودة فى عصرنا الراهن أى ١٩٩٦م .

(٤) فى الخطط : « أبناسيوس » .

فأقام إحدى عشْرة سنة وخمسة وخمسين يوماً . ومات يوم الأحد ثالث المحرم سنة ستين وستمائة فخلت مصرُ من البطركية خمسة وثمانين يوماً .

وفى أيامه أخذ الوزيرُ الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى الجَوَالى [1] من النصارى مضاعفة .

وفى أيامه ثارت عوامُّ دمشق وخرّبت كنيسة مريم بدمشق بعد إحراقها ونهْب ما فيها ، وقَتْلِ جماعةٍ من النّصارى بدمشق ، ونَهْبِ دورِهم وخرابِها ، فى سنة ثمانٍ وستمائة ، بعْد وقْعة عين جالوت [2] ، وهزيمةَ / المغل [3] ، فلمّا (٥٨) دخلَ السلطانُ المظفر « قُطُز » [4] إلى دمشق ، قرّرَ على النّصارى بها مائة ألف وخمسين ألف درهم .. جمعوها من بينهم ، وحملوها إليه ، بسفارة الأمير فارس الدين « أقطاى » [5] المستعْرب ، أتابك العسكر [6] .

---

(١) **الجوالى** : المراد بها الجزية . والجوالى ، جمع جالية : أى الجماعة النازحة عن منازلها وأوطانها . وتناول هذا الاسم فى الاصطلاح : كل النصارى واليهود والمجوس والصابئة . وكانت الدواوين السلطانية تطلق اسم « جزية الجوالى » على الخراج الذى كان يستوفى عن رقاب الذميين ثم أسقط فى الاستعمال اسم المضاف ونزّل المضاف إليه فى مكانه وعرفت الجزية باسم « الجوالى » .

(٢) **عين جالوت** : موضع فى فلسطين بالقرب من « بيسان » سحق فيه السلطان بيبرس المغول والصليبيين المتحالفين سنة ١٢٦٠م .

(٣) **المغل** : أو المغول : هم سكان منغوليا . اجتاحوا آسيا من مشارقها إلى مغاربها . أسس إمبراطوريتهم « جنكيز خان » سنة ١٢٠٦ - ١٢٢٧م وثبت أركانها « تيمورلنك » سنة ١٣٦٩ - ١٤٠٥م وأعاد تأسيسها « بابل » سليل تيمور سنة ١٥٠٥ - ١٥٣٠م . وبلغت أوج عزها على أيام « أورنْك زيب » سنة ١٦٥٩ - ١٧٠٧م واضمحلت سنة ١٨٠٦م .

(٤) **قطز** : سلطان مصر (١٢٥٩ - ١٢٦٠م) من المماليك البحرية تركى الأصل . غلب المغول والإفرنج المتحالفين فى « وقعة عين جالوت » سنة ١٢٦٠م قتله « بيبرس » وخلفه فى الملك .

(٥) **أقطاى . فارس الدين** : أحد أمراء دولة المماليك البحرية فى مصر . اختاره الملك المنصور « علىّ بن أيبك » أتابكا للجيش سنة ١٢٥٧م واشترك مع « قطز » فى محاربة « المغول بالشام وهزيمتهم فى معركتى « عين جالوت » و « بيسان » . ضلع مع « بيبرس » فى قتل « قطز » بالصالحية ، فجعله بيبرس أتابكا للجنود .

وهذا الأمير غير « فارس الدين أقطاى » رأس المماليك البحرية الذى قتله « المعز أيبك » سنة ١٢٥٤م .

(٦) **أتابك العسكر** : القائد العام لجيش المماليك . (صبح الأعشى ٤/١٨) .

[أسباب انتفاضة[1] سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٠م]

وفى سنة اثنتين وثمانين وستمائة كانت واقعة النصارى .

ومن خبرها : أن الأمير « سَنْجر الشّجاعى »[2] كانت حرْمتُه وافرة ، فى أيام الملك « المنصور قلاون »[3] ، فكان النصارى يركبون الحميرَ بزنانِيرَ فى أوساطهم ، ولا يجسر نصرانى يُحَدِّث مسلماً وهو راكبٌ ، وإذا مشَى فبذلَّةٍ ، ولا يقْدر أحدٌ منهم يلبس ثوباً مصْقولاً .

فلمّا ماتَ الملكُ « المنصورُ » ، وتسلْطَن من بعده ابنُه الملكُ « الأشرف خليل »[4] خدمَ الكتّابُ النصارَى عند الأمراء الخاصكيّة[5] ، وقوّوا نفوسَهم على المسلمين ، وترفّعوا فى ملابسهم ، وهيئاتهم وكان منهم كاتبٌ عند خاصكىّ يعرف « بعين الغزال » فصدفَ يوماً فى طريق مصْر سمْسارَ شونة مخدومه ، فنزلَ السِّمْسارُ عن دابته وقبّلَ رجلَ الكاتِب ، فأَخذ يسبُّه ويهدِّده

(١) راجع صفحة ١٩٧ و ٢٠٣ من هذا الكتاب .
انتفاضة : كلمة عربية الأرومة ، قحطانية الأحرف . مقابل كلمة (Uprising) الإنجليزية .
وتعنى : حالة من العصيان المدنى غير المسلح ، والهياج ، والمقاومة المقتصرة على الأدوات غير السلاحيّة . راجع (الدكتور حسام الدين الخطيب : اللغة العربية . إضاءة عصرية ص ٢٠٤).

(٢) هو الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعى . أحد مماليك المنصور قلاون . ترقى فى الرتب ، وفى أول حكم السلطان الناصر خليل صار وزيراً ، عسوفاً ، ظالما وعزل . وفى أول حكم السلطان الناصر محمد بن قلاون جعله وزيراً . فأقام شهراً وقتل . راجع (الخطط التوفيقية ١٠/٣٧) .

(٣) **السلطان الملك المنصور قلاون** (١٢٢٣ - ١٢٩٠م) مؤسس أسرة قلاون بمصر . من المماليك البحرية ، أخلص الخدمة « للظاهر بيبرس » ونهض بأعمال الدولة فى أيام « العادل » ابن « الظاهر » وتولى حكم مصر منفرداً سنة ١٢٧٩م تغلب على المغول . ومن آثاره البيمارستان .

(٤) **الملك الأشرف خليل بن قلاون** (١٢٦٥ - ١٢٩٤م) أحد سلاطين المماليك فى مصر . حارب الصليبيين فى الشام واسترد عكا ، وصور ، وصيدا ، وبيروت ، وقلعة الروم ، وبيسان ، قتله بعض المماليك غيلة بمصر .

(٥) **الخاصكية** : جماعة من حاشية السلطان تمتعوا بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون على السلطان فى أوقات فراغه ، وفى خلواته بغير إذن ، وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة ، والعطايا الجزيلة وامتازوا بحسن المظهر ، وأناقة الركوب ، والملبس (دكتور سعيد عاشور . العصر المملوكى ٤١١) .

على مالٍ قد تأَخّر عليْه من ثمن غلّة الأمير، وهو يترفّق له ويعتذر! فلا يزيده ذلك عليه إلَّا غِلْظة! وأمر غلامَه فنزلَ وكتّفَ السِّمْسار، ومضى به، والنّاسُ تجْتمعُ عليْه، حتى صارَ إلى صليبة جامع أحمد بن طولون، ومعه عالَمٌ كبير، وما منهم إلا مَنْ يسأَله أن يخلِّى عن السّمسار، وهو يمْتنع عليهم، فتكاثَرُوا عليْه، وألْقوه عن حماره، وأطلقوا السّمسارَ، وكانَ قد قرُبَ من بيْت أستاذه، فبعثَ غلامَه لينْجِده بمن فيه، فأَتاه بطائفةٍ من غلْمان الأمير وأوجاقيته[1].. فخلّصوه من النّاس، وشرعُوا فى القبْض عليْهم ليفْتِكوا بهم، فصاحوا عليهم: «ما يحلّ». ومرُّوا مُسْرعين إلى أن وقفُوا تحتَ القلْعة، واستغاثوا: «نصر الله السلطان». فأرسل يكْشِفِ الخبر. فعرَّفوه ما كان من استطالة الكاتب النصرانى على السّمسار، وما جرى لهم، فطلب «عين الغزال» ورسم للعامّة بإحضار / النّصارى إليه، وطلب (٥٩) الأمير «بدر الدين بيدرا» النائب، والأمير «سنجر الشّجاعى» وتقدم إليهما بإحضار جميع النّصارى بيْن يديْه ليقْتُلَهم، فما زالا به حتى استقرَّ الحال على أن ينادَى فى القاهرة ومصر: ألّا يَخْدِمَ أحدٌ من النصارَى، واليهود عند أمير. وأمر الأمراء بأَجمعهم أن يعرِضُوا علَى منْ عِنْدهم من الكتّاب النّصارى الإسلامَ فمن امْتنع من الإسلام ضُرِبتْ عُنقه، ومَنْ أسلمَ استخدموه عِنْدهم، ورُسِم للنائب بعرْض جميع مباشرى ديوان السّلطان، ويفعل فيهم ذلك، فنزل الطلبُ لهم، وقد اختفوا، فصار العامة تسبق إلى بيوتهم وتنهبها، حتى عمّ النهبُ بيوتَ النصارى واليهود بأَجمعهم، وأخرجوا نساءهم مسْبِيّات، وقتلوا جماعةً بأيديهم. فقام الأميرُ «بيدرا النائب» مع السلطان فى أمر العامة، وتلطّف بِهِ حتّى ركب والى القاهرة ونادى: «من نهب بيتَ نصرانىّ شُنِق». وقَبَضَ على طائفةٍ من العامة

(١) **الأوجاقية**، أو الأوشقية، مفردها، أوجاقى، أو أوشاقى: وهى فرقة من خدم السلطان، عملها ركوب الخيل لتسبيره ورياضته (صبح الأعشى ٥/ ٤٥٤).

وشهَّرهم، بعد ما ضربَهم، فانكفّوا عن النّهْب، بعد ما نهبوا كنيسة المعلّقة بمصر، وقتلوا منها جماعةً، ثم جمع النائبُ كثيراً من النّصارى كتّابَ السّلطان والأمراء، وأوقفَهم بين يدى السّلطان عن بُعْد منه، فرسم «للشجاعى» وأمير «جاندار» أن يأْخذوا عدّةً معهما وينْزلوا إلى سوق الخيْل تحت القلْعة، ويحفروا حفيرةً كبيرةً ويُلْقوا فيها الكتّاب الحاضرين، ويُضْرموا عليهم الحطب ناراً، فتقدم الأمير «بيدرا» وشفع فيهم، فأبى أن يقْبل شفاعتَه. وقال: «ما أُريدُ فى دولتى ديواناً نصرانياً». فلم يزل به حتّى سمَحَ بأَن من أسلم منهم يستقرّ فى خدْمته، ومن امْتنعَ ضُرِبت عُنقه. فأَخرجهم إلى دار النيابة وقال لهم: «يا جماعة، ما وصلَتْ قُدرتى مع السّلطان فى أمرِكم إلّا على شرْطٍ، وهو أنّ من اختارَ دينَه قُتل، ومن اختارَ الإسلامَ خُلِعَ عليْه وباشرَ». فابتدره المكين بن السقاعى - أحد المستوفين - وقال: يا خوَنْد[1]، وأيُّنا قَوّادٌ يختارُ / القتلَ على هذا الدّين الخرا ؟! والله دِينٌ نقْتل ونموتُ عليهِ يَرُوح. لا كتب الله عليه سلامة. قولوا لنا الذى تختاروه، حتّى نروح إليه. فغلب بيدرا الضحك وقال له: ويلك ! أنحن نختار غيرَ دين الإسلام ؟! فقال: يا خوند، ما نعرف، قولوا ونحن نتْبعكم، فأَحضرَ العدولَ واستسْلَمهم، وكتبَ بذلك شهاداتٍ عليهم، ودخلَ بها على السّلطان، فألبسهم تشاريف، وخرجوا إلى مجلس الوزير الصاحب «شمس الدين محمد بن السلعوس»[2] فبدأَ بعضُ الحاضرين بالمكين بن السقاعى، وناوله ورقةً ليكتبَ عليْها، وقال: يا مولانَا القاضى، أكتُبُ على هذه الورقة؟ فقال: يا بنى، ما كان لنَا هذا القضاءُ فى خلَد! فلم

(٦٠)

(١) **الخوند**: لقب يفيد معنى الاحترام ويخاطب به الذكور والإناث (خوند أو خوندة) أى السيد الأمير. وهى كلمة فارسية. راجع (الألقاب فى الإسلام لحسن الباشا ٢٨٠).

(٢) **محمد بن السلعوس**: كان وزير السلطان الأشرف خليل بن قلاون (١٢٩٠ - ١٢٩٣م) وكان ابن السلعوس هذا يسمع السلطان الأشرف خليل الكلام فى الناس بالباطل.. يقول ابن إياس ١٢٦/١ «وكان ذلك سبباً لزوال ملكه

يزالوا فى مجلس الوزير إلى العصر، فجاءَهم الحاجبُ وأخذهم إلى مجْلس النّائِب، وقد جمعَ بهِ القضاةَ، فجدّدوا إسلامَهم بحضرتهم، فصار الذليل منهم بإظهار الإسلام عزيزاً، يبْدى من إذلال المسلمين والتسلّط عليهم بالظّلْم ما كان يمنعه نصرانيته من إظهاره، وما هو إلّا كما كتب به بعضهم إلى الأمير «بيدرا النائب»:

أسْلَم الكافِرونَ بالسيْفِ قهراً وإذَا ما خَلُوا فهمْ مُجْرمُونا
سَلِموا من رُواحِ مالٍ ورُوح فهُمْ سالِمونَ لا مُسْلِمونا

* * *

وفى أخريات شهر رجب سنة سبعمائة قَدِم وزيرُ متملّك المغرب إلى القاهرة حاجًّا، وصار يرْكبُ إلى الموْكبِ السلطانىّ، وبيوتِ الأمراءِ، فبيْنا هو ذات يوم بسوق الخيْل، تحتَ القلْعة إذَا هو برجلٍ راكبٍ على فَرسٍ، وعليْه عمامةٌ بيضاء، وفرجيّة مصْقولة، وجماعةٌ يمشون فى ركابِه، وهم يسألونه ويتضرّعون إليْه ويقبّلونَ رِجْله، وهو مُعْرِضٌ عنهم وينْهرهم، ويصيحُ بغلْمانه أنْ يطْردُوهم عنه! فقال له بعضُهم: يا مولاىَ الشيخ، بحياة وَلدك النّشوْ تنظر فى حالنا. فلم يزِدْه ذلك إلّا عتوًّا وتحامقاً، فرقَّ المغربىُّ لهم، وهمَّ بمخاطبته فى أمرهم، فقيل له / : وإنّه معَ ذلِك نصرانىّ! (٦١) فغضِبَ لِذَلكَ وكادَ أنْ يَبْطش به، ثمّ كفَّ عنْه، وطلَعَ إلى القلْعة، وجلَس معَ الأمير «سلار» نائب السلطان، والأمير «بيبرس الجاشنكير» وأخذ يحادِثُهم بما رآه وهو يبْكي رحمةً للمسلمين بما نالَهم من قَسْوة النّصارى! ثم وعظَ الأمراءِ وحذّرَهم نقْمةَ وتسْليطَ عدوِّهم عليْهم، منْ تمْكِين النّصارى من ركوبِ الخيْل، وتسلّطهم علَى المسْلمين، وإذلالهم إياهم، وإن الواجب إلزامهم الصّغار، وحمْلهم علَى العهْد الذِى كتبَه أميرُ المؤْمنين عمرَ بن الخطّاب رضِىَ الله عنْه.. فمالوا إلى قوْله، وطلَبوا بطْرك النّصارى

وكبراءَهم ، وديّان اليهود ، فجُمِعت نصارَى كنيسة المعلّقة ، ونصارَى ديرِ البغْل ونحوهم ، وحضَر كبراءُ اليهودِ والنّصارى ، وقدْ حضرَ القضاةُ الأربعة ، وناظَرُوا النّصارَى واليهود .. فأَذْعَنوا إلى الْتِزام العهْد العمَرِىّ ، وألزمَ بطركُ النّصارَى طائفتَه النّصارى بلبْس العمائم الزُّرق ، وشدَّ الزنَّار فى أوساطهم ، ومنعَهم من ركوبِ الخيْلِ والبغال ، والتزام الصَّغار ، وحرَّم عليهم مخالفَة ذلك ، أوْ شيءٍ منه ، وإنَّه برىءٌ من النّصْرانية إن خالفَ ، ثم اتّبعه ديانُ اليهود بأن أوقعَ الكلمةَ علَى مَنْ خالفَ مِنَ اليهُود ما شُرِط عليْه مِنْ لبْس العمائم الصُّفْر ، والْتِزام العهْد العُمَرىّ .. وكتبَ بذلكَ عدّة نسخ سُيِّرت إلى الأعمال .. فقامَ المغْربِىُّ فى هدم الكنائِس .. فلمْ يمكِّنْه قاضِى القُضاة تقىُّ الدِّين محمّد بن دقِيق العيدِ [1] من ذلك ، وكتب خَطَّه بأنه لا يجوزُ أن يُهدَم من الكنائِس إلاَّ ما استجدَّ بناؤُه ، فغلِّقتْ عدَّة كنائس بالقاهرة ومصر ، مدّة أيام .. فسعَى بعض أعيان النّصارى فى فتْح كنِيسةٍ حتى فتحَها ، فثارتْ العامّةُ ووقفُوا للنّائب والأمراء ، واستغاثُوا بأنّ النّصارَى قد فتحُوا الكنائسَ بغير إذْن ، وفيهم جماعةٌ تكبَّروا عن لبْس العمائِم الزُّرق ، واحْتمىَ كثيرٌ منهم بالأمراءِ ، فنُودِىَ فى القاهِرة ومصْر : أن يلْبس النّصارَى / بأجْمعهم العمائم الزُّرق . ويلْبسَ اليهودُ بأَسْرهم العمائمَ الصُّفْر [2] .. ومنْ لَمْ يفْعل ذَلِكَ نُهِب مالُه وحُلَّ دمُه . ومُنعوا جميعاً من الخِدْمَة فى ديوان (٦٢)

---

(١) **تقي الدين محمد بن دقيق العيد** : هو محمد بن علي بن وهب تقي الدين القشيري (٦٢٥ - ٧٠٢هـ / ١٢٢٨ - ١٣٠٢م) : المعروف كأبيه ، وجده بـ « ابن دقيق العيد » قاضٍ من أكابر العلماء بأصول الفقه ، مجتهد . أصل أبيه من « منفلوط » بمصر . ولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ فاستمر إلى أن توفي بالقاهرة .

وكان مع غزارة علمه ظريفاً ، له أشعار ، وملح ، وأخبار . راجع (الدرر الكامنة ٤/ ٩١) .

(٢) تشهير العمائم بالزرقة ، والصفرة ، والحمرة (للسامريين) كان فى شعبان سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١م إجابة لطلب هذا الوزير المغربي . راجع (البداية . لابن كثير ١٤/١٦ ، والعبر . لابن خلدون ٥/ ٤١٦) .

السّلطان، ودواوين الأمراء. حتّى يسلموا. فتسلّطَت الغوغاءُ عليْهم وتتبّعوهم، فمن رأَوه بغيْر الزيّ الّذى رُسِم به ضرَبُوه بالنّعال وصفَعُوا عنقه، حتّى يكادُ يهْلك، ومن مرَّ بهم وقدْ رَكب ولا يثْنى رِجْله، ألْقوه عن دابّته وأوجعوهُ ضرْباً، فاخْتفىَ كثيرٌ منْهم، وألجأَتْ الضرورةُ عدَّة من أعيانهم إلى إظهارِ الإسلام أنفَةً من لبْس الأزرق، وركوبِ الحمير، وقد أكْثرَ شعراءُ العصْر فى ذكْر تغيير زىّ أهْل الذمّة فقال علاءُ الدين علىّ بن مظفر الوداعى [1]:

لَقدْ أُلْزِم الكفّارُ شاشَاتِ ذِلّةٍ ... تَزيدُهم من لعْنةِ اللهِ تَشْويشَا
فقُلْتُ لَهُم: ما أَلبسُوكمْ عمائِمَا ... ولكنّهم قدْ أَلْزمُوكم بَراطِيشَا

وقال شمسُ الدّين الطيبى:

تعجّبُوا للنّصارىٰ واليهودِ معاً ... والسّامريِّين لمَّا عمَّمُوا الخِرَقا
كأَنّما باتَ بالأصْباغِ مُنْسَهلاً ... نسْرُ السّماء فأَضْحَى فوقَهم زَرقَا

فبعثَ ملكُ برشلونة [2] فى سنة ثلاث وسبعمائة هدية جليلة زائدة عن عادته، عمّ بها جميعَ أرباب الوظائف مِنَ الأمراء، ومع ما خصّ بِهِ السّلْطان، وكتبَ يسْأَلُ فى فتْح الكنائِس، فاتّفقَ الرأْى على فتْحِ كنِيسة حارَة زويلة لليعاقبة، وفتْح كنيسة البنْدقانيِّين من القاهرة.

ثم لما كان يومُ الجمعة تاسِع شهر ربيعِ الآخر، سنة إحدىٰ وعشْرين وسبعمائة، هدِّمَت كنائسُ أرض مصْر فى ساعةٍ واحدٍ كما ذُكرَ فى أخبار كِنيسة الزُّهرىّ [3].

---

(١) هو: علىّ بن المظفر بن إبراهيم الكندى الوداعى. علاء الدين ويقال له: «ابن عرفة» أديب متقن، شاعر، عارف بالحديث، والقراءات، من أهل الإسكندرية، أقام بدمشق، وتوفى فيها سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م، وله ديوان شعر فى ثلاث مجلدات (فوات الوفيات ٢/ ٨٧).

(٢) **برشلونة**: مرفأ على البحر الأبيض المتوسط فى «أسبانيا» فتحها العرب سنة ٧١٣م على أيام موسى بن نصير، ثم استعادها الأسبان سنة ١١٣٧م.

(٣) راجع صفحة ١٩٧ من هذا الكتاب.

وفى سنة خمْس وخمْسين وسبعمائة رُسِم بتحرير ما هو موْقوف على الكنائس من أراضى مصْر، فأَنافَ على خمْسةٍ وعشْرين ألف فدّان.

وسبَبُ الفحْص عن ذلك: كثرة تعاظم / النّصارَى وتعدِّيهم فى الشَّرِّ، (٦٣) والإضْرار بالمسْلمين؛ لتمكُّنهم منْ أمراءِ الدولة، وتفاخرهم بالملابس الجليلَة، والمغالاةِ فى أثْمانها، والتبسّط فى المآكل والمشارب، وخروجِهم عنِ الحدّ فى الجراءَة والسّلاطة.. إلى أنْ اتُّفق مرورُ بعض كتّاب النّصارى على الجامع الأزهر من القاهرة، وهو راكبٌ بخفٍّ ومهْمَاز، وبقباءٍ إسكندريّ طُرِح على رأْسه.. وقدّامه طرَّادون يمنعون النّاس من مزاحمته، وخلفه عدّة عبيدٍ بثيابٍ سريّة على أكاديش[1] فارهة.. فشقّ ذلك على جماعةٍ من المسْلمين، وثاروا به وأنزلوه عن فرَسه، وقصدُوا قتْلَه، وقدْ اجْتمع عالَمٌ كبيرٌ، ثم خلّوا عنْه.

وتحدَّث جماعة مع الأمير «طاز» فى أمر النّصارى وما هُم عليْه، فوعدهم بالإنْصاف منْهم، فرفعُوا قصّةً على لسَانِ المسْلِمين، قرِئتْ علَى السّلطان «الملك الصّالح صالح»[2] بحضرة الأمراء والقضَاة وسائر أهْل الدّوْلة، تتضمّن الشكْوَى من النّصارى.. وأن يُعْقد لهم مجْلس ليلْتَزموا بما عليْهم من الشّروط. فرسَمَ بطلَب بطرك النّصارى، وأعْيان أهْل ملّتهم، وبطلب رئيس اليَهوُد وأعيانهم.. وحضرَ القضاةُ والأمراء بين يَدى السّلطان، وقرأ القاضِى علاءُ الدين علىّ بن فضل الله كاتب السرّ.. العهْدَ الّذى كُتِبَ بين المسْلمين وبين أهْل الذمّة، وقد أحْضروه معَهم، حتى فرغَ منْه.. فالتزَم مَنْ حضرَ منْهم بما فِيه وأقرُّوا بِهِ، فعُدِّدتْ لهم أفعالُهم الّتى جاهروا بِها وهمْ عليْها، وأنهم لا يرجعون عنْها غيْر قلِيل ثم يعودون إليها.

---

(١) **أكاديش**، جمع الكديش: وهو الفرس غير الأصيل.

(٢) **الملك الصالح. صالح**: ولد سنة ١٣٢٧م، وهو ابن الملك الناصر محمد. من المماليك البحرية (١٣٥١ - ١٣٥٤م) خلع عن العرش.

كما فعلوهُ غيرَ مرّة فيما سلَف ، فاستقرَّ الحالُ علَى أنْ يمْنعوا من المباشَرة بشيءٍ من ديوانِ السّلطان ، ودواوين الأمراء ، ولو أظْهروا الإسلام ، وألّا يُكْرَه أحدٌ منْهم على إظْهار الإسلام ، ويُكْتَب بذَلِكَ إلى الأعمال .. فتسلّطتْ العامةُ عليْهم ، وتتبّعوا آثارَهم ، وأخذوهم فى الطّرقات ، وقطَّعوا ما عليهم من الثياب ، وأوجعوهم ضرْباً ، ولم يتْركوهم حتّى يُسْلموا ، وصارُوا يَضْرِمُون / لهم النّار ؛ ليُلْقوهم فيهَا ، فاخْتفُوا فى بيُوتِهم ، ولم يتجاسَروا على المشْيِ بيْن النّاس ، فنُودِىَ بالمنْع من التعرُّضِ لأذاهم ، فأخذت العامة فى تتبّع عوْرَاتهم ، وما علَّوْه من دورهم على بناء المسْلمين فهدمُوه ، واشتدَّ الأمرُ على النّصارى باختفائهم . حتّى أنهم فُقِدُوا من الطّرُقات مُدَّةً ! فلمْ يُرَ منْهم ولا مِنَ اليَهودِ أحد .. فرَفَع المسْلمون قصّةً قرِئت فى دارِ العدْل فى يوم الاثنين رابع عشَر شهْر رجَب تتضمّن أن النّصارَى قدْ استجدّوا عماراتٍ فى كنائِسهم ووسَّعوها ، هذا وقدْ اجْتمع بالمعلَّقة عالَمٌ عظيمٌ واستغاثوا بالسّلطان من النّصارى ، فرسَمَ بركوبِ وَالى القاهِرة وكشْفِه علَى ذلِكَ ، فلمْ تتمهّل العامّةُ ومرّتْ بسرعةٍ فخرَّبت كنيسةً بجوار قناطر السِّباع ، وكنيسة بطريق مصر للأسرى ، وكنيسةَ الفهادين بالجوّانيةْ من القاهرة ، ودير نَهْيا من الجيزة ، وكنيسة بناحية بولاق التكروريّ ، ونهبوا حواصلَ ما خرَّبوه منْ ذَلكَ ، وكانت كثيرة ، وأخَذوا أخشابها ورخامَها ، وهجمُوا كنائسَ مصرَ والقاهرة ، ولمْ يبقَ إلَّا أنْ يخرّبوا كنيسةَ البنْدقانيين بالقاهرة ، فركب الوالى ومنعَهم منْها .. واشتدت العامّة وعجزَ الحكّامُ عن كفّهم ، وكانَ قدْ كُتِبَ إلى جميع أعمالِ مصْرَ وبلاد الشّام ألا يُستَخْدم يهوديٌّ ولا نصرانيّ ولو أسلم ، وأنّه من أسْلَم منْهم لا يمكَّن من العبُور إلى بيْته ، ولا مِنْ معاشَرة أهْله ، إلّا أنْ يُسْلموا ، وأنْ يُلْزِم من أسلم منْهم بملازَمةِ المساجِد والجوامِع ؛ لشهود الصّلوات الخمس والجمَع .. وأنّ مَنْ مات مِن أهل الذمّة يتولّى المسلِمونَ قِسْمة تركته على ورَثَتِه إنْ كانَ له وارِث ، وإلّا فهى لبيْت المال ، وكان يلى (٦٤)

ذلك البطْرَك ، وكُتِب بذاك مرْسومٌ قرئَ على الأمراء ، ثمّ نزلَ به الحاجبُ فقرأه فى يوم الجمعة سادس عشْرى جمادى الآخرة بجوامع القاهرة ومصْرَ فكان يوماً مشهوداً .

ثم أُحِضر فى أخريات شهر رجب من كنيسة شَبْرا بعد / ما هدِّمت (٦٥) « أصْبع الشّهيد » الّذى كانَ يُلْقى فى النِّيل حتّى يزيدَ بزعْمِهم ، وهو فى صندوقٍ فأحرق بيْنَ يَدى السّلطان بالميدان من قلعة الجبل ، وذرِّىَ رمادهُ فى البحْر ؛ خشيةً مِنَ أخذ النّصارى له .

[اختلاط دماء النصارى والمسلمين]

فقدِمَت الأخبارُ بكثرة دخولِ النّصارى من أهْل الصَّعيد والوجْه البحرىّ فى الإسلام ، وتعلّمهم القرآن ، وأنّ أكثر كنائِس الصّعيد هُدِّمت وبُنِيَتْ مساجِد ، وأنّه أسلم بمدينة قليوب فى يومٍ واحد أربعمائة وخمسون نصرانياً ، وكذلك بعامة الأرياف .. مكراً منهم وخديعةً حتّى يُسْتَخدمُوا فى المباشرات ، وينكحوا المسلمات ، فتم لهم مرادهم ، واختلطت بذلك الأنساب ، حتّى صارَ أكثرُ النّاس من أولادهم [1] ، ولا يخْفَى أمرُهم على منْ نوّر الله قلبه ، فإنّه يظْهر من آثارهم القبيحة إذا تمكّنُوا مِن الإسلام وأهْلِه ما يَعْرِف به الفطِنُ سوءَ أصْلهم ، وقديم معاداةِ أسلافهم للدِّين وحمَلَتِه !!

---

(١) كان النصرانى القبطى يتزوج ٤ أربع مسلمات كما فى شريعة المسلمين ، فينجب أولاداً نصف دمائهم مسلم والنصف الثانى نصرانى متأسلم ، وكان المسلم يتزوج ٤ أربع نصرانيات وينجب أولاداً نصف دمائهم نصرانى متأسلم والنصف الثانى مسلم .

وبتوالى الأجيال وبحكم الطبيعة أسلم النصف المتأسلم ، وحسن إسلامه .. وبذلك اختلطت الأنساب وأصبح المصريون يمثلون نسيجاً واحدً : سداه مسلمون ولحمته نصارى .

فصــل

[تباين آراء المسيحيـّين فى طبيعة المسيح عليه السلام]

النصارى فرق كثيرة : الملكانية [1] والنسطورية [2] واليعقوبية [3]

---

(١) **ملكانية ، أو ملكيون** : طائفة مسيحية من الطقس البيزنطى ، منتشرة فى سوريا ، ومصر ، وفلسطين . ومنهم جالية هامة فى أمريكا ، وكنيستهم أيضاً تسمى « كنيسة الروم الكاثوليك » ويتكلم معظمهم العربية ، ويرأسهم بطريرك ، يقيم فى دمشق والقاهرة .

سُمُّوا « الملكانية أو الملكيين » لأنهم أيّدوا القرار الذى اتخذ فى مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م ضد بدعة أوطيخا الميتافيزيقية « القائلة بطبيعة واحدة للمسيح » فلقبهم مخالفوهم بالملكانيين ؛ لوقوفهم فى صف الملك « مرقيانوس » الذى كان يعاضد المجمع ، ومنهم « كاثوليك » يعترفون برياسة بابا روما ويسمون « الروم الكاثوليك » ، و« أرسوذكس » لا يعترفون بهذه الرياسة ويسمون « الروم الأرسوذكس » وقد ظهر فى هذه الطائفة علماء وأدباء مشهورون ، مثل : قسطا بن لوقا ، ويوحنا ابن البطريرك ، ونيقولا الصايغ ، عرفهم المسلمون ، وناقشوا مذهبهم فى طبيعة المسيح الواحد ، كما فعل الشهرستانى فى « الملل والنحل » وابن حزم فى « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » والباقلانى فى « التمهيد » .

(٢) **النسطورية** : بدعة ظهرت فى القرن الخامس الميلادى . قال بها نسطوريوس بطريرك القسطنطينية ، حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله ، وقد عارضه كيرلس الإسكندرى ، وانعقد بسبب هذه المشكلة ثلاث مجامع دينية متلاحقة : مجمع أفسس سنة ٤٣١م ومجمع خلقدونية سنة ٤٥١ م ومجمع القسطنطينية سنة ٥٥٣ م ، وقررت كلها أن للمسيح طبيعتين : إلهية ، وإنسانية ، متحدتين فى أقنوم واحد وقوام إلهى واحد .

ورد ذكرها عند الشهرستانى فى « الملل والنحل » وابن حزم فى « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » والباقلانى فى « التمهيد » .

(٣) **اليعقوبية** : فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب الأرسوذكسى . وهى إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح . والفرقتان الأخريان هما : الملكانية والنساطرة .

عاش اليعاقبة - متمثلين فى [كنيسة الإسكندرية] - فى مصر ، والنوبة ، والحبشة .. واتصلوا بالمسلمين ، ويدور مذهبهم على القول بأن المسيح هو الله والإنسان ، اتحدا فى طبيعة واحدة هى المسيح .

واشتغل كثير من اليعاقبة فى ظل الإسلام بنقل الفلسفة اليونانية وكتبها إلى السريانية ، ثم إلى العربية .. ولقوا من الخلفاء المسلمين كل تشجيع وتقدير ، فكان لذلك أثره المنتج فى تاريخ الحياة العقلية الإسلامية ، لا سيما من الناحيتين : الكلامية والفلسفية .

وقد ذكرهم الشهرستانى فى « الملل والنحل » وابن حزم فى « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » والباقلانى فى « التمهيد » .

والبوزغانية [1] والمرقولية [2] وهم الرهاويون [3] الذين كانوا بِنَواحى حَرَّان [4] وغير هؤُلاء. فمنه مَنْ مذْهبهُ مذهبُ الحرّانية، ومنهم من يقولُ بالنّور والظُّلْمة [5]، والثّنْويّة [6] .. كلّهم يقرّون بنبوّة المسيح عليه السلام، ومنْهم من يعْتقِد مذهبَ أرسطاطاليس [7].

(١) **اليوذعانية**. هكذا ذكر فى الملل والنحل بالياء المثناة وذكر أنها إحدى فرق اليهود. نسبوا إلى «يوذعان» من «همدان» وقيل كان اسمه «يهوذا».

يقول المقريزى: تزعم أن المسيح هو الذى يحشر الموتى من قبورهم، ويحاسبهم (الخطط ٢/ ٥٠١).

وكان يوذعان هذا يحث على الزهد. وكثرة الصلاة.. وينهى عن أكل اللحوم وشرب الأنبذة. راجع (الملل والنحل. للشهرستانى ٥٠٩ - ٥١٣) تحقيق المرحوم محمد بن فتح الله بدران. الطبعة الأولى. مطبعة الأزهر سنة ١٩١٠م.

(٢) **المرقونية**. هكذا فى «الملل والنحل» وهم أصحاب «مرقيون» أثبتوا أصلين متضادين: أحدهما «النور» والثانى «الظلمة» وهم إحدى «فرق الثنوية».

ويقول المقريزى: يزعمون أن المسيح يطوف عليهم كل يوم وليلة (الخطط ٢/ ٥٠١).

(٣) **الرهاويون**: أى الذين ينسبون إلى الرها: وهى مدينة قديمة من مدن ما بين النهرين. كانت تقوم مكان «أورفة» الحالية فى تركيا. وكانت مركزاً للنصرانية فى القرن الثالث. وتأسست فيها فى القرن الرابع والخامس أديرة كثيرة، فتحها العرب سنة ٦٣٩هـ.

(٤) **حران**: إحدى المدن القديمة من مدن ما بين النهرين. يقع مكانها الآن جنوب شرق تركيا. وجنوب شرق «أورفة» ذكرت فى التوراة إذ كانت موطن أسرة خليل الله إبراهيم.

(٥) الذين يقولون بالنور والظلمة هم: الثنوية، ومنهم أتباع «مزدك» الذى ظهر حوالى سنة ٤٨٧م فى بلاد فارس، وهو من أهل نيسابور كما يقول الطبرى ودعا إلى مذهب ثنوى جديد، فكان يقول بالنور والظلمة، ولكن أكبر ما امتازت به تعاليمه «الاشتراكية» فكان يرى أن الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء، وأهم ما تجب فيه المساواة: المال، والنساء. ويقول الشهرستانى: «وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال؛ ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، فأحل النساء، وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ» راجع (فجر الإسلام ١٣٠ - ١٣٢).

(٦) **الثنوية**: هم أصحاب الاثنين الأزَليّيْن.. يزعمون أن النور، والظلمة أزليان، قديمان. وهم فرق. منهم: المانوية. والمزدكية. والديصانية. والمرقونية. والكينونية. راجع (الملل والنحل ٦١٨ - ٦٥٠).

(٧) **أرسطوطاليس**: (٣٨٤ - ٢٢ ق. م) فيلسوف يونانى تتلمذ على أفلاطون وعلّم الإسكندر الأكبر، وله العديد من الكتب. ويرى أن للعالم مبدآن أساسيان هما: الصورة والمادة، فكما أن صورة التمثال تنطبع على البرونز فتجعله تمثالاً لشىء بذاته، فكذلك كل شىء قوامه: صورة ومادة. ولا تكون صورة بغير مادة إلا صورة الله. وصورة النفس الإنسانية قبل حلولها فى الجسم، وبعد مفارقتها له.. والله هو المحرك الأول للمادة، فهو العلة الغائية التى تجذب، وكان لأرسطو أثر =

والملكانيّة ، واليعقوبيّة ، والنّسطوريّة : متّفقون على أنّ معبودَهم ثلاثةُ أقانيم . وهذه الأقانيم الثّلاثة شيءٌ واحد : وهو جوْهَرٌ قديم . ومعناه : أبٌ ، وابنٌ ، وروحُ القدُسِ ، إلهٌ واحدٌ . وأن الابنَ نزلَ من السّماء ، وخرجَ من القبْرِ ، لثلاثٍ ، فظهر لقوْمٍ مِن أصْحابه ، فعرفوه حقّ معْرفته ، ثم صعَد إلى السّماء ، فجلَسَ عن يمينِ أبيه .. هذا الّذى يجْمعُهم اعتقادُه .

ثم إنهم يخْتلفونَ / فى العِبارة عنْه : فمنْهم من يزْعُم أن القديمَ جوْهرٌ (٦٦) واحدٌ ، يجْمعه ثلاثةُ أقانيم ، كلُّ أُقنوم منْها جوْهرٌ خاصّ . فأحدُ الأقانيم أبٌ واحدٌ غيْرُ موْلُود ، والثّالث روحٌ فائِضة منْبثقة بين الأب والابْن ، وأن الابنَ لم يزلْ موْلوداً من الأب ، وأنّ الأبَ لم يزلْ والداً للابْن .. لا على جهةِ النِكاحِ والتّناسُل ، لكنْ على جهةِ تولّد ضياءِ الشّمْس من ذاتِ الشّمس ، وتولّد حَرِّ النّار من ذات النّار .

ومنْهم من يزْعُم أن معْنَى قوْلهم : إن الإلة ثلاثةُ أقانيم أنّها ذاتٌ لها حياةٌ ونُطْقٌ ، فالحياةُ هى روُح القُدُس ، والنّطقُ : هو العِلْم والكلمة والحكمة .. والنطق ، والعلم ، والحكمة : عبارة عن الابن[1] . كما يقالُ : الشّمْس وضياؤُها ، والنّار وحرّها . فهو عبارةٌ عن ثلاثةِ أشياء ، ترْجع إلىَ أصْل واحدٍ .

ومنْهم من يزْعمُ أنه لا يصح له أنْ يثْبتَ الإلَه فاعِلاً حكيماً ، إلّا أنه يثبته حيًّا ناطقاً . ومعنى الناطق عندهم : العالِمُ المميّز ، لا الّذى يُخْرجُ الصوْتَ بالحروفِ المركّبة . ومعنى الحىّ عندهم : مَنْ لهُ حياةٌ بها يكونُ حيًّا . ومعنى العالِم مَنْ له عِلْمٌ به يكون عالماً . قالوا : فذاتُه ، وعلْمه ،

= فى الفلاسفة الإسلاميين ، فلقبوه بـ «المعلم الأول» والفارابى ، هو «المعلم الثانى» وشرحوا فلسفته . راجع فى ذلك (إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى» ترجمة «أرسطوطاليس» .

(١) عبارة خطط المقريزى طبعة بولاق وكذلك القول الإبريزى : «والنطق هو العلم والحكمة» ثم تركا بياضاً . أشارا إليه . ثم «والنطق ، والعلم ، والحكمة ، والكلمة عبارة عن الابن» إلخ . والمذكور عن المخطوط رقم (٤٧٩ جغرافيا طلعت ، ورقة ٣٦٩) .

وحياتُه ، ثلاثة أشياء ، والأَصْلُ واحدٌ . فالذات ، هى : العلّة للاثنين اللّذيْن هما : العِلْم والحياة . والاثنان ، هما : المعلولان للعلّة .

ومنهم من يتنزّه عن لفْظِ العلّة والمعْلول فى صفةِ القديم ، ويقول : أبٌ ، وابنٌ ، ووالدةٌ ، وروحٌ ، وحياةٌ ، وعلْمٌ ، وحكمةٌ ، ونطْقٌ .

قالوا : والابنُ اتّحدَ بإنْسانٍ مخْلوق ، فصار هوَ وَما اتّحدَ بهِ مسيحاً واحِداً . وإن المسيحَ هو إله العباد وربّهم .

ثمَّ اختلفوا فى صفة الاتّحاد .. فزعَم بعضُهم أنّه وقعَ بيْنَ جوْهرٍ لاهوتىّ ، وجوْهرٍ ناسوتىّ اتّحادٌ ، فصارا مسيحاً واحداً ، ولمْ يُخْرج الاتحادُ كلَّ واحدٍ منْهما عن جوْهريّته وعنْصره ، وأنّ المسيحَ إلهٌ معبودٌ ، وأنه ابنُ مريم الّذى حملتْه وولدَتْه ، وأنه قُتِل وصُلِب .

وزعم قومٌ أنّ المسيحَ بعدَ الاتّحاد . جوْهران : أحدهما لاهوتىّ . والآخَر (٦٧) / ناسوتى . وأنّ القتْلَ والصّلْب وقعَا بهِ من جهَةِ ناسوتهِ لا مِنْ جهةِ لاهُوته . وأنّ مريمَ حملتْ بالمسيحِ وولَدتْهُ من جهةِ ناسُوتِه . وهذا قول النسطورية .

ثم يقولون : إن المسيحَ بكمالهِ ، إلهٌ معْبودٌ وأنه ابنُ الله . تعالى الله عن قولهم .

وزعم قوم أن الاتحادَ وقعَ بيْن جوْهريْن : لاهوتىّ وناسوتىّ . فالجوْهَرُ اللاهوتىّ بسيطٌ غيْر منْقَسم ولا متجزّئ .

وزعم قومٌ أن الاتّحادَ على جهةِ حلُول الابن فى الجسَد ومخالطته إياه .

ومنْهم من زعم أن الاتّحاد على جهةِ الظّهور ، كظهوُرِ كتابةِ الخاتَم ، والنّقش إذا وقعَ على طينٍ أو شمع ، وكظهور صورةِ الإنسان فى المرآة ، إلى غيْر ذلك من الاختلافِ الذى لا يوجَدُ مثْلَه فى غيْرِهم ، حتّى لا تكادُ تجِد اثْنيْن منْهم على قوْلٍ واحدٍ .

والملكانية : تُنْسَبُ إلى مَلِك الرُّوم . وهم يقولون : إن الله اسمٌ لثلاثةِ معانٍ . فهو واحدٌ ثلاثة ، وثلاثةٌ واحد .

واليعقوبية تقول : إنه واحدٌ قديمٌ ، وإنه كان لا جسمَ ولا إنسان ، ثم تجسّم وتأنّس .

والمرقولية قالوا : الله واحد ، وعلْمه غيْره قدِيمٌ معَه ، والمسيحُ ابنُه على جهةِ الرّحمة ، كما يقالُ : إبراهيم خليل الله .

والمرقولية تزْعُم : أن المسيحَ يطوفُ عليْهم كلَّ يومٍ وليْلةٍ .

والبوزغانية تزْعمُ : أن المسيحَ هو الّذى يحْشُر الموتَى من قبُورِهم ويحاسِبهُم .

* * *

فصـــل

[التعميد . الطهارة . الحج . الزكاة. الصيام . الأعيــاد . الختــان . الزواج . الصــوم . المراتب . حــدّ الزنى . حدّ القتل العمد ، والقتل الخطأ]

[تنصير أولادهم]

وعندهم لا بدَّ مِن تنْصير أوْلادهم ، وذلك أنهم يغْمِسُونَ المولودَ في ماءٍ قد أُغْلِيَ بالرّياحين وألْوانِ الطِّيب ، في إجّانةٍ [1] جديدةٍ ويقرءون عليْهِ مِنْ كتَابِهم ، فيزْعمون أنّه حينئذٍ ينزلُ عليْه روحُ القُدس ، ويسمون هذا الفِعلُ « المعمودية » .

[طهـارتهم]

وطهارتهم: إنما هى غسْلُ الوجْه واليدَيْن فقط .

[الختان]

ولا يختتنُ منهم إلّا اليعقوبية .

ولهم سبع صلوات يستقبلون فيها المشْرِق .

[حجهم، وزكاتهم، وصيامهم]

ويحجُّون إلى بيْت المقدِس.. وزكاتهم : العشْر من أموالهم.. وصيامهم خمسون يوماً .

[أعيادهم]

فالثانى والأربعون منه « **عيد الشعانين** »، وهو اليوم الذى نزل فيه المسيح ، من الجبل ، ودخل / بيت المقدس . (٦٨)

وبعده بأربعةِ أيّام « **عيدُ الفصْح** » ، وهو اليوْم الْذى خرجَ فيه موسَى وقومُه من مِصْر .

وبعده بثلاثة أيّام « **عيد القِيامة** » . وهو اليوْم الّذى خرجَ فيه المسيح من القبْر بزعْمهم .

وبعده بثمانية أيام« **عيد الجديد** » . وهو الذى ظهر فيه المسيح لتلامذته بعد خروجهِ من القبْر .

---

(١) **إجانة** : إناء أو حوض . معرب (المعجم الوسيط) .

وبعده بثمانية وثلاثين يوماً « **عيد السلاق** » . وهو اليوْم الذى صعد فيه المسيح إلى السماءِ .

ولهم « **عيد الصليب** » . وهو اليوْم الذى وجدُوا فيه خشبةَ الصَّلِيب ، وزعموا أنها وُضِعت على ميّتٍ فعاشَ .

ولهم أيضاً « **عيد الميلاد** » . و « **عيد الذبح** » .

[مراتبهم الكهنوتية]

ولهم قرابين .. وكهنة . فالشمّاس فوْقَه القسّ . وفوق القسّ الأسقف . وفوق الأسْقُف المُطْران . وفوق المُطْران البطْرِيق .

والسّكْرُ عندهم حرامٌ . ولا يَحلّ أكْل الّلحْم ولا الجماعِ فى الصّوم ، وكلّ ما يُبَاعُ فى السّوق ، ولم تعفّه أنفسهم يُباحُ أكْله .

[زواجهم]

ولا يصح النكاحُ إلا بحضور شمّاسٍ وقسّ ، وعدُول ، ومهرٍ ، ويحرِّمون من النساءِ ما يحرّمه المسْلمون ، ولا يحلّ الجمْع بيْنَ امرأتين ، ولا التسرّى بالإماء ، إلَّا أنْ يُعْتقن ويتزوَّج بهنَّ ، وإذَا خدَم العبْدُ سبعَ سنين عُتِق ، ولا يحلّ طلاقُ المرأَة إلَّا أن تأْتى بفاحشة مبيّنة ، فتطلّق ، ولا تحلُّ للزّوج أبداً .

[حدُّ الزنى عندهم]

وحدُّ المحصن إذا زنَى الرجْمِ ، فإن زنى غيرُ محصن وحملَت منه المرأَة تزوَّج بها .

[حدُّ القتل عندهم]

ومن قتلَ عمداً . قُتِل . ومن قَتلَ خطأً يهرَّب . ولا يحلُّ طلبه .

وأكثر أحكامِهم من التّوراة ، وقدْ لُعِن منْهم من لاطَ ، أوْ شهد بالزّور ، أو قامَر ، أو زنى ، أو سكر .

ذكر ديارات النّصارى

قال ابنُ سِيدَه : الدَّيْر . خانُ النّصارى . والجمْع : أدْيار . وصاحبه : ديّار وديْرَانىّ .

قلت (1) : الدَّيْر عِنْد النّصارى يختصّ بالنسّاك المقيمين به . والكنيسةُ : مُجتَمَع / عامّتهم للصلاة . (٦٩)

[أديرة الوجه القبلى
الجانب الشرقى من النيل]

القلّاية (2) بمصر

هذه القلّاية بجانب المعلّقة التى تعرف بقصر الشمع فى مدينة مصر ، وهى مجْمع أكابر الرهبان ، وعلماء النصارى ، وحُكْمها عندهم حُكْم الأديرة .

ديْر طُرَا (3)

ويعرف بديرِ أبى جُرج . وهو على شاطئ النيل .

---

(١) القول فى « قلت » للمقريزى .

(٢) المراد بـ « القلاية » هنا : بناء كالدير . مسكن الرئيس الروحى (خطط على مبارك ٦/ ١١)
والقلاية فى الأصل : هى صومعة الراهب .

(٣) لم يبق من الأديرة الكثيرة التى ذكرها المقريزى فى كتابه« الخطط » إلا القليل ، ولم يصمد الكثير منها لعوادى الزمن . وذلك لعدة أسباب أهمها أن بناء الدير فى أصله لا أساس له من الناحية المعمارية ، فما كان يطلق عليه اسم « دير » لم تكن حصوناً منيعة لا يمكن اقتحامها إلا بقوة المدافع ، بل كانت بيوتاً منحوتة فى الجبال ، أو مصنوعة من القصب ، أو فروع الشجر ، أو جريد النخل ، وكان يطلق على كل مجموعة من هذه البيوت كبيرة كانت أم صغيرة اسم « دير » وكان يتألف من سكان كل مجموعة طائفة خاصة من الرهبان ، لها رئيسها ، وكنيستها ، ومستودع مؤنتها ، ومثوى النازلين بهم من الغرباء . راجع الأمير عمر طوسون (وادى النطرون ٤٧) . والكثير منها غطته رمال الصحراوات .. وقد وفق الأمير « عمر طوسون » لاستكشاف بقايا ثلاثين ديراً بوادى النّطرون . عدا الأديرة الأربعة القائمة الآن وقد حقق شمُوّه أسماء سبعة من تلك الأديرة . راجع كتاب (وادى النطرون ، ورهبانه ، وأديرته ، ومختصر تاريخ البطاركة) للأمير عمر طوسون مذيل بكتاب (تاريخ الأديرة البحرية) ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م . مطبعة السفير بالإسكندرية .

وأبو جرج هذا هو: جرجس. وكان مّمن عذبه الملكُ دقْلطيانوس[1]، ليْرجعَ عن دينِ النّصرانية، ونوّع له العقوبات من الضّرْب والتّحريق بالنّار، فلم يرجع، فضَرَبَ عنقَه بالسيْف فى ثالث تشرين وسابع بابه.

ديْر شعْران

هذا الدير فى حدود ناحية طرا. وهو مبْنيٌّ بالحَجَر واللّبِن، وبه نخْلٌ وبه عِدّة رُهبان، ويقال: إنما هو دير «شهْران» بالهاءِ.

وإن «شهران» كان من حكماء النّصارى، وقيل: بلْ كان ملِكاً وكان هذا الدّير يعرف قديماً «بمرقوريوس» الذى يقال له «مرقورة» و«أبو مرقورة» ثم لما سكنهُ برْصوما ابن التبّان عرف «بدير برصوما» وله عيد يعمل فى الجمعة الخامسة من الصوم الكبير فيحضره البطْرك وأكابر النّصارى، وينفقون فيه مالاً كبيراً.

و«مرقوريوس» هذا كان ممّن قتله دقْلطيانوس، فى تاسع عشر تموز وخامس عشرى أبيب، وكان جندياً.

دير الرسُل

هذا الدير خارج ناحية الصّف والوادى[2]، وهو دير قديم لطيف.

ديْر بُطرس، وبُولص

هذا الدّير خارج اطفيح[3] من قبليّها، وهو دير لطيفٌ، وله عيد فى

---

(١) الملك دقلطيانوس هذا إمبراطور رومانى (٢٤٥ - ٣١٣ م) سبق الحديث عنه وسنزيده هنا تفصيلاً لما له من أهمية وسيتردد كثيراً. فقد تولى الإمبراطوية (٢٨٤ - ٣٠٥) وكان قائداً فى الجيش عندما اختير ليخلف «نومريانوس» بعد مقتله، وفى عهده اضطهد المسيحيين اضطهادات شديدة وقتل كثيراً من المسيحيين الذين لم يرتدُّوا عن دينهم.

(٢) **الصف**: مدينة قرب الجيزة. وفى الخطط والقول الإبريزى: «والوادى».

والوادى: كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام.

(٣) **اطفيح**: مدينة فى مصر الوسطى فى أعالى الفيوم على النيل.

خامس أبيب ، يعرف « بعيدِ القصرية »[1] .

وبطرس هذا هو أكبر الرّسُل الحواريّين ، وكان دبّاغاً[2] . وقيل : صيّاداً قتله الملك نيْروُن[3] / فى تاسع عشرى حزيران وخامس أبيب . (٧٠)

وبولص هذا . كان يهودياً فتنصّر[4] بعد رفع المسيح عليه السلام ، ودعا إلى دِينهِ ، فقتله الملك نيْرون بعد قتله بطرس بسنة .

دير الجُمَّيزة

ويعرف « بدير الجود » ويسمَّى موضعَه البحَّارةُ : جزائر الدير . وهو قبالة الميْمون[5] . وهو عزبة لدير العزْبة . بُنى على اسم «أنطونيوس» ويقال « أنطونة » .

وكان من أهل قِمَن[6] ، فلما انقضت أيام الملك دقلطْيانوس وفاتته الشهادة أحبّ أن يتعوّض عنْها بعبادةٍ توصِّل ثوابُها أو قريباً من ذلك فترهّب وكان أوّل من أحْدَث الرهبانيّة للنّصارى ، عوضاً عن الشهادة ، وواصَلَ أربعين يوماً ، ليلاً ونهاراً ، طاوياً لا يتناول طعاماً ولا شراباً معَ قيام الليل ،

---

(١) **عيد القصرية** : اسم للعيد الذى يقام فى هذا الدير خاصة . وهو يوم استشهاد « بطرس ، وبولص » . وهذا اليوم يعرف عند الأقباط بـ « عيد الرُّسُل » .

(٢) بطرس رأس الحواريين كان من الصيادين (مرقص . الإصحاح الأول) ويذكر قاموس الكتاب المقدس : « كانت مهنة بطرس صيد السمك التى كان بواسطتها يحصل على ما يكفى عائلته المقيمة فى « كفر ناحوم » .

(٣) **نيرون** : إمبراطور رومانى (٥٤ - ٦٨) طغى فقتل أمه وزوجته ، واضطهد المسيحيين . ضرب به المثل فى القساوة الوحشية .

(٤) **بولص** : ولد فى « طرسوس » من أعمال الإمبراطورية الرومانية ، كانت مركزاً من مراكز المعاهد العلمية والفلسفية التى ظهر تأثيرها فى تعاليمه وتعبيراته عن المبادئ المسيحية . ألم فى صغره بالتاريخ المقدس من الكتاب وتاريخ اليهود .. وكان كسائر صبيان اليهود تعلم حرفة يلجأ إلى الاكتساب منها إذا احتاج ، وكانت الحرفة التى تعلمها بولص هى : صنع الخيام . (قاموس الكتاب المقدس) .

(٥) **الميمون** : قرية بصعيد مصر الأدنى غربى النيل ، قرب الفسطاط (معجم البلدان) .

(٦) **قِمَن** : بوزن سِمَن . قرية من قرى مصر ، نحو الصعيد (معجم البلدان) .

وكان هكذا يفعل فى الصيام الكبير كلّ سنة .

دير العِزْبة

هذا الدّير يُسَار إليه فى الجبل الشرقىّ ثلاثة أيام بسيْر الإبل ، وبينه وبينَ بحْر القلْزم مسافة يومٍ كامل ، وفيه غالبُ الفواكِه مزدرعة ، وبه ثلاثة أعين تجرى . وبناه أنطونيوس المقدَّم ذِكْره ، ورهبان هذا الدير لا يزالونَ دهْرهم صائمين ، لكن صومَهم إلى العصر فقط ، ثم يُفْطرون . ما خلا الصَّوم الكبير ، والبرمولات ، فإن صومهم فى ذلك إلى طلوع النجم . والبرمولات : هى الصوم . كذلك بلغتهم .

دير أنبا بولا

وكان يقال له أولاً « دير بولص » ثم قيل له « دير بولا » ويعرف « بدير النّمورَة » أيضاً . وهذا الدير فى البر الغربى من الطّور ، على عين ماء يرِدُها المسافرون ، وعندهم أن هذه العين تطهّرت منها مريمُ أختُ موسى عليهما السلام ، عند نزول موسى ببنى إسرائيل فى بريّة القلْزم .

(٧١) وأنبا بولا هذا . كان من أهل الإسكندرية ، فلما مات أبوه ترك له ولأخيه / مالاً جماً فخاصمَه أخوه فى ذلِك ، وخرج مغاضِباً له ، فرأى ميِّتاً يقبر فاعتبر به ، ومرَّ على وجهه سائحاً ، حتّى نزل على هذِه العيْن ، فأقام هناكَ والله تعالى يرزقه ، فمرَّ به أنطونيوس وصَحِبه حتى مات ، فبنى هذا الدّير على قبْره ، وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعاتٍ ، وفيه بستان فيه نخل وعنب ، وبه عين ماء تجرى أيضاً .

دير القُصيْر [١]

قال أبو الحسن على بن محمد الشباشتى [٢] : فى كتاب

---

(١) **دير القُصَيْر** : هذا الدير كان بيد الملكانيين فى جبل المقطم وفيه جماعة من رهبانهم ، ويعيد له كل سنة عيد القديس « أرسيانوس » فى ١٣ بشنس . وهو ما يعرف بـ « دير البغل » رسم الحاكم بأمر الله بهدمه سنة ٤٠٠ هـ . وهو غير « دير أبى يحنس القَصِير » المذكور فى أديرة « وادى النّطرون » .

(٢) **الشابشتى** : أبو الحسن على بن محمد الشابشتى الكاتب ، كان أديباً فاضلاً . تعلق =

الديارات [1] : « وهذا الدّير فى أعلى الجبل [2] على سطْح فى قُلّته [3] ، وهو دير حسَن البناء ، محْكَم الصّنْعة ، نزِهُ البقْعة ، وفيه رهبانٌ مقيمون به ، وله بئرٌ منْقورة فى الحجَر ، يستقى له منها الماءُ ، وفى هيْكلِه صورةُ مرْيم عليها السلام فى لوحٍ ، والنّاس يقصدون المَوْضِع للنظر إلى هذِه الصّورة ، وفى أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارَوَيْه [4] بن أحمد بن طولون ، لها أربع طاقات ، إلى أربع جهات ، وكان كثيرُ الغِشْيان لهذا الدير ، معجَباً بالصّورة الّتى فيه ، يستحْسنها ، ويشربُ علَى النّظر إليها ، وفى الطّريق إلى هذا الدّير من جهةِ مصر صُعوبَةٌ ، وأما من قبليّه فسهْلُ الصّعود والنّزول ، وإلى جانبهِ صوْمعة لا تخْلو من حبيسٍ [5] يكون فيها ، وهو مطلٌّ على القرْية المعروفة « بشهْران » وعلى الصحراء ، والبحر ، وهى قرية كبيرة عامِرة على شاطئ البحر ، ويذكرون أن موسى صلوات الله عليه ولد فيها ، ومنْها ألقته أمُّه إلى البحر ، فى التابوت ، وبه أيضاً دير يعرف « بدير شهران » .

ودير القُصيْر هذا أحد الدّيارات المقصودة ، والمنتزهات المطْروقة ؛ لحسن موضِعه ، وإشْرافه علَى مصرَ وأعمالها ، وقد قال فيه شعراءُ مصر ووصفوه ، فذكروا طيبَه ونزْهتَه .

ولأبى هريرة بن أبى عاصم [6] [المصرى] فيه من المنسرح :

= بخدمة العزيز بن المعز العبيدى ، صاحب مصر فولاه أمر خزانة كتبه . يقرأ له الكتب ويجالسه وينادمه . توفى بمصر سنة ٣٨٨هـ - ٩٩٨م (مقدمة الديارات) .

(١) راجع كتاب الديارات صفحة ١٨٤ - ١٨٧ للشابشتى وقد عنى بتحقيقه ونشره المرحوم كوركيس عواد طبع مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٥١م .

(٢) يقصد : جبل المقطم .

(٣) **قلة الجبل** : ذروته وأعلى مكان فيه .

(٤) **أبو الجيش خمارويه** : ابن أحمد بن طولون ولد سنة ٨٦٤م أقامه أبوه نائباً ثم خليفة له بمصر . قتل بخيانة أحد خدامه ، مما أدى إلى سقوط الأسرة الطولونية سنة ٩٠٥م .

(٥) يقصد بالحبيس : الراهب المنقطع للعبادة .

(٦) أورد الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » بعضاً من أشعاره ٣٦١/١ - ٣٦٢. وفى ديارات الشابشتى : « أبى العصام » وما بين المعقوفتين عما ذكر فى هذا الكتاب عند ذكره « دير طموية » .

كَمْ لِى بِدِيرِ القصيرِ من قصْفٍ مَعَ كلِّ ذِى صبْوةٍ[1] وذِى طَرْفِ

/ لهوْتُ فيهِ بشادِنٍ غَنِجٍ تَقْصُرُ عنْهُ بدَائعُ الوصْفِ (٧٢)

وقال ابنُ عبد الحكم[2] فى كتاب فتوح مصر : وقد اختلف فى القصير فعن ابن لهيعَة قال : ليس بقُصير موسى النبى صلّى الله عليه وسلم ، ولكنّه موسى الساحر[3] . وعن المفضّل بن فضَالة[4] عن أبيه قال : دخلنا على كعب الأحبار[5] فقال لنا مِمّن أنتم ؟ قلنا : فتيانٌ من أهل مصر . فقال : ما تقولون فى القصير ؟ قلنا : قصير موسى . فقال : ليس بقُصيْر موسى ، ولكنَّه قصير عزيز مصر .

كان إذا جرى النيل يترفّع فيه ، وعلى ذلك إنه لمقدّس من الجبَل إلى البحْر .

قال : ويُقال بل كان مؤقداً يوقدُ فيه لفرعون إذا هو ركِبَ من منْف[6] إلى عين شمس[7] .

---

(١) فى اليتيمة ٣٦١/١ : « نشوة » بدل « صبْوةٍ » .

(٢) **ابن عبد الحكم**: هو عبد الرحمن . أقدم من وصلت إلينا مؤلفاتهم من مؤرخى مصر الإسلامية . توفى بالفسطاط سنة ٨٧١م من أهم مؤلفاته كتابه الذى معنا : « فتوح مصر وأخبارها » .

(٣) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ١٠٧.

(٤) **هو المفضل بن فضالة بن عبيد** . أبو معاوية الحميرى القتبانى المصرى . قاضٍ من حفاظ الحديث ، ولى القضاء بمصر مرّتين (البداية والنهاية ١٧٩/١٠) .

(٥) **كعب الأحبار**: هو أبو إسحاق كعب بن ماتع من أقدم رواة الحديث ، كان يهودياً يمنياً ، فاعتنق الإسلام على أيام أبى بكر أو عمر . لقب بـ « كعب الأحبار » لمعارفه الواسعة المستقاة من التوراة . توفى فى حمص .

(٦) **منف** : عاصمة من أقدم عواصم الدنيا ، وثانى عواصم المملكة المصرية القديمة ، ينسبون بناءها إلى الملك « مينا » .. على أطرافها الشرقية من شرقى النيل . ضرب عمرو بن العاص فسطاطه ، حين دخل المسلمون ، ثم توالت عليها المحن تباعاً ، فلم يبق منها غير أطلال من مختلف العصور حول قرية « ميت رهينة » الحالية .

(٧) **عين شمس** : سماها اليونانيون « هليوبوليس » كانوا يعبدون فيها « الشمس » وهى بالقرب من المطرية . =

وكان علَى المقطّم[1] موقدٌ آخر، فإذا رأوْا النّار علمُوا بركوبه، فأعدُّوا له ما يريد، وكذلك إذا ركبَ منصرفاً عن عيْن شمس والله أعلم[2].

وما أحسن قول كشاجم[3]:

سَلامٌ علَى ديرِ الْقَصِير وسَفْحِهِ ... بِجنّاتِ حُلْوان إلَى النّخْلاتِ
منازِلُ كانتْ لِى بهنَّ مآرِبٌ ... وكُنَّ مواخِيرِى ومنْتزَهاتِى
إذَا جئْتُها كانَ الجِيادُ مَراكِبى ... ومُنْصَرفى فى السَّفْنِ مُنْحدِراتِ
فأقْبِض بالأسْحارِ وحْشِىَّ عيْنِها ... وأقْتنِصُ الإنْسِىَّ فى الظُّلُماتِ
مَعِى كلُّ بسَّامٍ أَغَرُّ مهذَّبٌ ... علَى كلِّ ما يهْوَى النَّديمُ مُواتِى
وحمانِ مِمّا أمْسكتْهُ كلابنَا ... عليْنَا ومِمَّا صِيدَ فى الشّبكاتِ
وكأْسٌ، وإبريقٌ، ونایٌ، ومزهرٌ ... وساقٌ غريرٍ فاترِ اللّحظاتِ
كأَنَّ قضيبَ البانِ عِنْد اهْتزازِه ... تعلّمَ من أعطافِهِ الحرَكاتِ
هُنالِكَ تصْفُو لِى مشارِبُ لَذّتِى ... وتصْحُبُ أيامُ السّرورِ حيَاتِى

وقال علماءُ الأخبار من النّصارى: إن «أرقاديوس»[4] ملك الرّوم، طلب / «أرسانيوس» ليعلّمَ ولَده، فظنَّ أنّه يقْتُله، ففرَّ إلى مصر وترهّبَ، (٧٣)

= يصفها ياقوت فيقول: مدينة فرعونية بمصر. بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ من جهة بلبيس. بها آثار قديمة وعواميد سود طوال تسميها العامة «مسال فرعون» وبها عمودان طولهما فى السماء خمسون ذراعاً، وعلى رءوسهما شبه الصومعتين من نحاس، مبنيان على وجه الأرض بغير أساس!!

(١) **المقطم**: جبل أو قل إذا شئت سلسلة جبال قليلة الارتفاع شرقى مصر. تمتد من القاهرة إلى أسوان وله فى كل منطقة مسمى يختلف.

(٢) راجع فى كل ما ذكر، ابن عبد الحكم (فتوح مصر وأخبارها ١٥٨).

(٣) **كشاجم**: لقب الشاعر محمود بن الحسين توفى سنة ٩٧٠م أديب من الرملة بفلسطين. أحد شعراء سيف الدولة الحمدانى. وهو الذى لقب نفسه بهذا اللقب. فسئل عن ذلك. فقال: الكاف، من كاتب. والشين، من شاعر. والألف، من أديب. والجيم، من جواد. والميم، من منجم. وله ديوان شعر وعدة مصنفات.

(٤) **أرقاديوس**: (٣٨٣ - ٤٠٨) ولد فى أسبانيا وتوفى بالقسطنطينية. أول الأباطرة البيزنطيين سنة ٣٩٥م.

فبعث إليه أماناً وأَعْلَمه أنّ الطلبَ من أجْل تعْلِيم ولَدِه، فاستعْفَى، وتحوَّل إلى الجبل المقطم، شرقيّ طُرَا[1]، وأقام فى مغارةٍ ثلاث سنين ومات، فبعث إليه «أرقاديوس» فإذا هو قدْ مات، فأمرَ أنْ يُبْنى على قبره كنيسة، وهو المكان المعروف «بدير القصير» ويعرف الآن «بدير البغل» من أجل أنه كان به بغْلٌ يُستقَى عليه الماءُ، فإذا خرج من الدّير أتى المَوْرِدة[2]، وهناك من يملأُ عليه، فإذا فرغ من الماء تركه فعاد إلى الدير.

وفى رمضان سنة أربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم «دير القصير» فأقام الهدْمَ والنهبَ فيه مدّة أيام.

دير مرحنا[3]

قال الشابشتى: دير مرحنا على شاطئ بركة الحبش[4]، وهو قريبٌ من النّيل وإلى جانِبه بساتين، أنشأ بعضَها الأميرُ تميمُ بن المعزّ[5]، ومَجلسٌ على عُمُدٍ، حسن البناءِ، مليحَ الصّنعة، مسوَّر، أنشأَه الأميرُ تميمُ أيضاً. وبقرب الدِير بئْر تُعْرف «ببئْر مماتِى»[6] عليها جُمَّيزة كبيرة، يجْتمِعُ النّاسُ إليها، ويشْربون تَحْتها.

---

(١) **طرا**: ضاحية من ضواحى القاهرة. شرقى النيل.

(٢) **المَوْرِدَة**: مستقى الماء (المعجم الوسيط / ورد) وقد حرفها العامة فصاروا يطلقون عليها «المُوردة» بضم الميم.

(٣) اسم هذا الدير فى يتيمة الدهر ١/ ٣٩١: «دير يوحنا» وفى مسالك الأبصار ١/ ٣٦١: «دير مريحنا».

(٤) **بركة الحبَش**: أرض فى وهدة من الأرض واسعة. مشرفة على النيل، خلف «القرافة» تزرع فتكون نزهة خضراء ومنتزه لأهل مصر (معجم البلدان).

(٥) **تميم بن المعز** (٩٤٨ - ٩٨٥م) شاعر. ولد بالمهدية بتونس. ومات فى القاهرة. كان أكبر أبناء الخليفة، ولكنه صرف ولاية العهد عنه؛ لصلاة مريبة بينه وبين خصوم أبيه من أبناء عمومته، ولنقائض خلقية رمى بها، وقضى حياته لاهياً، عابثاً، وصور ذلك فى شعره. وعده النقاد محتذياً بابن المعتز العباسى. وله ديوان شعر طبع أكثر من مرة، ومتداول بأيدى الباحثين.

(٦) **الشابشتى**: «بئر نجاتى» والمذكور كما فى معجم البلدان.

وهذا المَوْضِع من مغانِى اللّعب، ومواطن القصْف والطّرب[1]، وهو نزِهٌ فى أيّام النّيل، وزيادة البحْر، وامتلاء البركة، حسَنُ المنْظر فى أيام الزّرع والنواوير، لا يكادُ حينئذٍ يخلُوا من المتنزّهين والمتَطرّبين وقد ذكرت الشعراءُ حسنه وطيبه[2].

وهذا الدير يُعرف «بدير الطين» بالنون.

دير أبى النّعناع

هذا الدير خارج أنْصِنا[3]. وهو من جملة عماراتها القديمة، وكنيسته فى قصْره لا فى أرضه، وهو على اسم «أبى يخنس[4] القَصير» وعيده فى العشرين من بابه، وسيأْتى ذكر أبى يخنس هذا.

دير مغارة شقْلَقيل

هو ديرٌ لطيفٌ معلّقٌ فى الجبل، وهو نقْر فى الحجَر، على صخْرةٍ تحتها عَقبة، لا يُتوصّل إليه من أعلاه ولا من أسْفَلِه / ، ولا سُلَّم له، وإنّما جُعِلتْ له (٧٤) نقورٌ فى الجبَل، فإذا أراد أحدٌ أن يصْعَد إليه أُرْخِيَت له سلَبة فأمْسكها بيَده، وجعَلَ رجلَيْه فى تلك النُّقور، وصَعد، وبه طاحونَةٌ يديُرها حِمارٌ واحدٌ.

ويطلُّ هذا الدّير على النّيل تجاه منفلوط، وتجاه أمّ القصور، وتجاهه جزيرة يحيط بها الماءُ، وهى التى يقال لها «شَقْلَقيل» وبها قريتان إحداهما: شقْلَقيل والأخرى «بنى شقير».

---

(١) **المغانى**: جمع مغنى: مكان الغناء واللهو والتطريب.
والقصف: اللهو واللعب والافتنان فى الشراب والطعام.

(٢) راجع الديارات للشابشتى ١٨٧، وانظر الأشعار التى قيلت فيه.

(٣) **أنصنا**: يقول ياقوت هى مدينة قديمة من صعيد مصر، فيها برابى، وآبار كثيرة.

(٤) فى الأصول «بحنس» بالباء الموحدة.

ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى وهو على اسم « بومينا » وهو من الأجناد الذين عاقبهم « ديقلطيانوس » ليرجع عن النصرانية ، ويسْجدَ للأصنام ، فثبتَ على دينه ، فقتلَه في عاشر حزيران وسادس عشَر بابه .

دير بقْطر

بحاجر أبنوب ، من شرقيّ بنى مرَّ ، تحت الجَبل ، على مائتى قصبة منه ، وهو ديرٌ كبيرٌ جدًّا ، ولهُ عيد يجتمع فيه نصارى البلاد شرقاً وغرباً ، ويحضره الأسقف .

وبُقْطر هذا هو ابن رومانوس ، كان أبوه من وزراء ديقلطيانوس ، وكان هو جميلاً شجاعاً ، له منزلة من المِلك ، فلمّا تنصّر وعَدَه الملك ومنّاه ليرْجع إلى عبادَة الأصنام ، فلم يفْعل فقتله فى ثانى عشر نيسان وسابع عشر برمودة .

دير بقْطُر شو [١]

فى بحرىّ أبنوب ، وهو ديرٌ لطيف ، خالٍ ، وإنما تأْتيه النّصارى مرَّة فى كل سنة .

وبُقْطُر شو [١] . ممن عذّبه ديقلطيانوس ليرجع عن النّصرانية ، فلم يرجع فقتله فى العشرين من هاتور ، وكان جنديِاً .

دير بوجرْج

بنى على اسم بوجرْج ، وهو خارج المعيصرة ، بناحية شرقى بنى مرَّ ، وتارة يخلو من الرُّهبان ، وتارةً يعمر بهم ، وله وقت يُعْمل العيدُ فيه .

* * *

(١) فى خطط المقريزى : « بقطر شق » والمذكور عن « القول الإبريزى » .

دير حماس

وحماس اسم بلدة[1]، وهو بحريّها، وله عيدان في كل سنة، ومجموعات متعددة.

(٧٥)

/ دير الطَّيْر

هذا الدير قديم، وهو مطلٌّ على النيل، وله سلالم منحوتة في الجبل، وهو قبالة سَملّوط[2].

وقال الشابشتي: بنواحي إخميم ديرٌ كبيرٌ عامر يقْصَد من كل موضِع، وهو بقرْب الجبل المعروف «بجبل الكهف» وفي موضع من الجَبَل شقٌّ، فإذا كان يوم عيدِ هذا الدّير، لم يبق في البلد بوقير[3] حتى يجئ إلى هذا المؤضِع، فيكون أمراً عظيماً بكثرتها واجتماعها وصياحها عند الشقّ، ولا يزال الواحد بعدَ الواحدِ يُدْخل رأْسه في ذلك الشقّ ويصيحُ، ويخرجُ ويجيءُ غيره إلى أن يعْلق رأْسُ أحدها وينْشب في الموضع، فيضْطرب حتّى يموت وتتفرّق حينئذ الباقية فلا يبقى منها طائر[4].

---

(١) لم أقف عليها!

(٢) سَمَلُّوط: هكذا ضبطها ياقوت. وهي قرية بنواحي الصعيد. على غربي النيل، من الأشمونين.

(٣) الشابشتي: «بيوقير».

البوقير: طائر. قال القزويني: إنه طائر أبيض تجيء منه طائفة كل سنة في وقت معلوم إلى جبل يقال له: جبل الطير بصعيد مصر، بقرب «أنصنا» ... فتتعلق على هذا الجبل، وفيه «كوّة» يأتي كل واحد منها ويدخل رأسه فيها، ثم يخرجه، ويلق نفسه في النيل، ثم يخرج ويذهب من حيث جاء، ولا تزال هكذا حتى يدخل واحد منها رأسه فيها، فيقبض عليه شيء من تلك الكوة؛ فيضطرب ويبقى معلقاً حتى يتلف ويسقط بعد مدة، فإذا تعلق ذلك الطائر انصرف الباقون في الحال ... إلخ (حياة الحيوان للدميرى).

وقد تعرض غير واحد من المؤرخين إلى هذا الموضوع. فراجع فيه إذا رغبت (الديارات ٢٠١ ومعجم البلدان «جبل الطير» وعجائب المخلوقات للقزويني ص ٦٨ طبعة وستنفيلد، وصبح الأعشى ٣/ ٢٨٨، وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٢٨، وغير ذلك).

(٤) راجع (الديارات ٢٠٠ - ٢٠١).

وقال القاضى أبو جعفر القضاعى : ومن عجائبها - يعنى مصر - شِعبُ البوقيرات بناحية أشموم من أرض الصعيد ، وهو شِعْبٌ فى جبل فيه صدْعٌ تأْتيه البوقيراتُ فى يوم من السّنة كان معروفاً ، فتعْرِض أنفُسَها على الصّدْع ، فكلّما أدْخل « بوقير » منها منقاره فى الصّدْع مضَى لطيّته ، فلا تزالُ تفْعل ذلك حتى يلْتقى الصّدْعُ على « بوقير » منْها ، فيحْبسه ، وتمْضى كلُّها ، ولا يزالُ ذلك الَّذى تحبسه معلَّقاً حتى يتساقط .

قال مؤَلفه رحمه الله تعالى : وقد بطل هذا فى جملة ما بطل .

دير أبى هَرْمينة

بحرىّ فاو[1] الخراب ، وبحريّه بَرْبَافاو ، وهى مملوءة كُتباً وحِكَماً ، وبيْن « دير الطّين » وهذا الدير نحو يومين ونصف .

وأبو هرمينة هذا من قدماء الرهبان المشهورين عند النصارى .

دير السّبْعة جبال .. بإخميم

هذا الدير داخل سبعة أودية ، وهو ديرٌ عالٍ بين جبال شامخة ، ولا تشرق عليه الشّمس إلا بعد ساعتين من الشّروق ؛ لعلوّ الجبل الذى هو فى لَحْفِهِ[2] ، وإذا بقى للغروبِ نحو ساعتَيْن خيِّل لمن فيِهِ أن الشّمس قد غابتْ وأقبل الليلُ ، فيشعلون حينئذٍ الضوءَ فيه ، وعلى هذا / الدّير من خارجه عينُ (٧٦) ماءٍ تظلّلها صَفْصافة ، ويعرف هذا الموضع الذى فيه « دير الصّفْصافَة » بوادى الملوك ؛ لأن فيه نباتاً يقال له « الملوكة » وهو شبْه الفجْل ، وماؤُه أحمر قَانٍ يدْخل فى صناعة عِلْم أهل الكيمياء ، ومن داخِل هذا الدّير .

---

(١) **فاو** : بلدة فى صعيد مصر . فيها دير واسع اسمه « باخميوس » كان يجتمع فيه رهبان الأقباط مرتين فى السنة .

(٢) **لحف الجبل** : أصله .

دير القزقَس

وهو فى أعلى جبل قد نُقِر فيه ، ولا يُعلم له طريق ، بل يُصْعَد إليه فى نقورٍ فى الجبل ، ولا يُتوصّل إليه إلّا كذلك ، وبيْن دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات ، وتحت دير القرقس عين ماءٍ عذْب ، وأشجارُ بانٍ [1] .

دير صَبْرة

فى شرقىّ إخميم [2] عُرف بعَرب يقال لهم « بنى صَبْرة » وهو على اسم « ميخائيل الملك » وليس به غيرُ راهبٍ واحد .

دير أبى بشادة الأسقف

قريب من ناحية أنقه . وهو بالحاجر وتجاهه فى الغرب منشأَة إخميم. وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى .

دير بوهور الراهب

ويعرف « بدير سوادة » وسوادَة : عربٌ تنزل هناك ، وهو قُبالة مِنْية بنى خصيب [3] ، خرّبته العرب .

وهذه الأديرة كلّها فى الشّرق من النّيل ، وجميعها لليعاقبة ، وليس فى الجانب الشرقى الآن سواها .

---

(١) **البان** جمع . مفرده بانة : هى شجرة ترتفع وتطول فى استواء مثل شجر الأثل . ولاستواء نباتها وطولها ونعومتها .. شبّه الشعراء الجارية الناعمة الرافهة بها . فقيل : كأنها بانة . وكأنها غصن بان . راجع (معجم أسماء النبات الواردة فى تاج العروس ١٧) .

(٢) **إخميم** : مدينة فى صعيد مصر ، على النيل ، فيها آثار وصفها ابن جبير .

(٣) « المنيا » فى معجم البلدان . منية أبو الخصيب : مدينة كبيرة حسنة ، على شاطئ النيل ، بالصعيد الأدنى .

وأمّا الجانب الغربى من النّيل فإنه كثير الديارات ؛ لكثرة عمارته .

[أديرة الجانب الغربى من النيل]

دير دُمْوَة بالجيزة

وتعرف « بدموة السباع » وهو على اسم « قزمان » و « دميان » وهو ديرٌ لطيف . وتزْعمُ النّصارى أن بعضَ الحكماء كان يقال له : « سبع » أقام بدُمْوة . وأن كنيسة دُمْوة التى بأيدى اليهود الآن كانت ديراً من ديارات النّصارى ، فابتاعتْه منهم اليهودُ فى ضائقةٍ نزلت بهم ، وقد تقدّم ذكر كنيسة « دموة » .

و « قزمان » و « دميان » من حكماء النصارى ورهبانهم العبّاد ، ولهما أخبار عندهم .

دير نهيـا [١]

قال الشابشتى [٢] : ونهْيا بالجيزة ، وديرُها هَذا من أحْسن / ديارات (٧٧) مصر ، وأنزهها ، وأطْيبها موضعاً ، وأجلّها موقعاً ، عامرٌ برهْبانه وسكّانه ، ولهُ فى أيام النيل منْظَرٌ عجيب ؛ لأن الماء يحيط به من جميع جهاتِه ، فإذا انْصرف الماءُ ، وزُرعت الأرض ، أظهرتْ أراضِيه غرائبَ النّواوير ، وأصناف الزّهْر ، وهو من المتنزّهات الموْصوفة ، والبقاع المسْتَحسنة ، ولهُ خليجٌ يجْتمع فيه سائرُ الطْير ، فهو أيضْاً متصيَّد ممتع وقد وصفته الشعراءُ وذكرتْ حسْنَه وطيبه [٣] .

قلت : وقد خرّب هذا الدير .

دير طَمْوَيه

قال ياقوت : طَمْويه بفتح الطاء ، وسكون الميم ، وفتح الواو ، وياءٌ ساكنة :

---

(١) **نهيا** : بلدة من نواحى الجيزة فى مصر .

(٢) الديارات ١٩١.

(٣) راجع الكثير من الشعر فى هذا الدير فى ديارات الشابشتى ١٩١ وما بعدها .

قريتان بمصر ، إحداهما – فى كورة المرتاحية [١]. والأخرى ، بالجيزة .

قال الشابشتى [٢] : وطمْوَيه فى الغرب بإزاء حلوان ، والدّير راكبٌ البحرَ [و] [٣] حوله الكرومُ والبساتين والنخْل والشّجر ، وهو نَزِةٌ آهلٌ ، ولهَ فى النّيل منْظرٌ حسَن ، وحين تخضرُّ الأرض يكون فى بساطَيْن من البحْر والزّرع ، وهو أحد متنزّهات أهل مصر المذكورة ، ومواضع لهوها المشْهورة .

ولابن أبى عاصم المصْرِى فيه من البسيط :

واشْرَب بطمْويه من صَهْباءَ صافيةٍ ... تُزرِى بخَمْرِ قُرى هيتٍ وعاناتِ

علَى رياضٍ من النوَّار زاهرةٍ ... تجْرى الجداوِلُ فيهَا بيْن جنّاتِ

كأَن نبت الشّقِيق العُصفرىّ بها ... كاسَاتُ خمْرٍ بَدَت فى إثركاسَاتِ

كأَن نرْجِسَها من حُسْنهِ حَدِقٌ ... فى خِفْيةٍ يتنَاجَى بالإشَاراتِ

كأَنَّما النّيلُ فى مَرِّ النسيم به [٤] ... مستلْئِمٌ فى درُوعٍ سابِريّاتِ

منازلٌ كنتُ مفْتوناً بها شَغِفا [٥] ... وكُنَّ قدْماً مواخِيرى وحَاناتِى

إذْ لَا أزالُ مُلمًّا بالصَّبوح عَلَى ... ضَرْب النّواقِيسِ صَبًّا بِالدّياراتِ

قلت : هذا الدير عِنْدَ النّصارى على اسم « بوجرج » ويجتمع فيه النصارى / من النواحى .

(٧٨)

دير أقفاص [٦]

وصوابها : أقفهس . وقد خرّب .

---

(١) **المرتاحية** : ذكر ياقوت أنها من كور مصر البحرية .

(٢) الديارات ١٩٤ .

(٣) ما بين المعقوفتين عن الشابشتى . ويريد بالبحر : نهر النيل .

(٤) فى الديارات : « بها » .

(٥) « نفعا » فى الديارات .

(٦) **أقفاص** : كذا يتلفظ بها العوام . وينسبون إليها « الأقفاصى » والصواب : « أقفهس » : بلدة بصعيد مصر ، من كورة « البهنسا » . راجع (معجم البلدان) .

دير خارج ناحية مَنْهرِى

خاملُ الذكْر لأنهم لا يُطْعمون فيه أحداً .

دير الخادم

على جانب المنْهى [١] بأعمال البهنَسا . علَى اسم « غبريال الملك » به بستان فيه نخل وزيتون .

دير إشنين

عرف بناحية إشنين [٢] فإنه فى بحريها وهو لطيف على اسم « السيدة مريم » وليس به سوى راهبٌ واحدٌ .

دير أيسوس

ومعنى أيسوس : يسوع . ويقال له « دير أرجنوس » وله عيد فى خامس عشرى بشنس ، فإذا كان ليلة هذا اليوم سُدَّت بئر فيه تعرف « بيئر أيسوس » وقد اجتمع الناس إلى الساعة السادسة من النهار ، ثم كشفوا الطابق عن البئر ، فإذا بها قد فاضَ ماؤُها ، ثم ينزل ، فحيث وصل الماءُ قاسوا منه إلى موضع استقرَّ فيه الماءُ ، فما بلغَ كانت زيادة النيل فى تلك السنة من الأذرع .

دير سِدْمنت

على جانب المنهى بالحاجِر ، بيْن الفيّوم والرِّيف ، على اسم « بوجرج » وقد ضعفت أحواله عمّا كان عليه ، وقلَّ ساكنه .

---

(١) **المنهى** : اسم لفم النهر الذى احتفره يوسف الصديق عليه السلام إلى الفيوم ، خليج من النيل ذكر فى (معجم البلدان) .

(٢) **إشنين** : يذكرها ياقوت بهذا الضبط . ويقول : والعامة تقول «إشنا» وهى قرية بالصعيد إلى جانب « طنبدَا » من أعمال البهنسا ، على غربىّ النيل ، وتسمى « هى » و « طنبدَا » العروسين ؛ لحسنهما .

دير النقلون

ويقال له « دير الخشبة » و« دير غبريال الملك » وهو تحت مغارةٍ فى الجبل الذى يقال له : طارِف الفيوم . وهذه المغارة تعرف عندهم « بمظلة يعقوب » يزعمون أن يعقوب عليه السّلام لَمّا قِدم مصرَ كان يسْتظِل بها .

وهذا الجبل مطلٌّ على بلدَيْن يقال لهما : إطفيح شيلا . وشلا . ويملأُ الماءُ لهذا الدير من بحر المنْهى . ومن تحت « دير سدمنت » .

ولهذا الدّير عيد يجتمع فيه نصارى الفيّوم وغيرُهم ، وهو على السكّة التى تنْزِل إلى الفيوم ، ولا يسلُكها إلّا / القليل من المسافرين . (٧٩)

دير القَلَمون

هذا الدير فى برّية تحت عقَبة القَلَمون [١] ، يتوصّل المسافرُ منها إلى الفيّوم ، ويقال لها « عقبة الغريق » .

وبُنِىَ هذا الدير على اسم « صمويل الراهب » وكان فى زمان الفترة ما بين عيسى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ومات فى ثامن كيهك .

وفى هذا الدّير نخلٌ كثيرٌ يُعْمل من تمْره العجْوة [٢] ، وفيه أيضاً شجر اللّبَخ [٣] ، ولا يوجد إلّا فيه ، وثمرةُ بقدر اللّيمون ، وطعْمه حلْوٌ فى مثل

---

(١) يقول ياقوت : العقبة ، بالتحريك : الجبل الطويل ، يعرض للطريق فيأخذ فيه ، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل.

والقلمون : اسم لعدة أماكن فى مصر والشام ولبنان ، على وزن « كَلَمُوْن » .

(٢) هكذا « العجوة » فى الخطط ٢/٥٠٥ وفى القول الإبريزى « العجوزة » .

(٣) **اللّبَخ** : جمع لَبَخة : شجرة عظيمة ، ثمرها أخضر كالتمر ، حلو جداً ، لكنه كريه ، ولا ينبت إلا بـ « أنصنا » بصعيد مصر. قال صاحب اللسان : وأخبرنى العالم به أنه رآها بـ « أنصنا » وذكر أنه جيد لوجع الأضراس ، وإذا نشر خشبه أرعف ناشره ، يجعله أصحاب المراكب فى بناء السفن. راجع (معجم أسماء النبات الواردة فى تاج العروس ١٣٨) .

طعم الرامخ، ولنواه عدة منافع، وقال أبو حنيفة فى كتاب النبات: ولا يثبت اللَّبَخ إلا بأنصنا وهو عود تُنْشَر منه ألواح السُّفن، وربما أرْعفَ ناشرُها، ويباع اللّوْح منها بخمسين ديناراً ونحْوها، فإذا شدَّ لوح منها بلوْحٍ وطُرِحَا فى الماء سنةً الْتأما وصارَا لوْحاً واحداً[1].

وفى هذا الدّير قصران مبنيان بالحِجارة، وهما عاليان كبيران، لبياضهما إشراق، وفيه أيضاً عينُ ماءٍ تجْرى، وفى خارجه عينٌ أُخرى، وبهذا الوادى عدّة معابدَ قديمة، وثَمَّ وادٍ يقال له: الأُميلح. فيه عين ماءٍ تجرى، ونخيلٌ مثمرة، تأْخذ العرب ثمرَها، وخارجَ هذا الدّير ملَّاحةٌ يبيع رهبانُ الدّير ملْحها فيعمّ تلك الجهات.

دير السّيدة مريم

خارج طنبدا[2] ليس فيه سوى راهبٌ واحد، وهو على غير الطّريق المسلوك.

وكان بأعمال البهنسا عدة ديارات خربت[3].

دير برْقانا

بحرىّ بنى خالد، وهو مبنى بالحجر، وعمارته حسنة، وهو من أعمال المنية[4]، وكان به فى القديم ألف راهب، وليس به الآن سوى راهبَيْن، وهو فى الحاجر تحت الجبل.

---

(١) راجع فى كل ما ذكر المصدر السابق ١٣٨.

(٢) **طنبدا**: من أعمال البهنسا (محافظة المنيا) بصعيد مصر (معجم البلدان).

(٣) يذكر ياقوت أن بظاهر البهنسا مشهد يزار، يزعمون أن المسيح وأمه، أقاما فيه سبع سنين!!

(٤) **المنِيا**. **أو المنية**: مدينة عظيمة فى صعيد مصر وعاصمة محافظتها وتعرف بـ «منية خصيب».

دير بالوجه

على جنب المنهى، وهو لأهل دُلْجة[1]، وهو من الأديرة الكبار وقد خرِّب، حتى لم يبْقَ به سوى راهبٌ أو راهبيْن، وهو بإزاء «دُلْجة» / بينه (٨٠) وبينها نحو ساعتين.

دير مرقورة

ويقال «أبو مرقورة» هذا الدير تحت «دلجة» بخارجها من شرقيها وليس به أَحد.

دير صَنَبو[2]

فى خارجها من بحريها على اسم «السيدة مريم» وليس به أحد.

دير تادرس

قبليّ صَنَبُو، وقد تلاشى أمره لاتّضاع حال النّصارى.

دير الريرمون

فى شرقى ناحية الريرمون، وهو شرقى ملّوى[3]، وغربيّ أنصنا، وهو على اسم «الملك غبريال».

دير المحرَّق

تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام فى موضِعه ستة أشهر وأياماً.

---

(١) دُلْجة: بلدة فى صعيد مصر (أسيوط) عندها حدثت الواقعة بين محمد على والمماليك سنة ١٨١٠م.

(٢) صنَبو بالتحريك: قرية من قرى البهنسا فى الصعيد (معجم البلدان).

(٣) ملوى: مدينة قديمة فى صعيد مصر الأوسط، غربى النيل، فيها آثار كنائس وأديرة قديمة.

وله عيدٌ عظيمٌ يعرف بعيد الزيْتُونة ، وعيد العنْصرة ، يجتمع فيه عالَم كثير .

دير بنى كلب

عرف بذلك لنزول « بنى كلب » حوله ، وهو على اسم « غبريال » وليس فيه أحدٌ من الرهبان ، وإنما هو كنيسة لنصارى منفلوط ، وهو غربيّها .

دير الجاوليّة

هذا الدير ناحية الجاولية من قبليّها ، وهو على اسم « الشهيد مرقورس » الذى يقالُ له « مرقورة » وعليه رِزْقٌ مُحبَّسة ، وتأْتيه النذورات والعوايد ، وله عيدان فى كل سنة .

دير السَّبعة جبال

هذا الدير على رأْس الجبل الذى غربى سيوط على شاطئ النّيل ويعرف « بدير يحنس[1] القصير » وله عدة أعياد وخرّب فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة من مَنْسَر[2] طرقه ليلاً .

ويحنس[1] ويقال أبو يحنس[1] القصير كان راهباً قمصاً ، له أخبار كثيرة منها : أنه غرَس خشبةً يابسة / فى الأرض بأمْر شيْخه لَه ، وسقاها الماء مدّةً فصارتْ شجرةً مثْمِرة ، تأْكل منها الرهبان ، وسميت شجرة الطاعة ، ودفن فى ديره . (٨١)

دير المطل

هذا الدير على اسم « السيدة مريم » وهو على طرف الجبل ، تحت دير السبعة جبال قبالة سيوط ، وله عيد يحضره أهل النواحي ، وليس به أحد من الرهبان .

---

(١) « بخنس » فى الخطط ، والقول الإبريزى .

(٢) المنسر ، أو المنصر : الجماعة من اللصوص .

أذيرة أُدْرُنْكة[1]

اعلم أن ناحية أُدْرُنكة ، هى من قُرى النّصارى الصّعايدة ، ونصاراها أهْل علْمٍ فى دينهم ، وتفاسِيرهم فى اللّسان القبْطىّ ، ولهم أدْيرة كثيرة فى خارج البَلد من قبليّها مع الجبَل ، وقد خرِّب أكثرُها وبقى منها :

دير بوجرج

وهو عامر البناء ، وليس به أحدٌ من الرّهبان ، ويعمل فيه عيدٌ فى أوانه .

دير أرض الحاجر – ودير ميكائيل – ودير كرفونة

على اسم السيدة مريم ، وكان يقال له « أرافونه » و « إغرافونا » ومعناه : النُّسّاخ . فإن نسّاخ علوم النصارى كانت فى القديم تُقِيم به ، وهو على طرفِ الجبل ، وفيه مغاير كثيرة ، منها ما يسيرُ الماشى بجنْبه نحو يومين .

دير أبى بغام

تحت « دير كرفونة » بالحاجر .

وقد كان أبو بغام جندياً فى أيام ديقلطيانوس ، فتنصَّر وعُذّب ليرْجِع عن دينه ، ثم قتل فى ثامن عشرى كانون الأوَّل ، وثانى كيهك .

دير بوساويرس

بحاجر أُدْرنكة . كان على اسم « السيدة مريم » .

---

(١) هكذا تذكر فى المعاجم القديمة : « أُدْرُنْكَة » بهذا الضبط . وهى من قرى الصعيد . قرب أسيوط . وتعرف بـ « دُرُنْكة » جرفها السيل العارم فى ١٩٩٤/١١/٢ . وحرّقت بسبب ماس كهربائى حدث أثناء السيل المذكور فى مستودعات بترولية ، كانت بها .. ونقلت من موضعها القديم إلى موضع آخر ، قريب من الموضع الأول ، وهى فى مكانها الحالى تعرف بـ « دُرْنكة الجديدة » . راجع (ناحية درنكة بهذا الضبط صفحة ٢٢١ من هذا الكتاب) .

وكان « ساويرس » من عظماء الرُّهبان فعَمِل بطْركاً . وظهرت آيةٌ عِنْدَ مؤْته ، وذلك / أنه أنذَرهم - لمّا سارَ إلى الصعيد - بأنه إذا مات ينْشقّ الجبلُ ، وتقعُ منه قطعةٌ عظِيمة على الكنِيسة فلا تضرَّها ، فلمّا كانَ فى بعضِ الأيّام سقَطتْ قطعةٌ عظيمةٌ من الجبَل ، كما قال ، فعلمَ رهبانُ هذا الدّير بأن « ساويرس » قد مات ، فأرَّخوا ذلك ، فوجدوه وقْتَ مؤْته ، فسموا الدير حينئذٍ باسمه . (٨٢)

دير تادرس

تحت « دير بوساويرس » .

و « تادرس » . اثنان كانا من أجناد ديقلطيانوس . أحدهما يقال له : قاتل التنين . والآخر : الإسفهلار . وقُتِلا كما قُتِل غيرُهما .

دير منسى آك

ويقال : منساك . وبنى ساك . وأيسا آك .

ومعنى ذلك : إسحاق . وكان على اسم « السيدة ماريهام » يعنى : مارمريم . ثم عرف بمنساك .

وكان راهباً قديماً له عنْدَهم شُهْرةٌ ، وبهذا الدّير بئرٌ ، تحتَه فى الحاجر ، منها شرب الرُّهبان ، فإذا زاد النيل شَربوا مِنْ مائه .

دير الرُّسُل

تحت « دير منساك » ويعرف « بدير الأثل » وهو لأعمال بوتيج . « ودير منْساك » لأهل ربقة . هو و « دير ساويرس » و « دير كرفونة » لأهل أسيوط و « دير بوجرج » لأهل أدرنكة . و « دير الأثل » كان فى خرابٍ فعمّر ، بجانبه كفرٌ لطيف ، عرف « بمنشأة الشيخ » لأن الشيخ أبا بكر الشاذلى

أنشأه ، وأنشأ بستاناً كبيراً ، وقد وُجد موْضعُه بئراً كبيرةً وُجد بها كنزاً ، أخبرنى من شاهد من ذَهَبِه دنانير مربَّعة ، بأحدِ وجهيْها صليب . وزِنةُ الدّينار مثقالٌ ونصْف .

وأديرة أدرنكة المذكورة قريبٌ بعضُها مِنْ بعض ، وبينها مغاير عديدة ، منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة القدماءِ كما على البرابى ، وهى مزخْرفة بعدَّة أصباغٍ ملوَّنة ، تشتمل على علُوم شتّى .

* * *

[عودة إلى أديرة الوجه القبلى]

ودير السبعة جِبال ، ودير المطْل ، ودير النُّساخ

خارج أسيوط فى المقابر .

ويقال : إنه كان فى الحاجرَيْن[1] / ثلاثمائة وستون ديراً . (٨٣)

وإن المسافر كان لا يزالُ من البدْرشين[2] إلى أصْفون[3] فى ظلِّ البساتين ، وقد خرِّب ذلك وبادَ أهلُه .

دير مُوشَه

وموشه : خارج أسيوط . من قبليّها .

---

(١) **الحاجرَيْن** : مثنّى حاجر . والحاجر : الأرض ترتفع جوانبها وينخفض وسطها .. وقد ذكر ابن دقماق فى كتاب الانتصار ٥/٧ و١٢ أنه كان فى مصر حاجرَيْن : حاجر بنى سليمان ، وحاجر القصر . ولم أقف على مكانهما اليوم . رغم أن صاحب تاج العروس ذكر أن **الحاجر** : موضع بالجيزة من مصر .

(٢) **البدرشين** : بمصر بعد مدينة الجيزة .

(٣) **وأصفون** : يذكر ياقوت أنها قرية بالصعيد الأعلى على شاطئ غرب النيل ، تحث « إشنا » وهى على تلّ مشرف .

بنىَ على اسم « توما الرسول الهندى » وهو بيْن الغِيطان ، قريب من « ربقة » وفى أيام النيل لا يوصل إليه إلّا فى مرْكب ، وله أعياد .

والأغلب على نصارَى هذِه الأديرة معرفة القبطىّ الصعيدىّ ، وهو أصْل اللغة القبطية ، وبعدها اللغة القبطية البحرية ، ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلّمون إلاَّ بالقبطية الصعيدية ، ولهم أيضاً معرفة تامة باللغة الرومية .

دير أبى مقروفة

وأبو مقروفة : اسم للبلدة التى بها هذا الدير .

وهو منقور فى لحف الجبل ، وفيه عدّة مغاير ، وهو على اسم « السيدة مريم » وبمقروفة نصارى كثيرة ، غَنَّامة ، ورعاة ، أكثرهم همَج ، وفيهم قليلُ من يقرأ ويكتب وهو دير معطَّش .

دير بومغام

خارج طما [1] وأهلها نصارى . وكانوا قديماً أهْل علْم .

دير بوشنوده

ويعرف بالدير الأبيض . وهو غربىّ ناحية سوهاى [2] وبناؤُه بالحجَر ، وقد خرّب ، ولم يبقَ منه إلَّا كنيسته ، ويقال : إن مساحته أربعة فدادين ونصف ، وربع ، والباقى منه نحو فدان ، وهو دير قديم .

الدير الأحمر

ويعرف « بدير أبى بشاى » وهو بحرىّ الدّير الأبيض . بينهما نحو

(١) **طما** : مركز فى محافظة أسيوط بمصر .

(٢) **سُوهَاى** . هكذا ذكرها ياقوت ، وقال : سوهاى ، قرية من قرى إخميم ، بمصر .

ثلاث ساعات ، وهو ديرٌ لطيف ، مبنىّ بالطوب الأحمر .

وأبو بشاى هذا من الرهبان المعاصِرين لشنوده ، وهو تلميذه ، وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب ، وله دير آخر فى بريّة شيهات [1] .

* * *

دير أبى ميساس

ويقال : « أبو ميسيس » واسمه « موسى » وهذا الدير / تحت البلْيَنا [2] . (٨٤) وهو دير كبير .

وأبو ميسيس هذا ، كان راهباً من أهْل البلْيَنا ، وله عندهم شهرة ، وهم ينذرونه ، ويزعمون فيه مزاعم . لم يبْقَ بعد هذا الدّير إلَّا أديرةٌ بحاجر إسنا . ونقادة . قليلةُ العمارة .

وكان بأَصفون ديرٌ كبير ، وكانت أصفون من أحسن بلادِ مصر ، وأكثر نواحى الصّعيد فواكه ، وكان رهبان ديرها معروفين بالعلْم والمهارَة ، فخرِّبت أصفون ، وخرِّب ديرُها .

وهذا آخر أديرة الصعيد ، وهى كلّها متلاشية آيلة إلى الدّثور بعد كثرة عمارتها ، ووفور أعداد رهبانها ، وسعة أرزاقهم ، وكثرة ما كان يحمل إليهم .

* * *

(١) **برية شيهات** : هى الصحراء التى فيها « وادى النطرون » وبهذا الوادى الدير المراد .

(٢) **البلْيَنا** : مدينة على شاطئ النيل من غربيه بصعيد مصر .

[أديرة الوجه البحرى]

وأما الوجه البحرىّ ، فكان فيه أديرة كثيرة خرِّبت ، وبقى منها بقيّة ، فكان بالمقس [1] خارج القاهرة من بحريّها عدّة كنائس ، هدمها الحاكم بأمر الله ، أبو علىّ منصور ، فى تاسع عشر ذى الحجة ، سنة تسْع وتسْعين وثلاثمائة ، وأباح ما كان فيها ، فنُهِب منها شىءٌ كثير جدًّا ، بعد ما أمر فى شهْر ربيع الأوَّل منها بهدْمِ كنائسَ راشدة . خارجَ مدينة مِصْر من شرقيّها ، وجعل موْضعها الجامع المعروف براشدة [2] .

وهدم أيضاً فى سنة أربع وتسعين كنيستين هناك ، وألزم النّصارى بلبْس السّواد ، وشدّ الزنار ، وقبضَ على الأملاك التى كانت محبّسةً على الكنائس والأديرة ، وجعلَها فى ديوان السّلطان ، وأحْرق عدَّة كثيرةً من الصّلبان ، ومنع النّصارى من إظهار زِينة الكنائس فى عيد الشّعانين ، وتشدَّد عليهم ، وضرب جماعةً منهم .

وكانت بالروْضَة كنيسة بجوار المِقْياس ، فهدمها السّلطان « الملك الصالح نجم الدين أيوب » [3] فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

وكان فى ناحية أبى النمرس [4] من الجيزة كنيسة قام فى هدمها رجلٌ

---

(١) **المقس** : الأزبكية . اليوم .

(٢) **جامع راشدة** : يقع فيما بين دير الطين والفسطاط ، فى خط راشدة . وراشدة : قبيلة من العرب نزلوا عند الفتح ، أنشأه الحاكم بأمر الله وتم بناؤه سنة ٣٩٥هـ راجع (خطط على مبارك ٢٣٧/٤) .

(٣) **الملك الصالح نجم الدين أيوب** (١٢٠٧ - ١٢٤٩م) صد هجمات التتار وبسط سلطانه على العراق ، واحتل دمشق سنة ١٢٣٨م واسترد بيت المقدس بفلسطين من أيدى الصليبيين ، وأقطع الإقطاعات فى مصر للمماليك فحالفوه وناصروه سنة ١٢٤٠م .

(٤) **أبو النمرس** : ضاحية من ضواحى الجيزة .

من الزّيالعة [١] ، لأنهُ سمع أصوات النواقيس يُجْهر بها فى ليلة الجمعة بهذه الكنيسة ، فلم يتمكّن من ذلك فى أيّام « الأشرف شعبان بن حسين » [٢] لتمكّن الأقباط فى الدّولة ، فقامَ فى ذلك مع الأمير / الكبير « برقوق » [٣] (٨٥) وهو يومئذ القائم بتدبير الدوْلة حتى هدَمها على يد القاضى « جمال الدين محمود العجمى » محتسب القاهرة فى ثامن عشر رمضان سنة ثمانين وسبعمائة وعملت مسجداً .

دير الخنْدق

ظاهر القاهرة . من بحريّها . عمَّرهُ « القائد جوهر » عوضاً عن دير هدمه فى القاهرة ، كان بالقرب من الجامع الأقمر [٤] ، حيث البئر التى تعرف الآن « بئر العظْمة » وكانت إذ ذاك تعرف « ببئر العظام » من أجل أنه نقلَ عظاماً كانت بالدّير وجعلها « بدير الخندق » ثم هدم « دير الخندق » فى رابع عشرى شوَّال سنة ثمان وسبعين وستمائة فى أيام المنصور « قلاون » [٥] ثم

---

(١) **الزيالعة** : ينسبون إلى « زَيْلع » وهو مرفأ على الساحل الإفريقى فى خليج عدن . فيه كانت قديماً تجارة العبيد يصدرونهم منه إلى بلاد العرب .

(٢) **الملك الأشرف شعبان بن حسين** : سلطان المماليك فى سنة ١٣٦٦م رد هجمات عمارة ملك قبرص عن ميناء طرابلس الشام والإسكندرية وتقاضى المال من نصارى مصر وسوريا ليفك أسرى المسلمين وبنى عمارة بحرية .

(٣) **برقوق** : الملك الظاهر سيف الدين . أول المماليك البرجيين المصريين (١٣٨٢ - ١٣٨٩) فتح دمشق وغزة ، وكان متديناً كريماً .

(٤) جامع الأقمر بخط بين القصرين قرب باب الفتوح . أمر الخليفة الآمر بأحكام الله وزيره المأمون بإنشائه جامعاً فبناه سنة ٥١٩هـ (خطط على مبارك ١٢٤/٤) ثم يقول : وهو إلى الآن عامر مقدم الشعائر واسمه لم يتغير .

واليوم صار هذا الجامع مصلّى البُهَرة (وهم التجار الهنود) فى القاهرة .

(٥) **المنصور قلاون** : الملك المنصور (١٢٢٠ - ١٢٩٠) سلطان مصر (١٢٧٩ - ١٢٩٠) من المماليك البحريين. تركى الأُصل ، هزم فى سهول حمص عسكر المغول والإفرنج المتحالفين . فتح آخر ما كان من الحصون فى أيدى الصليبيين . على أيامه انتهت الحروب الصليبية سنة ١٢٨٩م .

جدَّد هذا الدير الذى هناك بعد ذلك، وعمل كنيستين يأْتى ذكرهما فى الكنائس.

دير سرياقوس

كان يعرف بأبى هور[١] وله عيد يجتمع فيه الناس.

وكان فيه أعجوبة، ذكرها الشّابشتى، وهو أن مَنْ كان به خنازِير[٢]، أخذه رئيس هذا الدّير وأضْجَعه، وجاءه بخنزير، فلحس موضعَ الوجعِ، ثم أكل الخنازير التى فيه، فلا يتعدّى ذلك إلى الموْضع الصحيح، فإذا نظَفَ الموضع ذرّ عليه رئيس الدير من رمادَ خنْزيرٍ فعَل مثلَ هذا الفِعْل من قبل، ودهنَه بزيْتِ قنديلِ البيْعة، فإنه يبرأ، ثم يؤْخذ ذلك الخنزير الذى أكل خنازير العليل فيُذْبح ويُحْرق، ويُعدَّ رمادهُ لمثِل هذهِ الحَالَة، فكان لهذا الدِّير دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة، وفيه خلق من النصارى.

دير أتريب

ويعرف «بمارى مريم» وعيدُه فى حادى عشْرى بئونه.

وذكر الشابشتى[٣] أن حمامة بيضاء، تأْتى فى ذلك العيد، فتدخل المذْبح، لا يدْرُون من أين جاءت! ولا يرونها إلى يومِ مثْله.

وقد تلاشى أمر هذا الدير، حتّى لم يبقَ به إلاَّ ثلاثة من الرّهبان، لكنّهم يجْتمعون فى عيده، وهو/ على شاطئ النيل قريبٌ من بنْها العسل[٤]. (٨٦)

---

(١) راجع الشابشتى ٢٠٠، ويرى محققه فى الهامش رقم (٥) أن لفظة «أبى» الواردة فى هذا العنوان تصحيف «أبا» السريانية بمعنى الأب الراهب.

وأما «هور» فقد كان من الرهبان القديسين الذين عاشوا فى صعيد مصر. وعيده فى الثانى من تشرين الثانى = نوفمبر.

(٢) الخنازير: قروح صُلبة، تحدث فى الرقبة وغيرها (المعجم الوسيط).

(٣) راجع (الديارات للشابشتى ٢٠١).

(٤) بنها: عاصمة القليوبية فى مصر واليوم فيها جامعة بنها العظيمة. وكانت تسمى «بنها العسل» لجودة العسل فيها.

دير المغْطس

عند الملّاحات ، قريبٌ من « بحيرة البرلّس » وتحجّ إليه النصارى من قِبليّ أرض مصرَ ومن بحريّها مثلَ حجّهم إلى كنيسة القمامة ، وذلك يوم عيده ، وهو فى « بشنس » ويسمونهُ « عيد الظهور » من أجل أنهم يزعمون أن « السيدة مريم » تظهر لهم فيه ، ولهم فيه مزاعم ، كلّها من أكاذيبهم المختلقة . وليس بحذاء هذا الدير عمارة سوى منشأة صغيرة فى قبليّه بشرق ، وبقرْبه الملَّاحة التى يؤْخذ منها الملح الرَّشيدى ، وقد هُدِم هذا الدير فى شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، بقيام بعض الفقراء المعْتقِدِين .

دير العسْكر

فى أرض السّباخ . على يومٍ من دير المغطس على اسم « الرسُل » وبقربه ملّاحة الملْح الرشِيدىّ ، ولم يبق به سوى راهبٌ واحد .

دير جميانة

على اسم « بوجرج » قريب من دير العشكر ، على ثلاث ساعات منه ، وعيده عَقِب عيد « دير المغطس » وليس به الآن أحد .

دير الميْمنة

بالقرب من دير العسكر . كانت له حالات جليلة ولم يكن فى القديم ديرٌ بالوجه البحرىّ أكثر رُهباناً منْه ، إلَّا أنّه تلاشَى أمره ، وخرِّب ، فنزله الحبشُ وعمروه .

وليس فى السّباخ سوى هذه الأربعة الأديرة .

* * *

[أديرة وادى النطرون]

وأما وادى هبيب[1] ، وهو وادِى النطرون[2] ، ويعرف ببريّة شِيهات[3] ، وببريّة الأسقط[4] ، وبميزان القلوب ، فإنهُ كان بها فى القديم مائة دير ، ثم صارت سبْعة ، ممتدَّة غرباً على جانب البريّة القاطِعة بين بلادِ البحيرة والفيّوم ، وهى فى رمالٍ منْقطعة ، وسباخٍ مالحةٍ ، وبَرار منْقطعة معطَّشة ، وقفارٍ مُهْلكة وشراب أهلها من حفائر ، وتحْمِل النّصارى إليهم النّذور والقرابين ، وقد تلاشت فى هذا الوقْت ، بعد ما ذكَرَ مؤرخو النّصارى أنه خرج إلى عَمْرو بن العاص من هذِه / الأديرة سبعون ألف راهبٍ ، بيد كلّ واحدٍ عكّاز ، فسلّموا عليه ، وأنهُ كتب لهم كتاباً هو عندهم[5] . (٨٧)

---

(١) ذكر المقريزى فى خططه ١٨٦/١ قال :

هذا الوادى بالجانب الغربى من أرض مصر ، فيما بين « مريوط » و « الفيوم » يجلب منه الملح والنطرون .

عرف بـ « هبيب بن محمد بن معقل الغفارى .. أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وكان قد اعتزل عند فتنة عثمان رضى الله عنه بهذا الوادى فعرف به .

(٢) **وادي النطرون** : يقع اليوم فى الصحراء الغربية بمصر ، قريباً من حدود الدلتا ، فى منتصف الطريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية ، كان قدماء المصريين منذ فجر تاريخهم يحصلون من بحيراته على النطرون الذى كان يرسل إلى القاهرة فيباع فيها (لتبييض الكتان ولصناعة الزجاج) هذا ما يقوله عمر طوسون صفحة ١٨.

واشتهر هذا الوادى فى العصر المسيحى بأديرته الكثيرة ، التى تخرب معظمها منذ القدم ، ولم يبق إلا أربعة أديرة آهلة برهبانها هى : أنبا بشوى ، والسوريان ، والبراموس ، وأبو مقار .

(٣) يقول عمر طوسون : ومعنى « **شيهات** : ميزان القلوب » ص ١٠.

(٤) « **الأسقيط** » هكذا ذكرها الأمير عمر طوسون فى كتابه : (وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة) طبع سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م مطبعة السفير بالإسكندرية .

(٥) ذكر الأمير عمر طوسون - واضع تاريخ الأديرة - أنه كان يوجد فى أواخر القرن الرابع الميلادى خمسون ديراً يقطن بها نحو خمسة آلاف راهب .

وعدد السبعين ألف راهب الذى ذكره المقريزى ، لا ريب فى أن فيه مبالغة كبيرة ، فقد روى =

فمنها :

١ - دير أبى مقار الكبير

وهو دير جليل عندهم. وبخارجه أديرة كثيرةٌ خرِبت ، وكان دير النسّاك فى القديم ، ولا يصح عندهم بطركيّة البطْرك ، حتى يُجْلِسوه فى هذا الدّير ، بعد جلوسه بكرسىّ إسكندرية ، ويُذْكر أنه كان فيهِ من الرُّهبان ألفٌ وخمسمائة ، ولا تزال مقيمةً به ، وليس به الآن إلاَّ قليل منهم .

والمقّارات ثلاثة : أكبرهم صاحبُ هذا الدّير. ثمّ أبو مقّار الإسكندرانى . ثم أبو مقّار الأسقف .

وهؤُلاء الثّلاثة قدْ وُضِعت رِمَمُهم فى ثلاث أنابيب من خشب ، وتزورها النصارى بهذا الدير ، وبه أيضاً الكتاب الذى كتبه عمرو بن العاص لِرُّهبان وادى هبيب بِجرَاية [١] ، نواحى الوجه البحرى على ما أخبرنى من أخبر برؤْيته فيه .

(أبو مقار الأكبر) هو « مقاريوس » أخذ الرهبانيّة عن « أنطونيوس » وهو أوّل من لبسَ عنْدهم القَلنْسُوة [٢] ، والأشكيم ، وهو سَيْر من جِلْد فيه صليبٌ يتوشحُ به الرُّهبان فقط ، ولقى « أنطونيوس » بالجبل الشرقىّ من حيث « دير العزبة » [٣] وأقام عنده مدة ، ثم ألبسه لباسَ الرهبانية ، وأمره بالمسِير إلى وادى النّطرون ؛ ليقيمَ هناك ، ففَعل ذلِكَ ، واجْتمع عِنْده الرُّهبان الكثيرة العدَد ، ولهُ عنْدهم فضائلُ عديدة .

= المعاصرون أنه لم يكن يوجد فى هذه المنطقة أكثر من ٣٥٠٠ راهب فى أواسط القرن السادس الميلادى . راجع عمر طوسون (وادى النطرون ٢٤ و ٤٠) .

(١) « بجرانة » فى الخطط والقول الإبريزى . والمذكور عن عمر طوسون (وادى النطروان ٦٩) .
والجِراية : الوكالة .
أما الجِرانة : الثقل . ألقى عليه جرانه أى ثقله ، ومنه حديث عائشة : « حتى ضرب الحق بجرانه » .

(٢) **القلنسوة** : لباس الرأس . (٣) راجع الصفحة ١٥٠ .

منها : أنهُ كان لا يصوم الأربعينَ إلَّا طاوياً فى جميعها ، لا يتناولُ غذاءً ولا شراباً البتّة ، مع قيامِ ليْلها ، وكان يعْمَل الخوصَ ويتقوَّت منه ، وما أكل خبزاً طريًّا قط ، بل يأْخذ القراقيش فيبلّها فى نقاعة الخوص ، ويتناول منْها هو ورهبان الدير ما يمسك الرَّمَق من غير زِيادة . هذا قوتهم مدّة حياتهم ، حتى مضوا لسبيلهم .

وأما « أبو مقار الإسكندرانى » فإنه ساحَ من الإسكندريّة إلى « مقاريوس » المذكورة ، وترهّب / على يديه . (٨٨)

ثم كان أبو مقار الثالث ، وصار أُسقفاً .

٢ – دير أبى يَحْنس [٢] القصير

يقال إنهُ عمِّر فى أيام قسطنطين بن هيلانة .

ولأبى يحنس هذا فضائل مذكورة ، وهو من أجلّ الرهبان ، وكان لهذا الدير حالات شَهِيرة ، وبهِ طوائف من الرهبان ، ولم يبق به الآن إلَّا ثلاثةُ رهْبان .

٣ – دير إلياس

عليه السلام .. وهو دير للحَبشة .

وقد خرِّب دير يحْنَس ، كما خرِّب دير إلياس . أكلت الأَرَضَةُ أخشابهما فسقَطا . وصار الحبَشةُ إلى « دير سيدة بويحنس » .

٤ – دير سيدة بويَحْنس القصير

وهو ديرٌ لطيف بجوار دير بويحنس القصير .

وبالقرب من هذا الأديرة .

---

(١) « **يحنس** » هكذا ذكره عمر طوسون ٦٩ وغيره من المسيحيين العالمين أمثال مرقس سميكة باشا فى دليل الأديرة ، وكذلك الشابشتى فى الديارات . وذكر فى الخطط والقول الإبريزى : « بخنس » . وديره يسمى « دير يوحنا القصير » .

٥ – دير أبانوب

وقد خرب هذا الدير أيضاً .

وأنبانوب ، هذا من أهل سمنّود ، قتل فى الإسلام ، ووضع جسده فى بيت بسمنّود .

٦ – دير الأزْمن

قريب من هذه الأديرة وقد خرِّب .

وبجوارها أيضاً :

٧ – دير بوبشاى

وهو ديرٌ عظيمٌ عنْدهم من أجل أن « بوبشاى » هذا كان من الرهبان الذين فى طبقة « مقاريوس » و « يحنس القصير » وهو دير كبير جدًّا .

٨ – دير بإزاء دير بوبشاى

كان بيد اليعاقبة ، ثم ملكتهُ رهبانُ السُّريان من نحو ثلاثمائة سنة ، وهو بيدهم الآن .

ومواضع هذه الأديرة يقال لها « بِرْكة الأديرة » .

٩ – دير سيدة برموس

على اسم « السيدة مريم » فيه بعض رهبان .

وبإزائه :

١٠ – دير موسى [= برموس]

ويقال « أبو موسى الأسود » ويقال « برمئُوس » وهذا الدير لسيدة برمئُوس « فبرموس » اسم الدير .

(٨٩) ولهُ قصة : حاصلها أنّ « مكسيموس » / و « دوماديوس » كان ولَدىْ ملِك الرُّوم ، وكان لَهما معلِّمٌ يقال له « أرسانيوس » فسارَ المعلِّمُ من بلادِ الرُّوم إلى أرضِ مصر ، وعبَر بريّة شيهات هذه ، وترهّب وأقام بها حتّى مات ، وكان فاضِلاً وأتاه فى حياته ابنا الملك المذكوران ، وترهّبا على يديه ، فلما ماتا بعث أبوهما فبنى على اسمهما كنيسة برموس .

وأبو موسى الأسود : كان لصّاً فاتكاً ، قتل مائَة نفْس ، ثم إنهُ تنصّر ، وترهَّب ، وصنّف عدَّة كتب ، وكان مِمّن يطوى الأربعينَ فى صوْمه ، وهو برْبرِىّ [1] .

* * *

دير الزّجاج

هذا الدير خارج مدينة الإسكندرية ، ويقال له : « الهابطون » وهو على اسم « بوجرج الكبير » .

ومن شرْط البطرك أنه لا بدّ أن يتوجّه من المعلّقة بمصر ، إلى « دير الزّجاج » هذا ، ثم إنهم فى هذا الزمان تركوا ذلك .

فهذه أديرةُ اليعاقبة

* * *

---

(١) وهذا آخر أديرة وادى النطرون التى ذكرها المقريزى ، وهى ١٠ أديرة . وليلاحظ الباحث أن وضع الأرقام الحسابية (١ - ١٠) من عمل المحقق ولم تسجل لا فى خطط المقريزى ، ولا فى القول الإبريزى .

[أديرة النساء]

وللنساء ديارات تختص بهنَّ فمنها :

دير الراهبات

بحارة زويلة من القاهرة ، وهو دير عامر بالأبكارِ المترهّبات ، وغيرهنَّ من نساءِ النّصارى .

دير البنات

بحارة الروم بالقاهرة ، عامرٌ بالنساء المترهّبات.

دير المعلقة

بمدينة مصر ، وهو أشهر ديارات النساء ، عامرٌ بهنَّ .

دير بربارة

بمصْر ، بجوار كنيسة بربارة ، عامر بالبنات المترهّبات .

بربارة : كانت قِدِّيسة ، فى زمن « دقلطيانوس » فعذّبها لترجْعَ عن ديانتها ، وتسجدَ للأصنام ، فثبتَتْ على دينها ، وصبرتْ على عذابِ شديدِ ، وهى بكْر لم يمسّها رجل ، فلما يئسَ منها ضرب عنقَها وعنقَ عدَّة من النساء معها .

* * *

[أديرة النصارى الملكية]

وللنصارى الملكية قلاّيّة بطْركهم ، بجوارِ كنيسةِ « ميكائيل » بالقرْب من جِسر الأفرم ، خارج مصر ، وهى مجْمع الرهْبان الوارِدِين من بلادِ الرُّوم .

دير يحنس [1] القَصير

(٩٠) المعروف « بالقُصيِّر » وصوابه عندهم « دير القَصِير » / على وزن « شَهِيد » وحُرِّف فقيل « دير القُصَيِّر » بضم القاف ، وفتح الصاد ، وتشديد الياء ، فسماه المسلمون « دير القُصَيْر » بضم القاف وفتح الصاد وإسكان الياء آخر الحروف ، كأنهُ تصغير قَصِير .

وأصله كما عرَّفتك دير القَصِير الّذى هو ضدّ الطّويل ، وسمى أيضاً « دير هرقل » و « دير البغل » وقد تقدّم ذكره ، وكان من أعظم ديارات النصارى ، وليس به الآن سوى واحدٍ يحرسه ، وهو بيد الملكية .

دير الطُّور

قال ابن سِيده : الطّور الجبل . وقد غلَب على « طُورِ سيناء » جبلٌ بالشّام . وهو بالسّريانية « طُورَى » والنّسب إليه طُوريّ ، وطُوَاريّ .

وقال ياقوت : طور . سبعة مواضع :

الأول : طور زَيْتا . بلفظ الزّيت ، من الأدهان مقصور . علَمٌ لجبَلٍ بقرْب رأْس عيْن .

الثاني : طورُ زيْت ، أيضاً . جبَلٌ بالبيت المقدَّس ، وهو شرقيّ سُلْوان [2] .

الثالث : الطّور . علَمٌ لجبلٍ بعْينه ، مطلّ على مدينة طبريّة بالأردن .

---

(١) « بخنس » فى خطط المقريزى ، وكذا فى القول الإبريزى .

(٢) « ساوان » فى خطط المقريزى ، وكذا فى القول الإبريزى .

وسُلْوان : عين ماء قرب بيت المقدس . فى وادى جهنم (معجم البلدان) .

الرابع : الطّور . علم لجبَل . كورَة تشتمل على عدة قرَى بأرض مصر من الجهة القبلية ما بين مصرَ وجبل فاران[1] .

الخامس : طور سيناء . اختلفوا فيه فقيل : هو جبل بقرب أيْلَة ، وقيل : جبلٌ بالشام ، وقيل : سيناء حجازيّة ، وقيل : سحرتية[2] .

السادس : طور عَبْدِين بفتح العين ، وسكون الباء الموحدة وكسر الدال المهملة وياء آخر الحروف ونون : اسم لبلْدة من نواحي نصيبين[3] ، في بطْن الجَبل المشْرِف عليها ، المتّصل بجبل جودى[4] .

السابع : طور هارون . أخي موسى عليْهما السلام .

وقال الواحدِى[5] في تفْسِيره : وقال الكلْبى[6] وغيرهُ « والجبل » في قوله تعالى : ﴿ **ولكِنْ انْظُرْ إلى الجَبَل** ﴾ أعظم جبلٍ بمدْين[7] ، يقال له « زبير » وذكر الكلبى : أن الطّور سمى بيَطور بن إسماعيل . قال السهيلى[8] : فلعله محذوف الياء ، إن كان صح ما قاله .

وقال عمر بن شبّة[9] : أخبرنى عبد العزيز ، عن أبى معشر ، عن سعيد بن

---

(١) **فاران ، والطور** : كورتان من كور مصر القبلية (معجم البلدان) .

(٢) **سحرتية** : أى صحراء لا تنبت .

(٣) **نصيبين** : مدينة فيما بين النهرين . اشتهرت قديماً بمدرستها السريانية .

(٤) **الجودِىّ** : يذكر ياقوت أنه جبل مطل على جزيرة ابن عمر ، فى شرقىّ دجلة . من أعمال الموصل ، استوت عليه سفينة نوح ، لما نضب الماء .

(٥) **الواحدي** : أبو الحسن على بن متويه النيسابورى . أستاذ عصره فى النحو والتفسير واللغة . توفى سنة ١٠٧٥م . له : أسباب النزول . والوجيز فى تفسير القرآن العزيز ، وشرح ديوان المتنبى .

(٦) **الكلبى** : نسابة كوفى ، توفى سنة ٨١٩م . من مؤلفاته : كتاب الأصنام ، وأنساب الخيل الذين حققهما المرحوم أحمد زكى باشا شيخ العزوبةِ .

(٧) **مدين** : بلدة من البلدان المندثرة فى مصر ، محاذية لـ « تبوك » وفيها البئر التى استقى منها موسى لغنم شعيب . راجع (معجم البلدان) .

(٨) **السّهيلىّ** : عبد الرحمن الخثعمى الأندلسى (١١١٤ – ١١٨٥) ولد فى (السهيل) بالأندلس . وتوفى فى « مراكش » وتعلم فى غرناطة ، وإشبيلية . وكف بصره وهو فى السابعة عشر من عمره . له « الروض الأنف فى تفسير سيرة ابن هشام » .

(٩) فى خطط المقريزى ، وكذلك فى « القول الإبريزى » : « عمر بن شيبة » وعمر بن شبة =

أبى سعيد ، عن أبيه ، عن أبى هريرة رضى الله / عنه قال : قال رسولُ الله صلّى (٩٦)
الله عليه وسلّم : « أربعة أنهارٍ فى الجنّة ، وأربعة أجْبل ، وأرْبع ملاحم فى الجنّة .

فأما الأنهارُ : فسيْحان وجيْحان ، والنيل ، والفرات .

وأما الأجْبل : فالطُّور ، ولبنان ، وأُحد ، وورقان وسكت عن الملاحم »[1] .

وعن كعب الأحبار[2] : معاقِل المسلمين ثلاثة ، فمعْقلهم من الرُّوم دمشْق ، ومعْقِلهم من الدجّال الأردن ، ومعْقِلهم من يأْجوج ومأْجوج الطور .

وقال شعبة ، عن أرطاةِ بن المنْذر : إذا خرَج يأْجوج ومأْجوجُ ، أوحى الله تعالى إلى عيسَى ابن مرْيم عليه السّلام : إنى قدْ أخرجتُ خلْقاً من خلْقيِ ، لا يُطِيقهم أحد غيرى ، فمر بمنْ معكَ إلى جَبلِ الطّور . فيمرّ ومعهُ من الذّرارى اثنا عشر ألفاً .

وقال طلْقُ بنُ حبيبٍ عن زرعة : أردتُ الخروجَ إلى الطّور ، فأتيتُ عبْد الله بن عمرَ رضى الله عنهما ، فقلتُ لهُ ، فقال : إنما تشدّ الرحالُ إلى ثلاثة مساجد : إلى مسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى . فدع عنْكَ الطور ، فلا تأْتِه .

وقال القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعىّ ، وقد ذكرَ كُورَ أرضِ مصر : « ومن كُوَر القبْلة قرَى الحِجاز . وهى كورَة الطور ، وفاران ، وكورة راية ، والقلْزم ، وكورة أيلة وحيِّزها ، ومدْيَن وحيِّزها ، والعويْبد ،

= أبو زيد البصرى : حافظ ، إخبارى ، أديب . راجع (التهذيب) .

(١) رواه السيوطى : « أربعة أنهار من أنهار الجنة : سيحان ، وجيحان ، والنيل ، والفرات » وسكت عند هذا فقط . وقال : « الشيرازى فى الألقاب ، عن أبى هريرة » راجع : (جامع الجوامع ٩٣ ، والجامع الصغير ١/ ٢١٢) .

وقد رواه ابن عبد الحكم بأسانيد مختلفة . راجع (فتوح مصر وأخبارها ١٤٩ - ١٥٠) .

(٢) **كعب الأحْبار** ، أبو إسحاق كعب بن ماتع . من رواة الحديث ، كان يهودياً من يهود اليمن ، فاعتنق الإسلام على أيام أبى بكر ، أو عمر .. ولقب بـ : « كعب الأحبار » لمعارفه الواسعة فى التوراة . توفى بحمص سنة ٦٥٢م .

والحوراء وحيِّزهما ، ثم كورة بدَا وشعيْب » .

قلت : لا خلاف بين علماء الأخبار من أهل الكِتَاب أنّ جبَلَ الطّور هذا هو الّذى كلّم الله تعالى نبيه موسى عليه السّلام عليْه أو عنْده ، وبه إلى الآن ديرٌ بيد الملكية [1] وهو عامر ، وفيه بستان كبير ، به نخل ، وعنَب ، وغير ذلك من الفواكه .

وقال الشابشتى : وطورُ سينا هو الجبَل الّذى تجلّى فيه النورُ لموسَى بن عمْران عليْه السّلام ، وفيه صُعِق ، والدّير فى أعلى الجبل ، مبْنى بحجر أسود ، عرْض حِصنه سبع أذرع ، ولهُ ثلاث أبواب حديد ، وفى غربيّه باب لطيف ، وقدّامه حجَرٌ / أُقيمَ ، إذا أرادوا رفْعَه رَفعوه ، وإذا قصدَهم أحدٌ أرسلُوه ، فانطبَق على المَوْضع ، فلم يعْرف مكانَ الباب ، وداخل الدِّير عينُ ماءٍ ، وخارجه عينٌ أخرى . (٩٢)

وزعم النَّصارَى أن به ناراً من أنواع النّار الّتى كانتْ ببيْت المقدس ، يقِدون منها فى كلّ عشيّة ، وهى بيْضاء لطيفة ضعيفة الحرِّ لا تحرق ، ثم تقْوى إذا أوقد منها السراج ! وهو عامر بالرهبان والناس يقْصدونه ، وهو من الدّيارات الموصوفة [2] .

---

(١) لهذا الدير شهرة بعيدة فى المؤلفات الشرقية والغربية وما زال إلى اليوم عامراً ، آهلاً برهبانه . جاء فى ذيل ديارات الشابشتى ٢٦٨ - ٢٧٠: لم يعن الكتاب والمؤرخون القدماء والمحْدَثون بدير من الديارات الشرقية والغربية ، عنايتهم بدير طور سيناء ، فقد كتبوا فى وصفه ، وتاريخه ، وخزانة كتبه ، شيئاً كثيراً .

ولهذا الدير اسم حقيقى هو « دير سانت كترينة » لكونه أقيم على اسمها .. وكاترينة : قديسة بتول شهيرة ، كان أبواها وثنيين ، من الإسكندرية ، ثم اعتنقت هى النصرانية ، فنالها من الجور والظلم الكثير ، على يد الملك « مكسيميانس » فحكم عليها بالموت سنة ٣٠٧م وتروى القصة الموضوعة فى سيرة حياتها ، أن جسدها نقلته الملائكة إلى « طور سيناء » فهو هناك . وعيد هذه القديسة يوم ٢٥ تشرين الثانى . ويبعد هذا الدير عن القاهرة ٣٨٤ كيلو متراً . ويمكن قطع المسافة من السويس إلى الدير فى ٦ ساعات أو أقل .

(٢) راجع (الديارات ١٩٩ - ٢٠٠) .

قال ابن عامر[1] فيه :

يا راهبَ الدّيرِ ماذا الضوءُ والنُّور؟ فقد أضاءَ بما فى دِيرِكَ الطّورُ؟!

هَلْ حَلّتْ الشّمْسُ فيهِ دونَ أبْرجها أو غُيِّب البدْرُ فيهِ وهوَ مسْتُورُ؟!

فقالَ : ما حَلّهُ شمْسٌ ولّا قمَرٌ لكن تقرَّب فِيهِ اليوْم قوْرِيرُ[2]

قلت : ذكر مؤرخو النصارى أن هذا الدّير أمر بعمارته « يوسطيانوس »[3] ملك الرُّوم بقسطنطينية ، فعمل عليه حصْن فوْقَه عدّة قِلَالى ، وأُقيم فيه الحرَس ؛ لحفظ رهْبانه من قومٍ يقال لهم « بنُو صالح[4] من العرب » .

وفى أيام هذا الملك كان المجمع الخامس[5] من مجامع النصارى ..

---

(١) « ابن عاصم » فى (الديارات ٢٠٠) .

(٢) الديارات ٢٠٠، ومعجم البلدان ٢/ ٦٧٦.

(٣) هو : يوسطنايوس الأول (٥٢٧ - ٥٦٥) زار الحارث الغسانى . أمر بتدوين القوانين الرومانية ، وكان محباً لبناء الكنائس . فأمر أن تبنى الكنائس التى حرقتها السامرة بفلسطين وهدم كنيسة بيت لحم - وكانت صغيرة - وبناها على ما هى عليه اليوم . وبنى كنيسة مارصوفيا بناء حسنا .

فلما سمع رهبان طور سيناء حسن نية يوسطنايوس ومحبته لبناء الكنائس وعمارة الديرات ، صاروا إليه ، وشكوا أن أعراب بنو إسماعيل يؤذونهم ، ويأكلون طعامهم ، ويخربون مواضعهم ، ويدخلون قلاليهم ، ويأخذون كل ما فيها .. سألوه أن يبنى لهم ديراً ، ولم يكن قبل ذلك دير فى طور سيناء ، وكان الرهبان متبددين فى الجبال والأودية حول العلّيقة التى كلم الله موسى منها ، وكان لهم برج كبير فوق العلّيقة ، وهو قائم إلى اليوم . فأمر الملك ببناء دير طور سيناء وتحصينه حتى لا يكون فى العالم دير أحصن منه ولا يكون على الدير موضع يخاف فيه من ضرر على الدير والرهبان .

راجع (ابن البطريق ١/١٩٩ - ٢٠٤) ومرقس سميكة باشا وصف هذا الدير وصفاً طيباً بصور كثيرة لما فيه (دليل المتحف القبطى ٢/٩٨ - ١٠٨) .

(٤) أمر الملك المذكور أن يبنى خارج الدير المذكور فى شرقيه منازل وحصّنها بحصْن وأسكن فيها العبيد فكانوا يحفظون الدير ويذبون عنه فلما توالدوا وكثروا وطال بهم الزمان . وظهر الإسلام فيهم فى خلافة عبد الملك بن مروان أغار بعضهم على بعض ، فمنهم من قتل ، ومنهم من فر ، ومنهم من أسلم . وأبناؤهم إلى هذا الوقت فى الدير مسلمين يقال لهم « بنو صالح » . راجع (ابن البطريق ١/٢٠٣ - ٢٠٤) .

(٥) وذلك أن فى عصر يوسطنايوس الملك السابق ذكره . ذكر أن أسقف « منبج » المسمى « أوريجانوس » كان يقول بتناسخ الأرواح وأن ليس قيامة . وكذلك أسقف « المصيصة » وأسقف « الرها » وأسقف « أنقرة » وكانوا يقولون : إن جسد المسيح كان فنطاسيا أى خيالاً غير حقيقة . فسمع بمقالتهم الملك فأشخصهم إلى القسطنطينية فعقدوا مجمعهم الخامس وكان عدد الأساقفة =

وبينهُ وبين القلْزم ـــ وكانت مدينة – طريقان : أحدهما فى البر ، والأخرى فى البحر . وهما جميعاً يؤَدِّيان إلى مدينة فاران . وهى من مدائن العمالقة . ثم منها إلى الطّور مسيرة يومين ، ومن مدينة مصْر إلى القلْزم ثلاثة أيام . ويصْعَد إلى جبل الطّور بستّةِ آلاف وستمائة وست وستين مرقاة ، وفى نصْف الجبل كنيسة « لإيلياء النبى » وفى قلّته كنيسةٌ على اسم موسى عليه السلام ، بأساطينَ من رخامٍ وأبوابٍ من صفر ، وهو الموضِع الّذى كلّم الله تعالى فيه موسى ، وقطع منه الألواح ، ولا يكون فيها إلاَّ راهب واحد للخدمة ، ويزْعمون أنه لا يقْدِر أحدٌ أن يبيتَ فيها ، بل يهيَّأُ له موْضِعٌ من خارجِ يبيت فيه ، ولم يبْقَ لهاتيْن الكنيستَيْن وجود .

/ دير البنات .. بقصر الشمع بمصر (٩٣)

وهو على اسم « بوجرج » وكان مقياس النيل قبْلَ الإسلام ، وبهِ آثار ذلك إلى اليوم .

فهذا ما للنّصارى اليعاقبة والملكية رجالِهِمْ ونسائهم من الدّيارت بأرض مصر قبليّها وبحريّها ، وعدتها ستّةٌ وثمانون ديراً ، منها لليعاقبة [٨٢ ديراً][(١)] وللملكية [أربع ديارات][(١)] .

= الذين اجتمعوا فيه ١٦٤ أسقفاً لعنوا الأساقفة الذين كان رأيهم هذا ولعنوا من يقول بمقالتهم . انظر (ابن البطريق ٢٠٥/١ – ٢٠٦) .

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى خطط المقريزى . وضعه جامع « القول الإبريزى » دون أن يشير إلى ذلك ، فضلاً عن أنه لم يذكر لنا مصدره . حتى ولم يضعه بين معقوفتين ليفصله عن قول المقريزى . وكان الشيخ قطه العدوى يرحمه الله مصحح هذا الكتاب فى المطبعة الأميرية سنة ١٢٧٠هـ يترك بياضا فى المطبوع بمقدار الكلمة أو الكلمتين ، ويشير فى هامشه قائلاً : « هكذا بياض فى الأصل » يشير بذلك إلى الأصل المخطوط الذى كانت عليه الطبعة الأولى من خطط المقريزى . وعند رجوعى إلى المخطوطة رقم ٤٧٩ جغرافيا طلعت صفحة رقم ٣٧٨ كان فيها « ستة وثمانون ديراً ، والله سبحانه وتعالى أعلم » ثم « ذكر كنائس النصارى » .

ومعنى هذا أن جامع « القول الإبريزى » حمل هذا القول على المقريزى ، فحمَّله ما لم يقله ، ومثل هذا مما يضلل الناقد ، فيحكم على المقريزى بغير ما يقوله (!!)

ذِكْرُ كنائِس النَّصارَى

قال الأزهرى : كنيسةُ اليهودِ ، جمْعها كنائِس ، وهى معرَّبة ، أصْلها كنِشْت [١] . انتهى .

وقد نطقَت العربُ بذكْر الكنِيسة ، قال العباسُ بن مِرداس السّلمى [٢] :

يَدُورُون بِى فى ظلِّ كلِّ كنيسَةٍ ... ومَا كانَ قوْمِى ييْتنُونَ الكنَائِسَا

وقال ابن قيس الرقيات [٣] :

كـأنّـهـا دُمـيَـة مـصَـوَّرةٌ ... فى بيْعةٍ من كنائِسِ الرُّومِ

* * *

(١) لسان العرب (كنس) ويذكر هذا القول عن الجوهرى .

(٢) **العباس بن مرداس السلمى** : (توفى حوالى سنة ٦٢٩م) شاعر فارسى . عاش فى منازل قومه ببادية المدينة ، وأسلم قبيل فتح مكة ، وشارك فى فتحها ، له شعر يصف ما اشترك فيه من المواقع .

(٣) هو **عبيد الله بن قيس الرقيات** : شاعر أموى ناصر الزبيريين وآل البيت وديوانه يحوى أشعاراً سياسية تاريخية .

[كنائس القاهرة[1]]

كنيستَا الخندق

ظاهر القاهرة . إحداهما على اسم « غبريال الملاك » والأُخرى على اسم « مرقوريوس » وعرفت برويس .

وكان راهباً مشهوراً بعد سنة ثمانمائة .

وعند هاتين الكنيستين يقْبُر النصارى موتاهم ، وتعرف بمقبرة الخندق ، وعمرت هاتان الكنيستان عوضاً عن كنائس المقس[2] فى الأيام الإسلامية .

كنيسة حارة زويلة[3] بالقاهرة

كنيسةٌ عظيمة عند النصارى اليعاقبة ، وهى على اسم « السيدة »[4] وزعموا أنها قديمة ، تُعرَف « بالحكيم زايلون » وكان قبل الملة الإسلامية بنحو مائتين وسبعين سنة ، وأنه صاحب علوم شتى ، وأن له كنزاً عظيماً ، يتوصَّل إليه من بئْرٍ هناك .

---

(١) يمكن للمستزيد أن يرجع إلى (الخطط التوفيقية ٦/٧٠ - ٨٠) .

يقول مرقس سميكة باشا أمين المتحف القبطى : هذا ولم يبق من الكنائس القديمة التى كانت بمدينة القاهرة والتى ورد ذكرها عند المقريزى وغيره من المؤرخين سوى اثنتين بحارة زويلة ، واثنتين بحارة الروم .. أما باقى هذه الكنائس فقد هدم أغلبها ، أثناء الاضطرابات التى وقعت فى عهد السلطان محمد الناصر بن قلاون كما سبق ولم يبق للكنائس القديمة - فى القاهرة - أثر ، والكنائس الموجودة الآن بالقاهرة كلها حديثة العهد ، ماعدا كنيستى : الملاك البحرى ، وأنبارويس . اللتين جددتا منذ زمن قريب فى عهد البطريرك « الأنبا كيرلس الخامس » الذى أنشئت أكثر الكنائس الجديدة باهتمامه . راجع مرقس سميكة باشا (دليل المتحف القبطى ٣٥) .

(٢) **المقس** : الأزبكية الآن .

(٣) **حارة زويلة** : محلة كبيرة بالقاهرة ، بينها وبين باب زويلة عدة محلات بشارع « بين السورين » .

وقد سميت بهذا الاسم « زويلة » لأن جوهر الصقلى ، لما اختط القاهرة أنزل أهل زويلة بها (خطط المقريزى ٢/٤) .

(٤) راجع فى وصفها ووصف ما فيها ، ومن قام على شئونها ، وصور من الأيقونات والآثار التى بها ... إلخ ما يقوله مرقس سميكة باشا فى (دليل الأديرة ٢/٣٦ - ٤٤) .

كنيسة تعرف بالمغيثة

بحارة الروم[1] من القاهرة، على اسم «السيدة مريم».

وليس لليعاقبة بالقاهرة سوى هاتين الكنيستين[2].

وكان بحارة الروم أيضاً / كنيسة أُخرى يقال لها «كنيسة بَرْبارة» (٩٤) هدّمت فى سنة ثمانى عشرة وسبعمائة.

وسبب ذلك أن النصارى رفعوا قصّة للسّلطان «الملك الناصر محمد ابن قلاوُن» يسألون الإذن فى إعادة ما تهدّم منها، فأذِن لهم فى ذلك، فعمَّروها أحسن ما كانت، فغضبتْ طائفةٌ من المسلمين، ورفعوا قصّةً للسّلطان بأنّ النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناءً لم يكن فيها، فرسم «للأمير علم الدين سنجر» الخازن وَالى القاهرة بهدم ما جدّدوه، فركبَ وقد اجتمع الخلائقُ، فبادروا وهدموا الكنيسة كلَّها فى أسرع وقت، وأقاموا فى موْضعها محراباً، وأذّنوا وصلّوا، وقرءوا القرآن .. كلُّ ذلك بأيْديهم، فلمْ تُمكن معارضتُهم خشيةَ الفِتْنة، فاشتدّ الأمرُ على النصارى، وشكوا أمرهم للقاضى «كريم الدين» ناظر الخاص، فقامَ وقعدَ غضباً لدين أسلافه، وما زالَ بالسّلْطان حتى رسمَ بهدْم المحراب، فهُدِم، وصار موْضعه كوم تُرَاب، ومضى الحال على ذلك.

* * *

(١) بالغورية. وهى «كنيسة العذراء ومارجرجس». راجع ما يقوله عن وصفها وتاريخها وما فيها (دليل المتحف القبطى ٢/٤٥ – ٥٠).

(٢) يريد الكنائس الأثرية .. أما الكنائس المحدثة فكثيرة ترى وصفها وتاريخ إنشائها فى (دليل المتحف القبطى) لمرقس سميكة.

[كنائس مصر القديمة]

كنيسة بومينا

هذه الكنيسة قريبةٌ من السّد ، فيما بين الكيمان ، بطريق مصر ، وهى ثلاثُ كنائس متجاورة : إحداها لليعاقبة ، والأُخرى للسريان ، وأُخرى للأرمن .. ولها عيد فى كلّ سنة تجتمع إليه النصارى .

كنيسة المعلّقة

بمدينة مصر ، فى خط قصر الشمع على اسم « السيدة » وهى جليلة القدر عنْدهم ، وهى غير القلّابة التى تقدّم ذكرها .

كنيسة شنوده

بمصر ، نسبت لأبى شنوده الراهب القديم .

وله أخبار منها : أنه كان ممن يطْوى فى الأربعين إذا صامَ ، وكان تحت يدِه ستّة آلاف راهب ، يتقوّت هو وإياهم من عمل الخوص ، وله عدّة مصنفات .

كنيسة مريم

بجوار كنيسة شنوده ، هدمها « علىّ بن سليمان بن علىّ بن عبد الله ابن عباس »[1] أمير مصر ، لمّا ولىَ من قِبَل أمير المؤمنين « الهادى / موسى »[2] فى سنة تسع وستين ومائة ، وهدّم كنائس « محرس قسطنطين » وبذل له النصارى فى تركها خمسين ألف دينار ، فامتنع[3] . (٩٥)

---

(١) ولّىَ علىّ بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الهادى فدخل سنة ١٦٩هـ فمات الهادى وبويع هارون الرشيد فأقر علىّ بن سليمان وأظهر فى ولايته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومنع الملاهى والخمور ، وهدم الكنائس المحدثة بمصر . راجع (خطط المقريزى ١/ ٣٠٨) .

(٢) هو الخليفة العباسى الرابع . ولّى ابنه جعفر على هارون الرشيد فى وراثة العهد . فقتل بعد سنة من ملكه سنة ٧٨٦م / ١٧٠هـ بسعاية الخيزران أم الرشيد التى كانت تطمع فى ولاية الملك لابنها ، على أيامه غزا العباسيون آسيا الصغرى .

(٣) راجع فى ذلك (خطط المقريزى ١/ ٣٠٨) .

فلما عُزِل « بموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عباس » فى خلافة « هارون الرشيد » أذِن موسى بن عيسى للنّصارى فى بُنْيان الكنائس التى هدّمها عليٌّ بن سليمان ، فبُنِيَت كلُّها بمشورة اللّيْث بن سعْد ، وعبدالله بن لهيعة ، وقالا : هوَ من عمارة البلاد . واحتجّا بأنّ الكنائِسَ الّتى بمصر لمْ تُبْنَ إلاَّ فى الإسلام ، فى زمن الصحابة والتابعين .

كنيسة بوجرج الثقة

هذه الكنيسة فى دَرْبٍ بخطّ قصر الشمع بمصر ، يقال له « درب الثقة » ويجاورها كنيسة سيدة بوجرج .

كنيسة بربارة

بمصر ، كبيرةٌ جليلةٌ عندهم ، وهى تُنْسب إلى القديسة « بربارة الراهبة » وكان فى زمانها راهبتان بِكْران . وهما : إيسى ، وتكلة . ويعمل لهنَّ عيد عظيم بهذه الكنيسة يحضره البطريرك [١] .

كنيسة بوسرجه

بالقرب من بربارة ، بجوار زاوية ابن النعمان ، فيها مغارة يقال : إن المسيحَ وأمّه مريم عليهما السّلام جلسا بها .

كنيسة بابليون

فى قبليّ قصر الشمع ، بطريق جسر الأفرم، وهذه الكنيسة قديمة جدًّا ، وهى لطيفة ، ويذْكَر أنّ تحتها كنْز بابليون ، وقد خُرِّب ما حولها .

كنيسة تاودورس الشهيد

بجوار بابليون ، نسبت للشهيد « تاودورس الإسفهلار » .

---

(١) فى خطط المقريزى « يحضره البطريق » والمعنى واحد .

بجوار بابليون أيضاً. وهاتان الكنيستان مغلوقتان لخراب ما حولهما.

(٩٦)

/ كنيسة بومينا

بالحمراءَ، وتعرف الحمراء اليوم: بخط قناطر السِّباع. فيما بين القاهرة ومصر.

وأحدِثَت هذه الكنيسة فى سنة سبع عشرة ومائة من سنى الهجرة بإذن «الوليد بن رفاعة» أمير مصر[1]، فغضب وهيبِ اليحْصبى، وخرج علَى السلطان، وجاء إلى «ابن رفاعة» ليفتك به، فأُخِذ وقتل، وكان وهيب مَدَريّاً[2] من اليمنَ، قدم إلى مصر، فخرج القراءُ على «الوليد بن رفاعة» غضباً لوهيْب وقاتلوه، وصارت «معونةُ» امرأَةُ وهيْب تطوفُ ليلاً على منازل القرّاء تحرِّضهم على الطّلب بدمه، وقد حَلَقَتْ رأسَها، وكانت امرأَةً جزْلة، فأخذ ابنُ رفاعة أبا عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحْصبى بالقراء، فاعتذرَ وخلّى ابنُ رفاعة عنْهم، فسكنت الفتنة بعد ما قتلَ جماعةً، ولم تزل هذه الكنيسة بالحمراء إلى أن كانت واقعة هدْم الكنائس[3]، فى أيام الناصر محمد بن قلاوُن[4] على ما يأتى ذكر ذلك، والخبرَ عن هدْم جميعِ كنائِس أرض مصر، وديارات النصارى فى وقتٍ واحد!!

---

(١) هو: الوليد بن رفاعة بن خالد الفهمى: أمير مصر. كان يلى الشرطة (قوى الأمن) ونحّىَ عنها سنة ٩٧هـ ثم قلده هشام بن عبد الملك الإمارة سنة ١٠٩هـ.

فى أيامه أذن فى بناء كنيسة الحمراء التى عرفت بعد ذلك بـ «أبو مينا» وكان ما ذكر من وهيب اليحصبى... فأصلح رفاعة الأمر بالقبض على قتلة وهيب، وسكنت الفتنة، واستمر والياً إلى أن توفى سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م وحمدت سيرته. راجع فهرس (النجوم الزاهرة. الجزء الأول).

(٢) **مدريا**: أى من أهل المدر. سكان البيوت المبنية، خلاف البدو سكان الخيام (المعجم الوسيط).

(٣) راجع فى خطط على مبارك ٣٥٢/٣ - ٣٥٩ «مطلب هدم الكنائس بمصر، والقاهرة، وقوص، وغيرها فى يوم واحد عقب صلاة الجمعة».

(٤) **الناصر محمد بن قلاون** (١٢٨٥ - ١٣٤١م) من سلاطين المماليك، بمصر وسورية. تولى السلطنة سنة ١٢٩٤م وخلع منها لحداثته بعد قليل، وأعيد إليها سنة ١٢٩٨ - ١٢٩٩. ونودى بـ «بيبرس» سلطاناً سنة ١٣٠٨م قصد ابن قلاون دمشق واستولى عليها، وزحف منها =

[انتفاضة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢٠م وآثارها][1]

كنيسة الزّهرى

كانت فى الموضع الذى فيه اليوم البركة الناصرية[2]، بالقرب من قناطِر السباع، فى برّ الخليج الغربى، غربى اللوق، واتفق فى أمرها عدّة حوادث، وذلك أن «الملك الناصر محمد بن قلاوُن» لما أنشأ ميدان المهارى، المجاور لقناطِر السباع، فى سنة عشرين وسبعمائة، قصد بناءَ زَرِيبةٍ علَى النّيل الأعظم، بجوار الجامع الطيْبَرسى[3]، فأمر بنقْل كوم تراب كان هناك، وحفْر ما تحته من الطِّين لأجل بناء الزّريبة. وأُجْرى الماءُ إلى مكانِ الحفْر، فصار يُعرف إلى اليوم بالبركة الناصرية، وكان الشّروع فى حفر هذه البركة، من آخر شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، فلما انْتُهِىَ الحفْرُ إلى جانب «كنيسة الزهرى» وكان بها كثيرٌ من النّصارى، / (٩٧) لا يزالون فيها، وبجانبها أيضاً عدّة كنائِس فى المَوْضع الذى يعرف اليوم «بحكر أقبغا» ما بين السّبَع سقّايات، وبين قنْطرة السدّ، خارج مدينة مصر، أخذ الفعلةُ فى الحفْر حوْلَ كنيسة الزّهرى، حتّى بقيَتْ قائمةً فى وسَط المَوْضِع الذى عينه السلطانُ ليُحفَر، وهو اليوم «بركة الناصرية» وزاد الحفْرُ حتّى تعلّقت الكنيسة، وكان القصْدُ من ذلك أن تَسْقط من غير قَصْدٍ

= إلى مصر، وتغلب على «بيبرس» وعاد إلى عرشه سنة ١٣٠٩ م وحكم حوالى ٣٢ سنة وخلف آثاراً رائعة، وأصلح عدة آثار أخرى.

(١) راجع ما ذكره المقريزى فى أسبابها صفحة (١٢٤) من هذا الكتاب.

(٢) فى حى السيدة زينب بجوار مدرسة السنية للبنات.

(٣) الجامع الطيبرسى: عمّره علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش، وصاحب المدرسة الطيبرسية بجوار الأزهر. عمّره ٧٠٧هـ. ثم تخرب هذا الجامع، يقول على مبارك: ولعله هو المعروف فى محله الآن بجامع الأربعين (خطط على مبارك ٥/ ١٠٠).

لخرابِها ، وصارت العامّةُ من غِلْمان الأمراء العمّالين فى الحفْر وغيرهم ، فى كلِّ وقتٍ يَصْرخُون على الأمراء فى طلَب هدْمها ، وهم يتَغافلُون عنْهم ، إلى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخِر من هذه السّنة ، وقت اشتغال الناس بصلاة الجمعة ، والعمل من الحفر بطَّال ، فتجمّع عدّةٌ مِن غوغاءِ العامّة ، بغير مرسوم السلطان ، وقالوا بصوتٍ عالٍ مرتفع : الله أكبر . ووضعُوا أيديهم بالمسَاحِى [1] ونَحْوِها فِى كنيسةِ الزّهرى وهدموها حتّى بقيت كوماً ، وقتلوا مَنْ كان فِيها من النّصارى ! وأخذوا جميع ما كان فيها .

وهدموا « كنيسة بومينا » الّتى كانت بالحمراء ، وكانت معظّمةً عند النّصارى من قديم الزمان ، وبها عدّةٌ من النّصارى قد انقطعوا فيها ، ويَحْملُ إليهم نصارَى مصْر سائرَ ما يُحتاج إليه ، ويُبعثُ إليها بالنّذُورِ الجليلة ، والصدقات الكثيرة ، فوُجد فيها مالٌ كثيرٌ ما بين نقْدٍ ومصَاغ ، وغيره .. وتسلّق العامةُ إلى أعلاها ، وفتحوا أبوابها ، وأخذوا منها مالاً وقماشاً وجِرارَ خمْر ، فكان أمراً مهولاً ، ثم مضوا من « كنيسة الحمراء » بعد ما هدّموها إلى كنيستيْن بجوارِ السّبع سقايات ، تعرف إحداهما بكنيسةِ البنات ، كان يسكنها بناتُ النّصارى ، وعدّةٌ من الرُّهْبان ، فكسروا أبواب الكنيستين ، وسبوا البنات ، وكنَّ زيادةً على ستِّين بنتاً ، وأخذوا ما عليهنَّ من الثّياب ، ونهبوا سائرَ ما ظفروا به ، وحرَّقوا وهدَمُوا تلك الكنائِس كلها ! هذا والناسُ فى صلاةِ / الجمعة ، فعند ما خرج الناسُ من الجوامِع شاهدوا هوْلاً كبيراً من كثرة الغبار ، ودخان الحريق ، ومرْج الناس ، وشدّة حركاتهم ، ومعهم ما نهبوه ، فما شبّهَ الناسُ الحالَ - لهوْلِه - إلَّا بيوْم القِيامة ، وانتشر الخبرُ وطارَ إلى « الرميلة » تحت قلعة الجبل ، فسمع السّلطانُ ضجّةً عظيمةً ورجّةً مُنكرة أفزعته ، فبعثَ لكشْف الخبر ، فلما بلغه ما وقع انْزعجَ انزعاجاً عظيماً ،

(٩٨)

---

(١) المساحى : جمع مسحاة : أداة تقشر بها الأرض وتجرف (الفأس) .

وغضب من تجرّؤ العامة وإقدامهم على ذلك بغير أمْره .. وأمر الأميرَ « إيدغمش » أمير آخور[1] أن يركبَ بجماعةِ الأُوشاقية[2] ، ويتدارك هذا الخَلل ، ويقْبِض على مَنْ فعله ، فأخذ « إيدغمش » يتهيأُ للركوب وإذا بخبر قدْ ورد مِنَ القاهرة : أن العامّة ثارتْ فى القاهِرة وخرَّبت كنيسةً بحارة الرّوم ، وكنيسةً بحارة زِويلة .. وجاءَ الخبرُ من مدينةِ مصْر أيضاً : بأن العامّة قامتْ بمصْرَ فى جمْعٍ كثيرٍ جِدًّا ، وزحَفتْ إلى كنيسة المعلّقة بقصر الشمع ، فأغْلقها النصارى ، وهم محصورون بها ، وهى على أن تُؤْخذ .

فتزايَد غضبُ السّلطان وهمَّ أن يركبَ بنفْسه ويبْطش بالعامّة ، ثم تأَخَّر لمّا راجعَه الأميرُ إيدغمش ، ونزل من القلعة فى أربعةٍ من الأُمراء إلى مصر ، وركب الأميرُ بيبرس الحاجب ، والأمير ألماس الحاجب ، إلى موْضع الحفْر ، وركِبَ الأميرُ طينَال إلى القاهرة ، وكلٌّ منْهم فى عدّةٍ وافرةٍ ، وقد أمر السّلطانُ بقتْل مَن قَدرُوا عليه من العامّة ، بحيْث لا يعْفُو عن أحدٍ ، فقامت القاهرةُ ومصرُ على ساقٍ ، وفرّت النهّابة ، فلم يظفر الأمراءُ منْهم إلَّا بمَنْ عجزَ عن الحرَكة ، بما غلبه من السُّكْر بالخمْر الّذى نهبَه مِنَ الكنائِس ، ولحقَ الأميرُ إيدغمش بمصْر - وقد رَكِبَ الوالى إلى « المعلّقة » قبل وصولهِ - ليُخْرج من زقاق « المعلقة » من حضر للنّهب ، فأخذه الرّجْم ، حتى فرَّ منهم ، ولم يبقَ إلَّا أن يُحْرَق بابُ الكنيسة ، فجرَّد إيدغمش ومَنْ معهُ السيوف ، يريدون الفتك بالعامة / فوجدوا عالَماً لا يقَع عليْه حصْر ، وخافَ سوءَ العاقبة ، فأَمْسكَ عن القتل ، وأمرَ أصحابه بإرجاف[3] العامة من غير إهراق دمٍ ، ونادى مناديه : مَنْ وقفَ حلّ دمُه . ففرَّ سائرُ من اجتمع من العامة وتفرَّقوا ، وصار إيدغمش واقفاً

(٩٩)

(١) أمير آخور : وظيفة يقوم صاحبها بالإشراف على اصطبلات السلطان ، أو الأمير . ورعاية ما فيها من خيول وحيوانات (دكتور محمد مصطفى زيادة - السلوك ٤٣٨/١ حاشية ٣) .
(٢) **الأوشاقية أو الأوجاقية** : فرقة من خدم السلطان يقومون على رياضة خيله وتسييرها .
(٣) **إرجاف العامة** : تخويفهم دون إراقة دماء . **رجف فلان** : لم يستقر لخوف عرض به .

إلى أن أذّن العصْر ، خوفاً من عوْدِ العامة ، ثم مضى وألزم والى مصر أن يَبِيتَ بأعوانه هناك ، وترك معه خمسين من الأُوشاقية .

وأما « الأمير ألماس » فإنه وصل إلى كنائس الحمراء وكنائس الزهريّ ليتداركها ، فإذا بها قد بقيَتْ كيماناً ، ليس بها جدارٌ قائم ، فعادَ وعادَ الأمراءُ فردّوا الخبرَ على السّلطان ، وهو لا يزْدادُ إلّا حنْقاً ، فما زالوا به حتى سكن غضبه .

وكان الأمر فى هدم هذه الكنائس عجباً من العَجب .. وهو أن الناسَ لما كانوا فى صلاة الجمعة من هذا اليوم ، بجامع قلعة الجبل [1] فعندما فرغوا من الصلاة ، قام رجلٌ مولّه [2] وهو يصيحُ من وسطِ الجامع : اهدموا الكنيسةَ الّتى فى القلعة . اهدموها . وأكثر من الصياح المزْعِج ، حتى خرج عن الحدّ ، ثم اضْطربَ ، فتعجّب السّلطانُ والأمراءُ من قوْله ، ورُسم لنقيب الجيوش والحاجب بالفحْص عن ذلك ، فمضيا من الجامع إلى خرائب التّتر مِن القلعة ، فإذا فيها كنيسةٌ قد بُنِيتْ ، فهدَمُوها ، ولمْ يفْرغوا من هدْمِها حتّى وصلَ الخبرُ بواقعةِ كنائِس الحمْراء والقاهرة ، فكثر تعجّب السّلطان من شأن ذلك الفقير ، وطُلِبَ فلم يوقَف له على خَبَر .

واتفق أيضاً « بالجامع الأزهر » أن الناسَ لما اجْتمعوا فى هذا اليوْم لصلاةِ الجمعة ، أخذ شخْصاً من الفقراء مثلُ الرِّعْدة ، ثم قام بعدما أُذّن قبل أن يخرجَ الخطيبُ ، وقال : اهدموا كنائِس الطغيان والكفَرة . نَعَم . الله أكبر . فتح الله ونصر .. وصار يزْعِجُ نفْسَه ويصْرخ من الأساس إلى الأساس . فحدّق الناسُ بالنظر إليْه ولم يدْرُوا ما خبَره ، وافترقوا فى أمره

---

(١) أنشأ هذا الجامع الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة ٧١٨هـ . راجع فى وصفه (خطط على مبارك ٥/ ١٧٩) .

(٢) **مولّه** : يعنى « مجذوب » .

فقائل: هذا مجنون، وقائل: هذه إشارة لشىء.. فلمّا خرجَ الخطيبُ / (١٠٠) أمْسكَ عن الصِّياح. وطُلبَ بعدَ انقضاء الصلاة فلم يُوجَد. وخرجَ الناسُ إلى بابِ الجامع فرَأَوْا النهَّابة ومعهم أخشاب الكنائس، وثياب النصارى، وغير ذلكَ من النهوب! فسألوا عن الخبرَ؟ فقيل: قد نادى السّلطانُ بخرابِ الكنائس! فظنّ الناسُ الأمرَ كما قيل، حتّى تبيّن بعدَ قليل أن هذا الأمر إنما كان من غير أمرِ السلطان.

وكان الّذى هُدِّم فى هذا اليوم من الكنائس بالقاهرة: كنيسةً بحارة الرُّوم، وكنيسة بالبندقانيين، وكنيستين بحارة زويلة.

وفى يوم الأحد الثالث من يوم الجمعة الكائن فيه هدْمُ كنائس القاهرة ومصر، ورد الخبرُ من الأمير بدر الدين بيلبك المحسنى والى الإسكندرية، بأنه لما كان يوم الجمعة تاسع ربيعِ الآخر بعد صلاة الجمعة، وقع فى الناس هرْجٌ، وخرجوا من الجامع، وقد وقع الصِّياح: هدِّمتْ الكنائس. فركبَ المَمْلوك من فوْره، فوجدَ الكنائسَ قد صارت كوماً! وعدّتها أربع كنائس.

وأن بطاقةً وُقِّعت من والى البحيرة بأن كنيستَيْن فى دمنهور هُدِمتا، والناس فى صلاة الجمعة من هذا اليوم، فكثُر التعجُّب من ذلك.

إلى أن ورَد فى يوم الجمعة، سادس عشرة الخبرُ من مدينة قوص، بأنّ الناسَ عِنْدما فرَغُوا من صلاة الجمعة فى اليوم التاسع من شهر ربيع الآخر، قام رجلٌ من الفقراء وقال: يا فقراءُ، اخرجوا إلى هَدْم الكنائس. وخرج فى جمْعٍ من النّاس، فوجدوا الهدْم قدْ وقعَ فى الكنائِس، فهدِّمت ستُّ كنائس كانت بقوص وما حولها، فى ساعةٍ واحدة.

وتواتر الخبرُ من الوجْه القبْلى، والوجْه البحرىّ بكثرة ما هُدِّم فى هذا اليوم، وقت صلاة الجمعة وما بعدها، من الكنائس والأديرة فى جميع إقليم مصر كله، ما بين قوص والإسكندرية، ودمياط. فاشتدّ حنْقُ السّلطان على

العامّة ، خوفاً من فساد الحال ، وأخذَ الأمراءُ فى تسكين غضَبِه ، وقالوا : هذا / الأمرُ ليْس من قُدْرة البشَر فِعْله ! ولو أراد السّلطانُ وقوعَ ذلكَ علَى هذِه الصّورة لما قدَر عليْه ! وما هذا إلَّا بأمر الله سبحانه وبقدَره ؛ لِمَا عِلمَ من كثْرة فسادِ النّصارى ، وزيادةِ طُغْيانهم ؛ ليكون ما وقعَ نِقْمةً وعذاباً لهم . (١٠١)

هذا ، والعامّة بالقاهرة ومصر قد اشتدّ خوفُهم من السّلطان ؛ لمَا كَانَ يبْلغهم عنْه من التّهديد لهم بالقتل ، ففرَّ عِدّةٌ من الأوباش والغوغاء ، وأخذَ القاضى فخرُ الدّين ، ناظر الجيشِ فى ترْجيع السّلطانِ عن الفتْك بالعامّة ، وسياسةِ الحالِ معه . وأخذَ كريمُ الدين الكبير . ناظر الخاص ، يغْرِيه بِهمْ إلى أن أخْرجه السّلطان إلى الإسكندرية ؛ بسبب تحْصيل المال ، وكشْف الكنائس الّتى خُرِّبت بها .

* * *

(١) راجع فى أسباب ذلك صفحة ١٢٤ وما بعدها .. من هذا الكتاب .

[حريق القاهرة سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م]

فلم يمْض سِوى شهْرٍ من يوم هدم الكنائس حتى وقعَ الحريقُ بالقاهرة ، ومصر ، فى عدّة مواضع ، وحصَل فيه من الشَّناعةِ أضعافُ ما كانَ مِن هدْم الكنائس .

فوقع الحريقُ فى رَبع [1] بخطّ الشوّايين من القاهرة ، فى السبْتِ عاشر جمادى الأولى ، وسرَت النارُ إلى ما حوْله ، واستمرت إلى آخر يوْم الأحد ، فتلَفَ فى هذا الحرِيق شىءٌ كثير .

وعندما أُطفئ وقع الحريقُ بحارةِ الدّيلم [2] ، فى زقاقِ العرِيسة ، بالقرب من دُورِ كريم الدين ناظر الخاص ، فى خامس عشرى جمادى الأولى ، وكانت ليلةٌ شديدةُ الرّيح ، فسرَتْ النّارُ من كلّ ناحية ، حتى وصلتْ إلى بيت كريم الدين ، وبلغَ ذلك السّلطان فانْزعج انْزِعاجاً عظيماً ؛ لما كانَ هناكَ من الحواصِل السّلطانية ، وسيّرَ طائفةً من الأمراء لإطفائه ، فجمعوا الناسَ لإطفائه ، وتكاثرُوا عليْه ، وقدْ عَظُم الخطْبُ من ليلةِ الاثنين إلى ليلةِ الثّلاثاء ، فتزايدَ الحالُ فى اشتعالِ النارِ ، وعجز الأمراءُ والناسُ عن إطفائها ؛ لكثرة انتشارها فى الأماكن ، وقوّة الريح الّتى ألقتْ باسقاتِ النّخل ، وغرّقت المراكب ، فلم يشكّ الناسُ فى حريقِ القاهرة كلّها ! / وصعدوا (١٠٢) المآذن ، وبرز الفقراءُ وأهل الخير والصلاح ، وضجّوا بالتكبير والدعاء ، وجأروا ، وكثُرَ صراخ الناس وبكاؤُهم ، وصعد السّلطانُ إلى أعلى القصْر ، فلم يتمالَك الوقوفَ من شدّة الرّيح ، واستمر الحريقُ .. والاستحثاثُ يرِدُ

---

(١) الربع : الحىّ . يبنى فى الدور الثانى المسكن والدور الأول حوانيت ، وله باب .

(٢) حارة الديلم : سميت بذلك لنزول الديلم والأتراك بها سنة ٣٦٨هـ (خطط المقريزى ٢ / ٨) .

على الأمراء من السّلطان فى إطفائه إلى يوم الثلاثاء، فنزل نائبُ السّلطانِ ومعه جميعُ الأمراء وسائر السقّائين، ونزل الأمير « بكتمر » الساقى، فكان يوماً عظيماً لم يَرَ الناسُ أعظم منْه ولا أشد هوْلاً! ووكّل بأبواب القاهرةِ مَنْ يردُّ السقّائين إذا خرجُوا من القاهرة؛ لأجل إطفاء النّار، فلم يبق أحدٌ من سقّائى الأمراء، وسقّائى البلد، إلَّا وعَمِل، وصارُوا ينْقلون الماءَ من المدارِس والحمّاماتِ، وأُخِذَ جميعُ النجّارين، وسائر البنّائين لهدْم الدُّور، فهُدِم فى هذه النّوْبة ما شاء الله من الدور العظيمة، والرّباع الكبيرة، وعَمِل فى هذا الحريق أربعةٌ وعشرون أميراً من الأمراء المقدَّمين، سوى مَنْ عداهم من أمراء الطبْلخانات [1]، والعشراوات، والمماليك، وعمل الأمراءُ بأنفسهم فيه، وصار الماءُ من باب زويلة إلى حارة الدّيلم فى الشارع بحراً من كثْرة الرّجال والجمال التى تحمل الماءَ، ووقفَ الأمير « بكتمر الساقى » والأمير « أرغون النائب » على نقل الحواصِل السّلطانية مِن بيْت كريم الدّين إلى بيت وَلَدِه بدرْب الرّصاصِى، وخرَّبوا ستّةَ عشَر داراً من جِوارِ الدّار وقُبَالتها، حتّى تمكّنوا من نقْل الحواصِل، فما هو إلَّا أن كَمُلَ إطفاءُ الحريقِ، ونقْل الحواصِل.

وإذا بالحريق قدْ وقع فى رَبْع الظّاهر، خارج باب زويلة، وكان يشْتَمل على مائة وعشرين بيتاً، وتحته قيْساريةٌ، تعرف بقيسارية الفقراء، وهبّ معَ الحرِيق ريحٌ قوّية، فركب الحاجِب، والوالى لإطفائه، وهدّموا عدّةَ دورٍ منْ حوْله حتّى انطفأ.

فوقع فى ثانى يوم حريقٌ بدارِ الأمير « سلار » فى خط بين القصْرين، ابتدأ من الباذهنج، وكان ارتفاعه / عن الأرض مائة ذراع بالعمل، فوقعَ (١٠٣)

---

(١) **أمير طبلخانة**: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف فى مصر المملوكية، وسمى « أمير طبلخانة » لأحقيته فى دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلاطين، (دكتور محمد مصطفى زيادة - السلوك ٢٣٩/١ حاشية ١).

الاجتهادُ فيه حتى أُطفئ ، فأمر السّلطانُ « الأمير علم الدين سنجر الخازن » والى القاهرة و « الأميرَ ركن الدين بيبرس » الحاجب بالاحتراز واليقَظة ، ونودِى بأن يُعْمل عندَ كلّ حانوتٍ دنٌّ فيه ماءٌ أو زيرٌ مملوءٌ بالماء ، وأن يُقام مثلُ ذلكَ فى جميعِ الحاراتِ ، والأزقة ، والدّروب ، فبلغ ثمن كلّ دنٍّ خمسة دراهم بعد درهم ، وثمن الزِّير ثمانية دراهم .

ووقع حريقٌ بحارة الرُّوم ، وعدّة مواضع ، حتى إنه لم يخلُ يومٌ من وقوعِ الحريقِ فى موضعٍ !

فتنبّه الناسُ لما نزلَ بِهم ، وظنّوا أنه مِنْ أفعالِ النّصارى ، وذلك أن النّارَ كانت تُرَى فى منابِرِ الجوامعِ ، وحيطانِ المساجدِ ، والمدارس .. فاستعدُّوا للحريق ، وتتبّعوا الأحوال ، حتى وجدُوا هذا الحرِيق من نفْطٍ قد لَفّ عليه خِرق مبْلولَة بزيت ، وقطران .

فلما كان ليلة الجمعة النصف من جمادى ، قُبِض علَى راهِبَيْنِ ، عِنْدما خرَجا من المدْرسة الكهارية[1] بعد العشاء الآخرة ، وقد اشتعلت النار فى المدْرسة ، ورائحة الكِبْريت فى أيديهما ، فحُمِلا إلى الأمير علم الدين الخازن والى القاهرة ، فأعلم السّلطان بذلكَ ، فأمر بعقوبتهما ، فما هو إلا أن نزَلَ من القلْعةِ ، وإذا بالعامّة قدْ أمسكوا نصرانياً وُجِد فى جامع الظّاهر[2]، ومعه خِرَقٌ على هيئة الكعْكة ، فى داخلها قطرانٌ ونفْط ، وقدْ ألقَى منْها واحدة بجانب المنْبر ، وما زالَ واقفاً إلى أنْ خرجَ الدّخان ، فمشَى يريد الخروجَ من الجامِع ، وكانَ قدْ فَطِن به شخصٌ ، وتأمّله من حيث لم يشعر به النصرانى ، فقَبضَ عليه ، وتكاثرَ الناسُ فجرُّوه إلى بيْت الوالى ، وهو بهيْئَة المسْلمين ،

(١) **المدرسة الكهارية** . فى درب الكهارية بجوار حارة الجودرية .. المسلوك إليه من القماحين . ويتوصل إلى المدرسة (خطط المقريزى ٢/ ١٤) .

(٢) قال المقريزى : هذا الجامع خارج القاهرة بالحسينية أنشأه الملك الظاهر بيبرس البندقدارى العلائى سنة ٦٦٥هـ وقد خرب هذا الجامع . راجع (خطط على مبارك ١٠١/٥ - ١٠٤) .

فعوقب عنْد الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، فاعترفَ بأن جماعةً من النّصارى قد اجتمعُوا علَى عَمِل نَفْط وتفْريقِه مع جماعةٍ من أتباعهم ، وأنه مِمّن أُعطى ذلك ، وأمِر بوضعه عند منْبر جامع الظاهر ، ثم أمر بالراهبَيْن فعوقِبا ، فاعترفا أنهما من سكّان « دير البغل »[1] / وأنهما هما اللّذان أحرقا (١٠٤) المواضعَ الّتى تقدّم ذكْرها بالقاهرة ! غيرةً وحنَقاً من المسلمين ، لما كان من هدْمهم للكنائس ، وأن طائفة النّصارى تجمّعوا وأخرجوا من بيْنهم مالاً جزيلاً لعمل هذا النفط ! واتفق وصولُ كريم الدّين ناظر الخاص من الإسكندرية ، فعرّفه السلطانُ ما وقعَ من القبْضِ علَى النّصارى . فقال : النّصارى لهم بطركٌ يرجعون إليه ، ويعْرِف أحوالهم . فرسم السلطانُ بطلبِ البطْركِ عند كريم الدّين ؛ ليتحدّث معه فى أمر الحريق ، وما ذكره النصارى من قيامهم فى ذلك ، فجاءَ فى حمايةِ والى القاهرةِ فى الليل ؛ خوفاً من العامّة ، فلما أنْ دخل بيتَ كريم الدين بحارة الديْلم ، وأحضرَ إليه الثّلاثة النصارى مِنْ عند الوالى ، قالوا لكريم الدّين بحضرة البطْرك والوالى : جميعَ ما اعترفوا به قبل ذلك ! فبكى البطركُ عندما سمع كلامَهم ، وقال : هؤُلاء سفهاءُ النّصارَى ، قصدوا مقابلة سفهاء المسلمين على تخريبهم الكنائس .. وانصرفَ من عنْد كريم الدين مبجّلاً مكرّماً ، فوجد كريمُ الدّين قد أقام له بغْلةً على بابهِ ليركبهَا ، فركِبها وسار . فعظُم ذلِك علَى النّاس ، وقامُوا عليْه يداً واحدة ، فلولا أن الوالى كان يسايِره وإلاّ هلَك . وأصبحَ كريمُ الدّين يريد الركوبَ إلى القلعة على العادة ، فلما خرَج إلى الشارع صاحتْ به العامّة : ما يحلُّ لكَ يا قاضِى تحامى للنّصارى ، وقدْ أحرقوا بيوت المسلمين ،

---

(١) **دير البغل** : هو « دير القصير » من أديرة الكاثوليك النصارى شرقىّ « طرا » ويعرف بـ « دير البغل » من أنه كان بغل يستقى عليه الماء ، فإذا أخرج من الدير أتى إلى المردة ، وهناك من يملأ عليه ، فإذا فرغ من الماء تركه فيعود إلى الدير ، وفى رمضان سنة ٤٠٠هـ أمر « الحاكم بأمر الله » بهدمه ، فهدم . راجع صفحة (١٥٠ - ١٥٣) من هذا الكتاب .

وتُركِبهم بعد هذا البغال ؟! فشقّ عليه ما سَمِع ، وعظمت نِكايته ، واجتمع بالسلْطان ، فأخذ يهوّن أمرَ النصارَى المَسوكين ، ويذكر أنهم سفهاءُ وجهال ، فرسم السلطانُ للوالى بتشْديدِ عقوبتهم ، فنزلَ وعاقبَهم عقوبةً مؤْلمة ، فاعترفوا بأنَ أربعة عشر راهباً « بدير البغْل » قد تحالفُوا على إحراق ديار المسْلمين كلّها ، وفيهم راهبٌ يصْنع النفْط . وأنهم اقتسموا القاهرة ومصر ، فجعل للقاهرة ثمانية ، ولمصر ستة . فكُبس « ديرُ البغْل » / وقُبِض (١٠٥) علَى مَنْ فيه ، وأُحْرِق من جماعته أربعة ، بشارع صليبة جامع ابن طولون [١] ، فى يوْمِ الجمعة ، وقد اجتمع لمشاهدتهم عالمٌ عظيمٌ فَضَرِى [٢] من حينئذ جمهور الناس على النصارى وفتكوا بهم ، وصاروا يسْلبُون ما عليهم من الثياب ، حتى فحشَ الأمر وتجاوزوا فيهم المقدار ، فغضِبَ السلطانُ مِن ذلك ، وهمّ أن يوقع بالعامّة ، واتّفق أنه ركِبَ من القلْعة يريد الميدان الكبير ، فى يوم السبت ، فرأَى من الناس أمماً عظيمة ، قد ملأت الطرقات ، وهم يصيحون : نصرالله الإسلام . انصر دينَ محمّد بن عبدالله .. فخرج من ذلك ، وعندما نزلَ الميدانَ أحضرَ إليْه الخازنُ نصْرانيَّيْن قد قُبِض عليْهما ، وهما يحرِّقان الدورَ ، فأمرَ بتْحريقهما ، فأُخرجا وعُمِل لهما حُفْرةً وأحرقا بمرأى من الناس ، وبينا هم فى إحراق النصرانيَّيْن إذَا بكاتِب ديوانِ الأمير بكْتمر السّاقى قد مرَّ يريد بيت الأمير بكتمر ، وكان نصرانياً ، فعندما عاينه العامَّة ألقَوه عن دابّته إلى الأرْض ، وجرّدوه من جميع ما عليْه من الثّياب ، وحملوُه ليُلْقوه فى النّار ، فصاح بالشهادتين ، وأظهر الإسلام ، فأُطلق ، واتَّفق مع هذا مرور كريم الدين ، وقد لبَس التّشريفَ من الميدان ، فرجمه مَنْ هنالِك رجماً متتابعاً وصاحوا به : كم تحامى للنّصارى وتشد معهم ؟! ولعنوه وسبّوه ، فلم يجد بداً من العودِ إلى السّلطان وهو بالميدان ، وقدْ

---

(١) موضع هذا الجامع يعرف بجبل يشكر . راجع (الخطط التوفيقية ٩٦/٤ - ١٠٢) .
(٢) ضَرى : اشتدّ . ومعناه : اشتد غضب جمهور الناس على النصارى .

اشتدّ ضجيجُ العامّة وصياحُهم ، حتّى سمَعهم السلطانُ ، فلما دخلَ عليْه وأعلمه الخبَر امتلأ غضباً ، واستشار الأمراء ، وكان بحضرته منهم الأمير جمال الدّين نائب الكرك ، والأمير سيف الدين البوبكرى ، والخطيرى ، وبكتمر الحاجب ، فى عدة أُخرى .

فقال الأبوبكرى : العامّةُ عمّى . والمصلحة أن يخرج إليهم الحاجب ويسأَلهم عن اخْتيارهم حتى يُعلَم ، فكَرِه هذا من قوله السلطان ، وأعرضَ عنْه .

فقال نائب الكرك : كلُّ هذا من أجْلِ الكتّاب / النّصارى ؛ فإنّ النّاسَ (١٠٦) أبغضوهم ، والرأى : أن السلطانَ لا يعْمل فى العامّة شيئاً ، وإنّما يعزل النّصارى من الدِّيوان . فلم يعْجبه هذا الرأْى أيضاً .

وقال للأمير ألماس الحاجب : امْضِ ومعك أربعةٌ من الأمراء ، وضع السّيفَ فى العامّة من حين تخْرج من بابِ الميدانِ إلى أن تصل إلى باب زويلة ، واضْرِب فيهم بالسّيف منْ باب زويلة إلى باب النّصر ، بحيث لا ترْفعُ السّيفَ عن أحدٍ البتّة .

وقال لِوالى القاهرة : « اركبْ إلى باب اللّوق ، وإلى باب البحر ، ولا تدع أحدا حتى تقبضَ عليْه وتطلّع به إلى القلعة . ومتى لم تحضر الذين رجمُوا وكيلى - يعنى كريم الدين - إلّا وحياة رأْسى شنَقْتُك عوضاً عنهم » . وعيّن معهُ عدّةً من المماليك السّلطانية ، فخرج الأمراءُ بعد ما تلكّئوا فى المسير ، حتّى اشتهرَ الخبرُ ، فلم يجدُوا أحداً مِنَ النّاس ، حتى ولا غِلْمان الأمراء وحواشيهم . ووقع القولُ بذلك فى القاهرة ، فغَلَتْ الأسواق جميعُها ، وحلّ بالناس أمرٌ لم يُسْمع بأشدّ مِنْه ، وسار الأمراءُ ، فلم يجدوا فى طُول طرِيقهم أحداً إلى أن بلغوا باب النصر .

وقبض الوالى من باب اللوق ، وناحية بولاق ، وباب البحر كثيراً من

الكلابزية[1] والنواتيّة[2] وأسقَاط النّاس. فاشتد الخوفُ وعدَّى كثيرٌ من الناس إلى البر الغربي بالجيزة. وخرج السلطانُ من الميدان، فلم يجد في طريقه - إلى أن صَعِد قلْعة الجبل - أحداً من العامّة، وعندما استقرَّ بالقلْعة سيَّر إلى الوالي يستعجلُ حضورَه، فما غربت الشمْسُ حتى أُحضر مِمّن أُمْسِكَ من العامّة نحو مائتي رجل، فعزلَ منْهم طائفةً أمر بشنقهم! وجماعة رسم بتوسيطهم! وجماعة رسم بقطع أيديهم! فصاحوا بأجمعهم: يا خوند[3]، ما يحلّ لك، ما نحن الذين رجمْنا. فبكى الأمير بكتمر الساقي ومن حضر من الأمراء رحمةً لهم، وما زالوا بالسلطان إلى أن قالَ للوالي: اعزلْ منهم جماعةً. وانْصُب / الخشبَ من باب زِويلة إلى تحت (١٠٧) القلعة بسوقِ الخيْل وعلّق هؤلاء بأيديهم. فلما أصبح يوم الأحد علّق الجميع من باب زويلة إلى سوق الخيل، وكان فيهم من له بزَّةٌ وهيئة، ومرّ الأمراءُ بهم فتوجَّعوا لهم، وبَكُوا عليهم، ولم يفتح أحدٌ من أرباب الحوانيت بالقاهرة ومصر في هذا اليوم حانوتاً، وخرج كريمُ الدين من دَارِه يريد القلعةَ على العادة، فلم يستَطِع المرورَ على المصلوبين، وعدَلَ عن طريق باب زويلة، وجلس السلطانُ في الشبّاك وقد أُحْضر بين يديه جماعةٌ ممن قَبض عليْهم الوالي، فقطع أيدي وأرجل ثلاثةً منهم. والأمراءُ لا يقدرون على الكلام معهُ في أمرهم؛ لشدة حنْقه، فتقدّم كريم الدين وكشفَ رأْسَه وقبّل الأرض وهوَ يسْأَل العفوَ. فقَبِل سؤالَه، وأمر بهم أن يَعْملوا في حفير الجيزة، فأُخْرجوا، وقد مات مِمّن قُطِع أيديهم اثنان! وأنزلَ المعلّقون مِن علَى الخشَب.

---

(١) **الكلابزية**: اللصوص.

(٢) **النواتية**. جمع نوتي: الملاح والذى يعمل في البحر.

(٣) **خوند**: كلمة فارسية، تطلق على السيد في قومه. راجع (الخطط التوفيقية ٩/ ٣٥، والألقاب الإسلامية ٢٨٠).

وعندما قام السلطانُ من الشبّاك وقع الصوتُ بالحريق فى جهة جامع ابن طولون ، وفى قلعة الجبل ، وفى بيت الأمير ركن الدين الأحمدىّ بحارة بهاء الدين ، وبالفندق ، خارج باب البحر من المقس وما فوقه من الرّبع .

وفى صبيحة يوم هذا الحريق قبض على ثلاثة من النصارَى وُجِد معهم فتائل النّفط . فأحضِروا إلى السلطان واعترفوا بأن الحريقَ كان منْهم . واستمرَّ الحريقُ فى الأماكن إلى يوم السبت .

فلما ركب السلطانُ إلى الميدان على عادته ، وجدَ نحو عشرين ألف نفس من العامة قد صبَغُوا خِرقاً بلونٍ أزرق ، وعمِلوا صُلباناً بيضاءَ ، وعندما رأوا السلطان صاحوا بصوت واحد : لا دِينَ إلاَّ دين الإسلام ، نصر الله دين محمّد بن عبد الله ، يا ملك الناصر ، يا سلطان الإسلام ، انصرنا على أهل الكفر ، ولا تنصر النصارى .. فارتجت الدّنيا من هول أصواتهم ، وأوقعَ اللَّهُ / الرّعْب فى قلْبِ السّلطان وقلُوب الأمراء ، وسار وهو فى فِكْرٍ زائدٍ حتى (١٠٨) نزلَ بالميْدان ، وصراخ العامةِ لا يبطّل ، فرأى أنّ الرأْىَ فى استعمال المُداراةِ ، وأمرَ الحاجبَ أن يَخْرج وينادِى بيْنَ يديْه : مَنْ وجدَ نصرانيًا فله مالَه ودَمه ، فخرجَ ونادَى بذلك ، فصاحت العامّةُ وصرخَتْ : نصركَ الله . وضجُّوا بالدعاء .

وكان النّصارى يلبسون العمائم البيضَ ، فنودِىَ فى القاهرةِ ومصْر : منَ وجَد نصرانياً بعمامةٍ بيضاء حلَّ له دمه وماله . ومَن وجد نصرانياً راكباً ، حلَّ لهُ دمه ومالهُ .

وخرج مرسوم بلبْسِ النّصارى العمامةَ الزّرقاء ، وألّا يركبَ أحدٌ منهم فرساً ولا بغلاً ، ومن ركِبَ حماراً فليرْكبه مقلوباً ، ولا يدْخل نصرانىٌّ الحمّامَ إلّا وفى عنقه جرَس ، ولا يتزيّا أحدٌ منهم بزىّ المسلمين ، ومنع الأمراء من استخدام النّصارى ، وأُخرِجوا من ديوانِ السّلطان ، وكتبَ لسائِر الأعمال بصرْفِ جميعِ المباشِرين من النّصارى ، وكثر إيقاع المسلمين

بالنّصارى ، حتّى تركوا السَّعْىَ فى الطّرقات ، وأسلمَ منهم جماعةٌ كثيرةٌ ، وكانَ اليهودُ قدْ سُكِتَ عنْهم فى هذه المدّة ، فكان النصرانىّ إذا أراد أن يخْرج مِن منْزله يستعيرُ عمامةً صفراء مِن أحد اليهود ويلْبسها ، حتّى يسلم من العامّة ، واتّفق أنّ بعضَ دواوين النّصارى كان له عند يهودىّ مبلغ أربعة آلاف درهم نقرة ، فصار إلى بيْت اليهودىّ وهو متنكّرٌ فى الليْل لِيطالبَه ، فأمسَكهُ اليهودىّ وقال : أنا بالله وبالمسْلمين . وصاح ، فاجتمع الناسُ لأخْذ النصرانىّ ، ففرَّ إلى داخل بيت اليهودىّ ، واستجارَ بامرأتِه ، وأشْهد عليهِ بإبْراء اليهودىّ حتّى خَلُص منْه .

وعُثِر على طائفةٍ من النّصارى « بدير الخندق »[1] يعملون النّفْط لإحراق الأماكن ، فقُبِض عليْهم وسُمِّروا ، ونودِىَ فى النّاس بالأمان ، وأنهم يتفرّجون علَى عادتهم عند ركوب السّلطانِ إلى الميْدان ، وذلك أنّهم كانوا تخوَّفوا على أنفسهم ؛ لكثْرةِ ما / أوْقعوا بالنّصارى ، وزادوا فى الخروج عن الحدّ ، فاطمأنّوا وخرجوا على العادة إلى جهةِ الميْدان ، ودعوا للسّلطان ، وصاروا يقولون : نصركَ اللّهُ يا سلطان الأرض .. اصطلحْنا اصْطَلحْنا . وأعجَب السّلطانُ ذلكَ وتبسّمَ مِنْ قولهم . (١٠٩)

وفى تلْك الليْلة وقع حريقٌ فى بيْت « الأمير ألماس » الحاجب من القلعة . وكان الريحُ شديداً ، فقويّت النارُ وسرَتْ إلى بيْت « الأمير أيْتَمش » فانزعجَ أهل القلْعة وأهلُ القاهرة ، وحَسِبوا أن القلْعة جِميعَها احترقت .

ولم يُسْمع بأَشنع من هذه الكائنة .

---

(١) **دير الخندق** : ظاهر القاهرة من بحريها . عمره القائد جوهر الصقلى عوضاً عن دير هدمه فى القاهرة ، ونقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق . راجع صفحة (١٧٣) من هذا الكتاب .

فإنّه احترقَ على يدِ النّصارى بالقاهرة :

١ - رَبْع فى سوق الشوَّايين .

٢ - وزقاق العريسة بحارة الديلم .

٣ - وستة عشَر بيتاً بجوارِ بيْت كريم الدّين .

٤ - وعدّة أماكن بحارة الروم .

٥ - ودارَ بهادِر ، بجوار المشهد الحسينى .

٦ - وأماكن باصطبْل الطّارمة ، وبدرْب العَسل .

٧ - وقصْر أمير سِلاح .

٨ - وقصر سلار ، بخطّ بيْن القصْرين .

٩ - وقصر بيْسرى .

١٠- وخان الحجر .

١١- والجملون .

١٢- وقيسارية الأدم .

١٣- ودار بيبرس بحارة الصّالحية .

١٤- ودار ابن المغْربى ، بحارة زويلة .

١٥- وعدة أماكن بخطّ بئْر الوَطاويط .

١٦- وبالحِكْر .

١٧- وفى قلعة الجبل .

١٨- وفى كثيرٍ من الجوامِع والمساجِد إلى غيْر ذلكَ من الأماكِن بمصْرَ والقاهرة ، يطولُ عدَدُها .

* * *

وخرِّب من الكنائس :

١ – كنيسة بخرائب التتر من قلْعة الجبل .

٢ – وكنيسة الزهريّ فى الموضع الّذى فيهِ الآن البرْكة الناصرية .

٣ – وكنيسة الحمراء .

٤ – وكنيسة بجوار السبَع سقّايات ، تعرف بكنيسة البنات .

٥ – وكنيسة أبى المينا .

٦ – وكنيسة الفهادين بالقاهرة .

٧ – وكنيسة بحارة الروم .

٨ – وكنيسة بالبندقانيّين .

٩ – وكنيستان بحارة زويلة .

١٠– وكنيسة بخزانة البنود .

١١– وكنيسة بالخندق .

١٢– وأربع كنائس بثَغْر الإسكندرية .

١٣– وكنيستان بمدينة دمنهور الوحش .

١٤– وأربع كنائس بالغربية .

١٥– وثلاث كنائس بالشرقيّة .

١٦– وست كنائس بالبهنساوية .

١٧– وبسيوط ، ومنفلوط ، ومنية الخصيب ثمان كنائس .

١٨– وبقوص وأسوان / إحدى عشْرة كنيسة . (١١٠)

١٩– وبالأطفَيحية كنيسة .

٢٠– وبسوق ورْدان من مدينة مصر ، وبالمصّاصة ، وقصر الشمْع من مصر ، ثمان كنائس .

٢١– وخرِّب من الديارات شيءٌ كثير .

٢٢– وأقام ديرُ البغل ، ودير شَهْران ، مدة ليس فيهما أحد .

وكانت هذه الخطوب الجليلة فى مدّةٍ يسيرة ، قلّما يقعُ مثْلُها فى الأزمان المَتطاولة !! هلك فيها من الأنفُس ، وتلَف فيها من الأموال ، وخرِّب من الأماكن ، ما لا يمْكِن وصْفُه لكثرته ، وللّه عاقبةُ الأمور !!

[كنائس الجانب الشرقى من النيل]

كنيسة ميكائيل

هذه الكنيسة كانت عند خليج بنى وائل، خارج مدينة مصر، قبليّ عقبة يحصب، وهى الآن قرية من جِشر الأفرم، أُحدثت فى الإسلام، وهى مليحة البناء.

كنيسة مريم

فى بساتين الوزير، قبليّ بركة الحبش[1]، خاليةٌ ليس بها أحد.

كنيسة مريم

بناحية العدوية[2] من قبْليّها قديمة، وقد تلاشت.

كنيسة أنطونيوس

بناحية بياض[3]، قبليّ إطفيح[4]، وهى محدثة.

وكان بناحية شَرْنوب عدة كنائس خرّبت، وبقى بناحية إهْرِيت الجبل[5] قبليّ بياض بيومين.

---

(١) **بركة الحبش**: أرض خلف القرافة عند الفسطاط.. تزرع فتكون خضراء، من أجمل متنزهات مصر، مشرفة على النيل. قال الشاعر:

لله يومٌ ببركة الحبش والأُفق فى الضياء والغبش

(معجم البلدان، والخطط التوفيقية).

(٢) **العدوية**: قرية قرب مصر على شاطئ النيل، شرقيه (معجم البلدان).

(٣) **بياض**: قرية قديمة مركز بنى سويف. تجاه بنى سويف، شرقى النيل، وهى عبارة عن كفور، أُغلب أهلها نصارى، ولذا تعرف بـ «بياض النصارى» (الخطط التوفيقية ١٠/ ٢٢١).

(٤) **إطفيح**: مدينة فى مصر الوسطى، فى أعالى الفيوم، على النيل.

(٥) **إهريت**: فى كورة الفيوم. مركز العجميين (الخطط التوفيقية ٨/١٠٢).

كنيسةالسيدة

بناحية أشكرو، على بابها برجٌ مبنيّ بلبِنٍ كبار، يذكَر أنه مؤضع وُلِد موسى بن عمران عليه السلام.

كنيسة مريم

بناحية الخُصوص[1]، وهى بيْتٌ فعمِلوه كنيسةً لا يعبأُ بها.

كنيسة مريم، وكنيسة يحنس[2] القصير، وكنيسة غبريال

هذه الكنائس الثلاث بناحية أبنوب .

كنيسة أسبوطير

ومعناه المخلّص، هذه الكنيسة بمدينة إخميم، وهى كنيسة معظّمة عندهم، وهى على اسم الشهداء، وفيها بئْر إذا جُعل ماؤُها فى / القِنديل، (١١١) صار أحمر قانياً كأنه الدم.

كنيسة ميكائيل

بمدينة إخميم أيضاً .

ومن عادة النصارى بهاتين الكنيستين إذا عملُوا عيد الزيتونة المعروف بعيد الشعانين أن يَخْرج القُسوس والشّمامسة، بالمجامر، والبُخور، والصلبان، والأناجيل، والشّموع المشْعَلة، ويقفوا على بابِ القاضى، ثم أبواب الأعيان من المسلمين، فيبخّروا ويقرءوُا فصْلاً من الإنجيل، ويطرحوا له طرحاً. يعنى: يمدحونه.

---

(١) الخصوص: قرية من أعمال الصعيد شرقى النيل.

(٢) «بخنس» فى الخطط. والقول الإبريزى.

كنيسة بوبخوم

بناحية « أتفه »[1] وهى آخر كنائس الجانب الشرقى .

وبخوم ويقال « بخوميوس » كان راهباً فى زمن بوشنوده ، ويقال له « أبو الشّركة » من أجل أنه كانَ يربِّى الرهْبان ، فيجْعل لكلّ راهبَيْن معلّماً ، وكان لا يُمكِّن من دخول الخمر ، ولا اللحم إلى ديره ، ويأْمُر بالصَّوْم إلى آخر التّاسعة من النهار ، ويطعم رهبانه الحمّص المصْلوق ، ويقال له عندهم « حمص القلة » وقد خرِّب ديره ، وبقيت كنيسته هذه « بأتفه » قبليّ إخميم .

[كنائس الجانب الغربى من النيل]

كنيسة مرقص الإنجيلى

بالجيزة ، خرِّبت بعد سنة ثمانمائة ، ثم عمِّرت.

ومرقص هذا أحد الحواريّين ، وهو صاحب كرسيّ مصر ، والحبشة .

كنيسة بوجرج

بناحية أبى النمرس من الجيزة ، هدِّمت فى سنة ثمانين وسبعمائة كما تقدم ذكرهُ ، ثم أُعيدت بعد ذَلك .

كنيسة شنوده

بناحية هربشت .

---

(١) **أتفه** : قبليّ إخميم . وتنطق « أدفا » و « أتفا » وهى غير « أدفو » التى بأقصى الصعيد (الخطط التوفيقية ٨/٤٤) .

كنيسة بوجرج

بناحية ببا[1]، وهى جليلة عنْدهم يأْتونها بالنذور، ويحلفون بها، ويحكون لها فضائل متعدّدة.

كنيسة ماروطا القديس

بناحية شمسطا[2].

وهم يبالغونَ فى مارُوطَا / هذا، وكان من عظماء رهْبانهم، وجَسده فى أنبوبة بدير بوبشاى، من بريّة شيهات، يزورونه إلى اليوم. (١١٢)

كنيسة مريم

بالبهنسا[3] ويقال: إنهُ كان بالبهنسا ثلاثمائة وستون كنيسة، خرِّبت كلها، ولم يبق بها إلَّا هذه الكنيسة لا غير.

كنيسة صمويل الراهب

بناحية شَبْرا.

كنيسة مريم

بناحية طنبدا[4] وهى قديمة.

كنيسة ميخائيل

بناحية طنبدا، وهى كبيرةٌ قديمة.

---

(١) ببا: قرية من محافظة بنى سويف على الشاطئ الغربى للنيل (الخطط التوفيقية ١٠/٣).

(٢) هكذا فى خطط المقريزى ٥١٧/٢ ولم أقف عليها فى سائر المصادر، ولعلها: سُمُسْطا: قرية بالصعيد من أعمال البهنسا، غربى النيل (معجم البلدان).

(٣) البهنسا: بالصعيد الأوسط بين منية ابن خصيب وبنى سويف إلى جهة الغرب، لها شهرة عظيمة فى عهد ملوك مصر قبل الإسلام.. وقد خربت واندثرت آثارها وغطتها الرمال، خلفها القرية الموجودة الآن والمسماة باسمها على الشاطئ الغربى من بحر يوسف محافظة المنيا (الخطط التوقيقية ١٠/٣)، وخطط المقريزى (٢٣٧/١).

(٤) طنبدا: قرية على جسر الجرنوس محافظة «المنيا» قرب مغاغة .. الكثير من سكانها نصارى (الخطط التوفيقية ٣/ ٤٤).

وكان هناك كنائس كثيرةٌ خرِّبت ، وأكثر أهل طنبدا نصارَى أصحابُ صنائع .

كنيسة الأبصْطُولى

أعنى الرسل ، بناحية إشنين[1] ، وهى كبيرة جدًّا .

كنيسة مريم

بناحية إشنين أيضاً ، وهى قديمة .

كنيسة ميخائيل .. وكنيسة غبريال

بناحية إشنين أيضاً .

وكان بهذه النّاحية مائة وستون كنيسة ، خرِّبت كلها ، إلَّا هذه الكنائس الأربع ، وأكثر أهل إشنين نصارى ، وعليهم الدّرَك فى الخفارة ، وبظاهرها آثار كنائس يعملون فيها أعيادهم منها : كنيسة بوجرج ، وكنيسة مريم ، وكنيسة ماروطا ، وكنيسة بربارة ، وكنيسة كفريل ، وهو جبريل عليه السلام .

وفى مُنية ابن خصيب[2] ستّ كنائس

كنيسة المعلقة ، وهى كنيسة السيدة . وكنيسة بطرس وبولص . وكنيسة ميكائيل . وكنيسة بوجرج . وكنيسة أنبابولا الطمويهىّ . وكنيسة الثلاث فتية .

وهم حنانيا . وعزاريا . وميصائيل . وكانوا أجناداً فى أيام بختنصر[3] ،

---

(١) **إشنين** : والعامة تقول : « إشنا » : قرية بالصعيد من أعمال البهنسا إلى جانب « طنبدا » غربى النيل ، ويسمى هذه و« طنبدا » : العروسين لحسنهما (معجم البلدان) .

(٢) **منية ابن خصيب** : مدينة مشهورة فى الصعيد الأدنى ، على الشط الغربى للنيل ، فى شمالى أسيوط (الخطط التوفيقية ١٦/ ٥١) . وفيها اليوم (جامعة المنيا) وهى محافظة عظيمة من محافظات مصر .

(٣) **بختنصّر** : ملك البابليين (٦٠٤ ق.م – ٥٦١ ق.م) أغار بحملاته على مصر ، وفتح أورشليم وأحرقها وأجلى اليهود إلى بابل .

فعبدوا الله تعالى خِفيةً ، فلما عثروا عليهم ، راودهم بختنصّر أن يرجعوا إلى عبادة الأصنام ، فامتنعوا من ذلك ، فسجنهم مدّةً ليرجعوا فلم يرجعوا ، فأَخرجهم وألقاهم فى النّار فلم تحرقهم / والنصارى تعظّمهم وإن كانوا قبل المسيح بدهر . (١١٣)

كنيسة بناحية طحا [١]

على اسم الحواريين الذين يقال لهم عندهم الرّسل .

كنيسة مريم

بناحية طَحا أيضاً .

كنيسة الحكِيمَيْن

بناحية منهرى .

لها عيدٌ عظيمٌ فى بشنْس يحضره الأسقُف، ويقام هناك سوق كبير فى العيد ، وهذان الحكيمان هما « قزمان » و « دميان » الراهبان .

كنيسة السيدة

بناحية بقرقاس [٢] ، قديمة كبيرة .

وبناحية ملوى [٣] : كنيسة الرسل ، وكنيستان خراب : إحداهما على

---

(١) **طَحَـا** ، فى عدة أماكن ، تعرف بما تضاف إليه ، والمراد بها : طحا العموديين من مدن الإقليم القبلى ، وكانت تحتوى على ٣٦٠ كنيسة وهدمت فى خلافة مروان .
وهى الآن قرية ، واقعة على تلول المدينة القديمة وهى من أعمال « المنيا » (الخطط التوفيقية ١٣/ ٢٩) .

(٢) **بقرقاس** .هى « أبو قرقاص » : بلدة من محافظة « المنيا » غربى النيل . (الخطط التوفيقية ١٠/ ١٢) .

(٣) **ملّوى** : مدينة قديمة بالصعيد الأوسط غربى النيل ، شمالى « منفلوط » وبها من الآثار ما يدل على أنها بنيت محل مدينة قديمة ، كانت فيها كنائس كثيرة (الخطط التوفيقية ١٥/ ١٧) .

اسم « بوجرج » والأخرى على اسم « الملك ميخائيل » .

وبناحية دلْجة[1] : كنائس كثيرة ، لم يبق منها إلا ثلاث كنائس : كنيسة السيدة ، وهى كبيرة ، وكنيسة شنوده . وكنيسة مرقوره . وقد تلاشَتْ كلُّها .

وبناحية صَنبو[2] : كنيسة أنبابولا . وكنيسة بوجرج .

وصنبو كثيرة النصارى .

وبناحية ببلاو[3] وهى بحريّ صنبو : كنيسة قديمة ، بجانبها الغربى ، على اسم جرجس .

وبها نصارى كثيرون فلاحون .

وبناحية دروط[4] : كنيسة ، وفى خارجها شبه الدير ، على اسم الراهب « سارا ماتون » وكان فى زمان « شنوده » وعمل أسقفاً وله أخبار كثيرة .

وبناحية بوق بنى زيد : كنيسة كبيرة على اسم « الرسل » ولها عيد .

وبالقوصية[5] : كنيسة مريم . وكنيسة غبريال .

وبناحية دمْشير : كنيسة الشهيد مرقوريوس ، وهى قديمة .

وبها عدّة نصارى .

---

(١) **دلجة** : قرية فى محافظة « أسيوط » عندها حدثت الواقعة بين محمد علي والمماليك سنة ١٨١٠م مركز « ملّوى » (الخطط التوفيقية ١١/١٨) .

(٢) **صنبُو** : قرية من قرى البهنسا بالصعيد (معجم البلدان) .

(٣) **ببلاو** : قرية غربى بحر يوسف بناحية « ملوى » محافظة « أسيوط » الكثير من سكانها نصارى (الخطط التوفيقية ٩/ ٤) .

(٤) **دروط** : عدة قرى فى مصر ، تعرف بما يضاف إليها ، والمراد بها : **دروط أشموم** : من الصعيد .

(٥) **القوصية** : بلدة ، من محافظة « أسيوط » مركز « منفلوط » شمالى النيل (الخطط التوفيقية ١٤/ ١٤٠) .

وبناحية أم القصور: كنيسة بويحنس[1] القصير، وهى قديمة.

وبناحية بلوط من ضواحى «منفلوط»[2] كنيسة ميخائيل، وهى صغيرة.

وبناحية البلاعزة من ضواحى منفلوط: كنيسة صغيرة، يقيم بها القسيس / بأولاده. (١١٤)

وبناحية شقَلْقيل[3]: ثلاث كنائس كبار قديمة إحداها على اسم «الرسل» وأخرى باسم «ميخائيل» وأخرى باسم «بومينا».

وبناحية منشأة النصارى[4]: كنيسة ميخائيل.

وبمدينة سيوط[5]: كنيسة بوسِدرة. وكنيسة الرّسل.

وبخارجها: كنيسة بومينا.

وبناحية دُرُنكة[6]: كنيسة قديمة جدًّا، على اسم الثلاثة فِتْية: حنانيا، وعزاريا، وميصائيل.

وهى موردٌ لفقراء النصارى.

---

(١) فى خطط المقريزى، والقول الإبريزى «بخنس».

(٢) **منفلوط**: مدينة فى صعيد مصر الأوسط على الشط الغربى للنيل. بها كرسى أسقفى للأقباط.

(٣) **شقلقيل**: قرية من محافظة «أسيوط» مركز «أبنوب» فى مواجهة «منفلوط» فيها دير مغارة شقلقيل (الخطط التوفيقية ١٢/ ١٣٢).

(٤) **منشاة**: عدة قرى لا تعرف إلا بالمضاف إليها. والمراد بمنشاة النصارى: منشاة إخميم. ويقال لها: المنشاة الكبرى، وكانت من أشهر بلاد الصعيد (الخطط التوفيقية ١٥/ ٧٩) قريبة من ملوى.

(٥) **سيوط، أو «أسيوط»** مدينة مشهورة فى الصعيد الأوسط، غربى النيل، مسقط رأس أفلاطون الفيلسوف، والعلامة جلال الدين السيوطى.

(٦) **درنكة، أو «أدرنكة»**: قرية من أسيوط، ولأهلها شهرة بزراعة الكتان، والشمر، والكمون، والينسون، وجودة نسج الصوف والكتان، وفى غربيها بسفح الجبل قبورى نصارى أسيوط وغيرها من البلاد المجاورة راجع (الخطط التوفيقية ٨/ ٤٤). وقد جرفها - أى جرف درنكة نفسها - سيل فى ٢/١١/ ١٩٩٤م فنقلت إلى مكان قريب من المكان الأول وسميت: «درنكة الجديدة».

ودُرُنكة: أهلها من النصارى، يعرفون اللغة القبطية، فيتحدَّث صغيرُهم بها، ويفسرونها بالعربية.

وبناحية ريفة[1]: كنيسة بوقلته الطبيب الراهب، صاحب الأحوال العجيبة، فى مداواة الرمْدَى من الناس، وله عيد يعمل بهذه الكنيسة. وبها كنيسة ميخائيل أيضاً، وقد أكلت الأرَضَة جانبَ ريفَة الغربى.

وبناحية موشة[2]: كنيسة مركّبة على حمّام على اسم للشهيد بقطر، وبنيت فى أيام قسطنطين ابن هيلانة، ولها رصيفٌ عرضه عشْرة أذرع، ولها ثلاث قباب، ارتفاع كلّ منها نحو الثمانين ذراعاً، مبنية بالحجر الأبيض كلها، وقد سقط نِصفُها الغربى، ويقال: إن هذه الكنيسة على كنْزٍ تحتَها.

ويُذكَر أنه كانَ من سيوط إلى موشة هذه، ممشاة تحت الأرض.

وبناحية بَقُور[3]، من ضواحى بوتيج[4]: كنيسة قديمة للشهيد أكلوديس، وهو يعْدِل عندهم مرقوريوس، وجاورجيوس، وهو أبو جرج والإسفهسلار تادروس، وميناوس.

وكان أكلوديوس، أبوه من قوَّاد ديقلطيانوس، وعرف هو بالشجاعة فتنصر، فأخذه الملكُ وعذّبه ليرْجع إلى عبادة الأصنام، فثبت حتّى قُتِل، وله أخبارٌ كثيرة.

---

(١) **ريفة**: قرية قريبة من أسيوط، وقرب «موشة» ذكر المقريزى عند ذكر أديرة «أدرنكة» أن منها «دير منسياك» لأهل «ريفة» هو و«دير ساويرس» الذى بحاجر «درنكة» راجع (الخطط التوفيقية ١١/ ٨٣).

(٢) **موشة**: جنوبى أسيوط قرب «ريفة» (الخطط التوفيقية ١٦/ ٩٠).

(٣) **بقور أو «باقور»**: بلدة تابعة لأسيوط بحرى «أبو تيج» وإليها ينسب الكثير من العلماء لعل أشهرهم الشيخ أحمد حسن الباقورى (الخطط التوفيقية ٩/ ٣).

(٤) **بوتيج**، أو «أبو تيج» قبلى أسيوط (١٩/٨ الخطط التوفيقية).

وبناحية القطعية[1] : كنيسة على اسم السيدة ، وكان بها أُسقف يقال لهُ « الدوين » بينه وبينهم منافرة فدفنوه حيًّا !

وهم من شرار النصارى معروفون بالشرّ .

وكان منهم نصرانيّ يقال له جرجس ابن الراهبة تعدّى طوْره فضَربَ (١١٥) رقبته الأميرُ جمال الدين / يوسف الأستادار بالقاهرة فى أيام الناصر فرج بن برقوق[2] .

وبناحية بوتيج : كنائس كثيرة ، قد خرِّبت وصار النصارى يصلّون فى بيتٍ لهم سرًّا ، فإذا طلع النهارُ خرجوا إلى آثار كنيسة ، وعملوا لها سياجاً من جريدٍ شبه القفَص ، وأقاموا هناك عبادَاتهم .

وبناحية بو مقروفه : كنيسة قديمة لميخائيل ، ولها عيد فى كل سنة .

وأهل هذه الناحية نصارى ، أكثرهم رعاة غنم ، وهم همَج رِعاع .

وبناحية دُوينة[3] : كنيسة على اسم بويحنس القصير ، وهى قبة عظيمة ، وكان بها رجل يقال لهُ يونس ، عمل أسقُفاً ، واشتهر بمعْرفة علومٍ عديدة ، فتعصّبوا عليْه ؛ حسداً منهم له على عِلمه ، ودفنوه حيًّا ! وقد توغّل جسمُه .

وبالمراغة التى بين طهطا وطما[4] : كنيسة .

وبناحية قِلْفاو[5] : كنيسة كبيرة .

---

(١) **القطيعة** . ويقال لها أيضاً « المطيعة » : قرية من أسيوط ، على الشاطئ الغربى للنيل (الخطط التوفيقية ١٤/ ١٠٣) .

(٢) الناصر فرج برقوق : (١٣٩٩ - ١٤١٢م) .

(٣) **دوينَة** ، بالتصغير : من محافظة أسيوط . مركز أبو تيج (الخطط التوفيقية ١١/ ٧٠) .

(٤) **طهطا** : مركز جرجا . **وطما** : مركز فيها .

(٥) **قِلْفاو** : قرية بالصعيد ، غربى النيل (معجم البلدان) .

وتعرف نصارى هذه البلدة بمعرفة السّحْر ونحوه، وكان بها في أيام الظاهر برقوق شمّاس يقال له « أبصاطيس » لهُ في ذلكَ يدٌ طولَى ، ويُحْكى عنهُ ما لا أحِبّ حكايتَه لغرابتِهِ .

وبناحية فَرْشوط [١] : كنيسة ميخائيل . وكنيسة السيدة مارت مريم .

وبمدينة هوّ [٢] : كنيسة السيدة ، وكنيسة بومينا .

وبناحية بهجورة [٣] : كنيسة الرسل .

وبإسنا [٤] : كنيسة مريم ، وكنيسة ميخائيل ، وكنيسة يوحنّا المعمداني ، وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام .

وبنقادة : كنيسة السيدة ، وكنيسة يوحنا المعمدانيّ ، وكنيسة غبريال ، وكنيسة يوحنا الرحوم .

وهو من أهل أنطاكية ذوى الأموال ، فزهد وفرّق مالَهُ كلّه في الفقراء ، وساح – وهو على دين النصرانية – في البلاد ، فعمِلَ أبواهُ عزاءه وظنّوا أنهُ قد مات ، ثم قدِمَ أنطاكية في حالةٍ لا يُعْرف فيها ، وأقام في كوخ على مَزْبلة ، وأقام رَمقَه بما يُلْقى على تلك المزبلة ! حتّى مات ، فلما عُمِلت جنازَتهُ كان مِمّن حضرها أبوهُ ، فعرف غلافَ إنجيله ، ففحَصَ عنهُ ، حتى عرف أنهُ ابنهُ فدفنهُ ، وبنى عليه كنيسة أنطاكية .

وبمدينة قفط [٥] : كنيسة السيدة / . (١١٦)

---

(١) **فرشوط** : محافظة « قنا » اشتهر منها كثير من العلماء (الخطط التوفيقية ١٧/ ٦٨) .

(٢) **هوّ** : بلدة في طوق الجبل الغربي ، بالصعيد الأعلى، كانت قاعدة إقليم (الخطط التوقيقية ١٧/ ٢٥) .

(٣) **بهجورة** : قرية كبيرة من محافظة « قنا » مركز « فرشوط » الخطط التوفيقية ٩/ ٩٩) .

(٤) **إسنا** : مدينة في الصعيد الأعلى ، محدّده شرقاً وغرباً بسلاسل الجبال ، فيها آثار يونانية . راجع (الخطط التوقيقية ٨/ ٥٩) .

(٥) **قفط** : بلدة قديمة في صعيد مصر ، شرقي النيل ، عند أقرب موضع منه إلى البحر الأحمر ، وكانت مركزاً للتجارة ، وبها آثار (الخطط التوفيقية ١٤/ ١٠٤) .

وكان بأصفون[1] : عدَّة كنائس خرِّبت بخرابها .

وبمدينة قوص[2] : عدَّة أديرة ، وعدَّة كنائس خرِّبت بخرابها ، وبقى بها كنيسة السيدة .

ولم يبق بالوجه القبلى من الكنائس سوى ما تقدَّم ذكرنا له .

* * *

(١) **أصفون** : قرية بالصعيد الأعلى ، على الشاطئ الغربى للنيل . تحتد « إشنا » وهى على تلٍّ مشرف (معجم البلدان) .

(٢) **قوص** : مدينة فى صعيد مصر الأعلى ، كان للأقباط فيها عدة كنائس . وأنجبت عدداً كبيراً من العلماء ، وفيها تربى « البهاء زهير » و « ابن دقيق العيد » وغيرهم (الخطط التوفيقية ١٤ / ١٢٨) .

[كنائس الوجه البحرى]

وأما الوجه البحرى ففى **مِنْية صُرد**، من ضواحى القاهرة : كنيسة السيدة مريم، وهى جليلة عندهم.

وبناحية سندوة : كنيسة محْدَثة على اسم بوجرج.

وبمرصفا [١] : كنيسة مستجدَّة على اسم بوجرج أيضاً.

وبسمنود [٢] : كنيسة على اسم الرسل، عُمِلت فى بيتٍ.

وبسُنْباط [٣] : كنيسة جليلة، عندهم على اسم الرسل.

وبصندفة [٤] : كنيسة معتبرة عندهم على اسم بوجرج.

وبالرّيْدانية [٥]: كنيسة السيدة، ولها قدر جليل عندهم.

وفى دمياط [٦] : أربع كنائس، للسيدة. ولميخائيل. وليوحنا المعمدانىّ. ولمارى جرجس. ولها مجد عندهم.

---

(١) **مرصفا :** قرية من محافظة القليوبية مركز «بنها» بها آثار تدل على أنها كانت من المدن القديمة، وأنجبت كثيراً من العلماء، من أمثال الشيخ حسين المرصفى، وسيد على المرصفى وغيرهم (الخطط التوفيقية ١٥/ ٣٩).

(٢) **سمنّود :** على شاطئ النيل من محافظة الغربية، قيل : إن العائلة المقدسة اجتازت بـ «سمنود» فى هربها إلى مصر (الخطط التوفيقية ١٢/ ٤٦).

(٣) **سُنْباط :** مركز «زفتا» محافظة الغربية (الخطط التوفيقية ١٢/ ٥٢).

(٤) هى سندفة أو «صندفة» ضاحية - الآن - من ضواحى المحلة الكبرى محافظة الغربية (الخطط التوفيقية ١٢/ ٥٨).

(٥) **الرّيْدانية**، أو «الرودانية» : من محافظة الدقهلية مركز «دكرنس» (الخطط التوفيقية ١١/ ٨١).

(٦) **دمياط :** مدينة على أحد فرعى النيل. تشتهر بعمل أنواع الموبيليا والجبن، والأحذية، وإليها ينسب الكثير من العلماء (الخطط التوفيقية ١١/ ٣٦).

وبناحية سُبْك[1] **العبيد** : كنيسة مُحْدَثة فى بيتٍ مخفىّ على اسم السيدة .

وبالنّخراوية[2] : كنيسة مُحْدَثة فى بيت مخفى .

وفى لقّانة[3] : كنيسة بويحنس القصير .

وبدمنهور[4] : كنيسة مُحْدَثة فى بيتٍ مخفىّ على اسم ميخائيل .

وبالإسكندرية[5] : المعلّقة على اسم السيدة . وكنيسة بوجرج . وكنيسة يوحنا المعمدانى . وكنيسة الرسل .

فهذه كنائس اليعاقبة بأرض مصر .

ولهم بغزّة[6] : كنيسة مريم .

ولهم بالقدس[7] : القمامة وكنيسة صُهيون .

وأما الملكية فلهم بالقاهرة : كنيسة مارى نقولا بالبندقانيين . وبمصر كنيسة غبريال الملاك . بخط قصر الشمع ، وبها قِلّاية لبطركهم ، وكنيسة السيدة ، بقصر الشمع أيضاً ، وكنيسة الملاك ميخائيل ، بجوار بربارة بمصر ، وكنيسة ماريوحنا ، بخط دير الطين[8] . والله أعلم .

---

(١) **سُبْك** : عدة قرى فى محافظة المنوفية بمصر . والمراد بها سبك الأحد . مركز أشمون محافظة المنوفية . أفادنى بهذا زميل لى من هذه القرية . وإليها ينسب « السبكى » ومنها آل « خطاب » مؤسسى « الجمعية الشرعية » فى مصر (الخطط التوفيقية ١٢/ ٦) .

(٢) « النحراوية » أو « النحرارية » وتدعى اليوم « النحرّية » : من محافظة الغربية . مركز كفر الزيات . منها اللواء محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر العربية سنة ١٩٥٣ – ١٩٥٤م (الخطط التوفيقية ١٧/ ٥)

(٣) **لقانة** : من محافظة البحيرة . مركز « دمنهور » شمال ترعة الخطاطبة (الخطط التوفيقية ١٥/ ١٦) .

(٤) **دمنهور** : عاصمة محافظة البحيرة (١١/ ٢٢) .

(٥) **الإسكندرية** : أعظم ثغور البحر الأبيض المتوسط . مركز تجارى ، وثقافى ، وقاعدة مدرسة لاهوتية . واشتهرت بمدرستها الفلسفية فى أول القرن الثالث . فتحها العرب سنة ٩٤٥م . وعلى أيام الخلفاء الفاطميين نقل المسيحيون كرسيهم البطريركى منها إلى القاهرة . راجع (الجزء السابع كله من كتاب الخطط التوفيقية) .

(٦) **غزة** : جنوب فلسطين على ساحل البحر .

(٧) **القدس** : هى « إليا » القديمة ، وهى أيضاً « أورشليم » : يقدسها المسلمون ، والمسيحيون ، واليهود . ففيها : المسجد الأقصى ، وكنيسة القيامة ، وحائط المبكى .

(٨) فى الخطط والقول الإبريزى : « دير الطين » .
ودير الطين هو دير مرحنا على بركة الحبش (دير مرحنا صفحة ١٥٥) .



لَحَقٌ (1)

(ذَيْل)

(1) استكملت به ما رأيت أن المقريزى ذكره فى خططه مكتملاً عن قبط مصر وأعيادهم ، وما كان لهم أو عليهم فى مِحَنِهم التى مرّوا بها . ورأيت أن جامع « القول الإبريزى » لم يذكرها .
وهذا ما ذكره المقريزى مكتملاً .. أى فى موضوع واحد فى الجزء الأول .. أما المتفرقات عن القبط فكثيرة فى الخطط فليرجع إليها الباحث متى أعوزه إليها بحثه .

/ ذكْرُ أعْياد القِبْط من النّصارَى بديارِ مصْر (٢٦٤/١)

اعلم أنّ نصارَى مصْرَ من القبْط ينْتحلُون مذْهبَ اليعقوبيّة كما تقدم ذكره.

وأعيادُهم[1] الآن الّتى هى مشهورةٌ بديار مصْر، أرْبعة عشر عيداً فى كلِّ سنةٍ من سِنيهم القبْطيّة.

منها: سبعة أعْيادٍ يسمونها. أعْياداً كباراً.. وسبعة يسمُّونها: أعياداً صغاراً.

فالأعياد الكبار عندهم: عيد البشارة - وعيد الزيتونة - وعيد الفصح - وعيد خميس الأربعين - وعيد الميلاد - وعيد الغطاس.

والأعياد الصغار: عيد الختان - وعيد الأربعين - وخميس العهد - وسبْت النور - وأحدُ الحدود - والتّجلّى - وعيد الصليب.

ولهم مواسم أُخَر، ليست هى عِنْدهم من الأعياد الشّرْعية، لكنّها عِنْدهم مِنَ الْمواسِم العاديّة، وهو: يوْمُ النّوْروز.

وسأذكُر من خَبر هذِه الأعياد ما لا تَجِده مجمْوعاً فى غيْر هذَا الكتاب. على ما اسْتَخرجْتُه من كُتبِ النّصارى، وتوارِيخ أهْل الإسلام.

* * *

---

(١) يلاحظ أن المقريزى كرّر بعض هذه الأعياد مرّتين بنصها فى مناسبات مثل: «عيد النيروز» فقد ذكره ٢٦٧/١ ثم أعاد ذكره ٤٩٣/١ و«عيد الميلاد» ذكره فى ٢٦٥/١ ثم أعاد ذكره فى ٤٩٤/١ و«خميس العهد» ذكره فى ٢٦٦/١ وأعاد ذكره فى ١/ ٤٩٥.

وقد وضعت الجزء ورقم الصفحة فى خطط المقريزى فى الهوامش الجانبية لهذا اللحق.

عيد البشارة

هذا العيدُ عيدُ النّصارَى .. أصْلُه : بشارَةُ جبْريلُ مريمَ بميلاد المسيح عليهما السلام .

وهم يسمّون : جبريل . غبريال . ويقولون : مارت مريم . ويسمّون المسيح : ياشوع . وربّما قالوا : السيّد يشوع .

وهذا العيدُ تعْمَله نصارَى مِصْر ، فى اليوْم التّاسِع والعشْرين ، من شهر برمهات .

عيد الزيتونة

ويعرف عندهم بعيد الشّعانين ، ومعناه التسبيح . ويكون فى سابع أحَد ، من صوْمِهم .. وسنّتُهم فى عيد الشعانين أنْ يُخْرجُوا سعفَ النخْلِ من الكنيسة . ويرونَ أنه يوم ركوب المسيح العنو ، (وهو الحِمار) فى القدس ، ودخوله إلىَ صَهْيون [١] وهو راكب ، والنَّاسُ بين يَديْه يسبّحون ، وهو يأْمُر بالمعروف ، ويحثُّ على عمَلِ الخيْر ، وينْهى عَنِ المنْكَر ، ويباعِدُ عنْه .

وكانَ عيدُ الشّعانين مِنْ مواسِم النّصارى بمصْر ، الّتى تُزيَّن فيها كنائِسهم [٢] .

فلمّا كان لعشْرٍ خَلَوْن من شهْر رجَب ، سنة ثمانٍ وسبْعين وثلاثمائة [٣] ، كان عيدُ الشّعانين ، فمنع الحاكمُ بأمْرِ الله أبو علىّ منصور بن

(١) **صهيون** (Sion) : جبل فى أورشليم (القدس) عليه بنى الهيكل ، وفيه المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة .

(٢) وكان من عادة نصارى إخميم فى يوم الزيتونة أن يخرج القسيس والشمامسة بالمجامر والمباخر والصلبان والأناجيل والشموع ، ويقفون على باب القاضى ، فيبخرون ويقرءون فصلاً من الإنجيل ، ويمدحونه ، ثم يكرر ذلك المشهد على أبواب أعيان المسلمين (جاك تاجر ١٥٠) .

(٣) الموافقة سنة ٩٨٨م .

العزيز بالله النّصارَى من تزْيين كنائِسهم ، وحمْلهم الخوصَ علَى ما كانتْ عادتُهم [1] ، وقبَضَ على عِدّةٍ ممَّنْ وُجد معه شيْئاً من ذلك ، وأمرَ بالقبْض على ما هوَ محبَّسٌ علَى الكنائِس منَ الأمْلاك ، وأدْخلَها فى الدّيوان ، وكتبَ لسائِرِ الأعْمال بذلك ، وأُحْرقت عِدّةٌ مِنْ صُلْبانِهم على باب الجامع العتيق .

عيد الفصح [2]

هذا العيد عندهم ، هو العيد الكبير .

ويزْعمونَ أن المسيحَ عليه السّلام ، لـمّا تمالأ اليهودُ عليْه ، واجْتمعوا على تصْليله وقتْله ، وقبضُوا عليْه ، وأحضَرُوه إلى خشَبةٍ ليُصْلَب عليها ، فصُلِبَ على خشبةٍ عليْها لِصّانِ ، وعندنا - وهو الحق - أن الله تعالَى رفعهُ إليْه ولمْ يُصْلَب ، ولمْ يقْتَل ، وأنَّ الْذى صُلِب علَى الخشَبةِ مع اللصّيْن غيرُ المسيح . ألقى اللهُ عليْهِ شِبْه المسِيح . قالوا : واقْتسمَ الجندُ ثيابه . وغشّى الأرضَ ظُلْمَةٌ مِنَ السّاعة السّادِسة مِن النّهار ، إلى السّاعة التاسِعة من يوْم الجمعة ، خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين . وتاسع عشر برَمْهات .

---

(١) كانت أعياد الشعانين أعياد شعبية تخفق فيها ألوية النصارى منصوبة فوق الأعواد ، وتدوى فيها أنغام المصلين ، وربما حضرها بعض رجال الدولة ، وتقاطر لمشاهدتها الألوف من المتفرجين : رجالاً ونساء ، نصارى ومسلمين .. وفى أشعار الشعراء أصداء أوصاف هذه المهرجانات . فقال أبو نواس يتشوق إلى عيد الشعانين :

وَأَيّامُ الشَّعانِين الْمُفَدّى   وشَمْعَلَةُ النّصَارَى فى الطّرِيق

(٢) « **فصح** » اسم عبرى . ومعناه : « عبور » ويعرف أيضاً بعيد الفطير .. أنشئ فى مصر تذكاراً لخروج بنى إسرائيل وخلاصهم من فرعون مصر . وهو ما يعرف عند النصارى بـ « عيد القيامة » وهو يوم الفطر من صومهم الأكبر . ويلقى المقريزى بعض الضوء على احتفالات النصارى بالفصح فى حوادث سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤ م فيذكر أنه اجتمع بقنطرة المقس جماهير غفيرة من النصارى والمسلمين فى الخيام المنصوبة وغيرها ، وقضوا طوال نهارهم فى لهوٍ ومجون ، وتهتك قبيح ، واختلط الرجال بالنساء وهم يعاقرون الخمر ، واستشرى الفساد فى هذا اليوم بالدرجة التى حملت النساء فى قِفاف الحمالين من شدة السكر (اتعاظ الحنفا ٢/ ١٣٧) .

وخامس عشرى آذار سنة ...[1] ودُفِن الشبيهُ آخر النّهار بقبْر، وأُطْبِقَ عليه حَجرٌ عظيمٌ، وختم عليْه رؤساءُ اليهود وأقاموا عليه الحرَسَ باكر يوْم السّبت، كيلا يُسْرَق. فزعمُوا أن المقبور قامَ مِنَ القبْر ليلةَ الأحد سحراً، ومضى بطْرُس، ويوحنّا التلميذان، إلى القبْر، وإذا الثّيابُ الّتى كانَتْ علَى المقْبورِ بغيْر ميِّت، وعلى القبْرِ ملاكُ الله، بثياب بيض، فأخبَرهما بقيام المقْبور من القبْر. قالوا: وفى عشية يوم الأحد هذا، دخلَ المسيحُ علَى تلاميذِه وسلَّم عليْهم، وأكلَ معَهُم، وكلّمهم، وأوْصاهُم، وأمَرهُمْ بأمورٍ قد تضمَّنها إنجيلُهم.

وهذا العيدُ عنْدهم بعدَ عيد الصّلْبوت[2]، بثلاثة أيام.

/ خميس الأربعين (٢٦٥/١)

ويعرف عنْد أهْل الشام «بالمسلاق». ويقال أيضاً: «عيد الصّعود».. وهو الثانى والأربعون من الفطر.

---

(١) «سنة» بعدها بياض فى الخطط.

فى قاموس الكتاب المقدس صفحة (٨٦٣): «ليس من اليسير أن نصل إلى معرفة تاريخ ميلاد المسيح، أو معموديته، أو صلبه على وجه التحقيق وبلا منازع إلا أن جمهور المؤرخين والعلماء يتفقون على تاريخ هذه الحوادث على وجه التقريب» ويرجح ص ٨٦٤ أن الصلب قد وقع فى عام (٣٠) الميلادى عندما بدأ عيد الفصح فى ذلك العام فى ٧ أبريل منه، ولذا فبحسب هذا تكون التواريخ الرئيسية فى حياة يسوع المسيح على الأرض هى هذه:

ميلاده فى ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) عام ٥ ق. م.

معموديته وبدْءُ خدمته الجهارية فى يناير (كانون الثانى) عام ٢٧ ميلادى.

صلبه فى ٧ أبريل (نيسان) عام ٣٠ ميلادى.

راجع (قاموس الكتاب المقدس ٨٦٣ - ٨٦٩).

(٢) اعتاد المؤرخون أن يطلقوا هذا الاسم على الصليب الأعظم الذى كان الفرنج يحملونه أمامهم فى الحروب الصليبية.

وقد وهم الذهبى وغيره من مؤرخى الأيوبيين فعنوا به صليب الصلبوت الذى تزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليه. راجع (حبيب الزيات. المشرق ج ٤٣ سنة ١٩٤٩م).

وانظر ما قيل بعد ذلك فى (عيد الصليب).

ويزعمون أنّ المسيح عليه السلام بعد أربعين يوماً من قيامَتِه خرج إلَى بيْت عَنْيا [1] ، والتّلاميذُ معَه فرفعَ يَديْه وبارَك عليْهم ، وصعدَ إلى السماء . وذلك عند إكماله ثلاثا وثلاثين سنة ، وثلاثة أشهر . فرجَع التلامذةُ إلى أورَاشليم . يعنى بيت المقدس ، وقد وعَدهم باشْتِهارِ أمْرهم ، وغيْر ذَلِكَ مّما هوَ معْروفٌ عندهم . فهذا اعتقادُهم فى كيفيّة رفع المسيح ، ومَنْ أصْدَق مِنَ الله حديثا !!

عيد الخميس

وهو [عيد] العنصرة . ويعملونه بعد خمسين يوْما من يوْم القيام .

وزعمُوا أنّ بعْدَ عشْرة أيامٍ من الصُّعود . وخمسين يوْماً من قيامة المسِيح ، اجْتَمع التلاميذُ فى علِية صهْيون ، فتجلّى لهم روحُ القدُس فى شِبْه ألْسِنَةٍ من نارٍ فامْتلئوا من روح القدُس ، وتكلّمُوا بجميعِ الألْسُن ، وظهَرتْ على أيديهم آياتٌ كثيرة . فعادَاهم اليهودُ وحبَسُوهم . فنجّاهم الله مِنْهم ، وخرجُوا من السِّجن ، فسارُوا فى الأرْض متفرّقين ، يدْعون النّاسَ إلى دين المسيح .

عيد الميلاد

يزعمون أنّه اليومُ الّذى وُلد فيه المسيحُ . وهو يوْم الاثنين . فيحيون عشيّة ليلة الميلاد .

وسنتهم فيه كثْرة الوقود بالكنائس وتزْيينها ، ويعملونَه بمصْرَ فى التّاسِع والعشْرين من « كيهْك » [2] ولم يزلْ بديارِ مصْر من الموَاسِم المشْهورة . فكانَ يفرّق فيهِ أيام الدّولة الفاطمية علَى أرْباب الرّسوم من الأستاذين

---

(١) بيت عَنيا أو العازرية : قرية واقعة شرقى أورشليم (القدس) على مسافة ٥ كيلو منها .. واسمها فى يومنا « العازَرِيّة » نسبة إلى لعاز . أخى مرتا ومريم الذى أقامه السيد المسيح من الأموات .

(٢) الموافق (٧ يناير) من كل عام فهو عيد الميلاد عند الأقباط .

المحنكين ، والأمراء المطوّقين ، وسائر الموالى من الكتاب وغيرهم ، الجاماتِ[1] من الحلاوة القاهرية ، والمثارد التى فيها السميذ ، وقِزْبات الجلّاب ، وطيافير[2] الزلابية ، والسمك المعروف بالبوريّ .

ومن رسم النّصارى فى الميلاد اللعب بالنار .

ومن أحسن ما قيل :

مَا اللّعبُ بالنّارِ فى الميلادِ مِنْ سَفَهٍ ... وإنّمَا فيه للإسْلامِ مَقْصُودُ

فَفِيه بُهِتَ النّصارَى أنّ ربَّهُمُ ... عِيسَى ابنُ مرْيم مخْلوقٌ ومْولودُ

وأدْركْنا[3] الميلادَ بالقاهرةِ ومصر ، وسائر إقليم مصر موْسماً جليلاً يباعُ فيهِ من الشّموعِ المزْهرةِ بالأصْباغ المَلِيحة ، والتّماثيل البديعة بأمْوال لا تنْحَصِر ، فلا يبْقَى أحدٌ منَ النّاس ، أعْلاهُم ، وأدْناهم حتّى يشْتَرِىَ مِنْ ذَلِكَ لأوْلادِه وأهْله .. وكانُوا يُسمّونَها الفوانيس – واحدُها : فانوس – ويعلِّقون مِنْها فى الأسْواقِ بالحوانِيت شيْئاً يخْرجُ عَنِ الحدّ فى الكثْرة والمَلاَحة ، ويتنافسُ الناسُ فى المغالَاتِ فى أثْمانها ، حتّى لقدْ أدركتُ شمعةً عُمِلتْ فبلغَ مَصْروفها ألْفَ درْهم وخمسمائة درهم فضة .. منها[4] يومئذ ما ينيّفُ على سبعين مثقالاً من الذّهب !!

وأعرف السُّؤّال فى الطرّقاتِ أيام هذا المواسم ، وهم يسْألونَ الله أنْ يتصدّقَ عليْهم بفانُوس فيشْتَرِى لهم مِن صِغارِ الفوانيس ما يبْلغُ ثمنُه الدِّرهم وما حوله .

ثم لمّا اختلتْ أمورُ مصْر كان من جمْلة ما بَطَل من عوايدِ الترّف ، عَملُ الفوانِيس فى الميلاد إلّا قليلاً .

---

(١) **الجامات** ، جمع جامة : الوعاء (فارسية) .

(٢) فى خطط المقريزى « وطمافير » والطيافير ، جمع طيفورة أو طيفورية : وعاء (فارسى) .

(٣) « وأدركنا » الضمير هنا يعود إلى المقريزى المؤلف المتوفى سنة ٨٤٥هـ .

(٤) فى الخطط : « عنها » بدل « منها » .

الغطاس

ويُعْمل بمصْر فى اليوم الحادِى عشَر من شهر « طوبة » .

وأصْله عنْد النّصارَى أنّ يحيَى بن زكريّا ، عليْهما السّلام المعروف عنْدَهم « بيوحنا المعمدانى » عمَّد المسيحَ أىْ غَسَله فى بحيْرة الأردن[1] . وعندما خرج المسيحُ عليْه السّلام من الماءِ اتّصلَ به روحُ القدس ، فصارَ النّصارَى لذلك يغْمِسُون أوْلادهم فى الماءِ فى هذا اليوْم ، وينْزلونَ فيه بأجْمعهم ، ولا يكونُ ذلك إلّا فى شدّة البرد . ويسمّونه « يوم الغطاس » وكان له بمصر موْسمٌ عظيمٌ إلى الغاية .

قال المسعودى[2] : ولليْلة الغِطَاسِ بمصر شأنٌ عظيمٌ عنْد أهْلها . لا ينامُ الناسُ فيها ، وهى ليْلة الحادِى عشَر من « طوبة » .

ولقد حضرت[3] سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغِطاس بمصْرَ والإخشيد محمّد بن طغج[4] أميرُ مصر ، فى دارِه المعرُوفة بالمختْار ، فى الجزيرة الرّاكبة

---

(١) هى بحيرة طبرية فى فلسطين يجتازها نهر الأردن وهى نحو عشرة أميال فى ستة أميال . كالبركة تحيط بها الجبال وتصب فيها أنهار كثيرة .. ومدينة طبرية مشرفة عليها (معجم البلدان) .

(٢) **أبو الحسن المسعودى** : مؤرخ وجغرافى نشأ فى بغداد .. وطاف فارس ، وكرمان ، والهند ، وسيلان ، والصين ، وما وراء النهر ، وآذربيجان ، وجرجان ، والشام ، وفلسطين ، ومصر ، وتوفى سنة ٩٥٦م ووضع فيما رآه وسمعه عشرات المؤلفات ، أشهر ما بقى منها كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » الذى رجع إليه المقريزى .

(٣) « ولقد حضرت » الضمير هنا يعود إلى المسعودى .

(٤) تنسب الدولة الإخشيدية إلى الإخشيد : محمد بن طغج أبو بكر . والإخشيد لقب معناه بلغة فرغانة ملك الملوك وكان ذلك لقب ملوكهم ، كما كان قيصر لقب ملوك الروم وكسرى لقب ملوك الفرس ، وفرعون لقب ملوك مصر القدماء . ومحمد بن طغج تذكر بعض المراجع التاريخية أنه من أولاد ملوك فرغانة . وقد أعطاه الخليفة الراضى بالله هذا اللقب سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م .

وقد ولى محمد بن طغج على مصر من قِبَل القاهر بالله سنة ٣٢١هـ .

وولى ولايته الثانية من قبل الراضى سنة ٣٢٣هـ (خطط المقريزى ١/ ٣٢٨) .

للنيل (١) ، والنيلُ يطيف بها ، وقد أمرَ فأسْرج فى جانبِ الجزيرة ، وجانب الفسطاط ألف مشْعَل غير ما أسْرَج أهلُ مصْر من المشاعِل والشّمع ، وقدْ حضرَ بشاطِئ النِّيل فى تلْك اللّيْلة آلافٌ من النّاسِ من المسْلمين ومن النصارى .. منهم فى الزّوارِيق ، ومنهم فى الدُّور الدانية من النِّيل ، ومنْهم على سائِر الشّطوط .. لا يتناكرون . كلّ ما يمْكنهم إظهارُه مِنَ المآكِل ، والمشارِب ، والملابِس ، وآلات الذّهب ، والفضّة ، والجوهر ، والملاهى ، والعزْفِ ، والقصْف .. وهيَ أحْسَن ليلةٍ تكون بمصْر وأشملها سُروراً ، ولا تُغْلَق فيها الدّروب ، ويغْطس أكثرهم فى النِّيل ، ويزْعُمون أن ذلك أمانٌ مِنَ المرَض ونشرة للداء (٢) .

وقال المسبِّحىّ فى تاريخه (٣) : من حوادث سنة سبع وستين وثلاثمائة ، مُنِع النّصارى مِن إظهار ما كانُوا يفْعلونه فى الغِطاس مِنَ الاجْتماع ، ونزُولِ الماء ، وإظْهار الملاهى .. ونودِىَ : أن مَن عَمِل ذَلِكَ نُفِى من الحضْرة .

وقال : فى سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة ، كان الغِطاس ، فضُرِبت الخيامُ ، والمضارِبُ ، والأسِرّةُ فى عدّة مواضعِ على شاطئ النّيل ، ونصبت أسرّةٌ للرّئيس فهْد بن إبراهيم النّصرانى ، كاتبُ الأستاذ برجوان ، وأوقِدت له الشّموع ، والمشاعل ، وحضر المغنّون ، والملْهون ، وجلسَ مع أهْلِه يشْربُ إلى أنْ كانَ / وقْتَ الغِطاس ، فغطَسَ وانْصرف . (٢٦٦/١)

وقال : فى سنة إحْدَى وأربعمائة ، وفى ثامن عشْرى جمادَى الأولى ، وهو عاشر طوبة . مُنِع النّصارَى مِن الغِطاس ، فلمْ يغْطس أحدٌ منْهم فى البحْر .

---

(١) يريد بها : جزيرة الروضة .

(٢) **نشرة للداء** : أى دافعة للأمراض .

(٣) **الأمير المسبّحى عز الملك** (٩٧٧ - ١٠٢٩ م) ولد فى الفسطاط بمصر ، وخدم الحاكم بأمر الله وتوفى سنة ٤٢٠هـ وكتابه : « أخبار مصر ، وفضائلها ، وغرائبها ، وما بها من البقاع والآثار ، وسير من حلها ...» ينتهى بسنة ١٠٢٣م مخطوط فى الأسكوريال . وله ذيل ، لابن ميسر .

وقال فى حوادث سنة خمس عشرة وأربعمائة : وفى ليلة الأربعاء ، رابع ذِى القِعْدة ، كانَ غطاسُ النّصارَى ، فجرى الرّسْمُ من النّاسِ فى شِراءِ الفواكِهِ ، والضّأْن ، وغيره ، ونزلَ أميرُ المؤْمنين الظاهِر لإعزاز دين الله [1] لقصْرِ جدّه العزيز بالله [2] فى مصر ، لنظَرِ الغِطاس ، ومعَهُ الحرَم ، ونودِىَ ألّا يخْتلط المسْلمونَ معَ النّصارَى عنْد نزولهم فى البحْر فى اللّيل [3] . وضَرَبَ بدرُ الدّولة الخادمُ الأسْود متولّى الشرْطتَيْن خيْمة عنْد الجسْر ، وجلسَ فيها ، وأمرَ أميرُ المؤْمنين [4] بأن توقَد النّارُ والمشاعلُ فى اللّيْل ، وكانَ وَقِيداً كثيراً ، وحضرَ الرُّهْبان ، والقُسوسُ بالصّلْبان والنيران ، فقسّسُوا هناكَ طويلاً إلى أنْ غَطسُوا .

وقال ابنُ المأْمون فى تاريخه ، من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذِكْر الغطاس : ففرّق أهْلُ الدّوْلة ما جرَتْ به العادَةُ لأهل الرّسوم [5] من الأترُجّ ، والنّارنج ، واللّيمون ، فى المراكبِ [6] ، وأطْنانِ القصَب ، والبورى ، بحسَب الرّسُوم المقرّرة بالديوان لكل واحدٍ [7] .

الختان

يُعمل فى سادس شهر « بئونة » ويزْعُمون أنّ المسيح خُتن فى هذا اليوْم ، وهو الثامن من الميلاد .

---

(١) الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على بن الحاكم بأمر الله .. بويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة ٤١١هـ وعمره ١٦ سنة (خطط المقريزى ١/ ٣٥٤) .

(٢) العزيز بالله الفاطمى أبو منصور : خامس الخلفاء الفاطميين (٩٧٥ - ٩٩٦م) تزوج بامرأة مسيحية أخت بطريركى الإسكندرية وأورشليم (القدس) الملكيين . واستوزر عيسى بن نسطورس النصرانى .. اعتمد على الأتراك فاغتصبوا منه السيادة . بعد أن ظل فى الخلافة ٢١ سنة وخمسة أشهر ومات وعمره ثلاث وأربعون سنة ٣٨٦هـ . راجع (الخطط ١/ ٣٥٤) .

(٣) فى طبعة بولاق « عند نزولهم فى البحر فى النيل » والمذكور عن طبعة الجمهورية .

(٤) يريد به : الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله كما جاء فى طبعة الجمهورية .

(٥) فى طبعة الجمهورية : « على سائر أهل الدولة » بدل « لأهل الرسوم » .

(٦) فى طبعة الجمهورية : « والليمون المراكبى » بدل « فى المراكب » .

(٧) فى طبعة الجمهورية : « لكل واحد من أرباب السيوف والأقلام » .

والقبْط من دونِ النّصارى تخْتن. بخلافِ غيْرهم.

الأربعون

وهو عِنْدهم دخولُ المسيح الهيْكَل، ويزْعُمون أن سمْعان الكاهن، دخلَ بالمسيح معَ أُمّه، وبارك عليه.

ويعمل فى ثامن شهر «أمشير».

خميس العهد

ويُعمل قبل الفِصْح بثلاثة أيام، وسنَّتُهم فيه أن يملئوا إناءً من ماء، ويُزمْزِمون عليْه، ثم يُغْسلُ للتبرك به أرجل سائِر النّصارى. ويزْعُمون أنّ المسيحَ فعلَ هذا بتلامِذته فى مثْل هذَا اليوْم، كىْ يعلّمهم التّواضع، ثم أخذَ عليْهم العَهْد ألّا يتفرّقوا، وأن يتواضَعَ بعضُهم لبعْضٍ.. وعوامٌّ أهل مِصْر فى وقْتِنا يقولون «خميس العدْس»[1] من أجل أنّ النّصارَى تطْبخ فيه العَدْسَ المصفّى. ويقول أهلُ الشّام: «خميس الأرز» «وخميس البيض». ويقول أهلُ الأندلس: «خميس أبريل». وأبريل: اسم شهر من شهورهم.

وكان فى الدّولة الفاطميّة تضربُ فى «خميس العدس» هذا خمسمائة دينار، فتُعْمَل خراريب، تفرّقُ فى أهل الدّولة برسومٍ مفْردَة. كما ذُكِر فى أخبار القصْر من القاهرة. عند ذِكْر دارِ الضّرب من هذا الكتاب[2].

وأدْركنا «خميسَ العدْس» هذا فى القاهرة، ومصر، وأعمالها، من جُملة المواسم العظيمة. فيباعُ فى أسواق القاهرة من البيْض المصبوغ عدّة ألوان، ما يتجاوزُ حدّ الكثْرة، فيقامِرُ به العبيد، والصّبيان، والغوْغاء. ويُنْتدَبُ لذلك من جهةِ المحْتَسِب مَن يرْدعُهم فى بعض الأحيان. ويُهادِى

---

(١) راجع ما ذكره المقريزى ١/٤٩٠.
(٢) راجع خطط المقريزى ١/٤٠٦.

النّصارى بعضُهم بعضاً، ويهدون إلى المسْلمين أنواعَ السّمك المنوّع، مع العدس المصفى. والبيْض.

وقدْ بطلَ ذلك لِمَا حَلَّ بالناس، وبقيت منه بقيّة.

سبت النور

وهو قبل الفِصْح بيوم.. يزْعُمون أنّ النور يظْهَر على قبْر المسيح - بزعمهم - فى هذا اليوم، بكنيسة القيامةِ من القدْس. فتُشعَل مصابيحُ الكنِيسة كلُّها.

وقدْ وقفَ أهل الفحْص والتّفتيش علَى أنّ هذا من جُمْلة مخاريق[1] النّصارى، لصناعةٍ يعْملونَها.

وكان بمصر. هذا اليوْم من جملة المواسِم، ويكون ثالث يوم من خميس العدس ومن توابعه.

حدُّ الحدود

وهو بعد الفِصْح بثمانية أيام. فيُعمَلُ أوّل أحَدٍ بعدَ الفِطْر؛ لأن الآحادَ قبْله مشْغولةٌ بالصوم.. وفيه يجدّدون الآلات، والأثاث، واللّباسَ، ويأخذون فى المعاملات، والأمورِ الدنْيويّة، والمعاش.

عيد التجلّى

يعمل فى ثالث عشر شهر «مسرى».

يزْعُمون أن المسيح تجلّى لتلامِيذِه بعدما رُفع، وتمنّوا عليْه أن يُحضِر لهم إيلياء[2] وموسى. عليهما السلام، فأحضرهما إليهم بمصلّى بيت المقدس،

---

(١) مخاريق النصارى: أى ابتداعاتهم. لأنهم يعتقدون أن نور المصابيح مستمد من نور الله الذى على قبر المسيح. فانظر وتأمل دقة المقريزى.. وراجع (صبح الاعشى ٢/ ٤٢٧).

(٢) إيليّاء: يريد به «إلياء النبى» (٨٧٥ - ٨٥٣ق. م) من أنبياء بنى إسرائيل، حارب العبادات الوثنية.

ثم صعدَ إلى السّماء، وتركهم.

عيد الصليب

ويُعمل في اليوم السابع عشر من شهر «توت» وهو من الأعياد المحْدَثة، وسببه ظهور الصّليب - بزعْمهم - على يد هيلانة أم قسطنطين. وله خبر طويل عندهم. ملخصه ما أنت تراه.

/ وقد كان لعيد الصليب بمصر، موسم عظيم، يخرج النّاس فيه إلى (٢٦٧/١) «بني وائل»[1] بظاهر فسطاط مصر، ويتظاهرون في ذلك اليوم بالمنْكرات من أنواع المحرّمات، ويمرّ لهم فيه ما يتجاوز الحدّ، فلمّا قدِمَتْ الدولة الفاطميّة إلى ديارِ مصْر، وبنوا القاهرة واستوطنوها، وكانت خلافة أمير المؤمنين العزيز بالله. أمر في رابع شهر رجب، في سنة إحْدى وثمانين وثلاثمائة وهو يوم الصليب، فمنع الناسَ من الخروجِ إلى «بني وائل» وضبط الطرق والدروب.

ثم لمّا كانَ عيدُ الصّليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة خرج الناسُ فيه إلى «بني وائل» وجرُوا على عادتهم في الاجتماع، واللّهْو، وفي صفر سنة اثنتين وأربعمائة قرئَ في سابعهِ سجلٌّ بالجامع العتيق وفي الطرقات، كُتِب عن الحاكم بأمر الله.

يشتمل على منْع النّصارى من الاجتماع علَى عمل عيد الصّليب، وألّا يظْهروا بزينَتهم فيه، ولا يقْربوا كنائسَهم، وأن يُمْنعوا منها. ثم بطل ذلك حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة.

النيروز[2]

هو أوّل السّنَة القبطية بمصر، وهو أوّل يوم من «توت».

---

(١) بيت لهو.

(٢) النيروز: أو «النوروز» معناه: اليوم الجديد .. وهو عيد من أعياد القبط. والتسمية فارسية كما يقول علمانيوهم.

وسنّتهم فيه إشعال النّيران ، والتراشّ بالماء ، وكان من مواسم لهْوِ المِصْرِيِّين قديماً وحديثاً[(١)] .

قال وهب : بردَتْ النّارُ فى الليلة التى أُلْقى فيها إبراهيمُ ، وفى صَبِيحتها علَى الأرْض كلّها ، فلم ينْتفع بها أحدٌ فى الدّنْيا ، تلك اللّيلة ، وذلِك الصّباح ، فمن أجْل ذلِك باتَ النّاسُ على النّار فى تلك اللّيْلة الّتى رُمِى فيهَا إبراهيم عليْه السّلام ، ووثبُوا عليْها ، وتبخرّوا بها ، وسمّوا تلك الليلة « نيروزا »[(٢)] .

والنيروز فى اللسان السريانىّ : العيد .

وسُئِل ابنُ عباس عن النّيروز : لم اتّخذوه عيداً ؟ فقال : إنه أوّل السّنة المستأنفة ، وآخر السّنَة المنْقطعة . فكانوا يستحبّون أن يقْدُمُوا فيه على ملوكهم بالطّرَف والهدايا ، فاتخذَتْه الأعاجمُ سُنّة .

(٢٦٨/١) قال الحافظ أبو القاسم علىّ بن/ عساكر فى تاريخ دمشْق[(٣)]، من طريق ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنّ فرْعون ، لما قال للملأ من قومه :

---

(١) ومن مظاهر احتفال العامة بمصر فى يوم النيروز أنهم كانوا ينتخبون رجلاً يسمونه « أمير النيروز » يطلى وجهه بالدقيق ، أو الجير ، ويضع لحية مستعارة ، ويرتدى ثوباً أحمر أو أصفر ، ومعه جمع غفير من العامة ، فيتسلط على الناس فى طلب رتبة ، وفى يده دفتر المحتسب ، فمن لم يدفع الرسم ، يرش بالماء ممزوجاً بالأقذار .

وفى هذا اليوم يجتمع المغنون وأصحاب الملاهى تحت قصر الخلافة وبأيديهم الملاهى ، وترتفع الأصوات .. ويشرب الناس المِزْرَ والخمر فى الشوارع والطرقات دون حياء !! والعامة يتراشون بالماء ، وبالماء ممزوجاً بالأقذار ، وإن أخطأ مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه بالماء ويفسد ثيابه ، ويستخف بحرمته ، فإما أن يفدى نفسه ، وإما أن يلْقَى ما لا يرضيه ، كما يرتكب أهل المنكر فى هذا اليوم كثيراً من المعاصى ويخرجون من حد الحياء والحشمة إلى الغاية من الفجور والعهور ، وقلما ينقضى يوم نيروز إلا وقتل فيه قتيل أو أكثر ؛ لخروج الناس عما هو مألوف .. كما أن رجال الشرطة كانوا لا يعترضون عما يحدث فى هذا اليوم (المقريزى ، ميتز ٢ / ٢٤٦) .

(٢) راجع فى ذلك ما كتبه ابن البطريق فى تاريخه ١٢١/١ وما بعدها .

(٣) **أبو القاسم علىّ بن عساكر** : ولد فى دمشق (١١٠٥ - ١١٧٦م) وألف كتابه المذكور « تاريخ دمشق » فى ٨ مجلدات . فقد الكثير منه . وحقّق الجزء الأول مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥١م. وفيه تراجم لرجالات الشام خاصة . وقد نشر مختصرا له لابن منظور .. فى عدة مجلدات .

﴿ **إنّ هذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم** ﴾ [1] قالوا له : ابعث إلى السّحَرة . فقال فرعونُ لموسى : يا موسى ﴿ **فاجْعل بيْننا وبيْنك موْعداً لا نخْلفه نحنُ ولا أنت** ﴾ [2] فتجْتمِع أنتَ وهارون ، وتجتمع السحرة . فقال موسى : ﴿ **موعدُكم يومُ الزّينة** ﴾ [3] قال : ووافق ذلكَ يوم السبت فى أوّل يومٍ من السّنَة ، وهو يوم النيروز .

وفى روايةٍ أنّ السحرَة قالوا لفرْعون : أيها الملِك ، واعد الرّجلَ ، فقال : قد واعدته يوم الزّينة ، وهو عيدُكم الأكبر . ووافق ذلك يومُ السّبْت ، فخرجَ النّاسُ لذلك اليوْم .

قال : والنوروز أوّل سنَة الفرْسِ وهو الرّابع عشر من « آذار » وفى شهر « برمهات » ويقال : أوّل من أحدثه « جمْشِيد » من ملوك الفرْس وإنه ملك الأقاليم السّبْعة ، فلما كمُلَ مُلكه ، ولمْ يُبْقِ له عدُوّاً اتخذ ذلك اليوْم عيداً ، وسماه « نوْروزا » فى اليوم الجديد .

وقيل : إن سليمان بن داود عليهما السّلام أوّل من وضَعه فى اليوْم الّذى رَجع إليْه خاتمُهُ .

وقيل : هو اليوم الذى شُفِيَ فيه أيوب عليه السلام . وقال الله سبحانه وتعالى له : ﴿ **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَاب** ﴾ [4] فجعل ذلك اليوم عيداً وسنّوا فيه رشّ الماء .

ويقال : كانَ بالشّام سَبْطٌ من بنى إسرائيل [5] أصابَهم الطّاعون فخرَجوا إلى العراق ، فبلغَ مَلكَ العَجم خبرُهم ، فأمر أن تبْنى عليهم حظِيرةٌ يجْعلونَ فيها . فلما صاروا فيها ماتوا ، وكانوا أربعة آلاف رجلٍ ، ثمّ إن الله تعالى أوحى إلى نبيّ ذلك الزمان : أرأيت بلاد كذا وكذا ، فحارِبْهم بسَبْط

---

(١) سورة الشعراء آية : ٣٤ . (٢) سوة طه آية : ٥٨ .

(٣) سورة طه آية : ٥٩ . (٤) سورة ص آية : ٤٢.

(٥) **السبط من اليهود** : كالقبيلة من العرب (المعجم الوسيط) .

بني فلان . فقال : يا ربّ ، كيف أحاربُ بهمْ وقدْ ماتوا ؟! فأوحى الله إليْه : إنّي أُحْييهم لك . فأمْطرَهُم الله ليلةً من اللّيالي في الحَظِيرة ، فأصبحوا أحياءً ، فهم الذين قال الله فيهم : **﴿ ألمْ تَرَ إلَى الّذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وهمْ أُلوفٌ حَذرَ الموْتِ فقالَ لهُمُ الله مُوتُوا ثُمَّ أحْياهم ﴾**[1] فرفع أمرهم إلى ملك فارس ، فقال : تبرّكوا بهذا اليوم ، وليصبَّ بعضُكم على بعضٍ الماءَ فكان ذلك اليوْم « يوم النوْروز » فصارت سُنّةً إلى اليوم .

وسئِل الخليفةُ المأْمون[2] عن رشّ الماءِ في النوْروز ، فقال : قول الله تعالى : **﴿ ألمْ تَرَ إلى الّذينَ خَرجُوا مِنْ ديارِهِمْ وهُمْ ألوفٌ حذَر الموْتِ فقالَ لهم الله مُوتُوا ثُمَّ أحْياهم ﴾** هؤلاء قوم أجْدَبُوا : تقول : مات فلان هُزَالاً . فغِيثُوا في هذا اليوم برشَّةٍ من مطرٍ فعاشُوا فأخْصبَ بلدُهم ، فلما أحياهم الله بالغيث . والغيث يسمى : الحيا . جعلوا صب الماء في مثل هذا اليوم سنةً يتبرّكون بها إلى يومنا هذا .

وقد روى أن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف . قوم من بني إسرائيل فرّوا من الطّاعون . وقيل أُمِروا بالجهاد فخافوا الموتَ بالقتْل في الجهاد ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماتهم الله ليعرّفهم أنه لا ينْجيهم من الموْت شيءٌ ثم أحياهم علَى يد « حزْقيل » أحد أنبياء بني إسرائيل ، في خبر طويل قد ذكره أهل التفسير .

وقال عليّ بن حمزة الأصفهانيّ[3] في كتاب أعياد الفرس : إن أوّل من اتخذ النيْروزَ « جمْشيد » . ويقال : « جمشاد » أحد ملوك الفرس الأوّل . ومعنى النوروز : اليوم الجديد . والنوْروز عند الفرْس يكون يوْم الاعتدال

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٣ .

(٢) **الخليفة المأمون** (٧٨٦ - ٨٣٣) من الخلفاء العباسيين . ابن هارون الرشيد . في عصره ازدهرت العلوم والفنون الإسلامية ، ونقلت مؤلفات اليونان إلى العربية .

(٣) **عليّ بن حمزة الأصفهاني** : اشتغل باللغة العربية والتاريخ وتوفى نحو سنة ٩٨١م . وعنى بالمسائل الفارسية .

الرّبيعىّ . كما أن المِهْرجان [1] أوّل الاعتدال الخريفىّ . ويزْعمون أن النوروز أقدم من المِهْرجان . فيقولون : إن المِهْرجان كان فى أيام أفريدون وأنه أوّل من عمله ، لما قتل الضحّاك ، وهو بيوراسف [2] فجعل يوم قتله عيداً سماه المهرجان . وكان حدوثه بعد النوروز بألفى سنة وعشرين سنة .

وقال ابنُ وصيف شاه فى ذكر « مناوش بن منقاوش » أحدُ ملوك القبْط فى الدّهر القديم ، وهو أوّل من عمل النوروز بمصر ، فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون إكراماً للكواكب .

وقال ابن رضوان [3] : ولما كان النيل هو السّبَبُ الأعظم فى عمارة أرْضِ مِصْر ، رأى المصريون القدماء ، وخاصة الذين كانوا فى عهد قلديانوس الملك أن يجعلوا أوّل السنة فى أوّل الخريف عند استكمال النيل الحاجة فى الأمر الأكثر ، فجعلوا أوّل شهورهم « توت » ثم « بابه » ثم « هاتور » وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور .

وقال ابن زولاق [4] : وفى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منَعَ أميرُ المؤْمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السِّكَك ، ومن صبّ الماء يوم النوروز .

وقال : فى سنة أربع وستين ، وفى يوم النوروز . زاد اللعب بالماء ، ووقود النيران ، وطاف أهلُ الأسواق وعَمِلُوا فيه ، وخرجُوا إلى القاهرة

---

(١) **المهرجان** : احتفال يقام فى ٢٦ من شهر (مِهْر) سبتمبر من كل عام ، لوقوع الاعتدال الخريفى فيه . وهو عيد من أعياد الفرس .

(٢) فى الخطط « بيوراست » والتصويب من معارف ابن قتيبة قال فى (المعارف ٦٥٢) : **وبيوراسف** : من ملوك العجم ملك ألف سنة . وقالوا هو الضحاك الحميرى .

(٣) هو **على بن رضوان** ٤٥٣هـ / ١٠٦١م رئيس أطباء مصر فى عصر الحاكم بأمر الله . وصاحب كتاب « دفع مضار الأبدان بأرض مصر » الذى قمنا بتحقيقه ونشره سنة ١٩٩٤ ونقل منه المقريزى هذا النص .

(٤) **ابن زولاق** : صاحب كتاب « الدلائل على أرض مصر » .

بلعَبِهم ، ولعبوا ثلاثةَ أيّام ، وأظْهروا السماجات ، والحَـلَي فى الأسواق ، ثم أمر المعز بالنداء بالكفّ وألّا توقد نار ، ولا يصب ماء ، وأُخذ قومٌ فخبِسُوا ، وأخذ قومٌ فطيفَ بِهم على الجمال .

وقال ابنُ المأمون فى تاريخه : وحلّ موسمُ النوْروز فى اليوْم التّاسِع من رجَب سنة سبْع عشْرة وخمسمائة ، ووصلت الكسوة المختصّة بالنوْروز من الطّرّاز [١] وثغر الإسكندرية ، مع ما يتْبعها من الآلات المذهّبة ، والحريرى ، والسوادج [٢] ، وأُطلِقَ جميعُ ما هو مستقرّ من الكسوات الرجالية والنسائية ، والعيْن والوَرِق [٣] ، وجميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفْصيلها وأسماء أربابها ، وأصناف النوروز ، البطّيخ ، والرمان ، وعناقيد الموز ، وأفراد / البُسْر ، وأقفاص التّمر القوصى ، وأقفاص السّفرْجل ، (١/٢٦٩) والهريسة المعمولة من لحم الدجاج ، ومن لحم الضأْن ، ومن لحم البقر ، من كل لون بكْلَة مع حبرير مارق . قال : وأحْضَر كاتبُ الدّفتر الحساباتِ بما جرت به العادةُ من إطلاق العيْن ، والوَرِق ، والكسْوات على اختلافها فى يوْم النوْروز ، وغيرُ ذلك من جميع الأصناف ، وهو أربعة آلاف دينار ذهباً ، وخمسة عشر ألف درهم فضة ، والكسوات عِدّة كثيرة من شقق ديْبقية [٤] مذهّبات ، وحريريات ، ومعاجر ، وعصائب نسائيات ملوّنات ، وسقولاد مذهّب ، وحريرىّ ومسفع ، وفوط ديبقية حريرية .. فأمّا العيْن والورِق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ، ودارُ الوزارة ، والشيوخ ، والأصحاب ، والحواشى ، والمستخدمين ، ورؤساء العشاريات ، وبحاريها ،

---

(١) **الطرّاز** : الذى يطرّز الثياب ونحوها بخيوط الحرير ، أو بأسلاك الذهب والفضة .

(٢) **السوادج** : الأزياء الرسمية . يقال جاء الوزير وعليه سواده .

(٣) **العيْن والورِق** : أى الذهب والفضة .

(٤) **ديبقية** : ثياب تنسب إلى « ديبق » قرية بمصر اشتهرت فى العصور الوسطى بصنع الأقمشة ومنه القماش الديبقى : المذهب . كانوا يصنعون منها العمامة ، وطول قماشها مئة باع اا على أيام العزيز الفاطمى سنة ٩٥٥م .

ولم يكن لأحدٍ من الأمراء على اختلاف درجاتهم فى ذلك نصيب .

وأمّا الأصناف من البطّيخ ، والرّمان ، والبسْر ، والموز ، والسّفرجل ، والعنّاب ، والهرائس ، على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدّم ذكرهم . ويشركهم فيه جميعُ الأمراء أرباب الأطواق والأنصاف وغيْرهم من الأماثل والأعيان ممن له جاهٌ ورسمٌ فى الدولة .

وقال القاضى الفاضل [١] فى متجدّدات سنة أربع وثمانين وخمسمائة : يوم الثلاثاء رابع عشَر رجَب يوْم النوْروز القبْطىّ . وهو مستهل « توت » وتوت أوّل سنتهم . وقد كان بمصر فى الأيام الماضية والدّولة الخالية من مواسِم بطالاتِهم ومواقيتِ ضلالاتهم ، فكانتْ المنكراتُ ظاهرةً فيه ، والفواحش صريحةً فيه ، ويركب فيه أميرٌ موْسومٌ بأمير النوروز . ومعه جمعٌ كثيرٌ ، ويتسلّطُ على النّاس فى طلَبِ رسْم رُتبَه ، ويرْسم على دور الأكابر بالجُمل الكِبار ، ويكتب مناشير ، وينْدُب مُرسِّمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ، ويقنع بالميسور من الهبات ، ويجتمع المغنّون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهى وترتفع الأصوات ويُشْرَب الخمر ، والمِزْر [٢] شرباً ظاهراً بينهم ، وفى الطرقات ، ويتراش الناس بالماء ، وبالماء والخمْر ، وبالماء ممزوجاً بالأقذار ، وإن غلَط مستورٌ وخرجَ من بيْته لقيَه من يرشّه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته . فإما أن يفدى نفسه . وإمّا أن يفْضح ، ولم يجر الحال على هذا ، ولكن قد رش الماء فى الحارات ، وقد أحيى المنكرات فى الدور أرباب الخسارات .

وقال فى متجدّدات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة : وجرى الأمر فى

(١) **القاضى الفاضل** (١١٣٥ - ١٢٠٠م) من مشاهير وزراء صلاح الدين الأيوبى . رافقه فى رحلاته فى مصر وسوريا ، وتولى عنه تدبير الدواوين .. وبعد وفاته توسط بين أبنائه لحسم الخلاف بينهم ، ليحول دون وقوع الحروب الأهلية .

(٢) **المِزْر** : نبيذ الذرة خاصة ، وقد يكون من القمح أو الشعير .

النوْروز على العادة من رشّ الماء ، واستجدّ فيه هذا العام التراجم بالبيض ، والتصافع بالأنطاع ، وانقطع الناسُ عن التصرّف ، ومن ظُفِر به فى الطّريق رُشّ بماء نجسة وخَرُق [1] به .

وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها إلى أن كانت أعوام بضْع وثمانين وسبْعمائة ، وأمْرُ الدّولة بديار مصر وتدبيرها إلى الأمير الكبير « برقوق » [2] قبل أن يجلس على سرير الملك ، ويتسمّى بالسلطان ، فمنعَ من لعبِ النوّروز ، وهدّد من لعبه بالعقوبة ، فانكفّ الناسُ عن اللعب فى القاهِرة ، وصاروا يعملون شيئاً من ذلك فى الخلجان والبرَك ونحوها من مواضع التنزّه ، بعدَمَا كانت أسواق القاهرة تتعطّل فى يوْم النوْروز من البيْع والشّراء ، ويتعاطى النّاسُ فيه من اللهو ، واللعب ما يخْرجون عن حدّ الحياء والحشْمَة ، إلى الغاية من الفجور والعُهُور ، وقلّما انْقضى يوم نوروز إلا وقُتل فيه قتيلٌ أو أكثر ! ولم يبق الآن للنّاسِ من الفراغِ ما يقْتَضِى ذلك ، ولا من الرّفه والبطر ما يُوجِب لهمْ عمله ، وما أحسن قولُ بعْضهم :

كيْفَ ابْتهاجُكَ بالنّوْروزِ يا سَكَنى ... وكُلُّ ما فيهِ يحْكِينى وأحْكِيهِ

فتارةً كلهيبِ النّارِ فى كَبِدى ... وتارةً كتوَالِى دِمْعَتِى فيهِ

وقال آخر :

نوْرزَ النّاسُ ونوْرزتُ ولكنْ بدمُوعِى

وذكتْ نارُهُم والنّارُ مَا بيْن ضلوعِى

---

(١) خَرُقَ به : أى تجوهل وتوقّح عليه .

(٢) برقوق : أول المماليك البرجيين ٧٨٤هـ / ١٣٨٢ تولى قبل أن يجلس على سرير الملك أتابك (قائد عام) الجيوش المصرية وتملك مصر ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م . ففتح دمشق وغزة وانتصر على المغول ، وكان متدينا كريما . راجع (خطط المقريزى ٢/ ٢٤١، والمنهل الصافى ٣/ ٢٨٦) .

وقال آخر :

ولمّا أتَى النوْروزُ يَا غايَة المُنَى ... وأنْتِ على الإعْراضِ والْهَجْر والصَّدِّ
بَعثْتِ بنارِ الشّوْقِ ليْلاً إلى الحشَا ... فنوْرَزْت صبحا بالدّمُوعِ علَى الخدِّ

/ ذكر عيد الشهيد (٦٨/١)

ومِمّا كانَ يُعْمل بمصر « عيدُ الشّهِيد » وكان من أنْزَهِ فُرَج مصر ، وهو اليوْم الثامن من « بشَنْس » أحَدُ شهور القبط .

ويزعمون أنّ النّيلَ بمصْر لا يزيدُ كُلَّ سنةٍ حتّى يُلْقِى النّصارى فيهِ تابوتاً[1] مِن خشبٍ ، فيه أصبُع مِنْ أصابع أسْلافهم الموْتَى ، ويكونُ ذلك اليوْم عيداً تَرْحلُ إليْه النّصارى من جميعِ القُرى ، ويرْكبونَ فيه الخيْل ، ويلْعَبون عليْها ، ويخْرُج عامّة أهل القاهرة ، ومصْرَ علَى اخْتِلاف طَبَقاتِهم ، وينْصُبون الخيَم علَى شطُوطِ النّيل ، وفى الجزائر ، ولا يبْقَى مُغَنٍّ . ولا مغَنِّيَة . ولا صَاحبُ لهْوٍ . ولا رَبُّ ملْعوبٍ . ولا بَغِيٌّ . ولا مُخَنّثٍ . ولا ماجنٍ . ولا خَليعٍ . ولا فَاتِكٍ . ولا فاسِقٍ .. إلّا ويخْرجُ لهذا العِيد ، فيجْتَمِع عالَمٌ عظِيمٌ لا يُحْصِيهم إلّا خالِقهُم ، وتُصْرَف أموالٌ لا تنْحَصِر ، ويتجَاهَرُ هنـاكَ بما لا يُحْتَمل مِنَ المْعاصى والفسُوق ، وتثورُ فِتنٌ ، وتُقتَلُ أناسٌ ، ويُباعُ مِنَ الخمْر خاصّةً فى ذلِك اليوْم بما ينَيِّفُ على مائَة ألْف درْهم فضَّة ، منها خمْسة آلاف دينار ذهباً .

وباعَ نصرانيٌّ فى يومٍ واحدٍ باثْنى عشَر ألْف درْهم فضّةٍ مِنَ الخمْرِ .

وكانَ اجْتماعُ النّاسِ لعيدِ الشّهيدِ دائماً بناحِيَة شَبْرَا ، من ضَواحِى القاهرة ، وكانَ اعتمادُ فلاحِى شَبْرَا دائماً فى وفاءِ الخرَاجِ علَى ما يبيعونَه من الخمْر فى عيدِ الشّهيد .

---

(١) **التابوت** : صندوق من الخشب .

ولمْ يزَلْ الحالُ على ما ذُكِر من الاجْتماعِ كذَلِك ، إلى أنْ كانَتْ سنةَ اثْنتَيْن وسبعْمائة ، والسّلْطانُ يومئذٍ بديارِ مصْر : الملكُ النّاصِر محمّد بن قلاوُن [1] ، والقائِم بتدبير الدّولة الأمير رِكْن الدِّين بِيبَرس الجاشنكير [2] ، وهو يومئَذٍ إستادار [3] السّلْطان ، والأمير سيْفُ الدّين سلّار نائِب السّلْطنَة بديار مصْر [4] ، فقامَ الأميرُ بيبرس فى إبْطالِ ذلك قِياماً عظِيماً . وكانَ إليْه أُمورُ ديار مصْر ، هوَ والأمير سلّار ، والنّاصِر تحتَ حجْرهما ، لا يقْدِر على شِبَع بطْنِه إلّا مِنْ تحْتِ أيْديهما [5] ، فتقدَّم أمرُ الأمير بيبرس ألّا يُرْمَى أصْبُع

---

(١) **الملك الناصر محمد بن قلاون** (٦٨٤ - ٧٤١هـ / ١٢٨٥ - ١٣٤١م) تاسع السلاطين المماليك البحرية فى مصر فى المدة الأولى (١٢٩٣ - ١٢٩٤م) والثانية (١٢٩٨ - ١٣٠٨م) والثالثة (١٣١٠ - ١٣٤١م) هزم المغول بمساعدة بيبرس والخليفة المستكفى ، أحسن معاملة أهل الذمة ، فوفدت البعثات الأوروبية على أيامه إلى بلاد الشرق . وله آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال . (العصر المماليكى . سعيد عاشور ١٢٥ - ١٢٨) .

(٢) **الجاشنكير** : هو الأمير الذى يقوم بتذوق المأكول ، والمشروب ، قبل السلطان أو الأمير ؛ خوفاً من أن يُدَسّ عليه فيه سم ، أو نحوه . (صبح الأعشى ٥/ ٤٦٠) .

(٣) **إستادار** : وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها : من المطابخ ، والشراب ، والحاشية ، والغلمان .

وله مطلق التصرف فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكساوى ، وما يجرى مجرى ذلك من المماليك وغيرهم . (صبح الأعشى ٤/ ٢٠، ٥/ ٤٥٧. والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٢، حاشية ١) .

(٤) كان ذلك فى سلطنة الناصر محمد بن قلاون الثانية .. فعين الأمير سلّار نائباً للسلطنة ، والأمير بيبرس الجاشنكير . إستادارا .

(٥) قد استغل هذان الأميران بالذات صغر سن السلطان ، واستبدّا بالأمور ، وضيّقا على الناصر محمد ، حتى أنهما تدخلا فى أبسط أموره الشخصية مثل المصروف والمأكل والمشرب .

ولى الملك الناصر سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبى ، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤هـ وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ فأقام فى القلعة كالمحجور عليه ، والأعمال فى يد الإستادار الأمير بيبرس ، ونائب السلطنة الأمير سلّار ! واستمر نحو عشرين سنة ضاق بها صدره من تحكّمهما ، فقتل بيبرس خنقاً بيده وشرد أنصاره ، وامتلك قيادة الدولة سنة ٧٠٩هـ واستمر ٣٢ سنة ، وشهرين ، وخمسة وعشرين يوماً . كانت له فيها سير وأنباء أوردها المقريزى فى السلوك .. راجع (السلوك ، للمقريزى . القسمين الأول والثانى من الجزء الثانى . وفيهما استيفاء سيرته ، وتاريخ الدولة فى أيامه) . =

فى النّيل ، ولا يُعْمَلُ لهُ عِيد ، ونَدِبَ الحجّابَ ووَالِى القاهِرة لمَنْع النّاسَ من الاجْتماع بشَبْرا على عادَتِهم ، وخرجَ البريدُ إلى سائِر أعْمالِ مصْر ، ومعَهم الكُتُبُ إلى الوُلَاة بإجهار النِّداء وإعْلانه فى الأقاليم ، ألّا يخْرج أحدٌ من النّصارَى ولا يَحْضِر لعَمل عيدِ الشّهيد ، فشَقّ ذلِكَ علَى أقْباطِ مصْر كلِّهم ، مَنْ أظْهَر الإسلامَ منْهم ، وزعَمَ أنّه مُسْلم ، ومنْ هو باقٍ علَى نصْرانيّتِه ، ومشَى بعضُهم إلَى بعْضٍ ، وكان مِنْهم رجُلٌ يُعْرف بالتّاج ابن سعيدِ الدّوْلة ، يعانِى الكِتابة ، وهوَ يؤمئذٍ فى خِدْمة الأمير بيبَرْس ، وقد احْتَوَى علَى عقْلِه ، واستَوْلَى على جميعِ أمُورِه كما هَى عادة ملوكِ مصْر وأمرائِها مِنَ الأتْراك فى الانقْياد لكتّابِهم من القِبْط .. سواءٌ منْهم من أسَرَّ الكفْرَ ومَنْ جهَرَ بِه .

وما زال الأقباطُ بالتّاج إلى أن تحدَّثَ معَ مخْدومِه الأمير بيبرْس فى ذَلِكَ وخيَّل له من تَلَف مالِ الخرَاج إذَا بطَلَ هذَاالعِيد ، فإنّ أكْثَر خراجِ شَبْرا إنّما يحْصُل مِن ذلِكَ ، وقال له : متَى لمْ يَعْمل العِيدَ لمْ يطْلَع النّيل أبداً ! ويخْرب إقليمُ مصْر ، لعدَمِ طلُوعِ النّيل ، ونحْو ذلِكَ ، منْ هتْفِ القوْل ، وتنْميق المكْر ، فثبّت اللهُ الأميرَ بيبَرْس وقوّاه ، حتّى أعْرضَ عنْ جميعِ ما زخْرَفَه مِنَ القوْل ، واستمرَّ علَى منْعِ عَمل العِيدَ ، وقال للتّاج : إن كانَ النّيلُ لا يطْلعُ إلّا بهذاَ الأصْبُع فَلا يطْلَع ، وإن كانَ اللهُ سُبحانَه هو المتَصرِّفُ فيهِ فنكذبُ النصارى .. فبطَل العيدُ من تِلك السّنَة ولمْ يزلْ منْقطِعاً إلى سنَة ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة .

وعَمَّرَ الملكُ النّاصر محمّد بن قلاوُن الجسرَ فى بحْر النّيل ليرْمى قوّةَ التيّار عن برّ القاهرةِ إلى ناحيةِ الجيزة . كما ذُكِر فى مَوْضِعه مِنْ هذَا

= أما بيبرس الجاشنكير فقد تسلطن وتلقب بـ (المظفر بيبرس) لمدة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً لم يهنأ له فيها بال . راجع (السلوك ٤٥/٢ - ٧١ ثم ٨٠ ، والنجوم الزاهرة ٢٣٢/٨ - ٢٧٦) .

الكتاب [1] فطلَبَ الأميرُ يلْبَغا اليحْياوىّ ، والأميرُ الطّنْبغا المارِدينىّ من السُّلْطان أن يخْرجا إلى الصّيْد ، ويغيبَا مُدّةً ، فلم تَطِبْ نفسُه بذلِكَ لشِدَّة غرامِهِ بهما ،وتهتّكِهِ فى محبّتهما ، وأراد صَرْفَهما عن السّفر ، فقالَ لهما : نحنُ نُعِيدُ عملَ عيد الشّهيد ، فيكون تفرُّجكما عليْه أنْزه مِنْ خروجكما إلى الصّيْد ، وكان قدْ قرُبَ أوان وقْت الشّهيد ، فرضيَا منْهُ بذلك ، وأُشِيعَ فى الإقْليم إعادَةُ عمَلِ عيدِ الشّهيد ، فلما كانَ اليوْم الذِى كانتْ العادَةُ بعَمله فيهِ ، ركِبَ الأمراءُ النّيلَ فى الشّخانير ، بغير حرَارِيق [2] ، واجْتمعَ النّاسُ من كلّ جهةٍ ، وبرزَ أربابُ الغِناء ، وأصحابُ اللّهْو والخلاعَة ، فركِبُوا النّيل ، وتجاهَرُوا بما كانت عادَتُهم المجاهرةُ بِهِ ، منْ أنْواعِ المنْكَراتِ ، وتوسّع الأمراءُ فى تنوُّع الأطْعِمة والحلاوَاتِ وغيْرِها ، توسُّعاً خرجُوا فيهِ عن الحدّ فى الكثْرةِ البالِغة ، وعمّ النّاسَ منْهم ما لا يمكِنُ وصْفه لكثرته ! واستمرُّوا على ذلك ثلاثة أيام .

وكانت مدَّة انْقِطاع عَمل عيد الشَّهيد ، منْذ أبْطلَه الأميرُ بيبرْس إلى أن أعاده الملكُ النّاصِر ، ستًّا وثلاثين سنة ، واستمرَّ عملُه فى كلّ سنة بعْد ذلك .

إلى أن كانت سنة خمْسٍ وخمْسين وسبْعمائة تحرَّك المسْلمون علَى النّصارى ، وعُمِلتْ أوراقٌ بما قدْ وُقِفَ منْ أراضى مصْر علَى كنائِس النّصارى ودياراتِهم ، وألْزم كتَّابُ الأمراءِ بتحْرير ذَلك ، وحمْلِ الأوْراق إلى ديوان الأحباس .. فلمّا تحرّرت الأوْراق اشتملت على خمْسة وعشْرين ألْف فدّان كلّها موْقُوفةٌ علَى الدّيارات والكنائس ، فعُرِضتْ على أمراء الدّولة القائِمين بتدْبير الدّولة فى أيام الملك الصّالح صلاح بن محمّد بن

---

(١) خطط المقريزى ٢/١٦٥ - ١٧٧ .

(٢) **الحراريق** ، جمع حراقة : نوع من السفن الحربية . استخدمت لحمل الأسلحة النارية ، استخدم نوع منها فى النيل أثناء الاستعراضات التى تقام فى الاحتفالات العامة (السلوك ١/ ٣٠٦) .

قلاوُن [1] .. وهُمْ : الأمير شِيخُو العمَرِى ، والأمير صرغتمش ، والأمير طاز . فتقرّرَ الحالُ على أن يُنْعم بذلك على الأمراء .. زيادةً على إقطاعاتهم . وأُلْزِمَ النّصارى بما يلْزمُهم من الصَّغار ، وهُدِّمت لهم عدّةُ كنائس ، كما هو مذكورٌ فى موْضِعه مِن هذا الكتاب [2] / عند ذكر الكنائس. (١/٧٠)

فلما كان العشْرُ الأخِير من شهْر رَجب ، من السنة المذكورَة ، خرجَ الحاجِبُ [3] ، والأميرُ علاءُ الدِّين عليّ بن الكورانيّ ، والى القاهرة ، إلى ناحيةِ شَبْرا الخيَام [4] ، من ضواحِى مصر ، فهُدمت كنيسة النّصارى وأخِذ منها أُصْبع الشّهيد فى صندوق ، وأُحْضِرَ إلى الملك الصالح ، وأُحْرق بين يدَيْه فى الميدان ، وذُرِّى رمادُهُ فى البحر ، حتى لا يأخذه النصارى .. فبطل عيد الشهيد من يومئذ إلى هذا العهد ، ولله الحمد والمنة .

* * *

---

(١) فى خطط المقريزى وكذلك أيضاً فى القول الإبريزى « الملك الصالح صالح » والتصويب عن خطط المقريزى ٧٣/٢ وهو كذلك فى سائر كتب التاريخ وهو ابن الملك الناصر محمد بن قلاون من أواخر دولة المماليك البحرية ولد بقلعة الجبل بالقاهرة ، وبويع بها بعد خلع أخيه حسن سنة ٧٥٢هـ ومدة سلطنته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ونصف (بدائع الزهور ١٩٤/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٥٤/١٠ – ٢٨٧، والدرر الكامنة ٢٠٣/٢ – ٢٠٤) ولم يكن له فى سلطنته إلا مجرد الاسم فقط لغلبة الأمراء عليه ، وسرعان ما انتهى إلى العزل والحبس بالقلعة . (سعيد عاشور. العصر المملوكى ١٣٢) .

(٢) خطط المقريزى ٥١٢/٢ – ١١٧، القول الإبريزى .

(٣) الحاجب آنذاك : أمير . وظيفته أن ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه ، وتارة بمراجعة النائب (صبح الأعشى ١٩/٤) .

(٤) **شبرا الخيام :** هى ما تعرف اليوم بـ « شبرا الخيمة » .

/ ذكر دقلطيانوس الذى يُعرف تاريخ القبط به (٢٦٢/١)

اعلم أنّ دقلطيانوس[١] هذا . أحدُ ملوكُ الرُّوم المعروفين بالقياصرة . مَلِكَ فى منْتَصف سنة خمْسٍ وتسْعين وخمسمائة من سِنِى الإسكنْدر ، وكان من غيْر بيْت المُلْك ، فلما ملَكَ تَجبَّر وامتدّ ملْكهُ إلى مدائن الأكاسرة ، ومدينة بابل . فاستخلف ابنَهُ على مَمْلكَةِ رُومة ، واتّخذ تخْتَ مُلْكِهِ بمدينة أنطاكية ، وجعلَ لنفْسه بلادَ الشّام ومصْر ، إلى أقصى المغْرب ، فلمّا كانَ فى السّنَةَ التّاسِعة عشَر مِن مُلْكه . وقيل : الثانية عشر .. خالفَ عليْه أهلُ مصْرَ والإسكندرية ، فبعثَ إليْهم وقَتلَ منْهم خلْقاً كثيراً ، وأوْقع بالنّصارى ، فاسْتباحَ دماءَهم ، وغلّق كنائِسَهم ، ومنع من دينِ النّصارى ، وحملَ النّاسَ على عبادةِ الأصنام ، وبالغ فى الإسْراف فى قتْلِ النّصارى ، وأقام مَلِكاً إحْدى وعشرينَ سنةً ، وهلَكَ بعْدَ عِلَلٍ صعْبة ، دوّدَ منْها بدنُه ، وسقَطَتْ أسنانهُ .. وهو آخر من عبد الأصنام من ملوك الرُّوم ، وكلُّ مَنْ ملَك بعده فإنّما كانَ على دينِ النصرانية ، فإنّ الّذى مَلك بعْده ابنهُ سنة واحدة ، وقيل : أكثر من ذلك ، ثم ملَكَ قسطنطين الأكبر[٢] فأظهر دينَ

---

(١) هو : ديوقليسانوس (Diocleticn): (٢٤٥ - ٣١٣ م) راجع خطط المقريزى ١/ ١٧٧، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٩٩. و٢/ ٤٨٥، ٤٨٧. وانظر : ديقلطيانوس : ١/ ١١٦. و٢١/ ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥١٩ .

اضطهد المسيحيين ، وسموا عصره « عصر الشهداء » .

وملك معه « ديوكليتيانوس مقسيما . ويسمي إلكوريوس .. تملّكا على الروم وأثارا على النصارى بلاء عظيماً وحزناً طويلاً . وشدة شديدة تجلُّ عن الوصف من أذيّة النصارى وقتلهم واستباحة أموالهم .. فقتلا من النصارى ما لا يحصى عددهم إلا الله . واستشهد فى أيامهما ألوف الألوف من الشهداء . وعذبوا مارى جرجس بأصناف العذاب وقتلوه فى فلسطين وأقاما بطرس خاتم الشهداء . البطريرك السابع عشر . وضربت عنقه بالسيف . راجع فى ذلك (تاريخ ابن البطريق ١/ ١١٦) .

(٢) **قسطنطين الكبير** (٢٧٤ - ٣٣٧م) إمبراطور روما (سنة ٣٠٦م) نقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى بيزنطة فسميت القسطنطينية . وأعلن حرية الدين المسيحيى فى قرار ميلانو سنة ٣١٣م وأمر ببناء الكنائس فى كل بلد وأمة « هيلانة » النصرانية كان لها يد طولى فى بناء الكنائس والأديرة (تاريخ ابن البطريق ١٢١/١ وما بعدها) .

النّصرانية ، ونشرَهُ في الأرْض . ويقال : إنّ رجلًا ثارَ بمِصْرَ يقال له « أجله » ، وخرجَ عن طاعةِ الرُّوم ، فسارَ إليْه دقلطيانوس ، وحصَرَ الإسكندرية دارَ المُلْك يومئذ ، ثمانية أشْهر ، حتّى أخذَ « أجله » وقتلَه وعمّ أرض مصر كلّها بالسّبْي والقتْل ، وبعثَ قائدَه فحاربَ سابور ، مَلِك فارس[1] ، وقتلَ أكثر عسْكرِه وهزَمه وأسرَ امرأته ، وإخوتَه ، وأثْخَن في بلاده ، وعادَ بأسْرى كثيرةٍ منْ رجال فارِس ، ثم أوْقع بعامَّة بلادِ رومة ، فأكثر في قتْلهم وسبْيهم ، فكانتْ أيامُهُ شنِعة ، قتَلَ فيها من أصْناف الأمَم ، وهدَّم منْ بيوت العباداتِ ما لا يدْخلُ تحتَ حصْر .

وكانتْ واقعتُه بالنّصارى / هي الشدّة العاشِرة ، وهي أشنع شدائِدهم ، (٢٦٣/١) وأطْولُها ، لأنها دامتْ عليهم مدّة عشْر سنين ، لا يفْتُر يوماً واحداً .. يحْرِق فيها كنائِسَهم ، ويعذّب رجالَهم ، ويطْلُب مَن اسْتَتَر منْهم أو هرَب ليُقْتَل .. يريدُ بذلك قطْعَ أثر النّصارى ، وإبْطال دينِ النّصرانية من الأرْض .

فلهذا اتّخذُوا ابتداءَ مُلْك دقلطيانوس تاريخا .

وكان ابتداءُ مُلْكه يومَ الجمعة ، وبيْنَه وبيْنَ يوم الاثنين أوّل يوم من « توت » وهو أوّل أيام مُلْك الإسكندر بن فيلبّش المقدونيّ ، خمسمائة وأربع وتسعون سنة ، وأحدَ عشر شهراً ، وثلاث أيام .

وبين يوم الجمعة أوّل يوم من تاريخ دقلطيانوس ، وبين يوم الخميس ، أوّل يوم من سنة الهجرة النبوية ثلاثمائة وثمان وثلاثون سنة قمرية ، وتسعة وثلاثون يوْماً .

وجعلُوا شهُورَ السّنة القِبْطية اثْنى عشَر شهْراً ، كلُّ شهْرٍ منْها عدَدُه ثلاثون يوْماً سواء ، فإذَا تمّت الأشْهر الاثنى عشَر ، أتْبعوهَا بخمْسةِ أيّامٍ زيادة

---

(١) كان ذلك بعد إحدى وأربعين سنة من ملك سابور بن هرمز على الفرس . (المرجع السابق ١٢٢/١) .

على عَدد أيامها . وسمُّوا هذه الخمْسة الأيام « أبو عمنا » وتعرف اليوم « بأيام النسىء » فيكون الحال فى النسىء على ذلك ثلاث سنين متواليات ، فإذا كانَ فى السّنَة الرّابعة ، جعلوا النّسىءَ ستّة أيام ، فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات ، كلُّ سنَةٍ ثلاثمائة وخمسة وستّون يوْماً ، والرابعة يصير عددها ثلاثمائة وستة وستين يوْماً .

ويرجع حُكْم سنتهم إلى حُكْم سنة اليونانيين ، بأنْ تصير سنَتُهم الوُسْطى ثلاثمائة وخمسة وستين يوْماً وربع يوم .. إلّا أنّ الكبْس يختلف ، فإذا كان كبْس القِبْط فى سنة كان كبس اليونانيين فى السنة الداخلة .

أسماء شهور القبط

توت - بابه - هتور - كيهك - طوبة - أمشير - برمْهات - برْمُودة - بشَنْس - بئونة - أبيب - مِسْرى .

فهذه اثنى عشر شهراً ، كلّ شهر منْها عدَدُه ثلاثون يوْماً .

وإذَا كانت عِدّة شهْر « مِسْرى » وهو الشهر الثانى عشر زادوا أيام النسىء بعد ذلك ، وعملوا « النوروز » أوّل يوم من شهر توت .

* * *

/ ذِكْر قسطنطين

(٢٦٦/١)

وقسْطَنْطِين هذا هو ابن قسْطش [١] بن وليطنوش ، بن أرشميوش ، بن دقبونَ ، بن كلوديش ، بن عايش ، بن كتبيان أعسب الأعظم ، الملقب قيْصر .

وهو أوّل من ثبّت دينَ النّصرانية ، وأمر بقطْع الأوثان ، وهدّم هياكِلها ، وبنيات البيَع ، وآمن من الملوك بالمسيح .

وكانتْ أمّه هِيلانة [٢] من مدينة « الرُّها » [٣] فنشأ بها مع أمّه ، وتعلّم العلومَ ، ولم يزل في غاية من الظّفَر ، والسّعادة ، معاناً ، منصوراً علَى كلّ مَنْ حارَبه ، وكان فى أوّل أمره على دين المجوس ، شديداً على النّصارى ماقتاً لدينهم .

وكانَ سبَبُ رجوعِه من ذلك إلى دين النّصرانية : أنه ابتُلىَ بجُذام ظهَر عليْه ، فاغتم لذلك غمًّا شديداً ، وجمعَ الحذّاقَ من الأطباء ، فاتّفقوا على أدْويةٍ دبّروها له .. وأوْجبوا أن يستنقع بعْدَ أخذِ تلْك الأدوية فى صَهْريج مملوءٍ من دماء أطفالٍ رضّع ساعةَ يسيلِ منْهم . فتقدّم أمرُه بجمْع جمْلةٍ من أطفالِ النّاس ، وأمر بذبْحهم فى صهْريج ، ليستنقع فى دمائهم ، وهى طريّة ، فجُمِعت الأطفالُ لذلك .. وبرز ليمْضى فيهم ما تقدّم بهِ من ذبْحهم !

---

(١) يذكره ابن البطريق : « قسطس أبو قسطنطين » ١ / ١١٧.

(٢) يقول ابن البطريق : قسطس أبو قسطنطين كان ملكاً على بيزنطة . وكان رجلاً ديّناً هادئاً ، مبغضا للأصنام محباً للنصارى . فخرج « قسطس » إلى ناحية « الجزيرة » و« الرها » فنزل قرية من قرى « الرها » يقال لها « كفر فخار » ونظر فيها إلى امرأة حسنة ، جميلة ، يقال لها : « هيلانة » وكانت قد تنصّرت على يد « برسيقا » أسقف الرها . وتعلمت قراءات الكتب . فخطبها « قسطس » من أبيها ، فزوجه إياها ، وحبلت منه ، ورجع « قسطس » إلى بيزنطة . فولدت « هيلانة » غلاماً حسن الوجه ، وديعاً ، عاقلاً قليل الشر ، محباً للحكمة ، وهو : « قسطنطين » فتربى بـ « الرها » وتعلم حكمة اليونانيين .راجع (تاريخ ابن البطريق ١/١١٧ - ١١٨) .

(٣) الرها .. أو أورفا (Urfa, Edesse) : هى الآن مدينة بين النهرين فى تركيا وقد اشتهرت فى العصور الجاهلية وصدر الإسلام بمعاهدها العلمية حتى أصبحت عاصمة الثقافة والآداب . فتحها العرب سنة ١٨هـ / ٦٣٩م واستقرت فى أيدى العثمانيين سنة ١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م وخضعت لتعاليم النساطرة .

(٢٦٧/١) فسمع ضجيج النّساء اللّاتي أُخِذَ / أولادُهن فرحِمَهن. وأمر فدفع لكلّ واحدةٍ ابنَها، وقال: احتمالُ علّتي أوْلَى بي، وأوْجَب من هَلاكِ هذه العِدّة العظِيمة من البشر. فانصرفَ النّساءُ بأولادهنَّ، وقد سُرِرْنَ سروراً كثيراً، فلمّا صارَ من اللّيْل إلى مضْجعه، رأى في منامه شيْخاً يقولُ له: إنّك رحمتَ الأطفال وأمّهاتِهم، ورأيتَ احتمالَ علّتِك أولى مِنْ ذَبْحهم، فقدْ رحمك الله ووهَبكَ السّلَامةَ مِنْ علّتك.. فابْعث إلى رجل من أهل الإيمان يُدْعى «شَلْبَشْقَر» قد فرّ خوْفاً منْك، وقِفْ، عندما يأمركَ به، والْتزِم ما يحضّك عليه، تتمُّ لك العافية. فانتبَهَ مذْعوراً وبعث في طلَب «شلبشقر» الأسقف فأُتِيَ به إليْه، وهو يظنُّ أنه يريد قَتْله؛ لما عَهِده مِن غلظَتِه على النّصارى، ومقْتِه لدينهم. فعنْدما رآه، تلقّاهُ بالبشْر، وأعْلَمه بما رآه في مَنامِه. فقصّ عليهِ دينَ النّصْرانية، وكانت له معَه أخبارٌ طويلة، مذْكورَة عِنْدهم، فبعثَ قسطنطين في جمْع الأساقفة المنْفيّين، والمسيَّرين، والتزمَ دينَ النّصْرانية، وشفاهُ الله من الجُذَام، فأيّد الديانَة، وأعلن بالإيمان بدين المسيح، وبينا هو في ذلك، إذْ توقّعَ وثوبَ أهْل رُومة عليه، وإيقاعهم به، فخرج عنها، وبنى مدينة قسطنطينية بنياناً جليلاً، فعرفتْ به، وسكنها، فصارت موْضِع تخْت الملْك من عهْده.

وقدْ كانَ النّصارى من لَدُن زمان نيْرون [(١)] الملك الذى قتَل الحواريِّين، ومن بَعْده، ممن مَلَك رومة، في كلّ وقْتٍ يُقْتلون، ويحْبَسون، ويشرّدون بالنفي. فلما سكنَ قسْطَنطين مدينة قسطنطينية جمع إلى نفْسه أهل المسيح وقوّى وجوههم وأذلّ عبّادَ الأوثان. فشقّ ذلك على أهل رُومة، وخلعُوا طاعتَه، وقدّموا عليْهم ملِكاً فأهمّه ذلك، ومرت له معَهم عدّةُ أخبار مذْكورَة في تاريخ رومة.

---

(١) في المخطط : يرون.

ونيرون (Néron) (٤ – ٦٨): إمبراطور رومانى (٥٤ – ٦٨) أظهر الحلم طالما انتصح بنصائح معلمه الفيلسوف سينيكا. ثم طغى فقتل أمه وزوجته. واضطهد المسيحيين، ويضرب به المثل في القساوة والوحشية.

ثم إنه خرجَ من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدُّوا لحربه ، فلمّا قاربهم أذْعنوا له والتزموا طاعتَه ، فأقام إلى أنْ رجعَ لحرْب الفُرْس ، وخرج إليْهم فقهرهم ، ودانت له أكثر ممالك الدنيا . فلمّا كان فى عشْرين سنة من دوْلته خرجت الفُرس على بعض أطرافِه فغزَاهم وأخْرجَهم عنْ بلاده ، ورأى فى منامه كأنّ بنوداً شِبْه الصَّليب قد رُفعت ، وقائلاً يقول له : إن أردْتَ أن تظفر بمَنْ خالفكَ فاجْعَل هذِه العلامات علَى جميع برَكِكَ وسِكَكك . فلما انْتبه أمر بتجْهيز أمه هيلانة إلى بيْت المقْدِس فى طلَب آثار المسيح عليْه السّلام ، وبناء الكنائِس ، وإقامة شعائر النّصْرانية . فسارت إلى بيْت المقْدِس ، وبنت الكنائِس . فيقال : إنّ « الأسقف مقاريوس » دلّها على الخَشَبةِ الّتى زعمُوا أنّ المسيحَ صُلب عليها . وقدْ قصّ عليْها ما عَمِلَ بهِ اليهود . فحفرتْ فإذا قبْرٌ وثلاثُ خشباتٍ علَى شكْل الصّليب ، فزعمُوا أنّهم ألْقوا الثّلاثَ خشباتٍ علَى ميِّتٍ واحدةً بعْدَ واحدة . فقامَ حيًّا عندما وضُعِت عليْه الخشبة الثالِثة منْها .

فاتّخذُوا ذلِكَ اليوْم عيداً وسمّوه عيدَ الصّليب . وكان فى اليوْم الرابع عشر من « أيلول » والسابع عشر من « توت » وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثمائة وثمانٍ وعشرين سنة .

وجعلت هيلانة لخشباتِ الصّليب غلافاً من ذهب ، وبنت كنيسة القِمامة ببيتِ المقْدِس علَى قبْر المسيح بزعمهم .

وكانتْ لها مع اليهود أخبار كثيرة قدْ ذكِرَتْ عنْدهم ، ثم انصرفت بالصليب معها إلى ابنها ، وما زال قسطنطين على ممالك الروم إلى أنْ مات بعد أربعِ وعشْرين سنةً من ولايته .

فقامَ من بعْدِه بممالك الرّوم ابنُه قسطنْطين الأصغر .

(۷۹/۱)

/ ذكرُ انْتقاضِ القِبْط، وما كانَ من الأحْداث في ذلك

قال أبو عُمَر [١] محمد بن يوسف الكِنْديّ [٢]. في «كتاب أمراء مصر» في إمْرَة الحُرّ بن يوسف [٣] أميرُ مِصر: كتبَ عبدُ الله بن الحبْحَاب - صاحبُ خراجِها - إلى هشام بن عبد الملك بأنّ أرْضَ مصر تحْتَمل الزِّيادة. فزادَ على كلِّ دينارٍ قيراطاً.. فانتقضَتْ [٤] كورَةُ تنوديمى [٥]، وقُرْبيط [٦]،

---

(١) في خطط المقريزى: «أبو عمْرو» ۷۹/۱ و۲٦۱/۲ والتصويب من (الولاة والقضاة، وحسن المحاضرة، وسائر المصادر).

ويلاحظ أن المقريزى ذكر نصه هذا مرتين: الأولى هنا: ۷۹/۱ والثانية ۲٦۱/۲ منقولاً عن الكندى في كتابه المذكور مع تصرّفه القليل جدًّا في نص الكندى.

وهذا النقل من أماكن متعددة من الكتاب المذكور.. سأشير إليها.

(٢) هو: أبو عمَر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى (۲۸۳ - بعد ۳٥٥هـ/ ۸۹٦ - بعد ۹٦٦م) مؤرخ من أعلم الناس بتاريخ مصر، وأهلها، وأعمالها، وثغورها. وله علم بالحديث، والأنساب.. ولد وتوفى بمصر، وله عدة مصنفات، منها: «الولاة والقضاة» نشر أكثر من مرة يضم كتابيه: «تسمية ولاة مصر، وأخبار قضاة مصر»، وله أيضاً: «سيرة مروان بن الجعد» وغير ذلك.

راجع (حسن المحاضرة ۱/ ۳۱۹. والمغرب في حلى المغرب ۷/ ٥، ٤۸ طبعة ليدن).

(٣) **الحُرّ بن يوسف بن الحكم الأموى**. توفى سنة ۱۱۳هـ/ ۷۳۱م كان أمير مصر. ولاه هشام بن عبد الملك مصر سنة ۱۰٥هـ ثم صرفه عنها سنة ۱۰٦هـ وولاه الموصل.. قال ابن تغرى بردى: كان من أجل أمراء بنى أمية. شجاعة، وكرماً، وسؤددا. (النجوم الزاهرة ۱/ ۲٥۸، وابن الأثير ٥/ ٤۹، والولاة والقضاة ۷۳ - ۷٤).

(٤) **نقض العهد أو اليمين**: نكثه وأبطله.

(٥) هكذا. وقد ذكرها المقريزى ۲٦۱/۲ «تنونمى» وفى الولاة والقضاة «تنوونمى» ولم أقف على مكانها اليوم!!

(٦) **قربيط**: ذكرها المقريزى ۱/ ۷۹، ۱۲۸، و۲/ ۲٦۱. والولاة والقضاة. وهى كما يعرف من المقريزى ۱/ ۱۲.

مدينة قديمة. كانت مَرْبَع لخم وجُذَام من الحوف الشرقى.

وطُرابِية[1]، وعامة الحوف الشرْقيّ[2].. فبعث إليهم الحرُّ بأهْل الدِّيوان، فحارَبُوهم، فقُتِل منهم بشرٌ[3] كثير.. وذلك أوّل انْتقاضِ الْقِبْط بمصْر. وكان انتقاضهم سنة سبْعٍ ومائة. ورابطَ الحرُّ بن يوسف بدمْياط. ثلاثةَ أشْهر[4].

ثمّ انْتقضَ أهلُ الصَّعيدِ، وحارَب القبْطُ عُمَّالَهم، فى سنة إحْدَى وعشْرين ومائة. فبعث إليهم حنْظلةُ بن صفوان. أميرُ مصر، أهلَ الدِّيوان. فقتَلُوا من القبْط ناساً كثيراً، وظفَر بهم[5].

وخرج بَخْنَس[6] - رَجلٌ من القِبْط - فى «سمَنّود»[7] فبعثَ إليْه عبدُ الملك[8] بن مرْوان بن موسَى بن نُصير. أميرُ مصر. فقُتِل بخْنَس فى كثيرٍ منْ أصْحابِه، وذلك فى سنة اثنين وثلاثين ومائة[9].

---

(١) **طرابية**: جاء فى خطط على مبارك ٣٤/١٣ تحت اسم «طرافية» وقال: اسم لمدينة قبطية. ترجمت بالعربى باسم «بلقا» وذكر أنها (فاقوس). كورة: من الحوف الشرقى.

ثم ذكر محمد رمزى فى القاموس الجغرافى ٣١٠/١ أنَّ لها ذكر فى الأخبار ووردت فى مصادر أخرى باسم: طرافيه. أو أرابيا.. ومعناها: أرض العرب؛ لأنها تجاور الصحراء العربية. وكانت (فاقوس) قاعدة هذه الكورة. و(صَفْطُ الحِنَة) من قراها ولذا يقال: صَفْط ترابيا (القاموس الجغرافى ٣١٠/١).

(٢) **الحوف**: الناحية أو الجانب.. وكان فى مصر حوفان مشهوران: الحوف الشرقى. والحوف الغربى.

(٣) هكذا هنا وفى الولاة والقضاة. وفى خطط المقريزى ٢٦١/٢ «خلقٌ» بدل «بشر».

(٤) انظر (الولاة والقضاة ٧٣ - ٧٤).

(٥) انظر (الولاة والقضاة ٨٠).

(٦) فى الولاة والقضاة «يحنّس». وفى منطوق الأقباط: «يَحْنَس».

(٧) **سمنود**: إحدى مدن محافظة الغربية على شاطئ النيل غرباً. قيل إن العائلة المقدسة اجتازت «سمنود» فى هروبها إلى مصر.

(٨) الخطط ٧٩/١ «بعبد الملك» والتصويب من الخطط أيضاً ٢/ ٢٦١.

(٩) راجع (الولاة والقضاة ٩٤).

وخالفت القِبْطُ « برشِيد » [١] . فبعثَ إليْهم مرْوَانُ بن محمّد الجعْدِى [٢] ، لمَّا دخلَ مصْر فارًّا من بنى العبّاس بعثمان بن أبى نِشعة [٣] ، فهزَمَهم .

وخرج القبْطَ علَى يزيد بن حاتم بن قبيْصة بن المُهلّب بن أبى صُفْرة . أمير مصر . بناحية « سَخَا » [٤] ونابَذُوا العمّالَ وأخْرجُوهم .. وذلك فى سنة خمسين ومائة ، وسارُوا إلى « شُبْرا سُنْباط » [٥] وانضمّ إليْهم « أهل البشْرُود » [٦]

---

(١) رشيد : مدينة فى مصر على شاطئ النيل . فى سنة ١٧٩٩م اكتشف فيها شمبليون لوحة (حجر رشيد) عليها كتابة يونانية ، وهيروغلوفيه . مكّنته من فك الأحرف الهيروغلوفية ومعرفة أصول لغتها .

(٢) هو : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى (٧٢ - ١٣٢هـ / ٦٩٢ - ٧٢٠م) ويلقب بـ « الجعدى » أو « الحمار » كما ذكره المقريزى ٢٦١/٢ وهو آخر ملوك بنى أمية فى الشام .. فى أيامه قويت الدعوة العباسية ، وانتهى به الفرار أمام العباسيين إلى « بوصير » من عمل الجيزة ، فى صعيد مصر ، فقتل فيها ، وكان حازماً ، مدبراً ، شجاعاً ، إلا أن ذلك لم ينفعه عند إدبار ملك بنى أمية .

ويقال له : « الحمار » لجرأته فى الحروب ، وتحمله المشاق .

ويقال له : « الجعدى » نسبة إلى مؤدبه : الجعد بن درهم .

وخلافته إلى أن بويع السفاح العباسى خمس سنين وشهر ، وإلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر . راجع (ابن الأثير ١١٩/٥ ، ١٥٨ ، والنجوم الزاهرة ١٩٦/١ ، ٢٥٤ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦ ، ٣٠٢ ، ٣٢٢ . والولاة والقضاة) .

(٣) ذكره المقريزى هنا « ابن أبى قسعه » وذكره ٢/ ٢٦١ : « ابن أبى سبعة » . والتصويب عن الولاة والقضاة وسائر المصادر .

وهو : عثمان بن أبى نِشعة الخثعمى . من قواد مروان بن الحكم . قتله صالح بن علىّ ، لما ولى مصر من قبل العباسيين (الولاة والقضاة ٩٦ ، ٩٨) .

(٤) **سخا** : إحدى مدن محافظة الغربية ، وكانت إحدى كور مصر قديماً . منها شمس الدين السخاوى المؤرخ المعروف وغيره من العلماء .

(٥) **شبرا سنباط** : لم يذكرها على مبارك فى خططه .. وإنما ذكر : شبرا سندى . وقال : قرية من قرى مدرية الدقهلية بمركز « السنبلاوين » ١٢٣/٨ .

(٦) **البشرود** : ذكر محمد رمزى صاحب القاموس الجغرافى أنها وردت فى معجم البلدان أنها كورة من كور بطن الريف بأسفل أرض مصر . وبالبحث عن هذه الناحية تبيّن له أنها كانت واقعة فى نواحى « سيدى غازى » بمركز كفر الشيخ محافظة الفؤادية ، يقول : ويدل عليها « حوض البشروط رقم ١١ » المحرف عن « البشرود » بأراضى الناحية المذكورة .

و « الأوسية »[1] ، و « التُّخوم »[2] . فأتى الخبرُ يزيدَ بن حاتم ، فعقدَ لِنصْر بن حبيب المُهلّبى[3] ، على أهلِ الدّيوان ، ووُجُوه مِصْر ، فخرجُوا إليْهم ، ولَقِيهم القِبْط[4] ، وقَتَلُوا من المسْلمين ، فألْقَى المسْلمون النّارَ فى عَسْكر القِبْط ، وانصرَف المسْلمون إلى مصر منْهزِمين[5] .

وفى ولاية موسى بن عُلَىّ بن رباح[6] عَلَى مصر . خرج القِبْطُ « ببَلْهيب »[7] ، فى سنة سِتٍّ وخمسين ومائة ، فخرج إليهم عسْكَرٌ فهزمهم .

---

(١) **الأوسية** : الضيعة (الوسية) وقد ذكرت فى الأصل : « الأريسية » والتصويب عن المقريزى ٢٦١/٢.

(٢) **التخوم** : جمع تُخْم وهو الحد الفاصل بين أرضين . والمراد : المجاورين لهم من أهالى القرى وقد ذكرت فى الأصل « النجوم » بدل « التخوم » والتصويب عن المقريزى ٢٦١/٢ .

(٣) **نصر بن حبيب المهلبى** توفى سنة ١٧٧هـ / ٧٩٣م وكان أميراً على شرطة يزيد بن حاتم بمصر وإفريقية .

عقد له يزيد على أهل الديوان ، ووجوه أهل مصر يوم خرج القبط فى « سخا » سنة ١٥٠هـ فبتهم القبط ، وأصيب « نصر » بطعنتين وانهزم من معه إلى الفسطاط . ثم ولاه الرشيد إفريقية سنة ١٧٤هـ . راجع (الولاة والقضاة ١١٦) .

(٤) فى الأصل : « فبتهم القبط » وكذا فى الولاة والقضاة ١١٦. والمذكور عن نص المقريزى ٢٦١/٢ .

(٥) قلت : إن المقريزى كان يتصرف فى النص المنقول . والنص كما جاء فى الولاة والقضاة ١١٦ - ١١٧ : « فبتهم القبط فطعن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج ، حتى سقط ، وطعن نصر بن حبيب طعنتين ، وقتل عبد الجبار بن عبد الرحمن . وألقى توبة الخولانى النارَ فى عسكر القبط ، وانصرف الجيش إلى الفسطاط مهزومين » .

(٦) هو : موسى بن عُلَىّ (بالتصغير) (٩٠ - ١٦٣هـ / ٧٠٨ - ٧٨٠م) بن رباح اللخمى . أمير مصر . كان أبوه من رجال مروان بن الحكم . وولد هو بإفريقية ، وسكن مصر .. ولما توفى أميرها محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج سنة ١٥٥هـ استخلف موسى عليها فاستمرت ولايته لها سِتّ سنين وشهرين (١٥٥ - ١٦١هـ) ومات بالإسكندرية .وكان من ثقات أهل مصر فى رواية الحديث .. وكان - وهو أمير مصر - يذهب إلى المسجد ماشياً ، ويجلس فيحدّث . راجع (التهذيب ٣٦٣/١٠، والجرح والتعديل الجزء الرابع . القسم الأول ص ١٥٣، والولاة والقضاة ١١٨ - ١٢٠) .

(٧) لم أقف على موقعها ! وقد ذكرها المقريزى فى خططه مرات عديدة . بلهيب ٧٩/١، ١٢٢، ١٢٣، ١٦٦، ٢٩٤.. وبلهيت ١٧٧/٢، ٢٦١، ٤٩٣.

وعلى ما يبدو من قراءة ٢٦١/١ أنها قرية من قرى مصر يقال لها : « بلهيب » قديمة ، كانت =

[ثم (١ نقضَتْ القبْطُ فى جمادَى الأولى، سنة سِتّ عشْرة ومائتين، مع من نقض (٢) مِن أهْل أسْفل الأرضِ مِنَ العرَب .. وأخرجوا العمّالَ، وخلَعُوا الطّاعةَ .. لسوءِ سيرةِ العمّال فيهم. فكانت بيْنَهم وبين الجيُوشِ حروبٌ امْتدَّتْ إلى أنْ قدِمَ الخليفةُ عبدُ الله. أمير المؤْمنين «المأمون» إلى مِصْر. لعشْرٍ خلوْنَ مِن المحرّم، سنة سبعِ عشْرة ومائتيْن. فعقَدَ علَى جيْشٍ بعثَ بهِ إلّى الصّعيد، وارْتحَلَ هُوَ إلَى «سَخَا» وَأوقْع بهمْ «الأفشِين» (٣) فى ناحية «البشْرود»، حتّى نزَلُوا علَى حُكْم أمير المؤْمنين عبد الله المأمون، فحَكَمَ فيهم بقتْل الرّجالِ، وبيْع النّساء والأطفال .. فبِيعُوا، وسُبِىَ أكْثرُهم. وتتبّع كلَّ مَنْ يُومَأُ إليْه بخلافٍ، فقَتَلَ ناساً كثيراً، ورجعَ إلى «الفسْطاط» فى صَفَر، ومضى إلى حلوان، وعاد لثماني عشرة خلت من صفر] ١)

ومِنْ حينَئذٍ أذلّ الله القِبْط فى جميعِ أرْضِ مصْر، وخذَلَ شوْكتَهُم، / (٨٠/١) فلَمْ يقْدِرْ أحدٌ منْهم على الخرُوج، ولَا القِيام علَى السُّلطان.

وغلَبَ المسْلِمون علَى القُرى .. فعادَ القِبْط مِنْ بعد ذلك إلَى كيْدِ الإسلامِ وأهْلِه، بإعْمال الحيلة، واسْتِعْمال المكْر.

وتمكّنوا مِنَ النّكايةِ بوضْع أيْدِيهم فى «كُتَّابِ الخرَاج».

* * *

= فى مصر قبل الفتح العربى، وكانت من القرى التى قاتلت الفاتحين هى والخيس، وسلطيس، وسبوا، وذهب بهم إلى المدينة .. فردّهم عمر بن الخطاب إلى قراهم، وصيرهم، وجماعة القبط. أهل ذمة. ومنها البلهيبى الذى خيّرَ فاختار الإسلام.

(١ - ١) ما بين المعقوفتين: «ثم نقضت القبط ... . من صفر» استكمال للنص مما ذكره المقريزى فى خططه ٢/ ٢٦١.

(٢) يقول الكندى: ثم انتقضت أرض مصر كلها .. عربها، وقبطها، فى جمادى الأولى سنة ست عشرة، وأخرجوا العمال، وخالفوا الطاعة؛ وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم. راجع (الولاة والقضاة ١٩٠).

(٣) **الأفشين**: سبق التعريف به. وهو قائد المأمون وقائد جيش المعتصم فى غزوات بلاد الروم والمظفر فى موقعة عموريّة سنة ٨٣٨م المشهورة.

بعض الكتب التى ورد بها شىء عن الأقباط

الانتصار بواسطة عقد الأمصار. تأليف ابن دقماق . طبع سنة ١٣٠٩هـ .

الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر . لعبد اللطيف البغدادى . طبع طبعة حجر .

الإفادة فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول . تأليف محمد عبد المعطى بن على الإسحاقى . طبع ١٢٩٦هـ .

إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء . للمقريزى . طبع بلييزيج سنة ١٩٠٩م . ثم أعيد طبعه محققاً فى مصر أكثر من مرة .

أخبار مصر للمسبحى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

آثار البلاد وأخبار العباد . للقزوينى المتوفى سنة ٦٨٢هـ . طبع فى جوتنغن سنة ١٨٤٨ .

الإيضاحات الجلية فى تاريخ وحوادث المسألة القبطية . لبطرس إبراهيم . طبع بمصر سنة ١٨٩٣م .

الأقباط فى القرن العشرين . تأليف رمزى تادرس أربعة أجزاء . طبع سنة ١٩١١م .

أقباط ومسلمون . لجاك تاجر . منذ الفتح العربى إلى سنة ١٩٢٢م . القاهرة ١٩٥١م .

البلدان . لليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٠هـ . طبع فى ليدن سنة ١٨٩٢م .

البلدان . للهمزانى المتوفى سنة ٢٨٥هـ . طبع فى ليدن سنة ١٨٨٩م .

تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . المعروف بسير البيعة المقدّسة . لساويرس بن المقفع . أسقف الأشمونين . وقد استكملت كتابته باسم :

« **ذيل سير الآباء البطاركة** » واشترك فى كتابته مؤلفون قبط من الأحبار المتعاقبين . أربعة مجلّدات لغاية تاريخ البطريرك أنبا يوساب الثانى والخمسين وهو المجلد الأول . ثم استكمله يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى . وأسولد برمتس دكتوراه فى الفلسفة من جامعة كمبردج . وترجمه (Evetts) إلى الإنجليزية . طبع فى القاهرة . سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٧٤ وينتهى بابن لقلق . البطرك الخامس والسبعون .

تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ١٣ جزءا .

تاريخ الأمة المصرية وكنيستها . تأليف السيدة ا . ل . بتشر أربعة أجزاء . طبع على نفقة صاحب جريدة مصر سنة ١٩٠٦م .

تاريخ الفيوم وبلاده . لأبى عثمان النابلسى الصفدى الشافعى . طبع سنة ١٨٩٨م .

تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة . فى ستة كتب . ليوحنا لورنس فان موسهيم . طبع بالعربية فى بيروت سنة ١٨٧٥م .

تاريخ كيرلس الرابع أبو الإصلاح . تأليف جرجس فيلوثاؤس عوض . طبع سنة ١٩١١م .

تاريخ أبى صالح الأرمنى . المعروف بـ « كنائس وأديرة مصر » طبع فى أكسفورد سنة ١٨٩٥م نشره وترجمه (Evetts) إلى الإنجليزية .

التاريخ . لابن المكين خط يد .

تاريخ أبى المكارم سعد الله جرجس بن مسعود . نسخة وحيدة خطية عند جرجس أفندى فيلوثاؤس عوض .

تاريخ المسلمين لابن العميد . طبع فى ليدن سنة ١٦٢٥م .

تاريخ الأستاذ زين الدين بن الوردى . طبع سنة ١٢٨٥هـ .

التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية . لابن الجيعان . طبع سنة ١٨٩٨م .

التاريخ الكامل . لابن الأثير ١٢ جزءا . طبع سنة ١٢٩٠هـ .
تاريخ مصر . لابن ميسر . طبع بالمعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩١٩م .
تاريخ مصر . للواقدى . طبع فى ليدن سنة ١٨٢٥م .
تاريخ الأمة القبطية . ليعقوب نخلة روفيله . طبع سنة ١٨٩٨م .
تاريخ عبد الرحمن بن خلدون . طبع سنة ١٣١١هـ .
تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين . للشيخ عبد الله الشرقاوى .
تاريخ ابن الراهب . طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠٣م .
تاريخ اليعقوبى . طبع فى ليدن سنة ١٨٨٣م .
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للإدريسى . المتوفى سنة ٣٨٠هـ . طبع فى ليدن سنة ١٩٠٦م .
تاريخ الكنيسة القبطية . تأليف الشماس منسى القمص . طبع فى سنة ١٩٢٤م .
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . ليحيى بن سعيد الأنطاكى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) تحقيق لويس شيخو . بيروت سنة ١٩٠٩م .
تقويم البلدان . لأبى الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ مطبوع فى باريس سنة ١٨٤٠م .
تحفة النظار فى غرائب الأمصار . لابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ طبع فى باريس سنة ١٨٩٣م .
تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور . لمحمد بن إياس الحنفى المصرى فى ثلاث أجزاء .

حسن السلوك فى تاريخ البطاركة والملوك . تأليف الراهب البرموسى . طبع سنة ١٦١٣ ش .

حسن الجمع فيما قيل فى قصر الشمع (صور فوتوغرافية من نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس طبع على نفقة سمو الأمير عمر طوسون) .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة . للشيخ جلال الدين السيوطى . طبع فى سنة ١٢٩٩هـ .

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها . لعلى باشا مبارك ١٦ جزءا . طبع سنة ١٣٠٤هـ .

الخراج . لقدامة المتوفى سنة ٣١٠هـ طبع فى ليدن سنة ١٨٨٩م .

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة . بقلم أحد رهبان دير السيدة برموس جزءان . طبع سنة ١٩٢٣م .

الديارات للشابشتى المتوفى سنة ٣٨٨هـ عنى بتحقيقه ونشره كوركيس عواد . وطبع فى بغداد سنة ١٩٥١م .

الدلائل على أرض مصر . لابن زولاق .

دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة الأثرية . ٢ جزء . طبع بمصر ١٩٣٠ - ١٩٣٢م مرقص سميكة .

ذيل تاريخ دمشق . لابن القلانسى ت ١٣٣١م / ٥٥٥ هـ . بيروت ١٩٠٨م .

الرحلة . لابن جبير الأندلسى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ . طبع فى لندن سنة ١٩٠٧م .

رحلة بنيامين التطيلى الأندلسى . ترجمة عزرا حداد . بغداد ١٩٤٥.

زبدة كشف العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردى . طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٨هـ .

سفرنامة : زار مصر بين سنتي (٤٣٩ - ٤٤١هـ) ترجمة يحيى الخشاب . طبع فى القاهرة سنة ١٩٥٤م .

السلوك فى تاريخ الملوك للمقريزى . طبع فى مصر بتحقيق الدكتور محمد مصطفى زياد والدكتور سعيد عاشور .

ومذيل « بالتبر المسبوك فى ذيل السلوك » للسخاوى طبع ببولاق سنة ١٨٩٦م .

صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار . للشيخ محمد بيرم التونسى . خمسة أجزاء .

صبح الأعشى للقلقشندى ١٤ جزءا . طبع فى القاهرة سنة ١٩١٣م .

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . للشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى . أربعة أجزاء .

فتوح مصر وأخبارها . لابن عبد الحكم . طبع فى المعهد الفرنساوى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٢٤م . ثم صوره مدبولى فى مصر سنة ١٩٩١م .

فضائل مصر المحروسة . لأبى عمر الكندى . مخطوط . منه نسخة فى مجلد وطبع فى كوبنهاجن سنة ١٨٩٦م .

الفتوح . للبخارى المتوفى سنة ٢٠٦هـ .

فى صحراء العرب والأديرة الشرقية . للبيب حبشى وزكى تاوضروس . طبع سنة ١٩٢٩م .

قوانين الدواوين . لابن مماتى المتوفى سنة ٦٠٦هـ . طبع القاهرة سنة ١٢٩٩هـ .

الولاة والقضاة الذين تولوا مصر . تأليف أبى عمر الكندى . طبع بروما سنة ١٩٠٨م .

القول اليقين فى مسألة الأقباط الأرثوذكسيين . ليوسف منقريوس . طبع سنة ١٨٩٣م .

الكافئ فى تاريخ مصر القديم والحديث . لميخائيل بك شاروبيم . أربعة أجزاء .

مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية . لسليم سليمان . الجزء الأول طبع سنة ١٩١٤م .

منتخبات تهذيبية فى تاريخ الأمة القبطية ، الحلقة الأولى والحلقة الثانية للجنة التاريخ . طبع سنة ١٩٢٢م .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للشيخ الإمام أحمد بن على المعروف بالمقريزى « الخطط المقريزية » جزءان . طبع سنة ١٢٧٠هـ .

المختصر فى أخبار البشر . تأليف الملك المؤيد إسماعيل أبى الفداء . جزءان .

معجم البلدان . لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . طبع فى القاهرة سنة ١٩٠٦م .

المشترك . لياقوت الحموى . طبع فى جوتنغن سنة ١٨٤٦م .

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى . المتوفى سنة ٧٣٩هـ وهو مختصر معجم البلدان لياقوت . تحقيق : على محمد البجاوى . مصر سنة ١٩٥٥م .

المختار فى ذكر الخطط والآثار (مخطوط) للقضاعى المتوفى سنة ٤٥٤هـ .

المسالك والممالك . لابن خرداذيه المتوفى سنة ٢٦٠هـ . طبع فى ليدن سنة ١٨٨٩م .

مروج الذهب ومعادن الجوهر . للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ . طبع بباريس سنة ١٨٦١م .

مسالك الممالك . للاصطخرى المتوفى سنة ٣٦٠هـ . طبع فى ليدن سنة ١٨٧٠م .
المسالك والممالك . لابن حوقل المتوفى سنة ٣٦٧هـ . طبع فى ليدن سنة ١٨٧٣م .
نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر . لشمس الدين الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٧هـ . طبع بليبزيج سنة ١٨٧٤م .
نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للإدريسى المتوفى سنة ٥٤٨هـ . طبع فى لندن سنة ١٨٦٦م .
النهج السديد فيما بعد تاريخ ابن العميد (تاريخ السلاطين المماليك) للمفضل أبى الفضائل . ترجم منه (Blochet) ثلاث أجزاء إلى الفرنسية .
نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر . تأليف توفيق إسكاروس . طبع سنة ١٩١٠م .
نظم الجوهر . لسعيد بن بطريق . طبع فى رومية قديماً ، وحديثاً فى بيروت .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ . طبع بتحقيق الدكتور إحسان عباس .
وصف أفريقيا . للخوارزمى المتوفى سنة ٢٠٥هـ . طبع فى فينا سنة ١٩١٦م .
الكنائس القبطية القديمة فى مصر تأليف د. الفرد . بتلر . ترجمة إبراهيم سلامة . طبع فى القاهرة سنة ١٩٩٣م .
أهل الذمة فى الإسلام .تأليف دكتور أ. س . ترتون . ترجمه وعلق عليه الدكتور حسن حبشى . طبع فى القاهرة ١٩٩٤م .
فتح العرب لمصر . تأليف د. الفرد . بتلر . عربه محمد فريد أبو حديد . طبع فى مصر ١٩٨٩م .

المسيحية نشأتها وتطورها . تأليف شارل ج . ينيبّير . ترجمه الدكتور عبد الحليم محمود سنة ١٩٨٩م القاهرة .

الأقباط في مصر في العصر العثماني . الدكتور محمد عفيفي . القاهرة ١٩٩٢ .

أهل الذمة في مصر . في العصر الفاطمي الأول . د/ سلام شافعي محمود . القاهرة ١٩٩٥م .

مصر والأقباط في مائة عام . دراسة تاريخية موثقه لجمعية التوفيق القبطية بالقاهرة من سنة (١٨٩١- ١٩٩١م) بقلم رشدي أمين الطوخي نائب رئيس مجلس الإدارة .

معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . الدكتور إدوار غالي الذهبي . القاهرة ١٩٩٣م .

Akerblad ... ... Mémoire sur les noms Coptes de quelques villes et villages d'Egypte. Asiatic Journal 1834.

Amélineau ... ... Histoires des Monastères de la Basse Egypte, Paris 1894.

Amélineau ... ... Géographie de l'Egypte à l'Epoque Copte, Paris 1893.

Amélineau ... ... Les Actes de l'Eglise Copte, Paris 1890.

Amélineau ... ... Samuel de Qalamoun (Revue de l'Histoire des Religions. 47 pp. 8).

Amélineau ... ... Voyage d'un moine Egyptien dans le désert (Recueil des travaux relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptienne et Assyrienne) Paris, 1885.

Amélineau ... ... Étude historique sur S. Pachon et le cénobitisme primitif dans la Haute Egypte d'après les monuments Coptes. (Bulletin

de l'Institut Egyptien, Le Caire 1886).

Amélineau ... ... L'Historie de l'Egypte Chrétienne, Paris 1895.

Bock de, ... Matériaux pour servir à l'Archéologie Chrétienne, St. Pétersbourg 1901.

Bourgeois Abbé A. Vansleb. sa vie, sa disgrâce, ses œuvres, Paris 1869.

Brugsch ... ... Wanderung nach den Natroun Klpsterm in Aegypten, 1885, -2 vols.

Butcher ... ... The Story of the Church of Egypt. London 1887. 2 vols. 8 vo.

Butler ... ... The Ancient Coptic Churches of Egypt, Oxford 1884. 2 vols. 8 vo.

Butler ... ... The Arab Conquest of Egypt, Oxford, 1902.

Butler ... ... Babylon of Egypt, Oxford 1914.

Cary ... . Herodotus. A new and literal version. London 1872.

Casanov'a ... ... Notes sur un texte Copte du XII[e] Siècle.

Casanov'a ... ... Les noms Coptes du Caire et localités voisines (Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale). Le Caire 1901.

Cauwerbergh Van Étude sur les moines d'Egypte depius le Concile de chalcédoine (451) jusqu'à l'Invasion Arabe (640). Paris 1914.

Chaine ... ... La Chronologie des Temps Chrétiens de l'Egypte et de l'Ethiopie. Paris 1925.

Chester ... ... Notes on the Coptic Deyrs of Wadi Natroun and on Deyr Antonious in the Eastern Desert.

Clarke, S. ... ... Christian Antiquities in the Nile Valley, Oxford 1912.

Cledat ... ... Le Monastère de la Necropole de Baouit, 2 vols., Le Caire 1906.

Cogordan .. .. Relation du Voyage fait au Couvent de Saint Antoine, Paris 1903.

Coppin .. .. Le Bouclier de l'Europe ou la Guerre sainte, Lyon 1685.

Crum .. .. Eusebius & Coptic Church Histories. (Pro ceedings of the Society of Biblical Archeology, London 1902).

Crum ... ... La Nubie dans les texes Coptes. (Recueil de travaux relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptienne et Assyrienne, Paris 1899).

Crum .. .. Der hl. Appollo und das Kloster von Bawit. (Zeitschrift fur Aegyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig 1902).

Curzon .. .. Visit to Monasteries of the Levant, London 1897.

Daressy .. .. Les grandes villes d'Egypte à l'Epoque Copte, 1894.

Dowling .. .. The Egyptian Church, London 1909.

Ernst, H. .. .. Etoffes et Tapisseries Coptes, Paris.

Expédition de l'Armée Francaise ... ... Desription de l'Egypte ou Recueil des Observations et des Recherches qui ont été faites en Egypte pendant l'Expédition de l'Armée Française, 26 vols. Paris 1827.

Fowler ... ... Christian Egypt, past, present and future, London 1901.

Gayet ... ... L'Art Copte, Paris 1902. 8vo.

Gayet ... ... Le Costume en Egypte, Paris 1900.

Georg, Von Johann Streifzuge die Kurchen und Kloster Aegyptens, Berlin 1914.

Georg, Von Johann Neue Streifzüge durch die Kirchen und Kloster Agyptens. Berlin 1930.

Georg, Von Johann Neueste Streifzuge durch die Kirchen and kloster Agyptens. Berlin 1931.

Girom, Noel ... ... Légendes Coptes, Paris 1907.

Gerspach ... ... Les Tapisseries Coptes, Paris 1890.

Goodwing ... ... Topographical Notes from Coptic Papyri. (Zeitschrift fur Aegyptische Sprache und Altertumskunde). Leipzlg 1869.

Goodwing ... ... Noms de diverses localités d'Egypte d'après les papyrus du British Museum, 1869.

Gruneisen ... ... Les caractèristiques de l'art Copte, Florence 1922.

Gruneisen ... ... Le portrait d'Apa Jérémie, Paris 1912.

Homsy ... ... Le Général Jacob, Marseille 1921.

Jullien ... ... L'Egypte. Souvenirs Bibiques et Chrétiens, Lille 1889.

Jullien ... ... L'Arbre de la Vierge à Mataria. Souvenirs de séjour de la Sainte Famille en Egypte. Le Caire 1904.

Kaufmann ... ... La Découverte des Sanctuaires de Menas dans le désert de Maréotis, Alexandrie 1908.

Malan ... ... A short history of the Copts and their Church, (Translated from the Arabic of Tag el Din el Maqrizi), London 1873.

Malan ... ... Original Documents of the Coptic Church, London 1873.

Malan ... ... Calendar of the Coptic Church.

Mileham ... ... Churches in Lower Nubia. Philadelphia, 1910.

Miot ... ... Histoire d'Hérodote. 2 vols. Paris.

Miot ... ... Diodore de Sicile, Paris 1837.

Quatremère ... ... Mémoires Géographiques et Historiques sur l'Egypte et sur quelques contrées voisines. Paris 1811. 2 vols. 8 vo.

Lane ... ... An account of the manners and customs of the modern Egyptians. London 1871.

Quibell ... ... Excavation at Saqqara. Vol. III. (The Monastery of Apa Jeremias). Le Caire 1912.

Rougé ... ... La Géographie Ancienne de la Basse Egypte, Paris 1891.

Sharpe ... ... The History of Egypte, London 1885. 2 vols.

Vansleb ... ... The present state of Egypt, London 1678.

Vansleb ... ...Histoire de l'Eglise d'Alexandrie, Paris 1673. 12 mo.

Vansleb ... ...Nouvelle Relation d'un Voyage fait en Egypte, Paris 1689. 12 mo.

Vaujany, de ... ... Histoire de l'Egypte, Paris 1885.

Villard, Monneret de Les Eglises du Monastère des Syriens au Wadi en Natroun, Milan 1928.

Villard, Monneret de La scultura ad Ahnas Note sull' origine delle Arte Copte, Milano 1923.

Villard, Monneret de The Church of Sitt Barbara, Florence 1922.

Villard, Monneret de Les couvents près de Sohag (Deyr el Abiad et Deyr el Ahmar). 2 vols. Milan 1925.

Villard, Monneret de Description générale du Monastére de St. Simion.

Villard, Monneret de Deyr el Moharraq, Milan 1929.

Waee & Piercy ... ... Dictionary of Christian Biography, London 1911.

White, E. ... ... The Monasteries of Ephiphanius. 2 vols. New York 1926.

White, E. ... ... The Monasteries of Wadi N' Natroun. New York 1926.

Zotenberg ... ... Chronique de Jean, Evêque de Nikiou traduit de l'Ethiopien, Paris 1883.

الفهارس الفنية

الموضوع | الصفحة

* * *

محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة

الدراسة (٥ – ٧٣)[1]

النص (٣ – ٢٦٦)[2]

---

(١) يلاحظ أن الدراسة أخذت أرقاماً مستقلة لصفحاتها المكتوبة فى الوسط من أسفل .
(٢) ويلاحظ أن النص أخذ أرقاماً من أسفل مستقلة لصفحاته يمين وشمال.

الموضـوع	الصفحة

النص (١٣ - ٢٦٦)

ذكر قبط مصر ودياناتهم القديمة وكيف تنصّروا، ثم صاروا ذمة للمسلمين، وما كان لهم فى ذلك من القصص والأنباء، وذكر الخبر عن كنائسهم، ودياراتهم، وكيف كان ابتداؤها، ومصير أمرها

الموضـوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

٢ - فهرس الآيات القرآنية .. والأحاديث

الأحاديث

* * *

٣ - فهرس البطاركة . والحواريين . والرسل[1]

(١) يلاحظ أن البطاركة الموضوع أرقاماً قبلهم هم بطاركة اليعاقبة والرقم هو رقم البطرك .

* * *

الحواريون والرسل .. مع شيء من رسالاتهم

أندراوس	أخو بطرس ، رأس الحواريين . سار إلى نيقية ، وما حولها ، ومات في بيزنطة في ٤ كيهك .	٣٦
برتولوماوس	سار إلى أرمينية ، وبلاد البربر ، وواحات مصر .	٣٨
بطرس الرسول	دعا الناس بروميه ، ومصر ، والحبشة ، والنوبة ، وخرج إلى برقة ، وقتل في ثاني عيد الفصح بالإسكندرية .	٣٩
بطرس رأس الحواريين	سار إلى أنطاكية ، وروميه ، وقتل في ٥ أبيب وهو عيد العنصرة .	٣٦
بولص الطرسوسي	سار إلى دمشق ، وبلاد الروم ، وروميه ، وقتل في ٥ أبيب .	٣٩
توما	سار إلى الهند ، فقتل هناك .	٣٨
شمعون	سار إلى سميساط ، وحلب ، ومنبج ، وبيزنطة ، وقتل في ٧ أبيب .	٣٩
شمعون الصفا	دعا بروميه ٢٥ سنة ، وسار إلى القدس ، وكشف عن خشبات الصليب .	٤١
فيلبس	سار إلى قيسارية ، وما حولها ، وقتل في ٨ هاتور	٣٨
لوقا الإنجيلي الطبيب	كتب الإنجيل عن بولص بالإسكندرية ، بعد رفع المسيح بعشرين سنة ، وقيل باثنتين وعشرين سنة .	٤٠
متّى العشّار	سار إلى فلسطين ، وصور ، وصيدا ، ومدينة بُصْرى .. وكتب إنجيله بالعبرانية ، وقتل في قرطاجنة في ١٨ بابة .	٣٨

متياس	سار إلى بلاد المشرق ، وقتل فى ١٨ برمهات .	٣٩
يعقوب بن حلفى	سار إلى الهند ، ورجع إلى القدس ، وقتل فى ١٠ أمشير .	٣٨
يعقوب بن زبدى	آخو يوحنا الإنجيلى . سار إلى أبدينية ، وقتل فى ١٧ برمودة .	٣٧
يهوذا بن يعقوب	سار من أنطاكية إلى الجزيرة ، ومات فى ٢ أبيب .	٣٨
يوحنا الإنجيلى	أخو يعقوب بن زبدى . سار إلى آسيا ، وأفسيس ، وكتب إنجيله باليونانى ، بعد ما كتب : متَّى ، ومرقص ، ولوقا ، أناجيلهم ، وكان ذلك بعد رفع المسيح بـ ٣٠ ثلاثين سنة ، وكتب ٣ ثلاث رسائل ومات ، وقد أناف على ١٠٠ مئة سنة .	٣٨

* * *

<u>**وتفرق سبعون رسولاً أُخَر فى البلاد فآمن بهم الخلائق .**</u> ٣٩

* * *

٤ - فهرس أعياد القبط بمصر

* * *

٥ - فهرس الأديرة[1]

(أ)

(ب)

(١) يلاحظ أن الأديرة التى ذكرت عرضاً . ذكرناها فى فهرس الأماكن صفحة ٣٥٠ - ٣٥١ .

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ق)

(ك)

(م)

* * *

٦ - فهرس الكنائس وأماكن وجودها[١]

(أ)

(ب)

---

(١) يلاحظ أن الكنائس التى ذكرت عرضاً ، ذكرناها فى فهرس الأماكن صفحة : ٣٤٩ .

(ر)

(ز)

(س)

هذه كنائس اليعاقبة بأرض مصر

* * *

وللملكية بالقاهرة

* * *

٧ - فهرس الأعلام .. مع ذكر المناسبة

العلم	المناسبة	الصفحة
(أ)		
إبراهيم بن وصيف شاه	كاتب .. مؤرخ .	١٧ و٢٤٦
	يقول : إن عبادة الأصنام أوّل ما عرفت بمصر .	٢١٠
	يقول: كان كهنة مصر أعظم الكهان قدراً وكان حكماء اليونانيين يصفونهم بذلك .	٢٢
ابن أُصيبعة	يقول : كان الحكماء ، والفلاسفة تتهافت على القبط ، وتريد التقرّب إليهم ؛ لما كان عندهم من علوم السحر ، والطلسمات ، والهندسة ، والنجوم ، والطب ، والحساب ، والكيمياء .	٢١
	كان للقبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئة ، ولهم هياكل على أسماء الكواكب يحج إليها الناس .	٢١
أجلة	خرج عن طاعة الروم ، فسار إليه دقلطيانوس ، وعم أرض مصر بالسبى والقتل .	٢٥٦
أحمد بن طولون	يلزم البطرك ميخائيل ، بحمل عشرين ألف دينار ، فقرر (الديارية) على	

العلم	المناسبة	الصفحة
	كل نصرانى قيراطاً . وباع رياع الكنيسة .	١٠٥
	يَقْدُم أميراً على مصر فى بطركية يوسانيوس رقم ٥٥.	١٠٥
أراغون	أمير . نائب .	٢٠٤
أرسانيوس		١٨٠
أرسيانوس	راهب .	١٥٣
أرغيانوس	بنى دير القصير المعروف بدير البغل ، فى جبل المقطم .	٦٥
أرقاديوس	ملك الروم .	١٥٣
أريانوس	قديس ، يسكن بريّة الأردن ، ويبنى	٦٢
	بها الديارات ، وهو أول من سكن برية الأردن من النصارى .	٦٢
أريديانوس قيصر	اشتد على النصارى ، وقتل الكثير منهم ، فى بطركية أبريمو البطرك الخامس .	٤٦
	أنزل اليونانيين القدس ، عوضاً عن النصارى وسمى القدس : (إيليا) .	٤٦
أريوس . أسقف القدس	يزعم أنه ظهر على قبر المسيح شبه صليب من نور لعشرة من شهر أيار فى الساعة الثالثة من النهار ، حتى غلب نوره على نور الشمس فآمن من اليهود ، وغيرهم عدة آلاف .	٦٢

العلم	المناسبة	الصفحة
أليان	يقول فى مجمع نيقية :	٥٦
ألمـاس	الحاجب .	١٩٩و٢٠٠ و٢٠٨
	الحريق فى داره .	٢١١
أنبا بولا	من أهل سمنود .	١٧٩
أنبا سيوس	بطرك أنطاكية . يزور مصر .	٣
أنديانوس قيصر .	أصاب النصارى منه بلاء كثير .. فى بطركية كرتيانو البطرك الرابع .	٤٦
أنطونيوس المصرى	أول راهب بدأ لبس الصوف ، وعمّر الديارات .. فى بطركية ديوسيوس البطرك الرابع عشر .	٥٠
أنطونيوس (أنطونة)		١٤٩ و ١٥٠
أوسانيوس	يتعصّب لأريوس . ويجرى مناظرةً أدّت إلى ضربه فى بطركية اثناسيوس الرسولى . البطرك العشرين .	٦٠
أوليانوس قيصر .	ملكٌ اشتد على النصارى وقتل الكثير منهم فى بطركية كلوتيانو البطرك التاسع .	٤٨
إيد غمش		١٩٩ و ٢٠٠
إيسى	راهبة .	١٩٥
إيليا - بطرك القدس	يكتب إلى نسطاس ملك الروم أن يرجع عن مقالة اليعقوبية ، إلى مقالة الملكية .	٧٤
	يجمع الرهبان ، ورؤساء الديارات ويحرمون نسطاس الملك ومن يقول بقوله ، فيأمر نسطاس بنفيه إلى إيلات .	٧٥

العلم	المناسبة	الصفحة
بطرس الثانى	بنيت عدة كنائس فى الإسكندرية فى بطركيته . واستتيب جماعة كثيرة من مقالة أريوس . وأطلق للأساقفة والرهبان أكل اللحم يوم الفصح .	٦٤
بطرس .. رأس الحواريين	أقام داريوس بطركا على أنطاكية .	٤٠ و١٤٩
بطرس الشهيد	بطرك الإسكندرية يقول عن أريوس : إن إيمانه فاسد .	٥٥
أبو بغام	جندى فى أيام دقلطيانوس .	١٦٧
بقطر شو	ممن عذبه دقلطيانوس .	١٥٦
بقطر	كان أبوه من وزراء دقلطيانوس .	١٥٦
بكتمر الساقى	أمير .	٢٠٤
بلاطس البنطى	شحنة القدس .. يدفع اليهود وهم يراودونه على قتل عيسى عليه السلام .	٣٤
بلخارية	زوجة الملك مرقيانوس .	٦٩
بنيامين . البطرك٣٨	يفر من بطركيته ١٣ سنة . منها ١٠ فى ملك الفرس ، و٣ بعد قدوم هرقل .	٩٠
البودشير بن قبطيم	أول من تكهن وعمل السحر .	٢١
بولص التنّيسى البطرك	لم يقبله أهل الإسكندرية ، ومات ، فغلقت كنائس القبط .	٨٠
بولص الرسول		١٤٩
بولص السميساطى	يقول فى مجمع نيبقية .	٥٦
بومينا	من الجنود الذين عذبهم دقلطيانوس ليرجع عن النصرانية .	١٥٦

العلم	المناسبة	الصفحة
	يمنع عمل عيد الزيتونة .	٢٣٢
	يمنع الاحتفال بعيد الصليب .	٢٤٢
الحرُّ بن يوسف	أمير مصر .	٢٦١
حزقيل	أحد أنبياء بنى إسرائيل .	٢٤٥
أبو الحسن على بن محمد الشابستى	صاحب كتاب الديارات .	١٥٠ و١٥٤ و١٥٧ و١٦٠ و١٦١ و١٧٤ و١٨٥
الحكيم زيلون	صاحب علوم شتى .	١٩٢
حنانيا ويقال له (أنانيو)	أسقف الإسكندرية .	٣٩
	بطرك الإسكندرية .	٤٣
	أقام فى بطركية الإسكندرية ٢٢ سنة ومات فى ١٠ هاتور سنة ٨٧ لظهور المسيح .	٤٤
حنظلة بن صفوان	أمير مصر. تشدد على النصارى وزاد الخراج ، وجعل على كل نصرانى وَشماً .	٩٥
أبو حنيفة الدينورى	صاحب كتاب النبات .	١٦٤
(خ)		
خمارويه بن أحمد ابن طولون	قتل فى بطركية ميخائيل البطرك ٥٦ .	١٠٥
	بنى غرفة فى دير القصير .	١٥١
(د)		
داريوس	أقامه بطرس ، رأس الحواريين بطركاً على أنطاكية . وتوارث من بعده البطاركة بها البطركية .	٤٠

العلم	المناسبة	الصفحة
داقيوس قيصر	ملك رومى يأمر النصارى أن يسجدوا لأصنامه فأبوا فقتلهم أبرح قتلة في بطركية ديوسيوس ١٤ .	٥٠
دقلطيانوس قيصر	أغلق كنائس النصارى فى بطركية تئوبا ١٦ .	٥٢
	بقتله للأقباط يُعْرَف (تاريخ الشهداء) .	٥٣
	أحد قياصرة الروم يعرف به تاريخ الشهداء عند القبط .	١٤٩ و٢٥٥
	أقام ملكا ٢١ سنة وهلك بعد علل صعبة .	٢٥٥
	آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم . يحارب سابور ملك فارس ويأسره ويهدم بيوت العبادة .	٢٥٦
	واقعته بالنصارى هى الشدة العاشرة . أشنع شدائدهم ، دامت ١٠ سنين يريد قطع دين النصارى وإبطال النصرانية من الأرض .	٢٥٦
دميان	راهب حكيم .	١٦٠ و٢١٩
دومانوس	ولد ملك الروم .	
الدوين . أسقف كنيسة القطيعة	دفنه أهل القطيعة حيًّا لمنافرة بينهم وهم من شرار الناس .	٢٣٣
ديمتريوس البطرك ١٢	ينصب الأساقفة .. وصاروا يسمون « البطرك » .	٤٤

العلم	المناسبة	الصفحة
(ط)		
طاز . أمير	يُتحدَّث معه فى أمر النصارى وما هم عليه .	١٣٠
	يقوم بأمر الدولة .	٢٥٤
طلق بن حبيب بن زرعة		١٨٤
طيباريوس قيصر	إمبراطور رومانى يحكم القدس .	٣٤
	اشتد على النصارى فى بطركية تئوبا ١٦ بنى النصارى بمدائن كسرى هيكلا ، وكذا بمدينة واسط .	٥١
طيطش . ويقال : طيطوس	يقتل اليهود بعد رفع المسيح بـ ٤٤ سنة .	٤٥
طيماتاوس	يأمر الملك أن يرجع إلى الملكية فلم يقبل . وأمر بقتله ثم شفع فيه فنفاه .	٧٧
طينال . أمير		١٩٩
(ظ)		
الظاهر لإعزاز دين الله	يشهد الغطاس .	٢٣٩
(ع)		
العادل أبو بكر بن أيوب	يولى البطركية ابنَ لقلق .	١٢٠
ابن عبد الحكم	مؤرخ مصر .	١٥٢
عبد القمر .	عبدة الكواكب من المصريين .	
عبد عطارد .	عبدة الكواكب من المصريين .	

العلم	المناسبة	الصفحة
علم الدين سنجر الخازن	والى القاهرة .	١٩٣ و٢٠٥
على بن حمزة الأصفهانى	اشتغل بالمسائل الفارسية وله كتاب « أعياد الفرس » .	٢٤٥
على بن رضوان	فيلسوف . طبيب فى الدولة الفاطمية .	٢٤٦
على بن سليمان أمير مصر	يهدم كنائس محرس قسطنطين ، ويبذل له النصارى ٥٠ ألف دينار فيأبى .	١٩٤
على بن عيسى الجراح . الوزير	يقدم إلى مصر ويلزم الأساقفة بأداء الجزية .	١٠٧
عماد المـارشال	راهب . أخذ على ابن لقلق البطرك وقال : لا يصح له كهنوت .	١٢٢
عمر بن الخطاب	يجلس فى صحن كنيسة القيامة ويصلى خارجها .	٩٠
	يكتب للنصارى أماناً لما فتح مدينة القدس .	٩٠
عمَر بن شبه .	مؤرخ .	١٨٣
أبو عمَر محمد بن يوسف الكندى	مؤرخ مصر .	٢٦١
عمْرو بن العاص	يكتب لبنيامين أماناً ويجلسه على كرسى بطركيته بعدما غاب عنها ١٣ سنة .	٩٠
عيسى عليه السلام	يخرج إليه أديرة وادى النطرون .	١٧٦

العلم	المناسبة	الصفحة
قسطس	أبو قسطنطين .. تزوج هيلانة وهو صاحب شرطة دقلطيانوس .	٥٤
قسطنطين	أول من رفع الصليب وأظهره فى الناس .	٥٤
	يجعل دار مملكته قسطنطينية . ويكرم النصارى ويدخل فى دينهم فى السنة ١٢ من ملكه على الروم ، ويأمر ببناء الكنائس وكسر الأصنام فى جميع مملكته .	٥٤ و٢٥٦
	يستحسن كلام الإسكندروس فى مجمع نبيقية سنة ٣٢٥هـ	٥٦
	يأمر بإحضار التوراة الصحيحة من مصر .	٦٠
	يلزم اليهود بالتنصُّر .. ويقتل منهم الكثير .	٦١
	سبب اعتناقه النصرانية .	٢٥٨
	يحارب الفرس ويخرجهم من بلاده .	٢٦٠
قطز	يقرر على نصارى دمشق ١٥٠ ألف درهم .	١٢٣
بوقلته	طبيب راهب . صاحب أحوال عجيبة فى مداواة الرمدى .	٢٢٢
قليموس – تلميذ بطرس	يحمل القوانين التى وضعها الرسل .	٤١
قمطورس ملك البلغر	يُقتل .	١١٣

العلم	المناسبة	الصفحة
لقيوس . الأريوسى	تولى البطركية بعد أثناسيوس فاجتمع الأساقفة وحرموه ونفوه، وأعادوا إيناسيوس البطرك ٢٠.	٦٢
أبو ليناريوس الملكانى	يجدُّ فى رجوع النصارى بأجمعهم إلى رأى الملكية.	٧٦
(م)		
ابن المأمون	مؤرخ.	٢٤٧
الخليفة المأمون	يُسْأل عن رش الماء فى النوروز.	٢٤٥
الأمير الماردينى	يستأذن السلطان فى الصيد.	٢٥٣
ماروطا	من عظماء الرهبان. جسده فى أنبوبة بدير بوبشاى بوادى النطرون.	٢١٧
المتوكل على الله بن المعتصم	يأمر أهل الذمة سنة ٢٣٥هـ بلبس الغيار وشد الزنار وعمل رقعتين تخالفان لون الثوب.	١٠٢
محمد بن طغج الإخشيد	يختم على كنائس الملكية.	١٠٨
محمد بن قلاون	يعيد عمل عيد الشهيد.	١٩٣ و١٩٦ و١٩٧ و٢٥١ و٢٥٢ و٢٥٣
مرقص الجديد . البطرك ٤٩	فى أيامه انتُهِبَت النصارى بالإسكندرية، وحرّقت ديارات وادى النطرون. وسار بطرك الملكية إلى بغداد وعالج بعض الخطايا، فكتب الخليفة له برد كنائس الملكية.	١٠٠

العلم	المناسبة	الصفحة
منساك	راهب له شهرة عند النصارى .	١٦٨
الملك المنصور قلاون	مؤسس أسرة قلاون بمصر .	١٢٤ و١٧٣
موريق قيصر	فى أيامه ظهر مارون الراهب فتبعه أهل حماة وقنسرين والعواصم وجماعة من الروم ، ودانوا بقوله فعرفوا بين النصارى بـ (المارونية) .	
أبو موسى الأسود	كان لصا فاتكا قتل ١٠٠ نفس ثم تنصّر وصنف عدة كتب .	١٨٠
موسى بن على	أمير مصر – يهزم القبط الخارجين ببلهيب .	٩٩
موسى بن عيسى	لما ولى بعد سليمان بن على أذن للنصارى فى بناء الكنائس بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة .	٩٨ و١٩٥
موسى عليه السلام	يقال إنه ولد فى قرية (شهران) ومنها ألقته أمه فى النيل .	١٥١
ميخائيل الملك		١٥٩
ميكائيل البطرك ٥٣	كان قسيساً فى دير يحنس فلما مات دفن فى دير أبى مقار .. وهو أول بطرك يدفن فيه .	١٠٣
ملهيانوس	ابن عم قسطنطين . اشتدت نكايته على النصارى ومنعهم من النظر فى الكتب ، ومحا الصليب من أعلامه وبنوده .	٦٢
(ن)		
نزار بن المعز	فى أيامه أخذ البطاركة كنيسة	

العلم	المناسبة	الصفحة
	السيدة المعروفة بكنيسة البطرك .	١١٠
نسطاس ملك الروم	يتلقى من إيليا بطرك القدس كتاباً يأمل الرجوع من اليعقوبية إلى الملكية	٧٤
	فى أيامه ألزم الحنفاءُ صابئة حرّان بالتنصّر ، فتنصّر كثير من الصابئة وقتل من امتنع .	٧٥
	يأمر جميع الأساقفة بعمل الميلاد فى ١٥ كانون أول والغطاس ٦ كانون الثانى . وكان كثير منهم يعمل الميلاد والغطاس فى يوم واحد وهو سادس كانون الثانى .	٧٦
نسطايوس البطرك ٣٦	يسترد ما كانت الملكية قد استولت عليه من كنائس اليعاقبة ويَرُمّ ما شعثه الفرس منها .. وسارت أرض مصر جميعها فى أيامه يعاقبة ؛ لخلوها من الروم .	٨٣
نسطورس	يقول .	٦٦
	وينفى إلى صعيد مصر ويقيم فى إخميم ، وفيها تظهر مقالته ، ودان بها نصارى فارس ، والعراق ، والموصل ، والجزيرة ، وعرفوا اليوم بـ « النساطرة » .	٦٧
نوفيل بن ميخائيل ملك الروم	يأمر بمحو الصور من الكنائس بسبب خدعة عملها قيّم على كنيسة فى صورة مريم فضرب	

العلم	المناسبة	الصفحة
	عنق القيِّم وأبطل الصور .	
الملك نيرون قيصر	قتل بطرس رأس الحواريين .	٤٢ و١٤٩
نوح عليه السلام	ذرأ الله جميع أولاد آدم منه .	١٥
« هـ »		
الهادى موسى		١٩٤
هرقل ملك الروم	يغلب الفرس بحيلة دبرها على كسرى، وطلب منه اليهودُ أن يؤمِّنهم وحلف لهم، ثم دخل القدس فوجدها خرابا وأعلمه النصارى بما كان من اليهود، وأنهم كانوا أشد من الفرس نكاية .	٨٤
	كان مارونيا فظفر بـ (مينا) أخى (بنيامين) بطرك الإسكندرية، فأحرقه بالنار؛ عداوة لليعاقبة .	٨٦
	يوقع باليهود ويبيدهم . وتقدم بعمارة الكنائس والديارات التى خربها اليهود . فالتزم النصارى بصوم أسبوع فى السنة عرف بـ « جمعة هرقل » .	٨٥
أبو هرمينة	من قدماء الرهبان .	١٥٨
أبو هريرة بن أبى عاصم	شاعر .	١٥١
أبو هريرة رضى الله عنه		١٨٤

العلم	المناسبة	الصفحة
	جدد بناء الكنائس ، وأنشأ مارستانا بالقدس، ووسع كنيسة بيت لحم وبنى دير طور سيناء .	٧٩ و١٨٦
يوسف النجار	يتشمل به الملك فينفخ فى جيب مريم .	٣٠
يوليان	الفيلسوف المرتد .	٧٦

* * *

٨ - فهرس الأمم والقبائل والعشائر والجماعات والطوائف

(أ)

(ك)

٩ - فهرس الأماكن

(ل)

(م)

(ن)

كنائس الملكية

(هـ)

* * *

١٠ - فهرس الكتب

* * *

١١ - فهرس الشعر والشعراء

صدر البيت	قافيته	الشاعر	الصفحة
	(ن)		
أسلم سلموا	مجرمونا لا مسلمونا	ابن قيس الرقيات	١٢٧
	(ى)		
كيف فتارة	أحكيه فيه	ابن قيس الرقيات	٢٤٩

* * *